

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة البليدة 2



كلية: الآداب واللغات

قسم: اللغة العربية وآدابها

أطروحة بعنوان:

البعد التداولي في تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور

-رؤية تداولية- نماذج مختارة.

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه الطّور الثالث (ل.م.د) في اللغة العربيّة وآدابها

تخصص: اللسانيات العربيّة

إعداد الطالبة:

سهام رزاق زحاف

تحت إشراف:

أ.د. رشيد شعبة

السنة الجامعية: 1445هـ - 1446هـ / 2024-2025م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة البليدة 2



كلية: الآداب واللغات

قسم: اللغة العربية وآدابها

البعد التداولي في تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور

-رؤية تداولية- نماذج مختارة.

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه الطّور الثالث (ل.م.د) في اللغة العربيّة وآدابها

تخصص: اللسانيات العربيّة

إعداد الطالبة:

سهام رزاق زحاف

اسم اللجنة المشكلة من:

اللقب والإسم	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
بوتشنت العصفورة	الأستاذية	البليدة 2	رئيساً
رشيد شهبه	الأستاذية	البليدة 2	مشرفاً ومقرراً
محمد نعمي	محاضر أ	البليدة 2	مشرفاً مساعداً
مالك بوعمره سونة	الأستاذية	البليدة 2	عضواً مناقشاً
العيدية رحموني	محاضر أ	البليدة 2	عضواً مناقشاً
محمد عثمانى	محاضر أ	بومرداس	عضواً مناقشاً
نذير بو لمعالي	الأستاذية	المدية	عضواً مناقشاً

السنة الجامعية: 1445هـ - 1446هـ / 2024-2025م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَدَقَ اللَّهُ إِذْ يَقُولُ:

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾

سورة طه: الآية 114.

الإهداء

إهداء

. أهدي هذا العمل المتواضع إلى أُمِّي الغالية وروح أبي الطاهرة...وأختاي وزوجي

الغالي وأحبتي -زوج أختي وأبنائهما، وإلى روح خالي وزوجته الغالية، وأبنائها كل باسمه وجميل

وسمّه-، وإلى شهداء غزة وفلسطين طيب الله أثرهم وجعلهم من الشهداء الأبرار

الشكر والتقدير

شكر وتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى أساتذتي الكرام في قسم اللغة العربية وآدابها، وعلى رأسهم أستاذي المشرف الدكتور رشيد شهبه، ومدير المشروع الدكتور الفاضل علي منصوري، والدكتور محمد العيد رتيمة، كما يطيب لي التقدم بجزيل الشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة كل باسمه وجميل وسمه على قبولهم مناقشة البحث قراءةً وتدقيقاً وتمحيصاً وتصويبهم لهفواتي في هذا العمل، كما أن الشكر موصول إلى كل من كان مشجعاً ومصححاً ومثبتاً لي في مساري البحثي.

مُلَخَّصُ البَحْثِ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

المُلخَص

يتناول هذا البحث الدور البلاغي للغة في القرآن الكريم، وكيف أسهم في تطويرها ليكون أسلوباً للحجاج والتعبير عن المعاني العميقة بطريقة مبتكرة. تظهر مشكلة الدراسة في تحديد الفرق بين التفسير والتأويل وتأثير اختلاف المتلقين في فهم الخطاب القرآني. ويسعى البحث إلى تحديد آليات التواصل التخاطبي وضبطها في حالة إختلاف البيئات والثقافات، وجاء اختيار هذا الموضوع نظراً لأهميته في فهم أبعاد الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم.

وتُعد هذه الدراسة ذات أهمية كبيرة، حيث تسلط الضوء على الخطاب القرآني من منظور تداولي وبلاغي، ما يساعد في فهم الأساليب الحجاجية والتفسيرية التي اعتمدها القرآن في إيصال المعاني.

حيث تنتمي الدراسة إلى البحوث اللغوية والبلاغية ذات الطابع التحليلي النقدي، وتركز على الخطاب القرآني وأثره في المتلقي. واعتمدت الدراسة على المنهج التداولي في تحليل الخطاب، وذلك عبر دراسة العلاقة بين المتكلم والمخاطب، ومدى تحقيق القصدية في التواصل اللغوي، إضافة إلى المنهج التحليلي في تفكيك البنى اللغوية والتداولية داخل النص القرآني.

كما استند البحث إلى جملة من الأدوات التحليلية التي ساعدته في تحديد أهدافه، ومنها دراسة نظريات البلاغة العربية، ونظرية النظم والإعجاز القرآني، فضلاً عن آليات التحليل التداولي للخطاب. كما اعتمد البحث على تحليل تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، لاستخلاص الآليات البلاغية والحجاجية التي استخدمها في تفسيره للقرآن الكريم، مما ساعد في تحديد كيفية بناء الخطاب وتوصيل المعاني إلى المتلقي وفق الأساليب التداولية.

وقد توصل البحث إلى أن الخطاب القرآني يشكل دعامة لغوية وبلاغية مما ساهمت في الحفاظ على اللغة العربية، كما أظهر أن التفسير والتأويل يتأثران بالسياقات المختلفة للمتلقين. وأن

ضبط نوعية المتلقي المقصدي -إن كان قارئاً فقط أو منتجاً للخطاب- يعد ضرورة أساسية قبل إلقاء الكلام وتوجيهه إلى المتلقي كما يجب تحديد الآليات الواجب للمتلقي المقصدي الاستفادة منها في فهم الخطاب وفك شفراته، حتى يتسنى له الانفتاح نحوه والدخول إلى عالم البنى النصية المنشئ من أجلها الخطاب وتأويله تأويلاً سليماً. كما أنه لا يمكن للمتلقي المقصدي أن يكون محللاً لأي خطاب إلا إذا توفرت فيه بعض الشروط التحليلية أهمها: التمكن من التعامل مع الآليات الإجرائية في الخطاب اللغوي التواصلية، وأن يكون على دراية ومركزية بالوظائف التواصلية وأن يكون على انسجام تقريبي وتعاقدي ذهني ومعرفي مع مقصدية المتكلم الحرفية.

وقد كشفت الدراسة أن التداولية في تفسير آيات مختارة -من كتاب التحرير والتتوير- تصب في باب البلاغة والإعجاز، كما تعتمد على مقارنة المقاصد والغايات الحجاجية لتفسير النص القرآني. وأكدت النتائج أن قدرة المتلقي على إدراك المعاني وفهم مقصدية المتكلم تعتمد على مهارته في امتلاكه للأدوات اللغوية ودرجة ثقافته ومعرفته العلمية. وأن المتكلم يجب قياس هذه الدرجة قبل أن يتوجه للمتلقي المقصدي بخطابه ليتحقق الانسجام المقصدي بينهما.

ومن الممكن تطبيق هذه النتائج عملياً في دراسات تحليل الخطاب، وفي تطوير مناهج تدريس علوم القرآن واللغة العربية، ولتعزيز وعي الدارسين بمستويات التأويل والتفسير، وتمكينهم من فهم أعمق لآليات إنتاج المعنى داخل النصوص القرآنية.

الكلمات المفتاحية:

الخطاب، التفسير، التأويل، التقويل، التداولية، القصد والمعنى.

قائمة المحتويات

الفهرس

04	إهداء
06	شكر وتقدير
08	المُلَخَّص
11	الفهرس
26	قائمة الجداول
29	قائمة الأشكال
32	مقدمة
43	الباب الأول: الجانب النظري
44	الفصل الأول: اللسانيات التراثية والتجديد في نظرية التخاطب - إحياء - مفاهيم -
44	مدخل: التداولية إشكالية المصطلح وأبعاد المفهوم
45	المطلب الأول: تحديد مصطلح التداولية
45	أولاً: مرحلة التجديد وتحديد المصطلح
49	ثانياً: مرحلة التأصيل وتحديد المصطلح
56	المطلب الثاني: مفهوم البعد التداولي
56	أولاً: البعد لغة واصطلاحاً
57	ثانياً: التداولية لغة واصطلاحاً
62	ثالثاً: مصطلح البعد التداولي وأبعاده الوظيفية
63	المبحث الأول: نظرية التخاطب في التراث البلاغي العربي والغربي.

63	تمهيد: مستويات التأصيل والتجديد للقارئ الجديد.
73	المطلب الأول: نظرية التخاطب في التراث العربي
74	1- تخاطب الشعراء مع البلغاء
76	2- تخاطب النحاة مع الشعراء
76	3- تخاطب النحاة مع اللغويين
78	المطلب الثاني: التجديد التأويلي في البلاغة العربية والغربية.
78	1- ثنائية الجاحظ وتشو مسكي (اللغة/الوظيفة)
82	2- ثلاثية أوستين وابن خلدون (المسافة الاجتماعية/السياق/القصدية)
82	أ- المسافة الاجتماعية
90	ب- القصد/ السياق بين ابن خلدون وسيرل
94	المبحث الثاني: العلامة التداولية والدلائل النصية
94	المطلب الأول: بلاغة الرمز
94	أولاً: العلاقات اللغوية
111	ثانياً: النظم/ النظام
125	ثالثاً: العلامة (الرمزية)
135	المطلب الثاني: البلاغة والأسلوب
135	أولاً: بلاغة اللغة والاستدلال
135	1- حد بلاغة اللغة
140	2- الاستدلال المنطقي

145	ثانيا: بلاغة الأسلوب
154	الباب الثاني: الجانب التطبيقي الآليات الإجرائية للمتلقي التداولي في فكر محمد الطاهر بن عاشور لتحليل مقاصد الخطاب القرآني بين استمداداته التفسيرية والتأويلية التقويلية -من خلال كتابه تفسير التحرير والتنوير-رؤية تداوليّة-
155	المدخل التطبيقي: حلقة التأثير والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة-قراءة تأصيلية-
156	المطلب الأول: محمد الطاهر بن عاشور متلقيا ومتأثرا بمن جاء قبله
156	أولا: فكرة التلقي والقراءة في تفسير ابن عباس
158	1-دعامة المنهج
159	أ-المنهج الفقهي
160	ب-المنهج الاستدلالي
162	ج- المنهج اللغوي
162	2-دعامة المقاصد والأساليب
163	ثانيا: فكرة التلقي والقراءة في فكر كلثوم بن عمرو العتابي
165	ثالثا: فكرة التلقي والقراءة في فكر الرماني
166	المطلب الثاني: تطور فكرة التلقي من كلام بليغ إلى الإعجاز اللغوي عند محمد الطاهر ابن عاشور

171	أولاً: أساسيات التلقي
175	ثانياً: أساسيات المتلقي
176	ثالثاً: أساسيات المتكلم
178	المطلب الثالث: محمد الطاهر بن عاشور ملقياً ومأثراً بمن جاء بعده
178	أولاً: صور تلقي الشيخ محمد الغزالي في طريقة التحليل والفهم (المعاني الخفية وأغراضها البعيدة)
179	1- مبدأ التوجيه اللفظي للمعنى الخطابي
182	2- مبدأ القواعد الكلية الفلسفية المنطقية للخطاب اللغوي
196	ثانياً: الشيخ يوسف القرضاوي التأثير بمنهجية محمد الطاهر بن عاشور في فهم القضايا القرآنية (النص المدمج اندماج التفسير البياني مع التفسير اللغوي ضرورة وآلية تأويلية لدى ابن عاشور)
197	1- دعامة التفسير اللغوي
199	2- دعامة الحجاج اللغوي
204	الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -
205	تمهيد
207	المبحث الأول: البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والكفايات التداولية
207	تمهيد: ملمح الإعجاز اللغوي البلاغي في فكر محمد الطاهر بن عاشور ومرجعياته التداولية المعاصرة

208	المطلب الأول: المتلقي المقصدي في البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور علاقته بالتداولية المعاصرة
208	أولاً: مفهوم المتلقي المقصدي وأنوعه
209	1- مفهوم المتلقي المقصدي
209	أ-المتلقي في اللغة
210	ب-المقصد في اللغة
211	ج-المتلقي اصطلاحاً
212	د-المقصد اصطلاحاً
213	2-المتلقي المقصدي في الاصطلاح
219	ثانياً: أنواع المتلقي المقصدي
219	1-المتلقي التفسيري
219	أ-التفسير لغة
220	ب-التفسير اصطلاحاً
221	2-المتلقي التأويلي في صورة المتلقي التأصيلي لدى عبد القاهر الجرجاني ومحمد الطاهر بن عاشور-البلاغة والكلام في وضع التحرير والتأليف-
224	3-المتلقي التجديدي: محمد الطاهر وأبو بكر الغزاوي(العقل واللغة والحجاج)
225	4- المتلقي التقويلي اللغوي
225	أ-التقويل لغة
225	ب-اصطلاحاً

233	المطلب الثاني: الكفايات التداولية للمتلقي المقصدي عند محمد الطاهر بن عاشور
233	أولاً: الكفايات التداولية للمتلقي التفسيري
233	1-الكفاية التعليلية
235	2-الكفاية النظرية الجدلية
236	ثانياً: الكفايات التداولية للمتلقي التأويلي
238	1-الآلية المعنوية
238	أ-المعنى البلاغي
240	ب-وظائف المعنى البلاغي
241	ب-1-وظيفة الخبر
245	ب-2-وظيفة الإنشاء
246	2-الآلية البيانية
247	أ-آلية التشبيه الاستعمالي الغرضي
249	ب-آلية المجاز اللغوي الاستعمالي المعنوي
251	ج-آلية الاستعارة الذهنية والاستعمالي الكنائي
252	3-آليات الجمالية
252	أ-المعنوية(الطباق والمقابلة)
253	ب-اللفظية(الاقتباس)
255	ثالثاً: كفايات المتلقي التقويلي اللغوي
255	1- الاحتجاج اللغوي

258	2- الاستدلال العقلي
260	3- الاستنتاج مقابل الإسقاط النصي
262	المبحث الثاني: المتلقي المقصدي وكفاياته الحجاجية في البلاغة الجديدة بين محمد الطاهر بن عاشور وبرلمان وتتك
262	المطلب الأول: بلاغة الإعجاز اللغوي عند محمد الطاهر بن عاشور
262	أولاً: مفهوم بلاغة الإعجاز
262	1- الإعجاز لغة
262	2- الإعجاز اصطلاحاً
263	3- مصطلح بلاغة الإعجاز اللغوي في فكر محمد الطاهر بن عاشور
264	ثانياً: أوجه إعجاز القرآن اللغوي وعلاقته بالمبادئ التداولية
264	1- البلاغة والفصاحة مع مبدأ أسبقية القدرة على الإنجاز
264	2- الرصف والنظم مع مبدأ أسبقية النظام والبنية على الاستعمال
265	3- الإيجاز والبلاغة مع مبدأ أسبقية الاستعمال التمثيلي للغة
265	4- الإجمال والتفصيل مع أسبقية الاستعمال الوصفي للغة
266	ثالثاً: الإعجاز اللغوي وأغراضه البلاغية
267	1- الفهم والإفهام
268	2- التأليف والأسلوب
269	أ- المقام
270	ب- السياق

271	رابعًا: الإعجاز اللغوي والقوة الإنجازية في الخطاب القرآني
273	خامسًا: أسباب تعدد أوجه تفسير الكلام
281	المطلب الثاني: البلاغة الجديدة لبرلمان ومحمد الطاهر بن عاشور
283	أولًا: الفهم الذهني الصحيح
283	ثانيًا: اللغة ومواضعها
285	ثالثًا: المقصد
286	رابعًا: مساق الكلام
288	المطلب الثالث: استراتيجية الإقناع للمتلقى الجديد في الخطاب البلاغي
288	أولًا: مسوغات استعمال استراتيجية الإقناع عند المتلقى الجديد
296	ثانيًا: أنواع المتلقى الجديد عند برلمان وضوابطه التداولية الحجاجية
296	1- المتلقى اللغوي التواصلية
296	2- المتلقى الفلسفي العقلي
298	3- المتلقى المنتج البلاغي
300	المطلب الرابع: إجراءات التحليل اللساني من التصور الوصفي إلى التداولي
300	1- التصور الوصفي
305	2- التصور البنيوي
306	أ- المستوى الصوتي
308	ب- المستوى التركيبي
310	3- التصور التلفظي-التداولي

312	ملخص الفصل
314	الفصل الثاني: من تداولية التحرير والتنوير إلى تداولية التثوير والتقويل في بلاغة محمد الطاهر بن عاشور-رؤية تداولية-
315	تمهيد: تداولية العنوان بين بناء المعنى وقراءة المتلقي
320	المبحث الأول: المعنى والاستعمال
320	تمهيد
321	المطلب الأول: نظرية الإنشاء والخبر في بلاغة محمد الطاهر بن عاشور مقابل نظرية الأفعال الكلامية في تداولية جون أوستين وسيرل
321	أولاً: نظرية الإنشاء والخبر
325	ثانياً: نظرية الأفعال الكلامية
326	المطلب الثاني: كيفية إنشاء المعاني
328	المطلب الثالث: أساليب المعنى
328	أولاً: حد الخبر في بلاغة محمد الطاهر بن عاشور وتداولية أوستين وسيرل
332	ثانياً: حد الإنشاء في بلاغة محمد الطاهر بن عاشور وتداولية أوستين وسيرل
333	المطلب الرابع: القوة الإنجازية في البلاغة العربية ومقاصدها التداولية
333	أولاً: أقسام الإنشاء ومقاصده
333	1- القسم المعنوي
333	أ- المقصود بالمعنى في فكر محمد الطاهر بن عاشور
335	ب- أنواع المعنى

337	ج- صفات المعنى
338	2- القسم اللفظي
338	أ- أحوال الألفاظ المفردة
341	ب- أحوال الألفاظ المركبة
343	ثانيا: القوة الإنجازية ومقاصدها في الخبر والإنشاء
343	1- تقوية الكلام في الخبر والإنشاء
348	2- مقاصد التقوية في الخبر والإنشاء
348	أ- الإسناد في الخبر والإنشاء
354	ب- التقابل في الخبر والإنشاء
356	ج- الإخبار عن أحوال الفعل
358	د- بالتقدير والتعيين في الفعل
360	هـ- بالحذف والذكر في الفعل
363	المبحث الثاني: تداولية تحرير المعنى وتضييق الاستعمال في تفسير سورة البقرة لمحمد الطاهر بن عاشور-آيات مختارات-
363	تمهيد: من خطاب الوصف إلى خطاب التفسير -في أسباب تسمية ونزول سورة البقرة ومضمون خطابها-
369	المطلب الأول: التقريرات
373	المطلب الثاني: الطلبات
373	أولا: الأمرات ومقيداته البلاغية في الاستعمال

385	ثانيا: الاستفهام ومقيداته البلاغية في الاستعمال
385	1- أسلوب الاستفهام في الخطاب القرآني
392	2- أدوات الاستفهام معانيها ووظائفها التداولية في فكر محمد الطاهر بن عاشور في سورة البقرة
406	ثالثا: النداء ومقيداته البلاغية في الاستعمال
406	1- نداء الذوات العامة
408	2- نداء الذوات الخاصة
411	المبحث الثالث: تداولية تنوير المعنى وتوسيع الاستعمال في خطاب يوسف عليه السلام في فكر محمد الطاهر بن عاشور-آيات مختارات-.
411	تمهيد: من خطاب التفسير إلى خطاب التأويل
413	المطلب الأول: التعاقد التأويلي وبلاغة المؤول المعرفية في تفسير الخطاب القرآني في فكر محمد الطاهر بن عاشور-أسباب نزول سورة يوسف عليه السلام-
417	المطلب الثاني: بلاغة المؤول وانسجام التأويل(النظم والانسجام)
424	المطلب الثالث: سلطة المعايير الثقافية للمتلقي البلاغي في التعاقد التأويلي المعرفي لمحمد الطاهر بن عاشور
426	أولا: معيار الاستمداد المرجعي(البعد المعرفي والثقافي) للخطاب
426	1- الاستمداد المعرفي
429	2- الاستمداد الثقافي
430	ثانيا معيار القصد(المعنى المتولد) في الخطاب
436	ثالثا: معيار الزمن(الظرفية الزمنية) من الخطاب

438	رابعاً: معيار الوظيفة في الخطاب
439	المطلب الرابع: القراءة النصية والدوائر التأويلية في عينة من خطاب يوسف عليه السلام في فكر محمد الطاهر بن عاشور-آليات المؤول في البنية التأويلية-
440	أولاً: الآليات التأويلية النصية في الدوائر الصغرى
440	1- المدخل الصرفي
442	2- المدخل البنائي النحوي: القاعدة النحوية الموسعة في خطاب يوسف عليه السلام
442	أ- تأويلية الخبر
445	ب- تأويلية الذوات
448	3- مدخل البنيات البلاغية: اتساع المعنى وتذوق الإنتاج للمؤول البلاغي
454	ثانياً: الآليات الخارجية العاملة في خطاب التأويل(انفتاح التأويل النصي على الدوائر الكبرى)
455	أ- آلية المناسبة والمقام
459	ب- آلية الأشباه والنظائر
460	ج- آلية المقارنة
461	د- آلية التقابل
464	المبحث الرابع: تداولية تثوير المعنى وتقويل الاستعمال في خطاب موسى عليه السلام من سورة القصص عند محمد الطاهر بن عاشور-آيات مختارات-
464	تمهيد: من حد التأويل إلى حد التقويل
469	المطلب الأول: الاستلزام التخاطبي- كيف نعني أكثر مما نقول-
471	أولاً: مقارنة غرايس (H P. GRICE) ومحمد الطاهر بن عاشور

471	1- معنى المتكلم وموقع الاستلزام التخاطبي
471	أ- في معنى المتكلم في خطاب موسى عليه السلام
474	ب- موقع الاستلزام التخاطبي
477	ثانيا: مبدأ التعاون وطرائق توليد الاستلزام التخاطبي
484	المطلب الثاني: آليات تثوير المعنى وتقويل الاستعمال
484	أولاً: الآليات اللغوية
484	ألفاظ التعليل
491	2- التركيب الشرطي
496	ثانيا: الآليات البلاغية
496	1- الآليات البيانية
496	أ- الكناية
501	ب- الاستعارة
502	ج- المجاز المرسل
503	د- التمثيل
504	2- الآليات التحسينية
504	أ- الطباق
507	ب- المقابلة
512	ج- تقسيم الكلي الى أجزاء
515	ملخص الفصل

517	الخاتمة
518	أولاً: النتائج
518	1-النتائج العامة
519	2- النتائج الخاصة
520	ثانياً: التوصيات
523	قائمة المصادر والمراجع
544	ABSTRACT

قائمة الجداول

قائمة الجداول

64	جدول رقم(01): يبين أساسيات الحكم اللساني للقارئ الجديد بين التّراث والحدائّة
96	جدول رقم(02): يبين الحالة الوظيفية التعويضية في العلاقات اللغوية لتعلق الحرف بالاسم والفعل في انتظام الخطاب عند عبد القاهر الجرجاني
118	جدول رقم(03): يوضح الفرق بين النظام البنيوي للمتكلم والنظام التواصلّي للمتلقي في حدي الاستعمال والقصد اللغوي
122	جدول رقم(04): يمثل التمايزات العقلية والنحوية ومواقعها في نظام المتكلم اللساني
135	جدول رقم(05): توازي اصطلاحات السكاكي التراثية مع المحدثين في الحقل الخطابي
139	جدول رقم(06): يصور مجموع الحدود وأنواع التعريفات الضابطة للاستدلال والمقيدة للكلام أثناء التخاطب عند السكاكي
159	جدول رقم(07): يمثل معاني حروف الهجاء في سورة البقرة في فكر محمد الطاهر بن عاشور
160	جدول رقم(08): يمثل طرائق الاستدلال للقول وفنونه ودوره في ضبط المقصد الكلامي أثناء تفسير الخطاب القرآني عند بن عباس
169	جدول رقم(09): يلخص أسس العلم والتلقي ومهارة التواصل بين المتخاطبين
171	جدول رقم(10): يصور العوامل العلمية والعملية الواجب أخذ المتلقي بها أثناء عملية التلقي عند محمد الطاهر بن عاشور
212	جدول رقم(11): يبين إجراءات المتلقي المقصدي في نظرية التمكين
229	جدول رقم(12): يمثل أشكال القراءة للمتلقي التقويلي وصورها التداولية في الخطاب النصي عند محمد الطاهر بن عاشور
240	جدول رقم(13): يمثل الفضاء الزمني المخصوص وأغراضه البلاغية
257	جدول رقم(14): أغراض الخطاب القرآني ودلالاته البلاغية
266	جدول رقم(15): يمثل أساليب انتقال الكلام وأغراضه عند محمد الطاهر بن عاشور
286	جدول رقم(16): يمثل الروابط التقنية للمتلقي الجديد في خطابه البلاغي المتوقع
300	جدول رقم(17): يميز الفرق بين إنتاج محمد الطاهر بن عاشور وهاليداي ورقية حسن وأثره في الخطاب البلاغي
323	الجدول رقم(18): يمثل حدود إنشاء المعنى في ذهن المتلقي أبعاده الاستعمالية في

	تفسير الخطاب لمحمد الطاهر بن عاشور
324	جدول رقم(19): يوضح أصناف الأفعال الكلامية وأغراضها الإنجازية عند أوستين
325	جدول رقم(20): يوضح إضافة سيرل لأصناف الأفعال الكلامية مقاييسها الإنجازية على تصنيف أوستين
376	جدول رقم(21): يمثل الأمر وأغراضه البلاغية في الخطاب القرآني-آيات مختارة-
414	جدول رقم(22): يوضح أغراض الواضع بين المعنى والاستعمال عند محمد الطاهر بن عاشور
427	جدول رقم(23): يشرح السيرورة المعرفية في العملية التواصلية وأوضاعها التعبيرية ودلالاتها
467	جدول رقم(24): يمثل مجموع القرائن النصية للمتلقي التأويلي الموسع في تفسيره للخطاب اللغوي القرآني
478	جدول رقم(25): يبين خصال أهل الكمال وأغراضها البلاغية
511	جدول رقم(26): يمثل صور تقسيم الكل إلى أجزاء في البلاغة العربية

قائمة الأشكال والمخططات

قائمة الأشكال:

67	الشكل رقم(01): يوضح مستويات التأصيل والتجديد للقارئ الجديد للتراث العربي
89	الشكل رقم(02): يمثل تلخيص التوزيع الخلدوني للوضعيات التواصلية وسياقاتها الاجتماعية أثناء الوقائع التخاطبية
94-93	الشكل رقم(03): يوضح الحالة النحوية الأساسية للعلاقات اللغوية المسؤولة عن انتظام الخطاب عند عبد القاهر الجرجاني
94	الشكل رقم(04): يوضح الحالة الوظيفية التعويضية للعلاقات اللغوية في تعلق الاسم بالاسم والمسؤولة عن انتظام الخطاب عند عبد القاهر الجرجاني
95	الشكل رقم(05): يبين الحالة الوظيفية التعويضية للعلاقات اللغوية في تعلق اسم بفعل والمسؤولة عن انتظام الخطاب لعبد القاهر الجرجاني
107	الشكل رقم(06): الكفايات التخاطبية والقواعد العقلية بين إرسالية المتكلم وتأويلية المتلقي
116	الشكل رقم(07): يوضح مراحل النظم والانتظام في الخطاب اللغوي عند عبد القاهر الجرجاني
128	الشكل رقم(08): يوضح البصمة النفسية للمكون الصوتي اللغوي وأثرها الفيزيائي على سياق المعنى في بناء الخطاب عند دي سوسير
132	الشكل رقم(09): يمثل نمطية الدلالة اللغوية أثناء الاستعمال وتحولاتها الرمزية في الفكر التأويلي
133	الشكل رقم(10): تمثل تداولية الأبعاد الثلاثة للرمز في تأويل اللغة أثناء الاستعمال
136	الشكل رقم(11): يمثل تداولية الاستلزام التخاطبي عند السكاكي
137	الشكل رقم(12): يمثل رمزية الفعل الإنجازي بين قصدية المتكلم واستلزامية المتلقي في الخطاب اللغوي
140	الشكل رقم(13): يمثل دور الحد في تأويل المعنى وصور استدلالاته المنطقية في عملية التخاطب
144	الشكل رقم(14): يبين استراتيجية الاستدلال المنطقي في تحليل الخطاب اللغوي وتأويله
152	الشكل رقم(15): يمثل أساسيات التأويل ومتعلقاته الإنجازية بين المتكلم والمخاطب عند سيرل في المنحى التداولي البلاغي
186	الشكل رقم(16): يمثل حدود التلقي ورمزيات الإلقاء بين محمد الطاهر بن عاشور والجرجاني وابن خلدون من ثلاث زوايا أساسية -اللغة وجوهر النفس والحيز الاجتماعي-
201	الشكل رقم(17): يفسر أنواع الاندماج اللغوي وآلياته التخاطبية بين محمد الطاهر بن عاشور

	والشيخ القرضاوي
303	الشكل رقم(18): يمثل خصائص النص التواصلي في التحليل الوصفي بين المرسل والمتلقي
316	الشكل رقم(19): يمثل الحدود العلمية اللسانية بين الوظيفية والتطبيقية
317	الشكل رقم(20): يمثل تداولية التكامل المعرفي والقراءة التفاعلية في تفسير التحرير والتنوير للمتلقى البلاغي في الخطاب القرآني
335	الشكل رقم(21): يمثل درجات إنشاء المعاني ومواضعها بين البسيط والمعقد في محوري الحقيقة والمجاز عند محمد الطاهر بن عاشور
347	الشكل رقم(22):رسم بياني يمثل تلخيص تقوية الكلام بين المتكلم والمتلقي في الحيز البلاغي بين السلطة والثبات
434	الشكل رقم(23): يمثل البنية النصية للخطاب اللغوي القرآني في سورة يوسف عليه السلام

مقدمة

مقدمة:

شهدت اللغة العربية توسعاً وشمولاً وتعددًا لمجموعة من التعابير الحرفية والضمنية واتخذت من الإشارة علما لها في باب العلامات التواصلية، لتخرج اللغة من وظيفة التقيد الوظيفي إلى وظيفة التوسع المعرفي، ونجد التداوليات المعرفية اليوم تهتم بهذا النوع من الوظائف اللغوية وتبرز لنا أوجه جديدة تختلف أغراضها ووظائفها عن التواصل الذي كان أساس الدرس اللغوي القديم والحديث، فطُورَ من حلقة التواصل إلى حلقة الإبداع والإنتاج وإعطاء الدور للمتلقي بأن يأخذ مكان المتكلم المؤلف ويصبح بدوره ناقل للمعرفة وضابطاً للشروط وله حق الرؤية والنقد، فغيرت التداولية المعرفية أسلوبية التلقي من ناحيتين ناحية التلقي من أجل التبليغ، والتلقي من أجل الإبداع والإنتاج والإثراء.

يعدّ القرآن الكريم باب العلم والبلاغة والإعجاز والتلقي والنقد، فقد حوى جميع الأظرف الاستعمالية للغة وشجّع المتكلم على تحفيز المتلقي في إبراز دور البليغ المحاج وإعطائه حق الجدل والمناقشة في حدود المنطق العقلي للوضع الاستعمالي في ترجيح المسألة خلال التفسير والتأويل.

وعلى هذا الأساس رأينا أن كتاب التحرير والتنوير هو الأنسب لمجال التطبيق في حدود المعرفيات التداولية للخطاب اللغوي القرآني لأنه يجمع بين القرآن مصدرا أساسيا ومؤلف أصلي قائم عليه جميع المؤلفات الإنتاجية البلاغية الأخرى، وبين المنهج التفسيري الذي يختلف من مفسر إلى آخر وذلك حسب حاجيات متلقيه الذي يتوقعها خلال إنشاء التفسير والتعامل مع الخطاب القرآني وحتى لا يصيب مقصدية المتلقي ضباب وعقد يلجأ المفسر إلى مجموعة من الإجراءات في عمله التحليلي يجعل من المتلقي يقف ويركز على المعنى ومقاصد المتكلم فيكون الإنتاج ذا إبداع وتطور ولا يتم ذلك إلا إذا كان عالما بجميع العلوم العربية والشرعية وفاهم ومتوغل في

مقاصدها وعارف لأصولها وأوضاع استعمالها.

ولعلّ ما جذبنا إلى هذا البحث هو كلام بن عاشور وتصريحه في مقدمته عن سبب اهتمام هذا المؤلف بوجوه إعجاز القرآن وأهميته في تحديد الأغراض البلاغية، وصور ترأسله الذهني مع المتلقي، وبهذا نجدد تعييننا لسبب اختيارنا هذا الموضوع هو:

إنّ الحاجة إلى فهم الخطاب القرآني المقصدي والتوغل فيه يعد سببا ضروريا للوقوف عليه في هذا البحث، كما أن تعدد وجهات النظر واختلاف تفسير المتلقي للخطاب وفهم فحواه والوقوف على مقصدية المتكلم وضبطها، هي من دفعتنا إلى اتخاذ هذا الموضوع محل اهتمام ودراسة بحيث أنه ليس من السهل التعامل مع الخطاب القرآني وإدراكه دون تحديد أدوات مساعدة على ذلك، فلا بد من خطوات ومناهج وأدوات نتعلمها ونتقنها حتى نستطيع الوصول إلى تحليل لغوي محكم للخطاب البلاغي في القرآن الكريم، ووجدنا في جهود محمد الطاهر بن عاشور مظاهر لغوية مختلفة وتحليلات دعمت عجز الطالب وحيرته في كيفية التعامل الصحيح مع التحليل اللغوي البلاغي في القرآن الكريم فاخترنا مدونة محمد الطاهر بن عاشور مدونة أساسية للتحليل لغائها بالجانب التوجيهي وثنائها التطبيقي معا وتوفرها على مجموع الأدوات الإجرائية المستلزم تواجدها لدى المتلقي أثناء محاولة تحليله وفهمه للمعنى فهما صحيحا في البنية التخاطبية.

ويهدف هذا البحث إلى دراسة قيمة التراث العربي وأثره في التداوليات المعاصرة وأهمية إعطاء الدرس اللساني المعاصر في البعد التداولي سلطة الخطاب إلى المتلقي بالاعتماد على مردوده المعرفي في إنتاج الخطاب، وكما نرى في هذه الأهمية مجموعة من الأهداف التي نتوقع تحقيقها من طرف المتلقي وهي:

-تطور القصد من حيز الإلقاء العام إلى حيز الإنتاج الخاص وذلك لا ينشأ إلا بواسطة توسع دائرة الحوار والنقاش والتأويل والتحليل.

-من هدف التواصل نجد البعد الاجتماعي والثقافي وهو تهيئة المتلقي وجعل منه قوة إنجازية مستحدثة تمكنه من الدخول والتوغل في عالم البلاغة وفتح أقفال المعاني وإثراء اللفظ وإكسابه معنى توجيهي.

-إن التفاعل النصي المفتوح جعله محمد الطاهر بن عاشور من الأهداف المعاصرة المحققة لتأليف الخطاب والداعمة لعنصر التواصل المقصدي.

-يهدف البحث إلى دراسة أوضاع اللفظ(الوضع الاستعمالي للفظ في سياق معين) وعلاقتها التداولية باللسانيات النصية التراثية.

-تأصيل عدد من الجهود الأساسية التي أصبحت مرجعاً لمجموعة من انشغالات المفكرين والباحثين اليوم.

ومن هذا المنطلق يرى الباحث في العمل الموسوم بـ:" البعد التداولي في تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور -رؤية تداولية- نماذج مختارة"، أن يقف على العلاقة الثلاثية التي تجمع المتلقي بحدود خطابية تواصلية ثلاثة التفسير والتأويل والتقويل، وهذه العلاقة تدعم وتدفع القارئ بأن يرتقي إلى التلقي ومنه إلى الإبداع والإنتاج.

ومنه يصوغ بحثنا إشكاليته الأساسية وفق هذا الطرح: إلى أي مدى التزم ابن عاشور بضوابط التحليل التداولي للخطاب القرآني باعتباره فعلا تواصليا بين المتكلم والمتلقي في تحليله الخطاب القرآني البلاغي؟.

وقد تفرعت عن هذه الإشكالية التساؤلات الموضوعية التالية:

- كيف وقف محمد الطاهر بن عاشور في سلطة الخطاب بين جدية التفسير وحتمية التأويل واستلزامية التقويل بشكل موازٍ أثناء تحليله للخطاب اللغوي القرآني وفي آن واحد؟

-ما آليات المتلقي محمد الطاهر بن عاشور الإجرائية التي طبقها عن المتلقي الآخر والتي وضعها

كشرطٍ أساسيٍّ مما أصبح معياراً تخاطبياً في التداولية اليوم؟

- كيف حدّد محمد الطاهر بن عاشور الانتقال الاستعمالي بين حدود التلقي الثلاثة (التأويل-التأويل-

التقويل) وكيف تعامل معها في تحليل الخطاب التداولي القرآني؟

- اجتمع فيه محمد الطاهر بن عاشور ذات متكلمة وذات متلقيّة، كيف ساهمت حلقة التأثير والتأثير

للمتلقي ابن عاشور في توجيه قصده التفسيري؟

- لماذا ركّز ابن عاشور على المتلقّي أكثر من المتكلم؟ وما صورة المتلقّي في مفهوم ابن عاشور؟

ومن خلال التساؤلات المطروحة نطرح الفرضيات التالية:

-إنّ اعتبار أهمية التلقي والمتلقي في حيز البلاغة لمحمد الطاهر بن عاشور تعود إلى التركيز

على القصد والكفاية معا واعتبارهما أداة إجرائية صالحة لفهم المعنى وتوضيحه.

-علّق محمد الطاهر بن عاشور مبدأ التغريض النصي بالجانب البلاغي الخاص بالأساليب اللغوية

المباشرة وغير المباشرة.

-إنّ سبب تركيز محمد الطاهر على العقل والمنطق لأنهما منارة التأويل والأساس في فهم المعنى

وكشف الغطاء على الألفاظ.

-نرى محمد الطاهر بن عاشور منتقلاً بين الحدود الثلاثة أثناء تركيزه على المعنى والاستعمال

فنجده:

-ركّز في التحرير للمعنى على تضيق الاستعمال وكان يولي انشغالا كبيرا بالمفسر السطحي.

-كما ركّز في تنوير المعنى على توسيع الاستعمال وانصب اهتمامه على المؤول البليغ.

-وركّز في تنوير المعنى على تفسير الاستعمال وكان اهتمامه ينصب على المحاجج والمقنع.

وللإجابة عن التساؤلات السابقة، ولاختبار صحة الفرضيات المشار إليها، قسمنا البحث

إلى بابين، باب نظري وباب تطبيقي، وفق المنهج الوصفي التحليلي، حيث خُصّص في الباب

الأول بالجزء النظري وعمدنا فيه بالتركيز على فصل واحد يشمل كل الجوانب النظرية في البحث وعنون هذا الفصل النظري بـ"اللسانيات التراثية والتجديد في نظرية التخاطب-إحياء-مفاهيم واحتوى على مدخل عام ومبحثين نسردهما كالآتي: عنون المدخل النظري بـ"التداولية إشكالية المصطلح وأبعاد المفهوم" وقسم إلى مطلبين المطلب الأول شمل "تحديد مصطلح التداولية" والمطلب الثاني خصص بـ"مفهوم البعد التداولي"، أما المبحث النظري الأول لهذا الفصل فعنون بـ"نظرية التخاطب في التراث البلاغي العربي والغربي" احتوى على تمهيد خاص بـ"مستويات التأصيل والتجديد للقارئ الجديد" ومطلبين: المطلب الأول كان بعنوان "نظرية التخاطب في التراث العربي" والمطلب الثاني حمل عنوان "التجديد التأويلي في البلاغة العربية والغربية"، أما المبحث الثاني فعنون بـ"العلامة التداولية والدلائل النصية" وخصصنا فيه مطلبين كذلك؛ المطلب الأول فقصدنا فيه "بلاغة الرمز" أما المطلب الثاني فركزنا فيه على "البلاغة والأسلوب".

أما الباب الثاني فقد كان مخصص للجانب التطبيقي وعنون بـ"الآليات الإجرائية للمتلقى التداولي في فكر محمد الطاهر بن عاشور لتحليل مقاصد الخطاب القرآني بين استمداداته التفسيرية وحدوده التأويلية التقويلية" وشمل على مدخل تطبيقي عام وفصلين، وعنون المدخل التطبيقي بـ"حلقة التأثير والتأثير عند محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير-محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة- واحتوى على مطالب ثلاث هما: المطلب الأول شمل على صورة "محمد الطاهر بن عاشور متلقيا ومتأثرا بمن جاء قبله" وأما المطلب الثاني فأخذ "تطور فكرة التلقي من كلام بليغ إلى علم الإعجاز عند محمد الطاهر بن عاشور" في حين المطلب الثالث فقد خصص بـ"محمد الطاهر بن عاشور ملقيا ومأثرا بمن جاء بعده"، حيث جاء الفصل الأول بعنوان "من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقى المقصدي-مقاربة تأصيلية من خلال المقدمات العشر- واحتوى على تمهيد للفصل ومبحثين فكان

المبحث الأول بعنوان "البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والكفايات التداولية" وشمل على تمهيد خاص بـ"بلاغة الإعجاز اللغوي القرآني في فكر محمد الطاهر بن عاشور ومرجعياته التداولية المعاصرة وقسمناه إلى مطلبين هما: المطلب الأول سميّ بـ"المتلقي المقصدي في البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور وعلاقته بالتداولية المعاصرة أمّا المطلب الثاني فخصّص بالكفايات التداولية للمتلقي المقصدي عند محمد الطاهر بن عاشور أما المبحث الثاني فعنون بـ"المتلقي المقصدي وكفاياته الحجاجية في البلاغة الجديدة بين محمد الطاهر بن عاشور وبرلمان وتكا وشمل على أربعة مطالب بالترتيب التالي: المطلب الأول شمل "بلاغة الإعجاز اللغوي عند محمد الطاهر بن عاشور" أمّا المطلب الثاني فكان في "البلاغة الجديدة لبرلمان ومحمد الطاهر بن عاشور"، في حين أخذ المطلب الثالث عنوان "استراتيجية الإقناع للمتلقي الجديد في الخطاب البلاغي، أما المطلب الرابع فخصّص بـ"إجراءات التحليل اللساني من التصور الوصفي إلى التداولي" وختمنا الفصل الأول بملخص له، أمّا الفصل الثاني فكان بعنوان "من تداولية التحرير والتتوير إلى تداولية التتوير والتتوير في بلاغة محمد الطاهر بن عاشور-تحليل إجرائي بلاغي- واحتوى على مدخل خاص بالفصل وثلاث مباحث، فكان عنوان المدخل "المعنى والاستعمال" وقسم إلى خمسة مطالب المطلب الأول عني بـ"تداولية العنوان بين بناء المعنى وقراءة المتلقي" وأما المطلب الثاني فخصص بنظرية الإنشاء والخبر في بلاغة محمد الطاهر بن عاشور مقابل نظرية الأفعال الكلامية في تداولية أوستين وسيرل، أما المطلب الثالث فقد كان متخصصا بـ"كيفية إنشاء المعاني" في حين كان المطلب الرابع مهتما بـ"أساليب المعنى" أمّا المطلب الخامس فاحتوى على "القوة الإنجازية في البلاغة العربية ومقاصدها التداولية"، أمّا المبحث الأول لهذا الفصل فحمل عنوان "تداولية تحرير المعنى وتضييق الاستعمال في تفسير سورة البقرة لمحمد الطاهر بن عاشور-آيات مختارات- واحتوى على تمهيد ومطلبين، وعنون التمهيد بـ"من خطاب الوصف إلى خطاب

التفسير في أسباب تسمية ونزول سورة البقرة ومضمون خطابها-، أما المطلب الأول فعني بـ "التقريريات" والمطلب الثاني عني بـ "الطلبات" واقتصرنا ذلك على الأمر والاستفهام والنداء لكثرة استعمالها وبروزها في سورة البقرة، أما المبحث الثاني فقد خصص بـ "تداولية تنوير المعنى وتوسيع الاستعمال في خطاب يوسف عليه السلام في فكر محمد الطاهر بن عاشور-آيات مختارات- واشتمل على تمهيد وأربعة مطالب، فكان تمهيد بعنوان "من خطاب التفسير إلى خطاب التأويل"، أما المطلب الأول فكان بعنوان التعاقد التأويلي وبلاغة المؤول المعرفية في تفسير الخطاب القرآني في فكر محمد الطاهر بن عاشور-أسباب نزول سورة يوسف عليه السلام-، أما المطلب الثاني فعنون بـ "بلاغة المؤول وانسجام التأويل أما المطلب الثالث فكان بعنوان "سلطة المعايير الثقافية للمتلقى البلاغي في التعاقد التأويلي المعرفي لمحمد الطاهر بن عاشور، أما المطلب الرابع فجاء بعنوان "القراءة النصية والدوائر التأويلية في عينة من خطاب يوسف عليه السلام في فكر محمد الطاهر بن عاشور-آيات المؤول في البنية التأويلية-، في حين جاء المبحث الثالث بعنوان "تداولية تنوير المعنى وتقويل الاستعمال في خطاب موسى عليه السلام من سورة القصص عند محمد الطاهر بن عاشور-آيات مختارات-، شمل على تمهيد ومطلبين، فجاء عنوان التمهيد بـ "من حد التأويل إلى حد التقويل، أما المطلب الأول فخصصناه بـ "الاستلزام التخاطبي-كيف نعني أكثر مما نقول-، أما المطلب الثاني فكان بعنوان "آليات تنوير المعنى وتقويل الاستعمال" وختمنا الفصل بملخص له، ثم أرفدنا بعد ذلك خاتمة لكل البحث شملت على نتائج عامة وأخرى خاصة ومجموعة من التوصيات التي رأينا بأنها تخدم موضوع البحث. واعتمدنا فيه على منهج وصفي تحليلي تأصيلي عام للمفاهيم الخطابية والبلاغية وأبعادها النصية والتداولية. وذلك بحصر مجموعة من الآليات الإجرائية لمتلقي الخطاب القرآني وفحصها ومقاربتها بالمفاهيم التراثية البلاغية للمتلقى المقصدي في فكر محمد الطاهر بن عاشور. وموازاتها بالبحث التداولي اليوم.

ومن أهم الدراسات السابقة العربية والأجنبية التي اعتمدتها مرجعًا -أساسيًا- في بعض صفحات البحث، والبعض الآخر أخذت منه -بصفة ثانوية- أسلوب الفهم والإدراك مما ساعدني ذلك على تصنيف المعارف والعلوم اللغوية والعربية بالصورة التالية:

باللغة العربية:

-المكتبة القرآنية والموسوعة الشاملة المتواجدة إلكترونيًا كانت بمنزلة ذخيرة علمية هائلة عن محمد الطاهر بن عاشور.

-تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، المطبعة التونسية، تونس، ج1، (د، ط)، 1984م.

-تفردات محمد الطاهر بن عاشور في تحريره عن الزمخشري في الكشف وابن عطية في المحرر والبيضاوي في الأنوار دراسة مقارنة تقويمية، الضيف نطور، تح: سر الختم سعيد محمد، الجامعة الإسلامية العالمية، 1430هـ-2009م.

-وقد انطلقنا من هذا المرجع في دراسة البعد الوظيفي النحوي وأهميته في بلاغة الإعجاز. -موجز البلاغة لمحمد الطاهر بن عاشور، المطبعة التونسية، نهج سوق البلاط، تونس، ط1، 1351هـ-1932م.

-التداوليات وتحليل الخطاب، جميل حمداوي، الألوكة، ط1، 2015م. -أصول الإنشاء والخطابة ويليه الخطابة عند العرب، محمد الطاهر بن عاشور، تح: ياسر بن حامد المطيري، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1433هـ.

-الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال، سلسلة علوم اللسان عند العرب، حلقة عبد الرحمن الحاج صالح اللسانية- جامعة الجلفة، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغبة-الجزائر، 2012م.

-العقل واللغة والمجتمع الفلسفي في العالم الواقعي، جون سيرل، تر: سعيد الغانمي، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط1، 1427هـ-2006م.

-التأويلية العربية نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات، محمد بازي، منشورات ضفاف، بيروت، ط1، 1436هـ-2015م.

-ظاهرة تقويل النص القرآني في تفسير التحرير والتنوير، دراسة في ضوء النقد اللغوي، هاني كنهر عبد زيدالعتابي، مجلة كلية التربية، جامعة الوسط، 2019م.

-المنحى التداولي في التراث اللغوي "تماسك النص" -أنموذجاً، محفوظي سليمة- مجلة رفوف، 2023م.

-التفكير التداولي في التراث البالغي العربي -دراسة تأصيلية، ثليثة بليردوح، مج15 ع02، حوليات جامعة قلمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، 2021م.

-البوابة العلمية

بالغة الإنجليزية:

in The FRANK B.EBE RSOLE: Meaning and Saying: Essays-
Philosophy Of Language, Xlibris corporation, Bertrons, second
.edition,2002

John R.Searle: speech acts: An Essay in the Philosophy of Language, -
.Cambridge, university press, 1969, first edition

وفي الأخير إن الهدف الأسمى من هذا البحث هو الخروج بنظام لُغوي تأويلي في ذهن المؤول الحديث والمنتج المبدع انطلاقاً من نصوص عربية أصيلة ليس لها تأثير بأي مناهج غربية ولو في نقطة من النِّقَاط بل سيكون محاولة استنتاج نصوص العرب وإعادة تأويله واستحداث نظريات جديدة تخدم مجال اللغة العربية وتجعلها مستقلة عن غيرها من الثقافات الغربية لإثبات هويتها وتمجيدها وإعادة إحياء الدرس اللغوي العربي بمنهجية حديثة له قوة إنجازية في ربط العقل البشري بآليات التفسير المختلفة على حسب اختلاف الخطابات والمتلقي واحد في التحليل والتأويل خلال

المحاجة والإقناع وإثبات التواصل الوظيفي بين الخطاب والمخاطب في البحث العربي.

ولا يتم تحقيق هذا التصور إلا إذا تم تحديد آليات المتلقي والمتكلم المتشكلة في الذات الخطابية الواحدة، وحدود هذا التصور هو توسع نظريات اللسانيات المعاصرة لتشمل كل المجالات العلمية، فأردت توظيف جميع هذه المجالات والأخذ من مشاربها تحت مسمى المكون المعرفي للخطاب التواصل.

وأخيراً، نرجو في هذا البحث أن نكون قد وفقنا في استثمارنا لمادة علمية اللغة العربية بكيفية مستجدة ترتقي بالتراث إلى قامة البحث العلمي الصحيح، ويكون لمثل هذه المواضيع آفاقاً مستقبلية خصبة لبحوث لاحقة، كما نرجو أن نكون قد أصبنا فيما قصدنا والله ولي التوفيق.

كما أتقدم بجزيل الشكر والعرفان للمشرف أ.د. رشيد شهبه على بصمته البحثية القيمة التي اعتبرها ثروة معلوماتية، ولقد كان له الأثر البالغ في تصويب هفوات بحثنا، وفي توجيهنا، وإرشادنا، وفي ترسيخ المعلومات الخاصة بموضوعنا المعروض على سيادتكم اليوم، كما أشكره على رحابة صدره وسعة باله، وأعتذر كثيراً من سيادته، وبصفة خاصة وواضحة، عن كل ما قد يكون قد بدر مني من توتر أو انفعال فيما يخص مسارنا البحثي طيلة هذه السنوات، كما أقول له لقد كنت خير الأساتذة الذين عرفتهم طيبةً، واحتراماً، وكفاءةً، وأنا مسرورة جداً بإشرافك على أطروحتي، فهذا فخر لي. "وأتمنى أن تجمعنا أعمال مستقبلية أخرى، إن شاء الله".

الباب الأول: الجانب النظري

الفصل الأول: اللسانيات التراثية

والتجديد في نظرية التخاطب العربي

-إحياء-مفاهيم-

الفصل الأول: اللسانيات التراثية والتجديد في نظرية التخاطب - إحياء -

مفاهيم-

مدخل: التداولية إشكالية المصطلح وأبعاد المفهوم

نزع فريق من التجديد إلى إنشاء قسم جديد في علم اللغة ولم يكن في بادئ الأمر على قصد لإنشاء بحثاً خاصاً باللغة بل كان هدف البحث العثور عن حل لمشكلة فلسفية تتعلق باللغة، ثم تطور الأمر وخرج من الملاحظة إلى التأطير والوضع فنشأ علم جديد مستقل على المستويات اللغوية الأربعة ومحتويها في آن واحد، وهو ما يعرف بالتداولية غير أن هناك فريق مقابل عندما ترجم المصطلح المستعمل للغة العربية منهم من ثبت على تسميته بما أطلق عليه بالتداولية ومنهم من رد المصطلح إلى التراث، من خلال قياس بعض المفاهيم والقضايا التي جاءت بها التداولية وخاصة أنها خرجت من المعنى إلى دراسة القصد التخاطبي، وهذا الأمر موجود في فكر علمائنا العرب القدامى منذ الأزل وهو متعارف عليه في مطلق أبحاث العصر للبحث اللساني عند اللغويين المعاصرين، وعليه تشكلت زاويتي نظر في تحديد المصطلح التداولي زاوية التجديد وزاوية التأصيل التراثي.

المطلب الأول: تحديد مصطلح التداولية

أولاً: مرحلة التجديد وتحديد المصطلح

ترتبط مرحلة التجديد بنشأة المصطلح وظروف تواجده في الحقل اللساني ككل، وقد كان التدرج العلمي لمصطلح التداولية زاحر بأعمال واجتهادات الفلاسفة الغرب، الذين يشهد لهم العلم بالرسم المنهجي العلمي لهذا الاتجاه، وجاءت التداولية في بادئ الأمر كفكرة مع الفيلسوف⁽¹⁾ الأمريكي تشارل سندررس بيرس (Charles Sanders Peirce) 1839-1914 وقد نشر في هذا الموضوع مقالتين عام (1878م و1879م) المعنونة بـ "كيف نجعل أفكارنا واضحة؟"، أو كيف نثبت الاعتقاد⁽²⁾ ((How to make our ideas clear?⁽³⁾، و"ماهي البراغماتية؟" (what is pragmatics?)، نشر سنة 1905م⁽⁴⁾، وهنا نلاحظ أن مصطلح التداولية يعود إلى الفلسفة الغربية كما أورد لنا فكر شارل سندررس بيرس عندما تساءل عن ماهية البراغماتية؟، وما علاقتها بالفكر واللغة؟ وما حدود ذلك؟، وكأنه يحاول إثبات البعد التفسيري الذي يحتاجه الفعل الحامل لأقوالنا فحدد بذلك زمن الفعل وحال إطلاقه ومجراه بعد الإطلاق، أي بعد حدوث القول وخروج الفكرة، فقد ربط الجانب الإجرائي للفعل الاستعمالي بمدى مطابقته للفكر أو للكلام في الواقع، فرأى أن الفعل يكون مطابقاً لما في الفكر ولا يخرج عنه ولا يعزل منه، مما أدت لفظة تثبيت الاعتقاد وظيفة التوضيح لمعنى سؤاله كيف نفسر الأفعال المترسخة في أذهاننا، لنجد

(1) - ينظر الزواوي بغفورة: العلامة والرمز في الفلسفة المعاصرة (التأسيس والتجديد)، عالم الفكر، العدد 3، المجلد 55، يناير-مارس 2007م، ص 99.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، ص 99.

(3) - ينظر: المرجع نفسه، ص 99.

(4) - ينظر بومنقاش الرحموني: محاضرات في مقياس التداولية، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف 2، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، 2016-2017م، ص 12.

الأفعال مهما تغيّرت أو تمايزت بطبيعة الحال تظهر من خلال مجموعة من الأقوال المرتبطة بصحة الاعتقاد أو عدمه، وأن التثبيت قد يكون تثبيت بالإيجاب وقد يكون تثبيت بالسلب أي بإظهار مدى صدق القضية أو كذبها.

وفي نهاية سنة 1918م حاول لودفيغ فيتغنشتاين دراسة الجانب الاستعمالي للغة من خلال تقدم أعماله الأولى في المنطق والفلسفة ثم انتقل إلى دراسة العلاقة بين اللغة والفكر، حيث وضع أن اللغة هي وسيلة اجتماعية تبادلية غايتها التأثير والتأثر بين الأنا والآخر، ولاوجود للغة الفرد الواحد.

وعلق على أهمية المواقف التواصلية في السياقات التلفظية وفهم دلالات التعبير اللغوي وتفسيره، وأنه لا يوجد تواصل جاف أو ساكن وإنما هي حالات تعبيرية بين المتكلمين ينشط فيه عنصر تحريك الكلام بينهما من أجل فهم كل منهما الآخر ضمن سياق محدد، كما أن التواصل لا يخرج عن حد التعبير إذ يعد منطلقه الأساسي ولو كان هناك غياب للتعبير لما وجد تواصل ولما انسجم المتكلمين ولما وجد خطاب، واصطلاح على هذه الظاهرة اللغوية بظاهرة التلاعب الكلامي، وقد اعتمدتها التداولية في دراسة ظواهرها بعد أن ربط المعنى بالتأويل حينما عبر عن حقيقة القول بين الظاهر والمضمّر فقال كل ما تستطيع أن تقوله، يجب أن يبقى في طي الكتمان⁽¹⁾، وقد تمكن العالم والفيلسوف فيتغنشتاين في وقت مبكر بتوضيح الجانب الاستعمالي للغة وضبط الأهمية القصوى في حضور التواصل مراعيًا في ذلك الجانب الاجتماعي في الاستعمال اللغوي وأهميته وقد رأى أن الفرد الاجتماعي مهما بلغت قدرته في فهم وتفسير الكلام إلا أنه جزءا كبيرا من المعنى يبقى مسكوتا عنه ويحتاج إلى التأويل والحضور، ومن هنا نلاحظ وجود مبحث ثاني

(1)-ينظر خليفة بوجادي: اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر- العاصمة، ط1، 2009م، ص51-52.

في الاستعمالية اللغوية ألا وهو ثنائية التأويل والتفسير للمعنى الخفي. ثم جاء الفيلسوف الأمريكي شارلز موريس Charles Morris سنة 1938م وهو بصدد البحث في مجال السيمياء من خلال تفسيره للاختصاصات التي تعالج اللغة فكان عنصر التداولية هو العنصر الثالث من مجموع التخصصات التي تهتم بالمشاكل اللغوية معبرا عنها بأنها النقطة التي تدرس علاقة العلامات بمستخدميها⁽¹⁾، بمعنى أنه أظهر أهمية المستخدم للعلامة وفك ترميزها وتحويل مضمورها إلى الظاهر وأن مستعمل اللغة لديه القدرة على معالجة الغموض وتوضيحه وهذا ما أدى إلى فتح باب جديد للعلوم اللغوية وهو التداولية أصبحت هي امتداد لعلمي التراكيب والدلالة والرابط المركزي للعلوم اللغوية وغير اللغوية، كما أنه في رأي موريس "أن التداولية تقتصر على دراسة ضمائر المتكلم والمخاطب وظرفي المكان والزمان (الأنا-الآن-هنا) والتعابير التي تتجاوز اللغة ذاتها أي مراعاة المقام التواصلية للغة وتفسيره"⁽²⁾.

ولعلّ هذا ما أدى إلى ظهور التداولية وتأطير مجالات بحثها واشتغالها وفق هذه الصورة مما ارتئي لبعض الدارسين المؤسسين لهذا العلم بأنها تتضمن كل القضايا اللغوية، وما يخرج عن اللغوية بحكم مجيئها في ميدان ثقافي اجتماعي لغوي فلسفي آخذ من كل العلوم ومتأثر ببعضه ببعض فكانت نشأة العلوم اللغوية بقضاياها سببا في نشأة التداولية ودخول المنطق الفلسفي والاستدلال في كل علم كان سببا كذلك في نشأة هذا الاتجاه، في تخصص اللسانيات فتلاقح العلوم مع بعضها هو ما يخلق لنا علوما جديدة وتوجهات علمية مستحدثة.

وقد أكدت نظرة جون أوستين أن فرع التداولية يناسب الاختصاص اللساني أكثر من فلسفي

(1)- ينظر آن روبول و جاك باشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوسي و محمد الشيباني، مر: لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت-لبنان، ط1، يوليو 2003م، ص29.

(2)- ينظر: المرجع نفسه، ص29.

وما زاد تحديدا هو عندما ألقى محاضرات ويليام جيمس عام 1955م⁽¹⁾، وقد كان في بادئ الأمر يرمي إلى تأسيس اختصاص فلسفي جديد مسمى بفلسفة اللغة العادية فُعُولِجَت القضايا التي هي من قبيل الإحالة والأفعال اللغوية والاستلزام الحواري⁽²⁾.

هذه الغاية الفلسفية كبرت وتوسعت إلى أن صارت علما جديدا في تخصص عميق مغاير لما قصده الباحث وهو الدرس اللغوي "فوجود أوستين الذي كان أستاذا في الفلسفة بجامعة أكسفورد، برفقة تلميذه جون سيرل عام 1932م الذي كان يدرس بجامعة بركلي (Berkeley) بكاليفورنيا، يضعان نواة التداولية في حقل فلسفة اللغة العادية (ordinaire) حيث طورا فكرة المنطق التحليلي ((logique analytique لمفهوم العمل اللغوي (acte de langage)⁽³⁾.

وهذا الاتحاد هو ما أرسى لنا المبادئ الأولى للتداولية وبها أصبحت اللغة درسا مختصا في اللسانيات وعلوم اللغة لما لها أهمية في دراسة اللغة وعلاقاتها بالمتخاطبين والخطاب وظروفه، ثم جاء بعد ذلك بول غرايس محاولا تعميق الدرس التداولي في الحقل اللغوي فعمل على توسيع الفكر التداولي واسهم في خلق قوانين الخطاب جعلت من التداولية تشغل في حقل الخطابات اليومية بشكل تطبيقي مجسد من خلال >> المقال المنشور سنة 1975م، على ما يسميه صاحبه "منطق المحادثة". <<⁽⁴⁾، وهو منطق يدرس مجموع الأساليب والدلالات التي تجري أثناء الحوار وقد كان لهذا المقال دورا كبيرا في تطور مفهوم الدلالة غير الطبيعية، وكيف يمكن وضع

(1)- ينظر: التداولية اليوم، مرجع سابق، ص 29.

(2)- ينظر أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت-لبنان، ط2، سبتمبر 2010م، ص 18.

(3)- ينظر فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دارالحوار، سورية-اللاذقية، ط1، 2007م، ص 20.

(4)- آن روبول و جاك باشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوسي و محمد الشيباني، مر: لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت-لبنان، ط1، يوليو 2003، ص 54.

خاص

قانون

بالجمل وتأويلها فذهب إلى وضع مفهوميين تفسيريّين للنّتاج اللّغوي وهما الاستلزام التخاطبي ومبدأ التعاون⁽¹⁾.

ثانياً: مرحلة التّأصيل وتحديد المصطلح

عند محاولة التّأصيل لعلم من علوم اللسان لا بدّ أن نرجع للفكّرة ومعالجتها والبحث فيها من كل جوانبها الفلسفية واللغوية قبل أن نطلق أي حكم يفيد وجودها في التراث العربي أو أنه غائب الحضور، وهذا ما حدث لفلسفة اللغوي العربي "أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي 1028هـ-1094هـ الموافق لعام 1683م"⁽²⁾، الذي تواجد في القرن السابع عشر مع فكر الفيلسوف الأمريكي "شارل سندرس بيرس 1839هـ-1914م"، فالناظر في سياق التّأصيل يقيم ما إذا كانت هذه النظرة الاستفهامية للفيلسوف بيرس موجودة ومشتغل عليها أم أنها غائبة ولا وجود لها في الفكر العربي القديم أم أنها درس جديد بكل مقوماته كما يزعم الغرب والمتأثرين بهم؟ فسيعثر على جواب أنها موجودة في أفكار وعقول علمائنا العرب وهو ما أثبتته أبي البقاء الكفوي في كلياته حينما أدرج مصطلح الأحكام اللغوية وكانت بمثابة جواب مُبكر عن سؤال متأخر أو اشتغال جديد في بيئة غير عربية، فقد وضع جواباً في القرن السابع عشر قبل أن يطرح بيرس السؤال المعروف وقبل أن تنثير هذه المشكلة الفلسفية المتعلقة بِحَدّي الاستعمال والغموض حيرة عقل الفيلسوف الأمريكي بيرس، فنوجز هذا الأمر بكل اختصار ونقابل جواب أبي البقاء الكفوي بسؤال بيرس بالنمط التالي:

بيرس: كيف نجعل أفكارنا واضحة؟ أو كيف ننبت الاعتقاد؟

أبي البقاء الكفوي: الأحكام اللغوية لا يمكن إثباتها بمجرد المقاسات العقلية القياسية، بل لابد أن

(1) - ينظر: التداولية اليوم، مرجع سابق، ص 54.

(2) - ينظر أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مر: عدنان درويش و محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط2، 1419هـ-1998م، ص 07.

يكون معتبر في الاستعمالات اللغوية⁽¹⁾.

فالملاحظ لطبيعة الحوار المشكل سنجد أن أوستين وسيرل قد انطلقا من هذه الفرضية وأنهما عملا على توظيف الجانب الاستعمالي للغة، من خلال ما أثبتته أبي البقاء بضرورة الاحتكام للاستعمالات اللغوية في تفسير المناسبة العقلية فوجدوا أن الاستعمالات اللغوية متمثلة في لغة حياتنا اليومية وأن المناسبات العقلية القياسية هي آليات تفسيرية أو بيانية للفكرة أو القصد وأنها متمثلة في حدّي النحو والدلالة، لأنهما يهتمان بالمعنى والعلاقات الخطابية وهو ما جعل شارل موريس (1901م) يدرج علم التراكيب والدلالة في تفسير العلامة اللغوية⁽²⁾، لما لهما أهمية إقناعية ولجئ إلى تأكيد محتوى العلامة المفسرة لعلم ثالث سماه بالتداولية والذي هو يهتم بالمستعمل لهذه العلامة المفسرة انطلاقا من فكرة عربية مفادها الاعتبار للغة المستعملة، بمعنى أن أي حكم عقلي منطقي سيثبت إلا من خلال وجود تطابق بين خصوصيات اللغة ومنطق الفكر وأن الوضوح للأفكار لابد من إتقان علم البيان اللغوي للكشف عن مقاصد المخاطب ووضوح فكرته لدى مفسر الخطاب، وهذا لا يتم إلا من خلال مراعاة السياق بربط الأفكار المنطقية والقياسية بمحور الاستعمالية للغة.

ولهذا نجد التداولية عندما حاولت البحث عن المقصد اتبعت مجرى اللغة اليومية وطرائق ممارستها وأدرجت قواعد وقوانين خطابية تحتكم إليها أثناء محاولة الفهم والتفسير للخطابات المتداولة، وتوضيح المقاصد وإثبات صحة القضية أو بطلانها ولابد من الإشارة إلى مبدئين اهتمت بهما التداولية ووضحهما أبي البقاء الكفوي وهما مبدأ المناسبة ومبدأ المحادثة. فما جاءت به

⁽¹⁾ - ينظر: الكليات، مرجع سابق، ص 1068. وهذا التأصيل الذي انطلقت منه من حدود القرن السابع عشر للكفوي بحكم أنه كان ملما بالعلوم اللغوية ودارس للمصطلحات وفروقاتها.

⁽²⁾ - ينظر ماري نوال و غاري بريور: المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، تر: عبد القادر فهم الشيباني، سيدي بلعباس - الجزائر، ط1، 2007م، ص 82.

المحاور التداولية اليوم إنما هي مصطلحات مستقاة من تراثنا العربي فقد كان مجموعة من العلماء العرب يطلقون تسميات على كتبهم بنفس الانشغالات التي درستها التداولية فنجد كتاب "المقاصد في علم الكلام للفتناني" وكتاب "الكشف والبيان في تفسير القرآن للنيسابوري"، وكذلك كتاب "الكشف الكبير" (كشف الأسرار وغموض الأفكار) في المنطق "لأفضل الدين الخونجي، بمعنى أن البحث الفكري متداول لدى العرب بل كانوا الأسبق في البحث فيها وتفسيرها وعلى مقدار اتساع البحث التداولي وشموله على مجموعة من العلوم، فإن الفكر العربي منذ القديم يتسم بالشمولية بالبحث والاتساع والتخصص وليس بالأمر الجديد، وهذا الكشف المبكر يرجع إلى سرّ اللغة العربيّة في فهم أحكامها وأحوالها وتبيان مواضع تعابيرها وأساليب خطاباتها وتفسيرها⁽¹⁾.

واختلفت نظرة الترجمة والتعريب للمصطلح التداولي بين الباحثين والدارسين اللغة العرب فعبر فريق منهم عن التداولية بسياقها الوافد شكلاً ومضموناً بينما الفريق الآخر قد أرجع وضع المصطلح لطبيعة الخلفية الاستعمالية له في التراث فانقسم الفريقين إلى اثنين:
-المتثل للأفكار الغربية واستعماله للمصطلح في سياق وظروف ما وفد إليه.

-المتثل لخصوصيات اللغة العربية وطبيعتها البحثية ورؤية الزاوية العلمية للدراسة وما يناسبها قبل وأثناء الوضع من أجل استعماله فترجم المصطلح وفق هذا الأمر⁽²⁾. وأثر هذا الأمر ترجم المصطلح التداولي إلى اللغة العربيّة بعدة كلمات متباينة: >>كالذرائعية، التداولية، البراغماتية، الوظيفية، الاستعمالية، التخاطبية، النفعية، التبادلية...<<⁽³⁾، وغيرها من المصطلحات اللاتي تتناسب مع حقل اللغة وتخرج عنه.

⁽¹⁾ - جميل حمداوي: التداوليات وتحليل الخطاب، الألوكة، ط1، 2015م، ص05.

⁽²⁾ - ينظر ماري نوال و غاري بريور: المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، تر: عبد القادر فهيم الشيباني، سيدي بلعباس-الجزائر، ط7، 2007، ص1، ص82.

⁽³⁾ - جميل حمداوي: التداوليات وتحليل الخطاب، الألوكة، ط1، 2015م، ص05.

أ- الفريق الأول: الباحث العربي المجدد

ونجد على رأسهم طه عبد الرحمن استعمل مصطلح "التداولية" لأنه الأنسب في المعنى وطبيعة الدراسة، حيث اشتغل في الجانب التداولي على المنطوقات في توضيح المضامين والمقاصد ورأى أن هذا المصطلح هو الأقرب من خلال الجانب الحجاجي والبرهاني المستعمل في إقناع الغير بغية توضيح الاعتقاد أو حرية رد الانتقاد، ويرى أن شروط التداول اللغوي يقوم على أربعة نقاط أساسية وهي:

المنطوقات: وتحدد انطلاقاً من خاصية اللسان وما يحتويه من صيغ صرفية ونحوية ودلالية ووظائف تعبيرية وتبليغية.

الاجتماعية: ويرى أن البعد الاجتماعي للغة يكمن في مشاركة الاعتقاد والمعارف، من خلال صفتي الاطلاع على ثقافة الغير والمطالبة بمشاركة الاعتقاد.

الإقناعية: وهو جانب حجاجي تداولي قام على التأثير في الآخر وتثبيت الاعتقاد من خلال أسلوب الإقناع والإمتاع، ويتم فيه تشكل حوار جدلي بين المتلقي والمتكلم فيوجه له المتكلم حقل تأثيري جدلي يجعله يستجيب إما بالسلب أو بالإيجابي على حسب مبدأ الخطاب ودرجة حساسية الموضوع وطبيعته ومضمون الفكرة وأهمية القضية المراد معالجتها أو أخذها بعين الاعتبار.

الاعتقادية: يشترط عامل المقبولية بين الأنا والآخر فلا تستطيع إقناع الغير برأي ما حتى يكون لديه قابلية الاقتناع برأي الغير وتقبل عناصر الدليل أثناء إقامة الحجة⁽¹⁾. لهذا نجد طه عبد الرحمن قد وظف مصطلح التداولية انطلاقاً من هذه الشروط الأربعة التي يراها الأساس في صحة

⁽¹⁾ -ينظر طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000م، ص37-38.

الاعتقاد والتي تلائم خصوصيات التخاطب وعمليات التلقي والتأثير أثناء التواصل.

أما الباحث اللساني المغربي أحمد المتوكل فقد وازى بين مصطلح الوظيفية والتداولية في مقام واحد واستعملهما في معنى موحد، وصرح على أن اللغويين غير الوظيفيين في التعامل مع الكليات اللغوية حيث أنها في نظر اللغويين كليات صورية في حين في نظر الوظيفيين كليات صورية-وظيفية، ومعنى ذلك فصل بين العلوم اللغوية ورأها أنها تبحث في صور جامدة وقواعد مجردة والعلوم المقامية والتي يراها جامعة للعلوم، ومتشعبة فهي تخرج من البناء الصوري للغة إلى الظروف الخارجية لتبيان الوظيفية المتداولة، فرأى أن التداولية تضع قواعد مولدة للبنيات التركيبية وقابلة للتأويل التداولي وفق خصائص تداولية معينة وهي خاصيتي الاقتضاء والتبئير وخاصة القوة الإنجازية وأن المستوى التداولي في النظريات الوظيفية يحتل موقع المركزية.⁽¹⁾، ونجد أحمد المتوكل متأثر إلى حد كبير بالمباحث الغربية إلى حد الفصل بين الظاهر للبحث اللغوي عند العرب والظاهر للبحث اللغوي عند الغرب، يرى أن البحث اللغوي العربي صوري أي فلسفي مجرد يعتمد على قواعد منطقية لا تبحث في الوظيفة اللغوية كما هو الحال في فكره عند الغرب، وأكد على أن الوظيفيين أشمل نظرة من اللغويين وهذا الفكر يقارب فكر موريس عندما قسم العلوم اللغوية إلى ثلاثة منطلقا من التركيبية وصولا إلى التداولية.

الفريق الثاني: الباحث العربي المتأصل

نجد على رأسهم محمد يونس علي فضل مصطلح علم التخاطب حيث قال: "أفضل ترجمة مصطلح (pragmatics) بعلم التخاطب، وليس بالتداولية أو النفعية أو الذرائعية كما يفعل عدد من اللسانيين العرب توهم أنهم بأن (pragmatics) و (pragmatisme) شيء واحد... وإذا

⁽¹⁾ -ينظر أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان، ط2، سبتمبر 2010م، ص16.

نظرنا في تراثنا البلاغي والأصولي فسنلاحظ أن الاستعمال الذي يقابل الوضع عادة يطلق على النشاط الذي يقوم به المتكلم في عملية التخاطب، ولذا فإن ترجمة (pragmatics) بعلم التخاطب أنسب في رأيي من الخيارات التي اطلعت عليها حتى الآن⁽¹⁾

أما محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي استعمالاً لمصطلح "علم المقاصد أو المقامية"⁽²⁾ وهما مصطلحان تراثيان حاله حال علم التخاطب أو التخاطبية. حيث يقول: >"أن محلّ الخطاب يتوخى بالضرورة منهجا مقاصديا في دراسة اللغة كما هي مستعملة">⁽³⁾، فهو يرى أن القصد لابد أن يكون مدروسا دراسة علمية تجعل من اللغة المستعملة أو المتداولة هدفا للدراسة في حقل استعمالها وأن توخي الحذر في فهم المقصود من طرف محلل الخطاب هو ما يجعل من القصد مستقيماً أو مستحيلاً وعليه >"فإن اهتمام محلل الخطاب ينصرف إلى فحص العلاقة بين المتكلم والخطاب في مقام استعماله خاص">⁽⁴⁾ بينما آيت أوشان يحدد الاصطلاح "للتداولية بالسياقية في مقابلها الأجنبي (contextetique) كما استعمالها ماكس بلاك (Max Blak) ويرأها الأنسب في الوقت الحالي"⁽⁵⁾ وهو في الحقيقة نجد السياق موجود في التراث العربي >>"إذا كان لهم السبق في البحث في السياق الذي من خلاله يضبط المعنى بدقة">⁽⁶⁾. فقد كان معيار من معايير ضبط مقاصد

⁽¹⁾ -محمد محمد يونس علي: مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان، ط1، 2004م، ص102.

⁽²⁾ - ينظر جورج براون وجورج يول: تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطي و منير التريكي، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، (د، ر ط)، 1418هـ-1997م، ص342.

⁽³⁾ - المرجع نفسه، ص35.

⁽⁴⁾ - المرجع نفسه، ص36.

⁽⁵⁾ - ينظر علي آيت أوشان: السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 1421هـ-2000م، ص57.

⁽⁶⁾ - فاطمة بن عيسى والعربي بومسحة: السياق في التراث العربي "الممارسات ومعاليم النظرية"، المركز الجامعي أحمد بن يحيى الونشريسي، تيسمست، مجلة الممارسات اللغوية، المجلد 11، العدد 03، أكتوبر 2020م، ص393.

الكلام. ووظفه الجاحظ ت255هـ بمعنى الموضع حيث قال في تعريفه للبيان "...فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى ذلك هو البيان في ذلك الموضع"⁽¹⁾.

ولعلّ هذا ما يجعلنا نقول أن التداولية متجذّرة الشعبة في التراث العربي منذ القديم وإن كانت بشكل غير منتظم إلا أن مفاهيمها متواجدة ولا غريب في أسماء محتويات محاورها التي نادت بها، فكتب التراث لهم أسبقية الفكرة والطرح عن الغرب، وإن غاب المنهج لتأطيرها كعلم مستقل عن العلوم اللغوية الأخرى فهذا ليس مبرر لعدم تواجدها، فنرى أن بعض الدارسين العرب المتأصلين للعمل التداولي عبروا عنها بالتخاطب والمقام والسياق والقصد وهذا ما شهدته لغتنا الاستعمالية. وقد تبني الدكتور مسعود صحراوي في كتابه التداولية عند العرب مصطلح التداولية في مقابل علم الاستعمال اللغوي⁽²⁾.

وهذا الطرح متواجد في كتب التراث وقد كانت أشهر المسائل الخلافية مدرجة تحت الاستعمال والمعيار-الكسائي وسيبويه- ولم يتوقف في الحد النحوي بل امتد للبحث البلاغي حيث شرع البحث النحوي يفرض قواعده على من هم يخدمون اللغة وعلى من يستعملونها وقد كان للشعراء حظ في استعماليّة اللّغة، وهذا يبين أن لغة الاستعمال عند العرب هي لغة التداول في نظر الغرب وأن علم اللغة كان دأرس لمساقات التداولية قبل أن تأتي في ثوب جديد حيث قال "وعلى الرغم من اختلاف وجهات النظر بين الدارسين حول التداولية.... فإن معظمهم يقر بأن قضية التداولية هي إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي، وتصير التداوليّة من ثم جديرة بأن تسمى علم الاستعمال اللغوي"⁽³⁾، بمعنى مهما كثر

⁽¹⁾ - ينظر: السياق في التراث العربي، مرجع سابق، ص397.

⁽²⁾ - ينظر مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005م، ص15.

⁽³⁾ - ينظر مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005م، ص15.

الجدل في قضية التراث والتداولية إلا أنها متواجدة وكعلم وما يثبتها هو علم اللغة الاستعمالي الذي كان رائده الكسائي الذي كان يدرس اللغة الاستعمالية ويعطيها أولوية اجتماعية لأنها لغة تواصل بالدرجة الأولى.

المطلب الثاني: مفهوم البعد التداولي

أولاً: البعد لغة واصطلاحاً

أ- البعد لغة: ورد في صحاح العربية مادة <بُعَدَ: البُعد: ضد القُرب>⁽¹⁾ وذكر ابن منظور >> بُعِدَ الرَّجُلُ بِالضَّمِّ وَبُعِدَ بِالْكَسْرِ مِنْ بُعْدًا وَبُعْدًا فَهُوَ بَعِيدٌ وَبُعَادٌ، وعن سيبويه تَبَاعَدَ وَجَمَعَهُمَا بُعْدَاءُ، وافق الذين يقولون فَعِيل الذين يقولون فُعَال لأنهما أختان، وقد قبل بُعْدٌ، وينشد قول النابغة:⁽²⁾

فَتَلَكْ تُبْلَغُنِي النِّعْمَانُ أَنْ لَهُ فَضْلًا عَلَى النَّاسِ، فِي الْأَدْنَى وَفِي الْبُعْدِ⁽³⁾

كما...ويقال: إنه لذو بُعْدَةٍ أي لذو رأي وحزم ويقال ذلك للرجل إذا كان نافذ الرأي ذا غور وذا بعد رأي...وقد عبر الجوهري عن بعد بأنها نقيض قبل...وجاء في قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَشَاءْ يَنْدِمْ إِنْ كُنَّا عَلَيْنَا عَاقِبَةُ الْأُمَمِ﴾ سورة الروم: الآية 04 أي من قبل الأشياء ومن بعدهما، أصلهما هنا الخفض ولكن بنيا على الضم لأنهما غايتان⁽⁴⁾، ويمكن إجمالنا لمعنى البعد في لسان العرب في ثلاث نقاط أساسية وهي:

⁽¹⁾ -أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مر: محمد محمد تامر وآخرون، دار الحديث، القاهرة، (د، ر ط)، 1430هـ، 2009م، ص 101. مادة: (ب ع د).

⁽²⁾ - ينظر أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، مج 03، ط 1، 1300هـ، ص 89. مادة: (ب ع د).

⁽³⁾ - المرجع نفسه، ص 89.

⁽⁴⁾ - ينظر أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، مج 03، ط 1، 1300هـ، ص 92.

الكلمة	معناها
البعد	الكف والمنع
	الرأي والحزم/الملاحظة والنظر
	الغاية

ب- البعد اصطلاح:

>> وهو عبارة عن امتداد قائم بالجسم، أو نفسه عند القائلين بوجود الخلاء كأفلاطون⁽¹⁾. هذا بمعنى امتداد الفكر من نقطة إلى أخرى أو في النقطة ذاتها بغية التمعن والتمحيص وفق أسس محددة، كالبعد النحوي والبلاغي في قضية المعنى حيث أن النقطة المشتركة هي البحث عن المعنى وضبطه أما الامتداد الفكري فهو يتحول من نقطة البحث إلى نقطة نوع العلم على حسب اعتبارات موضوعية معينة. أي بالخروج من نقطة الكلليات العامة إلى الجزئية الخاصة في نقطة من علم ما، كالخروج من حلقة مفرغة التي هي الصفر وصولاً إلى اكتشاف مجموعة من الأعداد والتي بها يهتم علم الإحصاء والصفر رغم أنه هامشي إلا أنه هو الصفة المميزة للأرقام التي بعده فبه يبتدأ وبه ينتهي الحساب. نفس الأمر بالنسبة للبعد بكونه امتداد لزاوية نظر معينة في قضية ما.

ثانياً: التداولية لغة واصطلاحاً

أ-التداولي لغة: جاء في القاموس المحيط للفيروز آبادي في مادة(دول): "...وتداولوه: أخذوه بالدول. ودواليك أي: مداولة على الأمر، أو تداول بعد تداول، وهذا يعني أن التداول إنما هو

⁽¹⁾ - محمد السيد الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، (د، ر ط)، 2004م، ص42.

أخذ الدور بالدور أو الانتقال من حال إلى حال آخر مغاير⁽¹⁾.

وذكر ابن منظور في لسان العرب: "...الدولة هي اسم الشيء الذي يتداول، والدولة من الفعل والانتقال من حال إلى حال... وفي حديث الدعاء: حدثني بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتداوله بينك وبينه الرجال، أي لم يتناقله الرجال وترويه واحدا عن واحد، إنما ترويّه أنت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنشد لنا ابن الأعرابي:

يلوذُ بالجوْد من الثبلِ الدُولُ

وقال أبي داود كذلك:

في صدورِ الكُماة طَعَنَ الدَّرِيَّةُ

ولقد أشهدُ الرماحُ تُدالي

والدول وتداولي بمعنى النبل المتداول⁽²⁾.

وورد في معجم اللغة العربية المعاصرة "دال لِيَدُول، دُل، دَوْلًا ودولة، فهو دائل والمفعول مَدُول له... تداول في يتداول تداولًا فهو متداول، والمفعول متداول، تداولوا الشيء: تبادلوه، أخذوه هؤلاء مرة وأولئك مرة... تداولوا الأمر أو تداولوا الأمر أي ناقشوه وبحثوا في جوانبه تداول القضية القضية أي التداول في الحكم أي تبادل الرأي بين أعضاء المحكمة فيما يجب الحكم به: الكلام المتداول: والمستخدم في لغة الحياة اليومية قابل للتداول أي يمكن نقله من شخص لآخر⁽³⁾، ومعنى هذا أن التداول يتلخص في خمسة معاني أساسية:

⁽¹⁾ -ينظر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي: القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، دمشق، ط6، 1998م، ص1000.

⁽²⁾ - ينظر أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، مج11، ط1، 1300هـ، ص252-253.

⁽³⁾ -ينظر أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، مج1، ط1، 1429هـ-2008م، ص787.

الكلمة	معناها
التداولي	-الانتقال من حال إلى حال آخر
	-المغايرة من وضع إلى وضع آخر
	-التبادل بين الآراء
	-المناقشة والمحاورة في موضوع ما
	-التخاطب و نقل الأحاديث من صوب إلى صوب آخر

وينقسم مصطلح "التداولية" إلى قسمين القسم الأول يعنى بالانتقال والتبادل والقسم الثاني [ية] يعنى بالعلمية المنهجية في البحث⁽¹⁾، فهي تعني المنهجية العلمية المتبعة في دراسة اللغة داخل الخطاب أو في كلام الناس أثناء تداوله وتناقله بينهم وعلى هذا الأساس رأى جورج يول بأن التداولية هي: >> دراسة العلاقات بين الصيغ اللغوية ومستخدمي هذه الصيغ<<⁽²⁾ أو هي كما عرفها بهاء الدين محمد مزيد في كتابه تبسيط التداولية>>بأنها دراسة اللغة قيد الاستعمال أو الاستخدام language in use<<⁽³⁾، وقد نفسر الصيغ اللغوية بمجموع المتضمنات القولية والافتراضات المسبقة التي تتوارد على ذهن المتخاطبين أثناء الخطاب ودراسة العلاقة بين الصيغ

⁽¹⁾ - ينظر سحالية عبد الحكيم: التداولية، مجلة المخبر-أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري، قسم الأدب العربي، جامعة بسكرة، ع5، مارس2009م، ص88.

⁽²⁾ - جورج يول (George yule): التداولية، تر: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم، بيروت-لبنان، ط1، 1431هـ-2010م، ص20

⁽³⁾ -بهاء الدين محمد مزيد: تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2010م، ص19.

التي يتناقضونها وبين الفئة المستخدمة لهذه الصيغ مثال ذلك في:

هي: إذا هل فعلت؟

هو: طبعاً، ومن لا يفعلها؟⁽¹⁾

⁽¹⁾ - جورج يول (George yule): التداولية، تر: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم، بيروت - لبنان، ط1، 1431هـ - 2010م، ص21.

نوع الصيغة/العلاقة	هي(المتكلم)	هو(المخاطب)
استفهام	محاولة التأكد	إثبات تمام التنفيذ ويحمل عدة أغراض:
	من استطاعة	1-بالتأكيد والإصرار على أداء الفعل أو العمل ويحمل الاستفهام معنى الجرأة والإقدام وعدم التخوف أو الرجوع عن نتائج هذا الفعل.
	تنفيذ الفعل	2-حسن استغلال الفرصة الممنوحة وعدم إضاعتها لإثبات جدارته في أمر ما.
	أو العمل	3-تشجيع السائلة على تحدي الصعاب والإقدام عليها بنفسها في المرة القادمة.
	فكان	
الاستفهام	بغية السؤال	
العلاقة بين الصيغتين	الصيغة الأولى دافعة للصيغة الثانية بواسطة الحملات الإنجازية المتضمنة بين موقف السائلة وجرأة المجاب، فحال المتخاطبين ومواقفهم التواصلية نفهمها من خلال الملفوظات المستعملة داخل هذه الصيغة أثناء الخطاب، وفهم ظاهر القول هو ما يعطي تقدير القصد بين الطرفين المتخاطبين أثناء الاستعمال.	

ثالثاً: مصطلح البعد التداولي وأبعاده الوظيفية

ويقصد به الحيز الذي يدرس مدى <>تداول(negotiation) اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد(مادي، اجتماعي، لغوي) وصولاً إلى المعنى الكامن في كلام ما⁽¹⁾، أي هو عمق زاوية النظر التي تهتم بصناعة المعنى وتفسيره وطرائق تداوله والمتعلقة بمجال التواصل بين المتكلم والمخاطب أثناء الخطاب.

ومنه نستنتج أن البعد التداولي هو المدى الواسع الذي تستخرج منه المقاربات اللغوية في العملية التواصلية ومدى تطابقها مع محاور الدراسة السابقة والجديدة أو هو الحيز الذي يدرس الصفة التحوارية والتي تكون بين المتخاطبين بعدة عمليات تعبيرية كالتناقل والتبادل مع مراعاة الخطاب وظروف التخاطب السياقية والمقامية والفضاء الزماني والمكاني، أو هي مجموع الأوجه والجوانب العلمية المستعملة في العملية التفسيرية للكشف عن المقاصد التخاطبية بغية تحقيق التواصل، كما يمكن اعتبارها حقل المنحى العلمي للغة والبحث عن مقياس الاستعمالية وضبط مواضع التواصلية فيها ومدى وظيفيتها، أو هو امتداد فكر تواصلية لقضية من القضايا اللغوية سواء النحوية أو البلاغية أو الدلالية باعتبار عناصر الملاحظة والتفسير والتقابل. فالبعد التداولي إذاً هو أسلوب من أساليب البحث التي تعمل على مستوى المناسبة العلمية والموضوعية لفكرة أو قضية لغوية ما تكون مرتبطة بالمجال التداولي وخصوصياته.

⁽¹⁾ - محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي، دار المعرفة الجامعة، جامعة الإسكندرية، (د، ر ط)، 2002م، ص14.

المبحث الأول: نظرية التخاطب في التراث البلاغي العربي والغربي.

تمهيد: مستويات التأصيل والتجديد للقارئ الجديد.

لعلّ القارئ للتراث والتّجديد يسعى قبل التطرق في فقه أي علم التوقف على الأساسيات التي بنت ذلك العلم والركائز التي ارتكز عليها ومنطلقاته ومسلماته التي تبناها في أطروحاته، ولهذا قبل التطرق إلى البحث التداولي بمفاهيمه ومجالاته ومواضيعه سوف نجيب أولاً على ما معنى التراث والتجديد وما علاقته بمجال الدرس اللساني التداولي الذي نحن بصدد الآن، ولهذا نجد القارئ المتتبع لفصل التراث والتجديد سيقف أولاً على ضبط المصطلح وتوجيهه نحو المجال الوظيفي الذي ينتمي إليه في حقل الدراسة، والأخير تعبير عن حقول فكرية وعملية تظهر بواسطتها مجموعة من النظريات والأصول العلمية، التي تجعل من القارئ محطة أولية، للتوقف على أهم النّقاط المساعدة على فهم الدراسات اللسانية باعتبارها طاقة علمية متجددة تساعد في تطوير الواقع الفكري والعلمي انطلاقاً من الأصالة وصولاً إلى الحداثة عبر ما يسمى بالثورة الفكرية (تفضيل التفكير العقلاني والمنطقي في فهم الواقع) أو "التكوثر العقلي"⁽¹⁾، ونعني به أن العقل قادر على الخوض في مجالات عديدة: كالمنطق واللسانيات والفلسفة والبلاغة والأصول وعلى المتلقي أن يكون ذا توسع معرفي من كل باب، ولهذا نجد "الدكتور حسن حنفي في كتابه التراث والتجديد يبرز تعريفاً فكرياً ومنهجاً علمياً للتراث والتجديد وموقفه منهما حيث يعرف أن كل من التراث والتجديد يتفقان على أنّهما نظرية عملية فكرية علمية ذات أسلوب منهجي وسلوك بشري منطقي (عقلي)، يتطلب استثمار بنك المعارف والأفكار في إطار بناء الإنسان (للفكر)، وحسن تفسيره للواقع بشرط

⁽¹⁾ -ينظر طه عبد الرحمن: اللسان والميزان (التكوثر العقلي)، المركز الثقافي العربي، الرباط- المغرب، ط1،

التطور والتجديد انطلاقاً من البناء الأساسي للفكرة أو النظرية حيث نرى أنه قد وقف على أنهما صورة علمية ونظرية تقوم الأولى على فرض البناء الأساسي، في حين تقوم الثانية على تطوير البناء الأساسي للفكر دون هدمه أو إبعاده استجابة لشرط الأول لأنه أي علم يأتي انطلاقاً من ركيزة أساسية، أصلية وهي التراث ولكل أمه تراثها الخاص وحقيقة الثورة الفكرية هدفها التقدم والتطوير وليس الزحف نحو الهدم وعدم الاستفادة من الأسبق⁽¹⁾، فيتطابق موقفه مع قول شيخ العربية الخليل بن أحمد الفراهيدي عندما سأله عن أصل العلل وكيف استخراجها وطور فيها -كما رواه الزجاجي في كتابه الإيضاح في علل النحو- >>فقل له: عن العرب أخذتها، أم اخترعتها من نفسك<<⁽²⁾، دلالة على أنه هناك تحديد وأصل يرجع إليه في توليد أي فكرة أو تطوير أي نظرية فكان الجواب أن الأصل في >>العرب نطقت على سجيته وطباعها. وعرفت مواقع كلامها وقام في عقولهم علل<<⁽³⁾. من هنا يبرز أن التطور لا يحصل إلا بالمحافظة على الأصل (كلام العرب) نفس الأمر يقع على حدود التجديد.

فيقدم مثلاً في ذلك في قوله: >>فمثلي في ذلك مثل رجل حكيم، دخل داراً محكمة البناء، عجيبة النظم والأقسام وقد صحت عنده حكمة بانيتها بالخبر الصادق أو بالبراهين الواضحة والحجج اللائحة، فكلما وقف هذا الرجل في الدار على شيء منها قال: إنما فعل هذا هكذا لعله كذا وكذا، ولسبب كذا وكذا. سنحت له وخطرت بباليه محتملة لذلك، فجائز أن يكون الحكيم الباني للدار فعل ذلك للعللة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار، وجائز أن يكون فعله لغير تلك العللة، إلا أن ذلك مما

⁽¹⁾ - ينظر حسن حنفي: التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم، بيروت، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، ط4، 1412هـ-1992م، ص13.

⁽²⁾ - أبي القاسم الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، تح: مازن المبارك، بيروت، دار النفائس، ط3، 1399هـ-1979م، ص65.

⁽³⁾ - المرجع نفسه، ص66.

ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علة لذلك، فإن سنح لغيري علة لما علته من النحو هو أليق؛ مما ذكرته بالمعاول فليأت بها هنا⁽¹⁾. وعندما نسقط مثال الخليل بن أحمد الفراهيدي ونوازيها على أطراف التجديد نجد أن:

جدول رقم (01): يبين أساسيات الحكم اللساني للقارئ الجديد بين التراث والحدثة⁽²⁾.

الحكم اللساني الخليلي التراثي	حكم الإسقاط اللساني في الفكر الجديد
الحكيم الباني للدار	الأصل - المرجع
مثل رجل حكيم	القارئ الجديد للفكر التراثي
دخل دارا محكمة البناء	كلام العرب/ أعمال المتقدمين وأفكار التراثيين مقابل معيار الاتساق والانسجام في علم النص
عجوبة النظم والأقسام	بلاغة لسان العرب/ الحقل اللساني الأساسي في البناء للمدرسة أو النظرية.
قد صحت عنده حكمة بانيها بالخبر الصادق أو البراهين الواضحة والحجج اللائحة	يمتلك مجموع الأساليب والأدوات والاستدلالات والآليات التي بنى بها المتقدمين أعمالهم وارتكزت عليها أفكارهم
فكلما وقف هذا الرجل في الدار على شئيا منها قال إنما فعل هذا هكذا لعله كذا وكذا ولسبب كذا وكذا	تبين مقاصد الكلام/ حسن الاستقراء والملاحظة والاستنتاج والتقويل للنصوص والأعمال التراثية شرط أسمى إلى معرفة الأصل قبل الوصول إلى نظرية أو فكرة جديدة

⁽¹⁾ - أبي القاسم الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، تح: مازن المبارك، بيروت، دار النفائس، ط3، 1399هـ - 1979م، ص66.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص65-66.

سنحت له وخطرت بباله محتملة لذلك	حسن الإسقاط والتدليل على توضيح الأسباب وامتداد الأفكار وإعادة بناء الجديد في صورة داعمة لا معارضة.
فجائز أن يكون الحكيم الباني للدار فعل ذلك لليلة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار وجائز أن يكون فعله لغير تلك العلة	محاولة معرفة السبب الذي قام عليه الدرس اللغوي والمنطلق الأساسي للفكر واختبار التوقع وموقعه كقراءة جديدة بين الحكيم الباني (الأصل) والحكيم القارئ (الجديد).
فإن سنح لغيري علة لما علته من النحو هو أليق مما ذكرته بالمعاول فليأت بها	فتح المجال محو الاجتهاد والبحث والتطوير في الفكرة واستخرج أسباب وعلل جديدة لم تخطر أو تذكر والاستدلال بها في البناء الجديد شرط أن يكون الجديد مستندا عما سبق ذكره.

المرجع: ينظر أبو القاسم الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، تح: مازن المبارك،

بيروت، دار النفائس، ط3، 1399هـ-1979م، ص65-66.

من هنا يتبين أن التراث والتجديد حقلان متميزان ومتوازيان يسيران في اتجاه واحد مهما كان الفراغ الحاصل بينهما فإنه لديهما نقطة انعطاف يتلاقيان فيها فيدمج ما حقه الدمج ويفصل ما حقه الفصل، ولهذا فالقارئ الجديد للتراث يجد أن الانطلاق يتطلب منه التمكن من استخدام الوسيلة (التراث) وصولاً إلى غاية (التطور والتجديد)، وفق شرطين⁽¹⁾:

* أولها: توفر قارئ حكيم ويتصف بمستوى معين من الاجتهاد والتفكير ويكون الشرط قابل للملاحظة والمناقشة، ولا تقف في درج مُشْتَبَه فيه أو مقطوع وإنما يجب أن تكون في استمرار وبناء محكم ومقنع معتمداً على المنطق والتصديق وأساسه الاستقراء والاستنتاج الصحيح بعيداً عن

⁽¹⁾ - ينظر: الإيضاح، مرجع سابق، ص65-66.

التزييف أو التفكير المنهجي من عدم، فهذا غير ممكن لأنه أي علم يجب أن ينبني على ما قبله ويستمر من النقطة التي توقف فيها ما قبله من العلوم والاجتهادات وعلى حسبه عبر عنه الدكتور حنفي بقوله: "التراث ليس متحفًا للأفكار يقتصر على الافتخار والإعجاب به واستدعاء العالم؛ للمشاهدة والسياحة الفكرية فيه بل هو نظرية عمل تقوم على استثمار المعارف وإعادة بناء الأفكار بغية التطور والتجديد"⁽¹⁾.

*ثانيها: توفر الآليات والوسائل القرائية من أجل فحص التراث وموازية الجديد والتمكّن من استعمالها.

فهو يبدأ بالأساس (التراث) والشرط (المحافظة على بناء التراث) قبل المؤسس (المجدد) والمشروط (التطور وإعادة بناء الفكر استنادًا على الأسبق أي الاستفادة من القديم في ظل التجديد والتميز)⁽²⁾. وعند الرجوع إلى القديم نجد منهج المترجمين والرواة لأعمال القدامى قد كان متمثلًا في مستويين حيث جاء في كتاب المدارس النحويّة للدكتورة خديجة الحديثي في نقلها لمنهج المتقدمين في تأصيل وتوثيق الأعمال قبل الشروع في الاجتهاد وإضافة الجديد، نجد محمد بن سلام الجمحي (139-231هـ)، أول القدامى المترجمين لأعمال علماء العربية وهو منهج الشمول ثم أتى بعده أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (213-276هـ)، كذلك كان مترجمًا لأشهر علماء البصرة والكوفة، وهو منهج التخصص⁽³⁾، ولكل منهما اتخذ منهجًا واندرج كل منهما في مستوى معين والقارئ الجديد للتراث لابد له أن يراعي هذين المستويين خلال التفحص للأعمال القديمة والتتبع لأعمال الجدد والمعاصرين، حتى لا يُغيب جهود القدامى ويعيب عليه سوء استعمال المنهج

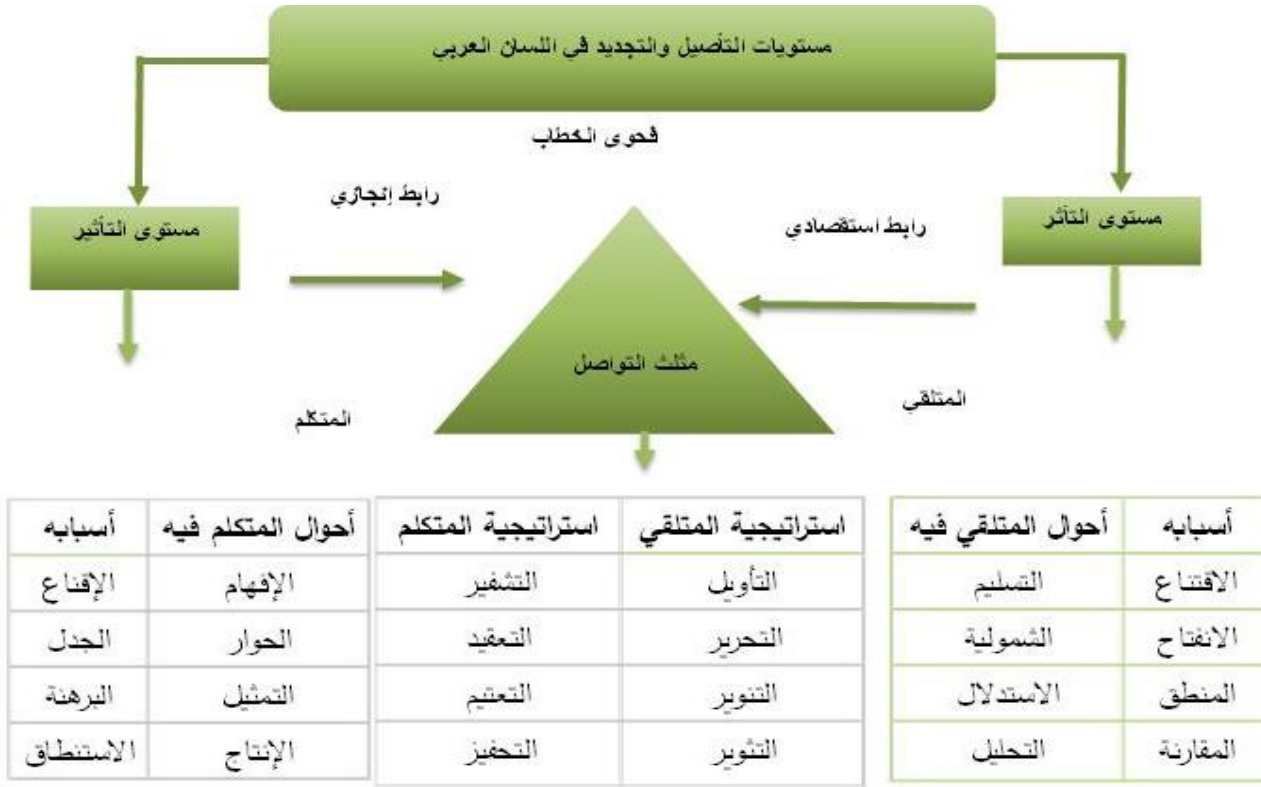
⁽¹⁾ - ينظر حسن حنفي: التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم، بيروت، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، ط4، 1412هـ-1992م، ص13.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص14.

⁽³⁾ - ينظر خديجة الحديثي: المدارس النحوية، الأردن، دار الأمل، ط3، 1422هـ-2001م، ص07.

في دراساته الحديثة، ولو نرى أن أغلب العلماء القدامى منهم أو المعاصرين الجدد قد اشتهروا بنهج معين في البحث اللغوي نوضحه كما يلي:

الشكل رقم(01): يوضح مستويات التأصيل والتجديد للقارئ الجديد للتراث العربي.



المرجع: ينظر (كتاب استراتيجيات الخطاب ظافر الشهري/ وكتاب التكوثر العقلي لطفه عبد

(الرحمن).

نجد بن سلام الجمحي(139هـ-231هـ) قد اتخذ الأعمال على الأصل وتوثيقه لها قصد ترسيخ العلم لأهله وعبر عن ذلك بقوله: >> وكان لأهل البصرة في العربية قدمة وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية<<⁽¹⁾، فهو أصل لأهل البصرة ووقف للإشارة على قوة فكرهم وامتداد علومهم.

⁽¹⁾ - محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تح: محمود محمد شاكر، جده، دار المدني، ط1، (د، ت)، ص12.

وعلى هذا نجد الجاحظ في هذا الشأن يقول: «والكتاب يقرأ بكل مكان، ويدرس في كل زمان واللسان لا يعدو سامعه، ولا يتجاوزه إلى غيره. وعلى ذلك تقوم لسانيات التراث والتجديد باحترام كل أصيل في بناء كل جديد مستحدث، بذكر العوارض والأصول وعدم التنصل من الأفكار القديمة كما حدث مع البصرة والكوفة في تأسيس علم العربية بين وجود الأصل وعزله في أثناء تدخل الجديد ومحاولة التميز بالطرح، بزعم عدم الاستفادة من الأطاريح السابقة لأهل البصرة لكن سرعان ما اتضح الأمر وتوثق أن علم الكوفة لم يتأسس من فراغ وإنما كان امتداد لمعارف وأفكار وانشغال البصريين، غير أن الاختلاف في منهج الطرح وأسلوب التدخل والإضافة ولهذا شاعت الاختلافات بين النحاة الكوفيين والبصريين من أجل محاولة فرض نقاط التفرد وتثبيت منهج كل منهما على الآخر وقال الجاحظ:» استعمال القلم أجدر أن يحظى الذهن على تصحيح الكلام⁽¹⁾.

غير أن الأصل للأول وإن زعم اللغويين الشمول والإلمام إلا أن التخصص كان الهدف والمحافظة هي الغاية عند البصريين كذلك الحال لبقية العلوم عبر مختلف الأماكن والأزمان، فالعلم متطور ومتجدد والعلماء مستقطين وقارئین ومتلقين بنائين منهم ومهدمين، بسعي الفريق الأول إلى التطور والتواصل مع القديم والسير نحو التجديد بأدوات تواكب العصر وتوافق الفكر منهجاً وعلماً.

وأما الفريق الآخر يسعى إلى التطور بالتفرد الإجمالي متنصل من القديم في بناء العلم أو النظرية وهذا مستحيل؛ فنجد الأول يصل إلى الغاية بحكم منهجه المنظم والهادف ويرسخ أهمية السابق وجدية اللاحق في ظل تطور معرفي مستمر ويتجاوز مرحلة البحث السطحي حيث قال بعضهم في هذا المقام:» اللسان مقصوراً على القريب الحاضر، والقلم مطلق في الشاهد والغائب

⁽¹⁾ - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخفاجي، القاهرة، ج1، ط7، 1418هـ-1998م، ص80.

وهو الغابر الحائن⁽¹⁾، أما الثاني فنجدّه يدور في حلقه مفرغه محدثاً ما يسمى بقصر القراءة لضعف الاعتماد على السابق من مصادر ومراجع تراثية، ولمحاولته الوصول إلى الجديد دون قاعدة نموذجية يستند عليها تكون مراعية لخصائص ونمطية اللغة المنقول إليها (العربية مثلاً) فلا يمكن الانطلاق من فراغ في أية دراسة كانت فلا بد من الاستفادة من السابق واستحداث الأفكار ونقدها ومعالجتها وتطويرها وفق متطلبات الدراسة المستحدثة أو ما يناسب ظروف العصر؛ فعند الاهتمام الجيد بالقراءة الفعّالة والتدوين السليم تكون المعرفة المكتسبة أكثر منهجية ودراسة وتأثير⁽²⁾.

والدارس لللسانيات التراثية واللسانيات المعاصرة يقف في قضيه التجديد والتراث خاصة على مجموعة من التقديرات النموذجية المغيّبة للمنهجية العلمية بحكم الزمن والمكان طبعاً، والتي لو احتكم فيها الدارس اللساني الحديث على إيجابية الاستفادة من الغائب وإرجاعه حاضراً لكانت الدراسات اللسانية العربية الحديثة في منحنى مغاير للمنحنى التناظري الذي نحن بصددّه اليوم⁽¹⁾. وكل ذلك بسبب محاوله التفرد والتميز الإجمالي للحاق بالغرب، في حين أن بعض الدارسين العرب نجدهم استقبلوا المعارف الغربية بانبهار شديد وتوسع فكري ملحوظ، فأصبح منهم مترجمين ومنهم من يحاول ركب روح التطور دون الاعتبار لمرجعيات الدرس القديم؛ الذي يعد في حقيقته المصدر والبناء الأساسي للمستجدات اللغوية، وهذا لكون الغرب أكثر تطبيقاً ومنهجية من العرب القدامى الذين لم يرسوا للمنهج أسس ولم يوضحوا لبحوثهم أدوات مخصصة كما فعل الغرب، فتولّد عن تلك

⁽¹⁾ - البيان والتبيين، مرجع سابق، ص 80.

⁽²⁾ - ينظر خديجة الحديثي: المدارس النحوية، الأردن، دار الأمل، ط3، 1422هـ-2001م، ص 08

⁽¹⁾ - ينظر: المدارس النحوية، مرجع سابق، ص 80-82.

أزمة المنهج⁽¹⁾، فعوض أن يصبح هناك تجديد وتكامل مستمر للمعارف والأفكار أصبح هناك تراجع وجمود وفشل لبعض الدراسات وإلغاء غيرها وبناء أخرى تحل محلها، بغرض الوصول إلى نقطة العجز فيما سبق إخفاقه في الدرس اللغوي وتجاوزها وإكمال الطريق نحو التجديد لكن بعض المحاولات باءت بالفشل، فرجع الدارسين العرب حديثاً إلى استحداث التراث واستنطاقه وإعادة الاعتبار له لأنه المصدر والسند الأساس في بناء أي نموذج لساني تطويري وخاصة في اللغة العربية، ولهذا نجد معظم المعارف القديمة تتقاطع مع النظريات الحديثة وكان المنهج فارضاً لنفسه في أعمال المتقدمين ووجب على المتأخرين استنباطه وكان المنهج لدى القدامى معروفاً بينهم بل كان منشوراً في الكتب ولاسيما خلال التأليف والتفسير، غير أن أساس العمل المنهجي النموذجي المسطر للقواعد والمعايير هو من يترك العنان للقارئ ويتطلب من القارئ أن يتلقى النص بمستويات تحليلية وآراء نظرية معينة؛ فنجد العرب القدامى كانوا مخاطبين ومستمعين للقراء قبل أن يكونوا ناقلين وموثقين للأفكار.

⁽¹⁾ - ينظر: المدارس النحوية، مرجع سابق، ص 81-82.

وحكم الغاية من التأليف عند العرب قدامى هو حفظ التراث العربي وتشجيع الباحثين والدارسين بَعْدَهُم بِالْإِضَافَةِ والامتداد والتوسع في المعرفة وطلب الحصول على العلم، وحتى لو مات صاحب العلم إلا أن خليفه في العلم سيبقى في صورة باحث ومتطلب الاستقراء الأمثل له، ومثال ذلك على حد تعبير سيبويه والواقعة التي وقعت له في تكذيبه من الكسائي في المسألة الزنبورية التي مات على إثرها حيث أنشد وهو على فراش الموت:

>>نؤمل دنيا لتبقى لنا فمات المؤمن قبل الأمل

حنيثا يروي أصول النخيل فعاش الفسيل ومات الرجل<<(1).

فقد أشار هنا إلى الأصل وهو منبع العلم ولو مات العالم إلا أن أثره باق ومنبعه مستمر ودليل ذلك فيما رثاه الزمخشري عليه بقوله:

>>ألا صلى الإله صلاة صدق على عمرو بن عثمان بن قنبر

فإن كتابه لم يغب عنه بنو قلم ولا أبناء منبر<<(2).

وذلك دليل على جودة قلمه وطيب أثره وعمق فكره وختم عمله وإتقان نظمه وحسن توضيحه وتوظيفه وأمانة نقله ورشادة عقله وامتداد جذوره في عمله والاستدلال بقوة كتابه واكتمال أوجه النحو فيه وصحة نهجه.

المطلب الأول: نظرية التخاطب في التراث العربي.

تعود أصول الخطابة في التراث العربي إلى العصر العباسي أين دخل الإسلام العقول العربية

⁽¹⁾ -أبو بكر كمال الدين عبد الرحمن محمد ابن الأنباري(577هـ): نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن - الزرقاء، ط3، 1405هـ-1985م، ص57.

⁽²⁾ - مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي(817هـ): البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، تح: محمد المصري، دار سعد الدين للطباعة والنشر، دمشق-عين الكرش، ط1، 1421هـ-2000م، ص224.

واستقر في نفوسهم مما أثر على أساليب كلامهم وفنون بلاغتهم إلى أن أصبح العرب يتفاخرون بلغتهم وفصاحة لسانهم وبلاغة بيانهم ثم بدأت العلوم العربية في التخصص والتأسيس فكانت الخطابة والمحاورة حاضرة في كل جدال إذ كانت هي الحقل المعرفي التي تقاس عليها بلاغة الخطيب وقوة إقناعه وحجته وتأثيره على السامع أثناء صحة كلامه واعتماد استشهاده وجزالة أقواله وألفاظه، وقد عرفت قضيه التخاطب والجدال اهتماماً كبيراً من النقاد والنحويين واللغويين العرب الذين اهتموا بمنطق المخاطبة والحجة والجدل، وأسسوا في ذلك مراكز ومجالس يتناظرون فيها ويعرضون المسائل النحوية والأشعار العربية فكان "المسجد الجامع" و"المربد" و"عكاظ" من أهم المراكز الثقافية في البصرة والكوفة آنذاك -البلاد العربية الإسلامية- التي تم فيها تأسيس ملتقيات ومجالس للعلماء يعرضون وينقدون ويوازنون آراء بعضهم البعض وعدّ مراكز الحضارة لكونها النقطة المركزية التي انفتح فيها العرب المسلمين على الثقافة الأجنبية واندمجا، وتأسس على أثر هذا التلاقح النظريات والعلوم⁽¹⁾.

1-تخاطب الشعراء مع البلغاء :

إنّ أول المناظرات والمجالسات والمفاخرات كانت على لسان الشعراء وبتقييم البلغاء حيث عرف الشعر العربي في العصر العباسي ازدهاراً كبيراً واستقطب جماهيراً كبيرة من جميع الأمصار العربية وبعض البيئات الغربية كالفارسية والهندية والسريانية وغيرها، وقد تمثلت هذه المخاطبة في محاضرات للأدباء ومحاورات الشعراء منهم والبلغاء، ونجد محاورة الفرزدق لجريير وتكنية كل منهما الآخر بأسماء هجائية قصد التأثير وإقناع الجمهور بالأقلية لشأن الآخر وقومه⁽²⁾. فكان الفرزدق يسمى الجريير بابن المراغة، وكان الجريير يطلق على الفرزدق اسم ابن القين والأصل في تسمية

⁽¹⁾ - ينظر خديجة الحديثي: المدارس النحوية، الأردن، دار الأمل، ط3، 1422هـ-2001م، ص28-30.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص114-115.

الفرزدق بآبن القين هو هجاء الفرزدق لجرير وافتخاره بنسبه فقال:

فرد عليه الجرير:

أَقِينْ بن قين، لا يَسِرْ نِسَاءَنَا بَذِي نَجِبٍ أَنَا ادَّعَيْنَا لِإِدَارِمِ
هو القينُ وَاِبْنُ القينِ لَا قينَ مثله لِفَطْحِ المساجي أو لَجَدَلِ الأَداهمِ

ويروى أن خلف بن خليفة مرَّ بالفرزدق يوما فقال له يا أبا فراس، من الذي يقول:

هو القينُ وَاِبْنُ القينِ لَا قينَ مثله لِفَطْحِ المساجي أو لَجَدَلِ الأَداهمِ.
فأجابه الفرزدق ببيت يقول فيه:

هو اللَّصُّ وَاِبْنُ اللَّصِّ لَا لَصَّ مثله لِنَقَبِ جدارٍ أو لَطَرِ الدَّراهمِ.
ولست، ولو فَقَأَتْ عَيْنُكَ، واجداً أَبَا لَكَ، إنْ عُدَّ المساعي كدارمِ
هو الشيخُ وَاِبْنُ الشيخِ لَا شَيْخَ مثله أَبُو كُلِّ بَيْتٍ رَفِيعِ الدَّعائمِ

فوصفه بالنشال أو المختلس⁽¹⁾.

وقد كان سوق المريد من أهم المراكز اللغوية الخاصة بالمخاطبة والنقد حيث يعرض فيه الشعراء أشعارهم ويعتبر منبراً للخطباء سواء كانوا من البادية أو الحاضرة فكانوا الأعراب فيه يتناشدون ويفتخرون. بمنزلهم وأنسابهم ومآثرهم، وكان كل من الفرزدق وجرير والأخطل يتقابلون في هذا المنبر ويخاطب أحدهم الآخر ويحاجون بعضهم البعض، وهذا ما ميز المجالس النخوية والبلاغية في المجامع اللغوية للعصر القديم حيث نجد أن العرب قد كانوا مخاطبين ومناظرين ومؤسسين لأهم مبادئ وقواعد الخطاب السائدة حالياً في الدرس اللساني، حين كان الدين الإسلامي

⁽¹⁾ - ينظر حسن سعيد الكرمي: قول على قول، دار لبنان للطباعة والنشر، ج1، بيروت - لبنان، ط07، 1406هـ - 1986م، ص68-69.

هو الداعم اللساني والبلاغي للفكر والمعرفة وفي سوق أساليب المخاطبة والمحاورة ويظهر ذلك في مجالس الإقراء والتفسير وعلوم القرآن وقد كان كله عن طريق المشافهة والإلقاء واستقصاء مسامع المخاطبين باعتبارها الذاكرة الحافظة والعنصر المحيل إليه المسائل والموجه له المعرفة.

2-تخاطب النحاة مع الشعراء:

جاء عن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي في نقده للفرزدق في رفعه كلمة (أو مجلف) في قوله:

>>«وَعَضَ زَمَانُ بَابِنِ مَرْوَانَ لَمْ يَدْعِ
مِنَ الْمَالِ إِلَّا مَزْحَةً أَوْ مَجْلَفًا»⁽¹⁾.

فرد الفرزدق على أبي إسحاق رداً عنيفاً بأسلوبه الهجائي قائلاً:

>>«فَلَوْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ مَوْلَا هَجَوْتَهُ
وَلَكِنْ عَبْدُ اللَّهِ مَوْلَى مَوَالِيَا»⁽²⁾.

وقد علق على قوله أبي إسحاق الحضرمي بأنه قد لحن أيضاً والوجه الجر بالتثنية في قوله (مولى موالٍ)⁽³⁾.

3-تخاطب النحاة مع اللغويين:

تختلف حوارية ومجادلة النحاة واللغويين بين بعضهم اختلاف الخاص والعام فالأول أصحاب تخصص ومحافضة والثاني أصحاب شمول وتوسع وبلاغة ولهذا جاءت مخالفة شاسعة بين النحاة واللغويين، فنجد أنه مجموعة من النحاة أبطل بعض الأشعار لتجاوز المعنى وعدم استقامة اللفظ حتى إن بعض من الشعراء أصبح لا يقول شعراً حتى يتم عرضه على النحاة

⁽¹⁾ - عبد العال سالم مكرم: الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1413هـ-1993م، ص109.

⁽²⁾ - أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى المبرزباني(384هـ): الموشح في مآخذ العماء على الشعراء، تح: محمد حسين شمس الدين، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ-1995م، ص128.

⁽³⁾ - ينظر خديجة الحديثي: المدارس النحوية، الأردن، دار الأمل، ط3، 1422هـ-2001م، ص54.

وينقبونه ويصحونه ثم يتم عرض خطابه الشعري ولهذا نجد فرق بين الخطاب الشعري والخطاب النحوي فالأول يقدم إلى الجمهور بصفة محاورة في مجال الرد والنقد أما الثاني فهو يقدم إلى الجمهور بصفة استعمالية معيارية في مجال الاستقامة من الكلام والحفاظ على فصاحة اللسان ومن أمثلة ذلك:

الخصومة النحوية بين ابن أبي إسحاق الحضرمي والفرزدق في الخطأ بين موضع الرفع والجر حيث قال الفرزدق في مدحه يزيد بن عبد الملك:

>> على غمائمنا تلقى وأرحلنا
على زواحف تزجي مخارير<<.

فقال له بن أبي إسحاق الحضرمي أسأت إنما هي رير بالرفع وليس بالجر⁽¹⁾.

وامتد تعدد مخاطبات النحاة مع اللغويين في المسائل النحوية إلى أن بلغ ساحات علمية واسعة لاختلاف النسخ والتأليف في الكلام، وشاعت الاختلافات اللسانية نحواً ولغة مما يؤثر على السياق أثناء الاستعمال بين نحوي قياسي ولغوي استعمال، ومن بين أشهر المسائل النحوية ما جرى في مسألة "يونس بن حبيب لإسحاق الحضرمي عن الظاهرة اللغوية في كلمة (الصويق) هل يوجد من ينطقها بالصاد (الصويق)، فأجابه بنعم، عمرو بن تميم تقولها ثم قال له وما تريد إلى هذا؟ عليك بباب من النحو ينطرد وينقاس"⁽²⁾، وقد عني الحضرمي بضرورة التقيد بالتخصص وعدم التشعب لأنه في ذلك فساد وتشتت وكل ذلك خوفاً من وقوع اللحن في الكلام وفساد الألسن وضعف الفصاحة.

⁽¹⁾ - القاضي أبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي (368هـ): أخبار النحويين البصريين، تح: طه محمد الزيتي - محمد عبد المنعم خفاجي، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده في مصر، (د، ر ط)، (د، ت)، ص 21.

⁽²⁾ - ينظر جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي (624هـ): إنباه الرواة على أنباه النحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار الفكر العربي، ج 2، ط 1، 1406هـ-1986م، ص 108.

المطلب الثاني: التجديد التأويلي في البلاغة العربية والغربية.

1-ثنائية الجاحظ وتشو مسكي(اللغة/الوظيفة):

إنَّ الدارس للتراث العربي والفاحص سيجد أن كل من تشو مسكي الغربي والجاحظ العربي قد تحدثا عن وظيفية اللغة من حيث أغراضها التخاطبية وأبعادها التواصلية ورمزياتها التأويلية وهذا يعني أن ما جاءت به المدرسة التحويلية ليس بالجديد في درس علم اللغة وإنما هو شيء مطروح من قبل وما قامت به سوى تحديث للمصطلحات اللسانية من باب تطوير المصطلح والتجديد المنهجي، التي لم يتداولها العرب من زوايه الرؤية الغربية لعدة أسباب منطقية وأخرى نمطية ولكن الانطلاقة واحدة وهي الجملة وحدودها⁽¹⁾، وهو عينه ما نراه عند الجاحظ حيث ركز على الجملة والدلالة وتضمن الحديث فيها عن كيفية نسجها وإنتاجها من المتكلم وصولاً إلى أذن السامع ومراتب أو مستويات إدراكها وتفسيرها لديه وهو الأمر ذاته الذي جعل من الجاحظ يحدد دلالات الكلام في خمسة مواضع انطلاقاً من اللفظ إلى غاية الوصول إلى الحال، وهي تلخص لنا كيف نشأ الكلام وانتقل إلى صورته النموذج النهائي المتمثل في الخطاب، وعليه نجد أن الجاحظ تحدث في كتابه البيان والتبيين على أساس بناء الكلام وتشكُّل الخطاب وأساليب التخاطب بين المتكلم والسامع مصباً الاهتمام على زاوية الدلالة في إنشاء الكلام حيث يقول في كتابه: المعاني القائمة في صدور الناس المتصورة في أذهانهم، والمختلجة في نفوسهم والمتصلة بخواطرهم، والحادثة عن فكرهم، مستورة خفية، وبعيدة وحشية، ومحجوبة مكنونة، وموجودة في معنى معدومة، لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه، ولا حاجة أخيه وخليطه، ولا معنى شريكه والمعاون له على أموره، وعلى

⁽¹⁾ - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخفاجي، القاهرة، ج1، ط7، 1418هـ-1998م، ص75-78.

ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره، هنا يتحدث عن كيفية تواجد المعاني وتشكلها في ذهن الإنسان ومستويات ظهورها وخفائها وبساطتها وتعقيدها من باب تحديد المقاصد والنيات بين المتكلم والمخاطب في فهم المعاني وحقيقته تواصلهم بها.

وهذه الخصال هي التي تقربها من الفهم، وتحيلها للعقل، وتجعل الخفي منها ظاهراً والغائب شاهداً والبعيد قريباً. من هنا أظهر الجاحظ قيمة البنية العميقة (العقلية) ومنطقيتها في تحرير المعاني وفهمها على حسب المهمل والمستعمل والمقيد والمطلق منها، واعتنى بعامل أساسي في فهم الخطاب وتحليله وهو عنصر الدلالة والإشارة حيث قال: كلما كانت الدلالة أوضح وأفصح، كانت الإشارة أبين وأنور [...] والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله عز وجل يمدحه ويدعوا إليه ويحث عليه، بذلك نطق القرآن وبذلك تفاخرت العرب، وتفاضلت أصناف العجم⁽¹⁾. وكأن الفاحص للتراث يتلقى من كلام الجاحظ اللغة والعقل وأن الدرس اللساني الحديث ما هو إلا فك شفرات (تأويل) الدرس اللغوي العربي القديم، حيث أن أغلب المصطلحات والنظريات والأقسام التحليلية للخطاب ما هي إلا موازنة منهجية لتطبيقات وتطبيقات القدامى العرب.

كما نلاحظ أن تصور الجاحظ في بناء وتشكل الخطاب يوازي تصور تشو مسكي غير أن الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين" و"الحيوان"، انتهج أسلوباً بحثياً علمياً معتمداً على منطق عقلي⁽²⁾، ونفس توجهه في التفكير العقلي للبيان والتبيين اعتمده تشو مسكي وجاء بكتاب تحت مصطلح اللسانيات الديكارتية فصل من تاريخ الفكر العقلاني (1960)⁽³⁾. حيث يناقش تشو مسكي

⁽¹⁾ - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخفاجي، القاهرة، ج1، ط7، 1418هـ-1998م، ص75.

⁽²⁾ - ينظر: الجاحظ، ويكيبيديا الموسوعة الحرة، 2024/10/27م، رابط: <https://ar.wikipedia.org/wiki/>

⁽³⁾ - ينظر: لسانيات ديكارتية، ويكيبيديا الموسوعة الحرة، 2024/10/27م، رابط: <https://ar.wikipedia.org/wiki/>

في هذا الكتاب مباحث في دراسة اللغة والذهن باستقراء أعمال ديكرت، وحاول الاستفادة منها في ظل البحث عن منهج تحليلي لُغوي حديث وهو نشاط فكري قام به في ظل اللسانيات الإحيائية المعاصرة وألّمت دراسته الحيز الزمني من نهاية القرن السادس عشر إلى الآن وهو نفس الأمر الذي يجب أن ينطلق من كل باحث وفاحص لتراث لغة قومه فنجد ممن حاول التأصيل وتفسير القضايا اللسانية؛ بتوجه عقلي فلسفي جديد وعليه فإذا كان تشو مسكي هو محيي لنظريه ديكرت العقلية المنطلقة من التفكير في إثبات الوجود في سؤاله عن >> كيف يكتسب الذهن البشري المعرفة<<⁽¹⁾، فإننا نجد من يناصر الجاحظ ويحيي تراث العقل العربي للخطاب اللساني هو أبو بكر العزاوي صاحب كتاب اللغة والحجاج والملاحظ أن الجاحظ في البيان والتبيين انطلق من اللغة والعقل وهو توجه حجاجي لُغوي.

ويتبنى الدكتور أبو بكر العزاوي النظرية الحجاجية متأثراً باللساني الفرنسي أوزفالد ديكرت وغير أنه التزم بمصطلحات تراثيه عربية، من أجل إحياء التراث وتثبيت أعمال وجهود العرب القدامى في إطار الدرس اللغوي المعاصر حتى إن الخطاب القولي في نظريته بناها من منطلق اللغة والقواعد الداخلية المتحكمة في تسلسل الخطاب باعتماد ثنائيتين أساسيتين في تشكل الكلام وهما التأثير والإقناع وهو الحقل الحجاجي الذي استدل به الجاحظ في قوله: >>جماع البلاغة البصر بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة، ثم قال: ومن البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها إذا كان الإفصاح أوعر طريقة وربما كان الإضراب عنها صفحا أبلغ في الدرك، وأحق بالظفر<<⁽²⁾، كما وازن البلاغة بالحجاج في فهم المعاني وتفسير

⁽¹⁾ - ينظر علي الحارس: رينيه ديكرت، موسوعة ستانفورد للفلسفة، مجلة حكمة، (د، ر ط)، 2021م، ص20.

⁽²⁾ - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخفاجي، القاهرة،

ج1، ط7، 1418هـ-1998م، ص88.

الكلام ومعرفة القصد ورفع اللبس والوصول إلى التأثير والإقناع في قوله: >> قال: عمرو فكأنك؛ إنما تريد تخير اللفظ، في حسن الإفهام، قال: نعم، قال: إنك إن أوتيت تقرير حجة الله في عقول المكلفين وتخفيف المؤونة على المستمعين، وتزيين تلك المعاني في قلوب المريدين، بالألفاظ المستحسنة في الآذان؛ المقبولة عند الأذهان، رغبه في سرعه استجابتهم، ونفي الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة، كنت قصدت الإفهام وأتيت فصل الخطاب واستوجبت على الله جزيل الثواب<<(1).

وعليه حدد هنا للمحاجج أصول الحجاج وشروطه من وجهه البلاغي مثبتاً على الإفهام والإقناع وكان أساسه هو التأثير في نفس وعقل السامع بحسن تخير اللفظ المناسب للمعنى المراد إيصاله والغاية المراد قبولها والتفاعل معها في ذهن السامع بتركيزه على الحواس الثلاثة وهي: السمع والذهن والقلب، ولكل وظيفة بلاغية محددة بحيث يضمن السمع وعاء لاستقبال الألفاظ وتميرها إلى العقل، والعقل يمثل وعاء لتفسير وتحليل الألفاظ وربطها بالمعاني غاية لتقبلها واستحسانها في النفس، والقلب هو وعاء التفاعل والميل بعد البصر وفهم الحجة الملقاة في أذن السامع من المحاجج(البليغ) وكأنه حدد أهم ركائز الحجاج البنائية للخطاب بشمولية المعرفة وتخير مواضع الفرصة لبلوغ الأفهام في موضع تسابق بين اللفظ والمعنى وهذا النوع من المواضع الإبلاغية نجد من سمتها أن لا يبلغ هذا الموضع إلا إذا كان الكلام >> يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك<<(2)، فركز على أولوية المعنى في ربط الفهم بالإفهام والحجة بالأثر وهذا الأمر من أجل سلامة الكلام وضبط مقاصده الذي يعد

⁽¹⁾ - المرجع السابق، ص114.

⁽²⁾ - أحمد مطلوب: أساليب بلاغية(الفصاحة - البلاغة - المعاني)، الكويت، وكالة المطبوعات، ط1، 1980م، ص13.

شرطاً أساسياً في تمكن البليغ من عرض الحجة والتأثير. كما يتقاطع مع الدرجات الثلاثة للتداولية الأولى الخاصة بالإشارات وتختص بالإشارة الشخصية والاجتماعية والزمكانية في اللسان العربي. أما الثانية الخاصة بالانتقال من المستوى الصريح إلى المستوى الضمني وهو الإظهار والإضمار في اللسان العربي أما الثالثة تخص نظرية أفعال الكلام مركزاً على إنجاز المتكلم وسلوك المخاطب.

2-ثلاثية أوستين وابن خلدون (المسافة الاجتماعية/السياق/القصدية)

أ- المسافة الاجتماعية

لا يمكن فصل المسافة الاجتماعية عن السياق الاجتماعي للغة والقصد التواصلية منها فحد الاجتماعية متصل بها ومركزاً عليها، كما يعرف حيز التواصل اللغوي الاجتماعي ابن جني ويربطها بالقصد حيث يقول: >> حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم على أغراضهم<<⁽¹⁾. فإذا كانت المسافة الاجتماعية ستفصل عن السياق والقصد من باب اللهجات كونها صوت خاص بمنطقة محددة وزمن محدد ذات معجم لغوي بطابع مخصوص بتلك اللهجة، عكس اللغة العامة فهي صوت عام مجمل خاص بمجتمع عام له نفس الصفات والخصائص اللسانية والفكرية(والعادات والتقاليد)والمبادئ التواصلية والأغراض التعبيرية مثل لغة قريش، فهي لغة جميع العرب ومستعملة متداولة ومفهومة عند العامة والخاصة على حد سواء وهي معيار الفصحى ولهذا معجمها أوسع وأشمل يتميز بالفصاحة والشمولية.

كما أن المسافة التخاطبية تتصل بمراتب وطبقات العقول والفئات الاجتماعية وعلى اثر هذه

⁽¹⁾ -محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة، دار قباء، القاهرة، (د، ر ط)، (د، ت)، ص10.

الميزة لأبد من مخاطبة الناس على حسب عقولهم ومراتبهم⁽¹⁾. فالرئيس لا يخاطبه العامة بصورة العامة وإنما يستلزم من المخاطب أن يتقيد بتعابير رسمية خالية من مقام التساوي الطبقي بين الفئتين بكون الرئيس طبقة سياسية خاصة، كما أن الأب والابن كذلك يوجد مسافة خاصة أثناء التواصل سواء في حالة الأمر أو النصح أو الرفض بكونه صورة أسرية قارة.

تتكون صورة المجتمع عند ابن خلدون من هرم عمراني يتقارب مفهومه مع مفهوم عبد القاهر الجرجاني مثلما يوجد طبقات اجتماعية يوجد مقامات تواصلية، غير أن ابن خلدون ركز على اللغة ومعناها من جانب اجتماعي، أما عبد القاهر الجرجاني ركز عليهما من جانب نفسي وهذا التمايز يخلق لنا عند أوستين اندماج الفكرة في العقل الاجتماعي والشعور في الاعتقاد النفسي وهي فلسفة التحليل اللغوي الحديث، حيث لا يمكن دراسة اللغة ومقاصدها بمعزل عن البيئة الاجتماعية المندمجة فيه ولا يمكن دراستها كذلك بمعزل عن الشعور واللاشعور فالشعور يرمي إلى المقاصد الداخلية للكلام الظاهر أما اللاشعور فيسقط على الرمزيات والعلامات اللغوية التي يجهد العقل الباطني في تفسيرها وتأويلها ومراجعتها لحظة تلقي العقل الكلام المشفر وعليه مثلما وجدت المقاصد الداخلية والخارجية للخطاب على مستوى اللسان والواقع وعقل المتكلم يوجد الشعور واللاشعور في مستوى الذهن وفي نفسية المتلقي، وهذه التوأمة اللغوية بين التلميح والتصريح في القصد والانطباع هي الأساس في تشكل بنية الخطاب ووظيفة التواصل كما يقول عبد القاهر الجرجاني: >> تتسج الأفكار على خطوط الطول والمعاني على خطوط العرض وعند التقاء خطوط الطول بخطوط العرض يحصل المعنى <<⁽²⁾.

⁽¹⁾ -ينظر نجيب كيلاني: أفق الأدب الإسلامي، مؤسسة الرسالة، لبنان، (د، ر ط)، 1985م، ص 68.

⁽²⁾ - فريد خلفاوي: محاضرات في اللسانيات العربية، جامعة الشهيد حمه لخضر، كلية الآداب واللغات، الوادي، 2019م-2020م، ص 28.

تقوم فلسفة أوستين على فلسفة القياس النفسي من ناحية القصد أو النية كما عبر عنها سيرل وعلى القياس الاجتماعي من ناحية التواصل والسياق الوظيفي للقصد اللغوي حيث أطلق عليه "تسمية المجتمع العقلاني وذلك من خلال تلقي نايلتي وود هاوس لرسالة من صديق مشترك تم فيها التحديد لماهية العلاقة الاجتماعية بين الصديق المشترك ومحتوى الرسالة وهي مطابقة الواقع للكلمات وعبر عنها أوستين بقوله عندما نقول فإننا نفعل وشرط القول بالفعل وسبق القول للفعل دلالة على شرط احترام التناسق اللفظي والإنجاز الفعلي في التواصل الاجتماعي لأنه متى كان هناك قول فهناك حتما كان إنجاز أو تفكير بالإنجاز فالفعل يضمن مساره ويحدد مسافة بين القول وكيفية الإنجاز في الواقع (العالم الخارجي).

وعليه قال أوستين بأن "شرط الدقة البلاغية والأخلاقية كلتاهما من جهة ذاك الذي يقول ببساطة تامة كلماتنا هي التزامنا بالواقع، فواقع القول (الكلمات) هي حد الالتزام بفروق التواصل وطرائقه وأهم مبدأ فيهما هو مبدأ الدقة في القول والعمل-الانسجام والتناسب- ومبدأ الأخلاقية بشروطها المعروفة في التداولية-الصدق وعدم التناقض- بين الفعل والقول ومبدأ الشمولية وعدم الاختصار على القول دون الفعل ومبدأ التعاون وعدم الافتقار إلى مشاركة القول للفعل ومبدأ التزامنية وهو مزامنة القول للفعل المطلوب إنجازه، بينما مبدأ الاجتماعية وهو أساس القيم الأخلاقية حسب عادات المنطقة وتقاليدها بين الفعل والقول"⁽¹⁾. فالالتزام بالأخلاق في العرف والتواصل الاجتماعي هو أساس المسافة الاجتماعية في الواقع الخارجي، فيمكن القول "إن المسافة بين الأقوال والأفعال ستظل موجودة رغم كل ما يقال عن إمكانية إنجاز الأفعال عبر الكلام في فكر أوستين، وعليه

*الدقة البلاغية: اختيار الألفاظ والأساليب بدقة شديدة لتناسب المعنى والمقام والمستمع.

⁽¹⁾ -ينظر محمد محبوب وآخرون: أي فلسفة للقرن الحادي والعشرون (أورغانون القرن الجديد)، تر: أنطوان سيف، مرا: الحسين الزاوي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2011م، ص452.

فالمسافة الاجتماعية في فكر الفلاسفة والباحثين لا تزال غامضة حيث طرح البعض سؤالين جعلوا منهما محل جدل ونقاش ألا هما: إلى أي حد يمكن أن ينفصل القول عن الفعل؟ وإلى أي حد يمكن أن يطابق الفعل القول⁽¹⁾.

تتحدد المسافة التخاطبية عند ابن خلدون بأنها اجتماعية فقط حيث نجد مجموعة من الباحثين والمفكرين والفلاسفة قد عمدوا إلى دراسة مستوى التقارب والتباعد أو التجاذب والتنافر بين الجماعات داخل المجتمع لنجد أن عملية التخاطب بين ما يقوله المتكلم ما يتلقاه المتلقي تشترط فرض المسافة التخاطبية ومحاولة التقيد بها أثناء التخاطب وعليه نجد أنماط تواصلية متنوعة واتجاهات رمزية لغوية خاصة محددة تذهب بنا إلى ضرورة التعقيد-وجود المسافة التخاطبية تعقد التواصل- بهذه المسافة وتحديداتها قبل الشروع في عملية التخاطب(الكلام) لأن المعاني لا تؤخذ من الكلمات فقط بل تؤخذ من الخلفية الاجتماعية كذلك، علما أن ابن خلدون عالم لغوي من علماء علم الاجتماع⁽²⁾ وهو مهتم كذلك بالمسافة الاجتماعية social distance وجعلها مقياسا صالحا في عملية التخاطب ومقياس درجة التنافر والتجاذب((sociometerage أو التقارب والتباعد وهو ما يتفق مع معيار التقبلية والمقبولية في لسانيات النص⁽³⁾.

"ف نجد الظواهر الاجتماعية لها طابع الشمول وتكاد تشمل كل أنواع التصرفات الإنسانية، من ضروب التأثير والانفعال المرتبط بالكلام والحركة والإلقاء والاحتكاك الشخصي وفي هذا نجد

⁽¹⁾ - ينظر نشار مصطفى حسن: الأورجانون العربي للمستقبل، الدار المصرية اللبنانية، مصر، (د، ر ط)، 2014م، ص102.

⁽²⁾ - ينظر عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، اعداد: أحمد الزعبي، شركة الأرقم بن أبي الأرقم للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، (د، ر ط)، 2016م، ص09.

⁽³⁾ - ينظر سعد الدين إبراهيم: في مسألة الوحدة وخسوف القومية العربية، دار ابن رشد، مصر، (د، ر ط)، 2018م، ص250.

دافيد هارفي (David Harvey) عالم الاجتماع يقر بأن العلاقة الاجتماعية تتأثر بالقرب والبعد والتفاعل وبظروف العلاقة وأهدافها ومدتها. وهو ذات الأمر لابن خلدون حيث يرى العلاقات الاجتماعية لها صورتين: صورة الضبط الاجتماعي وتم فيه مراقبة التصرفات الإنسانية بين القانون والدين والضمير، وصورة التآلف الاجتماعي وتم فيه تحدد وجهة نظر الجماعة المتخاطبة في معايير التأثير والانفعال والأهداف والقيم الاجتماعية، ويضرب لنا مثل بين سكان البادية وسكان الحواضر فالمسافة الاجتماعية عند "سكان البادية الذين يعتبرون هدفهم في الحياة غائب وقيمهم تعصبية وتأثيرهم ضعيف وانفعالهم حسب بيئتهم الجغرافية عكس سكان الحواضر الذين يتصرفون بالقوة القاهرة ويمارسون السلطة باشتراط تفاعل الآخر تحت ترجمة الخضوع، ويرون أهدافهم المشتركة مع الجماعة المجاورة وقيمهم من زاوية الليونة وحجة الانفتاح وذلك بحكم البيئة الجغرافية"⁽¹⁾، إذا فالمسافة الاجتماعية التخاطبية لدى ابن خلدون تستلزم مجموعة من القواعد والقوانين والمعايير الواجب النظر فيها قبل تحليل إجرائي أو وظيفي لأي بنية اجتماعية متحورة فنجد أن هذه المسافة تشترط:

- التباين الاجتماعي البشري (الدولة-الأسرة-القيم الدينية)

- التباين الجغرافي (الحضر-البوادي)

- الأخلاق (العلاقة بين تطور المجتمع والأخلاق)

يقول ابن خلدون: >> إذا استفحل العز وتوفرت النعم لطفت الأخلاق، ومن أمثلتها أيضا تأثير

حياة البداوة على الناس نتيجة لنكد العيش وسوء الوطن<<⁽²⁾. وعليه نجد أن المسافة الاجتماعية

تتحدد بمقياسين هما:

⁽¹⁾ - ينظر عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، اعداد: أحمد الزعبي، شركة الأرقم بن أبي الأرقم للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، (د، ر ط)، 2016م، ص 61-65.

⁽²⁾ - ينظر: مقدمة ابن خلدون، مرجع سابق، ص 70.

-معيّار التشابه(الأهداف - والرتب الاجتماعية)

-معيّار الإختلاف(الاجتماع البشري - الجغرافي - الأخلاقي)

ويكون هذا التمايز والائتلاف بين الذات المتحاورة والآخر المقارن فكلما زاد الاختلاف المدرك بين الذات والآخر المقارن، بعدت المسافة الاجتماعية وبالتالي زاد التأثير⁽¹⁾. وينتج عن هذا التزايد حسب رأينا اتساع فجوة الاختلاف وانخفاض درجة التشابه مع الذات والآخر والعكس إذا انخفضت الرسميات وزاد التشابه المدرك بين الذات والآخر المقارن قربت المسافة الاجتماعية وبالتالي زاد التفاعل ونتج عن هذا النزاع تقلص فجوة الاختلاف وارتفاع درجة التشابه مع الذات والآخر، إذا فمقياس المسافة الاجتماعية ما هو إلا سلم اجتماعي يقوم على التقارب والابتعاد في حالات متوازنة وعليه التفاعل لا يبرز إلا عندما يكون هناك تشابه والتأثير لا يبرز إلا إذا كان هناك اختلاف ولهذا نجد أن شرط التفاعل يمكن أن يتوفر ويمكن أن يغيب أثناء مخاطبة المتكلم للمتلقي لأنه قائم على المسافة الاجتماعية وأكثر شيء بارز هو التأثير بحكم أنه معيار اجتماعي يقوم على السلطة والتغلب فهو يبرز بحكم الاختلافات والتباين الاجتماعي أثناء وظيفة التواصل، وفي العلم الحديث أصبح محور التعامل -الذي تحدث عنه ابن خلدون في معيار التآلف الاجتماعي ضمن علم الاجتماع الوظيفي - "علم قائم بذاته تحت مصطلح علم القرب (proscemic)، وهو علم يدرس المسافة بين المتكلم والمتلقي والكشف عن العلاقة بينهما أو ما يسمى بالنفوذ والتواصل والسلوك التخاطبي الحرفي أو التلمحي وتحديد بنية الخطاب ومضمون الخطاب بمختلف قضاياها

⁽¹⁾ -ينظر مصطفى صابر النمر: الدراما الأجنبية وانحرافات المراهقين السلوكية، دار العربي للنشر والتوزيع، مصر، (د، ر ط)، 2016م، ص 93.

ومدلولاته والتباين الثقافي⁽¹⁾. وعليه نجد >>فيرث يقول: أن صوت الإنسان واحد من مكونات نظام كلي وبهذا المعنى يتكلم الإنسان بكل جسمه، فهو يتكلم بجسمه وعضلاته... إلخ<<⁽²⁾.

ويقول أيضا عالم اللغة دافيد أبيركرومبي (David Abercrombie) بأننا نتكلم بأعضائنا الصوتية ولكننا نتحدث بكل أجزاء جسمنا ولهذا نجد أن جميع أعضائنا وحواسنا هي مجتمعة تتشارك في تأسيس الكلام والأصل فيه هو الصوت وهذا الأخير يفرض لنا أن نحدد منه المسافة عبر النبرات والنغمات والوقفات والفراغات الصوتية السياقية والمقامية وهذا في حالة الخطاب الشفوي والتواصل الآني، أما إذا كان خطاب مكتوب فنعتمد على بنية الخطاب ونحدد من ضمنها المسافة واستخراج السياق الثقافي والاجتماعي فنحدد التعبيرات وأساليبها ومواطن الوقف والوصل والحذف والصمت والإضافة ومواطن الإشارة والرمز والتصريح والتلميح، فنقوم بمفصلة مضمون الخطاب وتحليل بنياته تحليلًا منطقيًا مهيكلاً حسب الوظيفة الاتصالية والغاية أو القصد من إقامة التواصل، فالمسافات الاجتماعية تتحكم فيها السلطة والمقام، فالخطابات تكون فيها رسمية في مستوى عال والعلاقات في هذا النوع من الخطابات يحكمه التفاعل والاتصال اللفظي يكون مهذب ومحدود يميل إلى الاقتصاد اللغوي ويمكن مصادفة أطراف تخاطبية جديدة لا نعرفها ولا تمدنا بها أي مسافة عادية لهذا يجب التحلي بالرسمية والاختصار اللفظي أثناء التواصل مع هذه الفئة من الأشخاص⁽³⁾. والمطابقة عند ابن خلدون تعني محور التشابه في العلاقات التخاطبية حيث يكون التتابع بين الكلام والعالم الخارجي، ونجد ستراوس يقول: >> يشتمل المجتمع في نظر الاثنولوجي،

⁽¹⁾ - ينظر سائدة عمر العيص: الوجهة الاجتماعية عند ابن جني في الخصائص، دار الفلاح، الكويت، (د، ر ط)، 2007م، ص31.

⁽²⁾ - المرجع نفسه: ص46.

⁽³⁾ - ينظر دخيل بن عبد الله الدخيل الله: المهارات الاجتماعية (المفهوم-الوحدات-المحددات)، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1435هـ-2014م، ص96-97.

على جملة من البنيات المتطابقة مع مختلف أنماط الأنظمة، منظومة القرابة تقدم وسيلة لترتيب الأفراد بحسب عدد القواعد. والتنظيم الاجتماعي يقدم وسيلة أخرى وتراكم المسافات الاجتماعية والاقتصادية وسيلة ثالثة⁽²⁾.

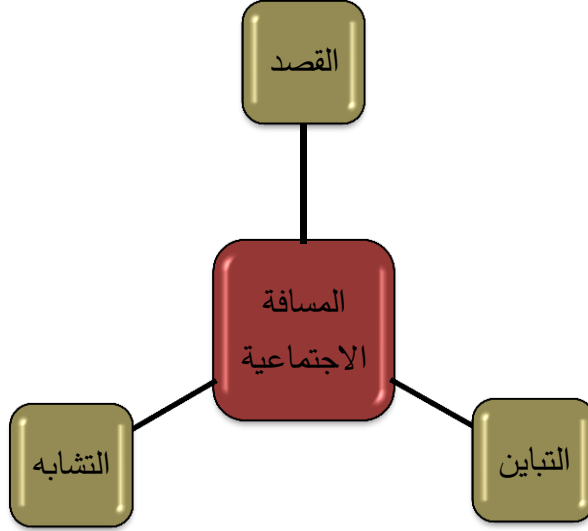
وهذه الوسائل الثلاثة تحدث عنها ابن خلدون كذلك في محور الشروط الخاصة بالعمران والمجتمع والمسافة الاجتماعية لوظيفة الجماعات وتواصلهم ببعضهم البعض فيقول ابن خلدون فيما قدمه من قوعد اجتماعية تداولية في السياق العربي الإسلامي من خلال مقدمته التاريخية اللغوية: "وأما الأخبار عن الوقائع فشرطها الصدق والصحة وذلك من باب اعتبار المطابقة...حيث أننا نستدل بالكلام من خلال أحوال الواقعة في العمران ومنها نحكم بالصدق أو الكذب أو بالتقبل أو الرفض"⁽³⁾؛ فلنمخ هنا أن معايير التداولية في السياق الاجتماعي الوظيفي قد تحدث عنه ابن خلدون ووضح شروطه وأن فلسفة ابن خلدون فلسفة علم وعلى أثرها تأسس علم المسافات التخاطبية وأساسها المجتمع بحكم عنصر التشابه والتباين الذي تحدث عنه ابن خلدون ورآه سائدا بين الجماعات المحلية أو القومية في ذات المجتمع، فالاستعمال الخلدوني لمصطلح الواقعية يشمل جميع ظروف وبنيات التواصل الخطابي بشروطه وقواعده⁽¹⁾، ويمكن تلخيص مسار المسافة التخاطبية الاجتماعية في زاوية نظر ابن خلدون بالشكل التالي:

⁽²⁾ -عبد الكريم جندي: مفهوم الواقع في العلوم الإنسانية، دار نماء للبحوث والدراسات، بيروت-لبنان، ط1، 2021م، ص35.

⁽³⁾ -ينظر: المرجع نفسه، ص35.

⁽¹⁾ -ينظر: مفهوم الواقع، مرجع سابق، ص35.

الشكل رقم(02): يمثل تلخيص التوزيع الخلدوني للوضعيات التواصلية وسياقاتها الاجتماعية أثناء الوقائع التخاطبية.



المرجع: عبد الكريم جندي: مفهوم الواقع في العلوم الإنسانية، دار نماء للبحوث

والدراسات، بيروت-لبنان، ط2، 1، 2021م، ص35.

ويمكننا تفسير الشكل بأنّ المسافة الاجتماعية تحتل المركزية في الخطاب، تتصل بها ثلاثة أقطاب ظاهرة أولها صفة التشابه بين المتكلم والمتلقي في مجموعة من النقاط (الثقافة، المجتمع، الزمن، اللغة) أما الثانية صفة التباين بين المتكلم والمتلقي في مجموعة من النقاط (الفهم، الغرض، العقل، العقدة) أما في الثالث وهو القصد فكلما كانت المسافة الاجتماعية واضحة كانت نية المتكلم وهدفه من الكلام أسهل في الوصول بصورة صحيحة للمتلقي.

ب- القصد/ السياق بين ابن خلدون وسيرل:

نجد أن نظرية المقاصد جزء تكميلي لنظرية السياق في الخطاب التواصلية، كما أن أبنية الخطاب ومضمونه يشترط التخصيص في نوعية القصد وموقعه وظروف السياق وأنماطه وهذا التخصيص هو حقل البحث التداولي بل هو مجاله العام فنجد التداولية رغم استعمالاتها المتقلبة

والمتنوعة للغة إلا أنها تجدها مختصرة ومحددة وتميل إلى البساطة وفك التعقيد وهي تتلاءم مع

علم الأسلوب فعلم الأسلوب إن هو علم متداخل مع التداولية في نظرية تحليل الخطاب⁽¹⁾.

ويرى سيرل الفيلسوف اللغوي التداولي أن "التسلسلات اللغوية تعبر عن أفعال، بل هي الأفعال نفسها فلم يعد هناك جمل وصفية بحتة ذات معنى ثابت، دون أن تكون منطوقات لتلك الجملة فيتكون لها قوة إنجازية، كما أن الأفعال اللغوية أفعال مقصودة، ويريد أن يدرك المرسل هذا القصد، ويمكن أن يضاف الشرط التفاعلي لتصبح أفعال الآخرين اللغوية التي يشاركون بها في السياق التواصلي هي الدافع لإنتاج الخطاب اللاحق، ويضيف جرايس بأنه لا يحصل تواصل أو إدراك للقصد دون تفاعل تعاوني ومنسق"⁽²⁾. فهو ربط القصد الذي يرميه المتكلم (المرسل) إلى المتلقي بالسياق اللغوي للفعل الكلامي المنطوق، وشرط في الفعل القوة فمتى صدر ذلك الفعل محملاً بالقصد ومراعياً للسياق فهو حامل للقوة الإنجازية، فينقل الفعل الخاص بالمتلقي إلى فعل خاص بالمتلقي ومتى تحقق هذا الانتقال يتولد التفاعل والتعاون بين التواصل والإدراك.

فنجد أن أوستين قد نظر إلى السياق الفعلي من خلال السياق الكلامي بين الصريح والرمزي التلمحي، في حين نرى ابن خلدون اختص بالسياق الاجتماعي مركزاً على المبادئ التواصلية الاجتماعية انطلاقاً من مبدأ المطابقة وانتقل إلى مبدأ الشمول ثم مبدأ الصدق والكذب فمبدأ التعامل وصولاً إلى مبدأ التعاون، وهذه المبادئ الأساسية التي ركزت عليها المباحث التداولية اندمجت في السياق الاجتماعي بين سياقها التاريخي وسياقها الفعلي، وفي ثنايا هذه السياقات قد تطرق إلى السياق التاريخي في محور الأحداث وربطه بمجريات الأقوال والسياق الفعلي في محور

⁽¹⁾ - ينظر عبد الهادي ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، ص 45.

⁽²⁾ - ينظر صابر سعيد بقور: داعش برؤية الجزيرة عبر الفيسبوك الخطاب وأنماط الوعي الجماهيري، دار الخليج، الأردن، (د، ر ط)، 2017م، ص 71.

الزمنية بما أن الفعل حدث مرتبط بزمن فهو متوفر فيه السياق الفعلي والتاريخي ضمن هذا النوع من السياق الاجتماعي أي أن نظرية ابن خلدون الاجتماعية أشمل وأوسع تداولاً واستعمالاً من دائرة النظريات الحديثة وخاصة أوستين هذا فيما يخص السياق⁽¹⁾.

أما من ناحية القصد فنجد ابن خلدون يفرق بين القصد الموضوعي (المقالي) والقصد الاستعمالي (المقامي اللفظي) حيث يقول ابن خلدون >> أعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام <<⁽²⁾، فقد أكد هنا على أن القصد الموضوعي هو ما كان ظاهراً عن لسان المتكلم للتعبير عن غرضه وهو موضوع للإيصال، وأما القصد الذاتي أو الاستعمالي فهو ما كان متصوراً في الفعل المنطوق الذي يحمل فائدة الإيصال فقد ربط ابن خلدون بين قطبين معرفيين وهما: قطب التداولية ويشمل في الصورة العامة للغة القائمة على الاستعمال، وقطب الحجاجية ويشمل في الصورة الخاصة في الوضع الاستعمالي للفعل اللساني، القائم على الإقناع والإبلاغ والحجة عنده وهي أن كل فعل أو قول أو عبارة على لسان المتكلم إنما يحتوي على القصد أو غير القصد متضمن فيها⁽³⁾.

ومن هنا نجد أن كل من أوستين وابن خلدون رأيا أن القصد ملتحم بالسياق وهذا الأخير وحتى إن تعدد لكل سياق قول ولكل قول قصد مصاحب وعلاقة المصاحبة لم تكن مقتصرة فقط على كلام المتكلم ولا على ردة فعل المتلقي ولا على مضمون الخطاب لوحده بل شملت الظروف السياقية لأنماط النصوص الخطابية المختلفة المقاصد والأغراض وعليه نجد أن مبدأ الشمولية الذي

⁽¹⁾ - ينظر محمد ياسين عليوي شكري: علم اللغة النصي، أبحاث تطبيقية، مركز الكتاب الأكاديمي، الأردن، (د، ر ط)، 2020م، ص 165.

⁽²⁾ - ابن خلدون، المقدمة، مرجع سابق، ص 1374.

⁽³⁾ - ينظر محمد ياسين عليوي شكري: علم اللغة النصي، أبحاث تطبيقية، مركز الكتاب الأكاديمي، الأردن، (د، ر ط)، 2020م، ص 165.

حاول من خلاله ابن خلدون بثه في السياق الاستعمالي للغة، فيرى له قصد عام وهو القصد الاجتماعي وأما السياق القولي الذي خصه أوستين بمبدأ التفاعل بين المتخاطبين لتحقيق غرض الإنتاجية له قصد خاص يعتمد على مبدأ التعاون وقصد آخر خفي يعتمد على القوة الإنجازية للغة الاستعمالية في سياقها الرمزي في ذات الفعل المقدم إذا فقد حاول وصف الفعل ونقله على أنه يحمل معنى ثابت في ذاته دائماً هو المعنى الظاهر، وذات الفعل يحمل معنى متغير في مضمرة نستخرجه منه في استقرار ثباته وهو المعنى الثاني (معنى المعنى) المضمرة، وهناك معنى آخر عرضي نستخلصه من ذات الفعل وهو المعنى الرمزي المشفر فالفعل في ذاته عند أوستين يحمل ثلاث معاني، ودلالاته تختلف بين الإنجازية والمحقة لمبدأي التفاعل والتعاون.

المبحث الثاني: العلامة التداولية والدلائل النصية.

المطلب الأول: بلاغة الرمز.

أولاً: العلاقات اللغوية.

تحدث سيبويه في القرن الثاني للهجرة في الكتاب عن أسس استقامة الكلام وعبد القاهر الجرجاني في القرن الخامس للهجرة في دلائل الإعجاز عن بناء الخطاب وانسجامه وأطلق الأخير عن هذه الظاهرة اللغوية مصطلح التعليق، وهي مجموع القرائن اللغوية المساندة في تأليف الكلام والمحقة لغرض تواصلية الخطاب شكلاً ومعنى، وهو ما يوازي الربط والارتباط في النسيج النصي للخطاب، حيث يقول: >> معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب بعض <<⁽¹⁾، فالتعليق هو مجموع القرائن اللغوية المصاحبة بعضها للآخرى والحادثة بسبب الأخرى حيث فصل في ذلك عن طرائق التعلق في ثلاث درجات واضحة:

*تعلق اسم باسم: على نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ

هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ سورة النساء، الآية 75، وخصص أحوال لغوية أساسية وأخرى

وظيفية تحل محل اللغوية في العمل وتحقق التعلق في هذه الدرجة من ناحية الحالة النحوية

الأساسية فهي حالة واحدة تعلق الاسم بالاسم ويكون في مواضع مخصصة تبعا للوظيفة الأساسية

⁽¹⁾ - أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (474هـ): دلائل الإعجاز، تع: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، جدة، ج 1، ط 3، 1992م، ص 04.

في لغة الخطاب فنجد⁽¹⁾:

الشكل رقم(03): يوضح الحالة النحوية الأساسية للعلاقات اللغوية المسؤولة عن انتظام الخطاب

⁽¹⁾ - أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني(474هـ): دلائل الإعجاز، تع: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، جدة، ج1، ط3، 1992م، ص04.

عند عبد القاهر الجرجاني.



المرجع: ينظر أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (474هـ): دلائل الإعجاز،

تع: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، جدة، ج1، ط3، 1992م، ص04.

وأما من ناحية الوظيفة التعويضية (الثانوية) فيمكن أن تكون⁽¹⁾:

الشكل رقم (04): يوضح الحالة الوظيفية التعويضية للعلاقات اللغوية في تعلق الاسم بالاسم

والمسؤولة عن انتظام الخطاب عند عبد القاهر الجرجاني.



⁽¹⁾ - ينظر: دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص04.

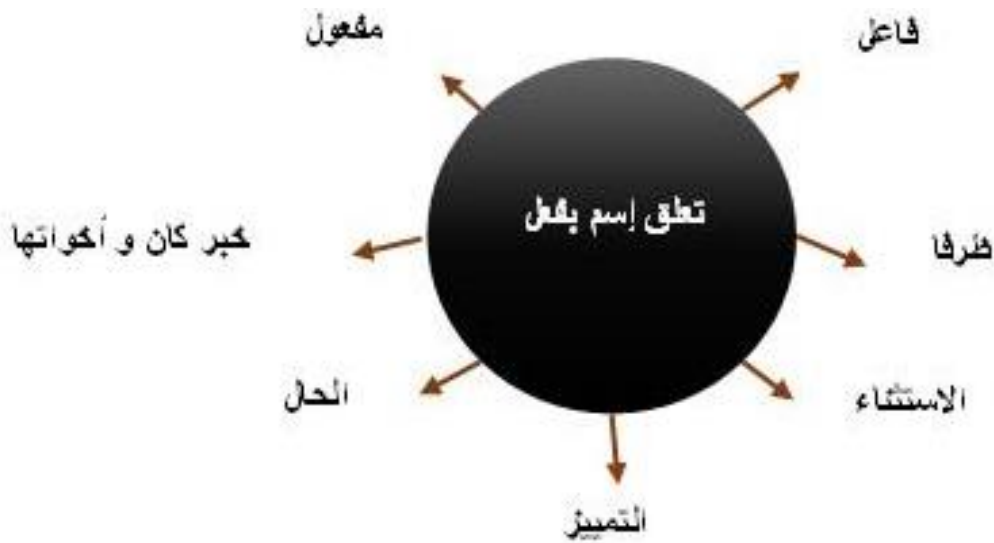
المرجع: ينظر أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني(474هـ): دلائل الإعجاز،

تع: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، جدة، ج1، ط3، 1992م، ص04.

*تعلق اسم بفعل: أما تعلق اسم بفعل فتكون في سبع حالات⁽¹⁾:

الشكل رقم(05): يبين الحالة الوظيفية التعويضية للعلاقات اللغوية في تعلق اسم بفعل

والمسؤولة عن انتظام الخطاب لعبد القاهر الجرجاني.



المرجع: ينظر أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني(474هـ): دلائل الإعجاز،

تع: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، جدة، ج1، ط3، 1992م، ص04.

تعلق الحرف بالاسم والفعل معا: وتعلق الحرف بهما ويخرج سياق العمل اللغوي من حيز

الاسم والفعل والمفعول إلى حيز أضيق بكثير من الحيز اللغوي السابق المسؤولة عن انتظام الكلام

ألا وهو الحرف: وهو أعمق درجة في اللغة وأهم رابط في رسم العلاقات ونسج الكلمات ورصفه

بعضا إلى بعض وهو إلى ذلك أصغر وحدة يمكن أن تؤثر على الكلام بشكل كلي وتأثر على

⁽¹⁾ - ينظر: دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص04.

الخطاب بصفة خاصة، فلولاً الروابط الجزئية لما ترابطت الأفكار وتناسقت وانسجمت ولما تحقق التناسب أو التعلق المشروط الذي تحدث عنه الجرجاني في بلاغته وعده سرا من أسرار التعلق وقد صنفه الجرجاني إلى ثلاثة أنماط موضوعية تأثر في الخطاب أثناء التصاقها بالكلمات ومجاورتها للدلالة، في حين أنها لا تأثر لوحدتها أو إذا كانت بمعزل عن الكلام الملقى، عكس الفعل والاسم، ولهذا عدّها الجرجاني ذات قيمة وظيفية تعويضية يمكن شرحها في النموذج التالي:

جدول رقم(02): يبين الحالة الوظيفية التعويضية في العلاقات اللغوية لتعلق الحرف بالاسم

والفعل في انتظام الخطاب عند عبد القاهر الجرجاني.

التوسط	التعلق	الإسناد
دخول الحرف بين الفعل والاسم	دخول الحرف بما يتعلق به العمل	تعلق الحرف بمجموع الجملة كتعلق النفي و الاستفهام والشرط والجزاء بما يدخل عليه.
<u>مثال ذلك:</u> مررت	<u>مثال ذلك:</u>	<u>مثال ذلك:</u>
بزيت أو على زيد	جاءني زيد وعمرو	ما خرج زيد
<u>وظيفته:</u> الوصل	<u>وظيفته:</u>	ما زيد خارج
في المعنى وتقرير الخبر	المصاحبة والجمع	<u>الوظيفة الأولى:</u> تحمل معنى السببية، فالنفي كحرف لوحد لا يحمل معنى إنجاز الفعل وإنما يحمل عند إسناده إلى الجملة، فالخروج تعلق بزيد و أسند إليه وكان هو السبب المحدث له، أما النفي فقد كان عاملاً مساعداً في تأكيد عدم حدوث الفعل.
		<u>الوظيفة الثانية:</u> تحمل معنى التمييز والفصل

المرجع: ينظر أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني(474هـ): المدخل

في دلائل الإعجاز من إملائه، تح: محمود محمد شاكر، ط3، مطبعة المدني - جدة، 1992م،

كما ميز سيبويه بين محورين هو "محور التزامن (simultanéité) الذي يختص بالجانب التركيبي ويشترط تجرده من القرائن الزمانية، ومحور التعاقب (successivité) ويختص بالمتغيرات التي تطرأ على محور التراكيب"⁽¹⁾، فما جاء به دي سوسير في القرن العشرين ما هو إلا إضافة جديدة ودراسة النقص لبعض الجوانب المنهجية العلمية وللأفكار اللغوية عند العلماء العرب القدامى، ودليل ذلك أن علماء العربية قد كانوا على وعي وفطنة بالعلاقات اللغوية التي سماها دي سوسير بالعلاقات الرأسية والأفقية، ومن أمثال ذلك نجد سيبويه قد تحدث عن العلاقات اللغوية تحت محور المعاقبة وقصد بذلك الاستبدال الرأسي أي العلاقات الرأسية وتبعه في ذلك ابن جني وابن يعيش والزجاجي، ونجد بعض من المفكرين العرب حديثاً يستخدمون التعاقب دلالة على العلاقة الأفقية وخاصة عبد العزيز حمودة يرى أن العلاقة الأفقية تعمل الربط في البنية اللغوية على أساس التعاقب ويرى أن التعاقب هو التتابع والتوالي الأفقي عكس نظرة القدامى الذين استخدموا التعاقب والمعاقبة في الاستبدال الرأسي"⁽²⁾. ويعود هذا الاختلاف إلى محور الاستعمال فنجد العرب القدامى يستعملونه بشكل مخصص فوضع في الاستبدال الرأسي أما الغرب دي سوسير خاصة قد استعمله بشكل معمم فوضعه في الاستبدال الأفقي، كما أن القالب اللغوي للغة العربية عند سيبويه يحتمل استعمال الكلمة في أكثر من موضع وهذه ميزة خاصة باللغة العربية فقط دون غيرها، أما دي سوسير سعى إلى وضع لغة مثالية معممة >>وسبب التسمية(المعاقبة) وهي التتابع والتتالي، حيث تتعاقب الواو والياء في نفس الموضع من الكلمة لدى بيئة لغوية أو

⁽¹⁾ - ينظر فؤاد زكرياء: أفاق الفلسفة، مؤسسة هنداوي، (د)، 2017م، ص235.

⁽²⁾ - ينظر: وحيد الدين طاهر عبد العزيز، مكونات النظرية اللغوية بين الدراسة والتطبيق، (د، ر ط)، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي-جامعة جنوب الوادي-، 2013م، ص18.

أكثر⁽¹⁾، ومن ذلك ما قاله الأصمعي عندما سأل المفضل

عن قول الأعشى:

>>لعمري لمن أمسى من القوم شاخصا لقد نال خيص من غفيرة خائصا⁽²⁾

فكان "الاستبدال الرأسي واقعا بين كلمتي [خيص] و[خائصا] حيث أجاب المفضل الأصمعي أن خائصا هي المبالغة لاسم خيص وقد جاءت على نحو المعاقبة"⁽³⁾. أي على وجه الاستبدال الرأسي والذي يقصد به الصوت الدلالي المتعلق بسياق الكلمة ومعناها.

الدارس للسانيات الحديثة عند دي سوسير سيجد أن مفهوم العلاقات الرأسية والأفقية قد تناولت قبل قرون مضت عند العرب وليست حديثة كما يعتقدونها الكثير من المفكرين والباحثين المعاصرين الذين أغفلوا التراث ولم يهتموا بثنايا طروحاته ولا انشغالاته حيث يتساءل عبد العزيز حمودة في كتابه المرايا المقعرة ويجب في أن واحد حول >> السويسري فردنان دي سوسير الذي لا يختلف اثنان على أنه مؤسس علم اللغويات في العصر الحديث، هل قدم شيئا في نظريته عن اللغويات العامة لم يتطرق إليه بلاغي عربي أو أكثر؟ وإذا أخذنا الفارق الزمني بين القرن الثالث أو حتى السابع هجري وبين القرن العشرين الميلادي، يمكن لنا أن نقول، دون مغالطة أو ادعاء فضل لوجود له، لأنه لو استمر العقل العربي في مساره لكان قد استطاع تطوير نظرية لغوية أكثر علمية وأكثر تركيبية من أي نظريات لغوية بلاغية قدمها القرن العشرون في أوروبا وأمريكا. ثم إنه لو أن العقل العربي في بداية عصر النهضة في أوائل القرن العشرين استطاع، كما فعل العقل

⁽¹⁾ - علي عبد رومي: ظاهرة المعاقبة في اللغة العربية دراسة لغوية، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، ع(3-4)، مج (7)، جامعة القادسية -كلية التربية-، ص118.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص118.

⁽³⁾ - عبد العزيز حمودة: المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية، عالم المعرفة، مطابع الوطن - الكويت، 2001م، ص200.

الغربي في عصر نهضته، أن يتخطى عصور الظلال والانحلال ويعيد الاتصال مع عصره الذهبي، كما حدث مع إنجازات الحضارة اليونانية، لكان العقل العربي قد نجح في تطوير مثل تلك النظرية اللغوية المتكاملة⁽¹⁾، وهذا ما يعيب على العربي الحديث أنه لا يحاول فقه تراثه ولا الاستجداد به قصد النهوض والخروج بنظرية لغوية عربية جديدة خالصة، وكثيرا ما نتسارع إلى الجاهز، ولهذا نجد لسانيات دي سوسير قد لقت رواجاً في العالم الغربي والعربي عكس النظريات والأفكار العربية التي اختفت في وقت ما وكادت أن تندثر، وعند العودة إلى دي سوسير في مقام الخطاب سنجد أنه تحدث عن العلاقات اللغوية وصنفها وفق وظائف مغايرة وبصفة عامة من منطلق الثبات والتغير (التزامن والتعاقب) عكس ما تميزت به تصنيفات العرب القدامى فالمحور الأول خصصه بالعلاقة الرأسية التصريفية، وخصص المحور الثاني بالعلاقة الأفقية التركيبية، وأعطى للأولى سمة السياق والظروف الخارجية (المقام) لتشكيل الخطاب وأعطى للثانية ميزة الروابط الداخلية أو السطحية المناسبة لتشكيل الخطاب (المقال)، أما القدامى العرب فقد درسوا العلاقة اللغوية من محور الصوت الدلالي متضمناً الجوانب الثلاثة المناسبة لبناء الخطاب (المقام) فقد كانوا وظيفيين في هذا المحور يدرسون المعنى بعمق، أما في المحور المقابل فقد خصصوه بالبلاغة الدلالية (المقصدية) الخاصة بمناسبة المقام للمقال والعكس وأهم من ألم بهذا هو عبد القاهر الجرجاني في حد البلاغة والخطاب⁽²⁾؛ أي أنه في حالة اتصال أثناء الانتقال من العام إلى الخاص ومن المطلق إلى المقيد ومن المطلق إلى المقصد فالنص أو الخطاب كلا واحداً وإنما بنائه يتشكل على درجتين: درجة الوظيفة التواصلية (الصوت والتركيب والدلالة والمعجم) والوظيفة

⁽¹⁾ - ينظر محمود سعيد الطريحي: كتاب تلميذ مدرسة سيبويه الأستاذ المتمرس الدكتور محمد كاظم البكاء، (د، ر ط)، أكاديمية الكوفة، موسوعة الموسم، مج: 164، 2022م، ص 256.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص 256-257.

الاتصالية(البلاغة، الجمال، التذوق، القصد)، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن العرب كانوا أصحاب نظرية خطابية قائمة بذاتها لكونهم أهل تخصص وشمول وأن الغرب وخاصة دي سوسير قد وضع اللبانات الأساسية التي تطورت على أساسها نظرية النص فقط حيث نرى أنه قدم مفاهيم أساسية مثل ثنائية اللغة والكلام والادل والمدلول والتي كانت أساسا في تحليل النص، حيث اعتبر اللغة نظاما قائما على العلامات الاجتماعية، بينما الكلام أو ما يوازي الخطاب عنده يعتبر تجسيدا فرديا لنظام اللغة، وهذا ما جعل النظر إلى النص على أنه تجسيد ملموس للبنية اللغوية⁽¹⁾، أما الخطاب لازالوا في مرحلة تطويره من طرف الباحثين الذين جاءوا بعده وذلك لأن دي سوسير لم يركز كثيرا على الخطاب وإنما أعطى اهتماما أكبر للنص المتمثل في البنية اللغوية عنده فنجدته ساوى بين الخطاب والكلام بعدهما استعمالا فرديا للغة بينما ربط الخطاب بلسانيات التلفظ ورأى أن الخطاب هو إنتاج المتكلم، فحاول فهم معنى الخطاب من خلال ربطه بالظروف السياقية والاجتماعية أثناء التواصل والخروج من لسانيات الجملة إلى لسانيات الخطاب⁽²⁾.

مهما بعدت استمداداته عن النص الأصلي ظاهرا إلا أننا نجدهم قد قرب استمدادهم من التراث العربي بشكل مضمّر، حيث نرى مجموعة من الباحثين العرب يتبنون نظريات غربية كالبنوية والتداولية والتوليدية التحويلية لكن عند التعمق فيها نجدهم متأثرين بالتراث العربي القديم وذلك من خلال بعض المصطلحات التراثية كالحذف النصي وقد تحدث عنه عبد القاهر الجرجاني وقضية اللفظ والمعنى كذلك ومسألة الإسناد عند النحاة، ومن ذلك أيضا النحو الوظيفي لتمام حسان في كتابه اللغة العربية معناها ومبناها فلمعرفة معنى اللغة العربية وعلى أي شيء بُنِيَتْ لا

⁽¹⁾ -ينظر علي منصوري: الدراسات اللسانية الحديثة والمعاصرة، جامعة البليدة 2، دروس السنة أولى ماستر، تخصص تعليمية اللغات، 2025/04/16، ص 15-16.

⁽²⁾ -ينظر: المرجع نفسه، ص 49.

بد من الرجوع إلى التراث وضبط مصطلحاته ومساواتها للمفاهيم الحديثة⁽¹⁾ ؛ ولهذا نجد أن محور الإضافة في النظريات العربية قليل لأن القدامى قد حصروا جميع الأوجه والاحتمالات اللغوية على مستوى النص والخطاب معا في وقت مبكر وبأسلوب عميق يستدعي القارئ إلى القراءة وإعادة الإنتاج من زاوية استنطاقه المعنى لبلوغ المقصد، وهذا الإضمار التراثي الذي نراه في أفكار الباحثين العرب المحدثين في نظرياتهم، هو سر القوة والتأثير العميق للتراث العربي ووجوده ينعكس في البنية الفكرية وفي أسلوب الباحث وفي الرؤية العلمية لبلاغة اللغة العربية في تعبيراتها ووظيفتها وخصائصها وصفاتها يظهر من هذا المنبر اللغوي في تحيين التراث بشكل غير مباشر فمهما حاول الباحثين المحدثين استدعاء الحداثة ومحاولة الاتصاف بها بعيدا عن التراث إلا أننا نجد التراث حاضرا في أفكارهم المتبناة وفي تحليلاتهم، عكس لغة الغرب المتمسكة بالبساطة والسطحية ودليل ذلك أن في اللغة العربية عندما بدأ القدامى العرب في تدوينها نراهم قد قسموا هذه اللغة إلى أربعة أقسام منها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر والنثر العربي مركزين في ذلك على الوضع والاستعمال وعلى الشاذ والفصيح وعلى اللفظ والمعنى وعلى الاستشهاد والحجة فلو لا القرآن فما كانت العربية بهذه البلاغة والإعجاز والنظم وهذا ما يميز عمق اللغة العربية وتميزها عن باقي اللغات الأجنبية الأخرى⁽²⁾، ولهذا اتسم أسلوب البحث لدى الغرب بالمباشرة والسطحية لما تتلاءم مع خصائص لغتهم الموضوعية وقصدوا في ذلك فرض المنهجية العلمية من أجل محاولة إثبات الفكرة وضمان الدقة في طرح المعلومة كما هو مشروط في أسلوب البحث العلمي فجاءوا بـ"المنهج البنيوي أو البنيوية"، أما العرب فقد كانوا مدققين ومنهجيين علميين ودقيقين

⁽¹⁾ - ينظر تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء-المغرب، ط1، 1994م، ص49.

⁽²⁾ - ينظر رمضان عبد التواب: فصول في فقه اللغة، مكتبة الخفاجي، القاهرة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ط6، 1420هـ - 1999م، ص97-109.

في طرح المعلومة وموضوعيين وظلوا على الشمول والتوسع تارة والتخصص في مواضع الاختصار والحصص والقصد تارة أخرى، واتصفوا بكونهما مطبقين ومنظرين في آن واحد غير أن أسلوب طرحهم غلب عليه التطبيق أكثر فقد كانوا يطبقون العلمية وأساسياتها دون الحاجة للوقوف عليها وتبيان صيغة البحث عليها وفرض منهجها وشرحها وإعطاء نماذج تصويرية وتوجيهية، وأما الدارس لعملهم وأفكارهم فهو سيفهم تلقائياً مواضع العلمية والصبغة المنهجية في عملهم، عكس الغرب فهم منظرين بالدرجة الأولى ثم يذهبون إلى التطبيق.. لا تحتاج إلى هذا من الخوض في الدراسة ولهذا لجئوا إلى حجة المنهجية من أجل فرض وتقوية آراءهم وتبنيها أما العرب فهم ليسوا بحاجة لنوع من هذه التقوية فهم فاضلين أنفسهم وآرائهم ونظرياتهم ودليل ذلك أنه لا توجد نظرية أو فكرة أو توجه أو مصطلح لغوي حديث إلى وجود نظيره العربي قد تناوله من جميع جوانبه في قرون مضت بوجهيه التطبيقي والتتظيري في آن واحد، ودليل ذلك "أن اللغة العربية علمية في ذاتها ولا تحتاج استمدادها بتصورات نموذجية لأنها تفوقت عليها وأخذت محور الإعجازية ولولا قوتها وجزالتها لما اختارها الله تعالى وأنزل بها الخطاب القرآني وهذا دليل على علمية اللغة العربية في ذاتها ومن أجل ذاتها وفي جميع سياقاتها الاستعمالية والوظيفية"⁽¹⁾، ولهذا ضعفت الإضافة في البحوث اللسانية لكون الجهود العربية القديمة قد غطت على كل الأسئلة المتوقعة والخاصة بالخطاب والنص والمتكلم والسامع لأنهم كانوا على اهتمام كبير به في ذلك الوقت وهو محور الدرس آنذاك لأن القرآن قد كان مشغل عقولهم وقريحتهم فأجادوا في البحث وأصابوا ولم يتوقفوا على حيز العلمية لأنها تتضمنها وتقوم عليها جل أفكارهم وينعكس ذلك في أطروحاتهم وعليه وانطلاقاً من هذه النقطة بنيت النظريات الحديثة الغربية.

⁽¹⁾ - ينظر أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (474هـ): المدخل في دلائل الإعجاز من إملائه، تج: محمود محمد شاكر، ط3، مطبعة المدني- جدة، 1992م، ص 06-07.

وخاصة في عالم النص والخطاب في اللسانيات غير أنهم احتاجوا إلى المنهجية في العمل بحكم اختلاف اللغة عكس العربية المتمسة بالنموذجية والموضوعية تلقائياً.

ويقول عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز: >>الفائدة في معرفة هذا الفرق: أنك إذا عرفت أن ليس الغرض بنظم الكلم، أن توالت ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها، على الوجه الذي اقتضاه العقل<<⁽¹⁾. وهو نفسه ما سمّي في اللسانيات بالدلائل، وعلى حد تصور دي سوسير: >>أن اللغة نظام اجتماعي إلى جملة من الاقتضاءات أبرزها أنّ اللغة نظام من التواصل يندرج ضمن علم أعمّ هو علم السيميائية أي علم الدلائل<<⁽²⁾

ونستنتج من كل هذا ونحدد أن العلاقة اللغوية عند دي سوسير صاحب النظرية البنائية علاقة اعتباطية بينما العلاقة اللغوية في نظر عبد القاهر الجرجاني صاحب نظرية النظم علاقة عضوية، وذلك يقول الجرجاني: "نفترض أن نخلع المعاني من هذه الألفاظ التي هي لغات، دلالتها، لما كان شيء منها أحق بالتقديم من شيء، ولا تصور أن يجب فيها ترتيب ونظم"⁽³⁾، ويختلف عن دي سوسير أن علاقة الدال بالمدلول يرى الأول عضوية لا تخرج عن سياق ونسيج وتركيب خاص بها يتناسب طردياً مع ما يوجد في النفس والعقل معاً بينما دي سوسير فيراها اعتباطية فمتى كانت متداولة ومستعملة ومتنق عليها الجماعة، وهنا نجد أن الجرجاني ركز على النظام النفسي أما دي سوسير ركز على النظام النفسي والاجتماعي، حيث صرح "عبد القاهر

⁽¹⁾ - أبو بكر عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، الخانجي، القاهرة، (د، ر ط)، (د، ت)، ص 49.

⁽²⁾ - علي منصوري: الدراسات اللسانية الحديثة والمعاصرة، جامعة البليدة 2، دروس السنة أولى ماستر، تخصص تعليمية اللغات، 2025/04/16م، ص 15.

⁽³⁾ - ينظر أبو بكر عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، الخانجي، القاهرة، (د، ر ط)، (د، ت)، ص 50.

الجرجاني أن الغرض الأساسي من تعاقب وتوالي الكلم أثناء النطق هو الاتفاق في الدلالة وتناسب الألفاظ الملقاة مع المعاني بالصورة التي تتواجد في العقل، وفي مقابل ذلك يرى دي سوسير أنه لا يوجد كلام إلا وهو في ذهن الأفراد⁽¹⁾. وهنا يظهر أن الجرجاني أقر بعدم كفاية توفر العلاقة الاعتبارية لوحدها فلا بد من أن يتوفر السياق، بينما دي سوسير ربطها بمصطلح المواضعة على أي حال وذلك لأن الأخير كان يريد أن يصل باللسان إلى التصنيف العلمي ضمن العلوم التي تعنى بالوقائع الإنسانية⁽²⁾.

ولهذا نجد كل من عبد القاهر ودي سوسير يختلفان في العلاقة غير أن المبدأ واحد وهو الذهن. وزد عن ذلك أن موضع العلاقة لدى عبد القاهر الجرجاني هي الاتصالية في الدلالة الصوتية وذلك على حسب تعبير الجرجاني فيقول: "وذلك أن نظم الحروف هو تواليها في النطق، وليس نظمها بمقتضى عن معنى،... فلو أن واضع اللغة كان قد قال (ربض) مكان (ضرب) لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد، وأما نظم الكلام فيشترط تقفي في نظمها أثار المعاني، وتربتها على حسب ترتب المعاني في النفس"⁽³⁾، ولهذا كانت نوع العلاقة عنده عضوية بينما موضع العلاقة لدى دي سوسير الفصل بين اللغة المسموعة والفكرة الملقاة صورتها في أذهاننا ولهذا فصل الزمن في محور التزامن عن التركيب وألحقه في محور التعاقب وعليه كانت العلاقة عنده اعتبارية عكس الجرجاني الذي نفى التخلي عن أي قرينة فيجر على ذلك فساد التركيب.

⁽¹⁾ - محمد سيف الإسلام بوفلاقة: العلامة عبد الرحمن الحاج صالح وجهوده في خدمة اللسانيات وعلوم اللغة العربية، ط1، عمان - العبدلي، دار الجنان للنشر والتوزيع، 2023م، ص47.

⁽²⁾ - ينظر محمد كاظم البكاء: تلميذ سيبويه الدكتور، محمد سعيد الطريحي، أكاديمية الكوفة، هولندا، (د، ر ط)، 1443هـ-2022م، ص252-254.

⁽³⁾ - ينظر أبو بكر عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، الخانجي، القاهرة، (د، ر ط)، (د، ت)، ص49-50.

ثم جاء عبد الرحمن الحاج صالح متبنياً الأفكار التراثية عند العرب وناقداً للأفكار الحديثة عند الغرب، وأنتج نظرية عربية حديثة تتواءم مع متطلبات المنهج العلمي وهي النظرية التراثية الخيلية، مراعيًا في ذلك مبادئ التجديد وقواعد القدامى أي أنه كان موازياً في تصميمه منتهجاً أسلوباً علمياً دقيقاً ركز أكثر على المعجم وطرائق وضعه واستعماله بين المتكلم والمتلقي، وتناولت نظريته في الكثير من المجالات اللغوية منها التداولية والحجاجية والعرفانية والعصبية التطبيقية وخاصة في محور التعليمية، وعليه نجد >> المعجم الذي ركز عليه العلامة عبد الرحمن الحاج صالح جهوده هو الوعاء اللغوي الذي تلقى فيه مختلف أنماط الحضارة لأي مجتمع بشري، ودليل معارفه، وخبراته وتجاربته التي مر بها، وهو يعد مركز التقاء كل المعطيات اللغوية ومبادئها وهيكلها، وأساليبها وقيودها مع المحيط الخارجي، أو مع العالم المحيط به، فهو سجل الحضارات ولغاتها<<(1).

ولعلّ عبد الرحمن الحاج صالح في اعتماده على حد المعجم لدراسة اللغة وفقهها رأى أن العناصر اللغوية أساسها المعجم وما يتعلق به من تطورات دلالية على مستوى الصوت أو المفردات أو الكلمات قبل أن يكون أساسها التركيب مثل ما ورد في "مجمع الأمثال ذكر الميداني وآخر في تفسير كلمة الخمش بين الصوت الذي يعبر عن البعوض وبين أثار فعل الخمش ونتيجته وهو من النقل الدلالي على طريقة المجاز"(2)، فيقول: >>الخمش هو الصوت ههنا: الصوت، ومنه

⁽¹⁾ - ينظر نعمان عبد الحميد بوقرة: معالم بحثية في اللسانيات التطبيقية وتطبيقات اللسانيات الموسعة، (د، ر ط)، الأردن، مركز الكتاب الأكاديمي، 2022م، ص 27.

⁽²⁾ - ينظر سارة جبير محمد النائل: التطور الدلالي في معجم المصباح المنير للفيومي (ت770هـ) (دراسة وصفية)، دار قايمة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1441هـ-2020م، ص 240-241.

الخموش لما يُسمع من صوته أو لما يحصل من خدشه⁽¹⁾، وعلى هذا يلمح إلى العلاقة الاتصالية بالمفردات ومواقف التعبير بين المتكلم والسامع وهو الوظيفة ذاتها التي ركز عليها القدامى فيه ويعتبر لآراء المتقدمين قبل أن يأخذ من الغرب، فأغلب العلاقات اللغوية لا تفهم إلا من خلال سياق اتصالي عقلاني قائمة على مبدئين مبدأ تفاعل العناصر اللغوية مع بعضها البعض ومبدأ التغير والثبات والتي تخضع لمجموعة من الآليات الذهنية في صورة الظواهر التداولية للعقل البشري أي التواصل الفعال والحقيقي، ولهذا نرى أن "... علاقة اللغة بالكلام والمدونة الكلامية والاستعمال الفردي والجماعي والكفايات المختلفة والتأدية والبنى العميقة والسطحية والافتراض المسبق والتعاون الحوارية، ومفاهيم عديدة تتصل بعلاقة اللغة بالدماغ وأنواع القواعد والسلوك اللغوي والجماعة اللغوية تعد معالم ضرورية لتحقيق عملية التواصل⁽²⁾.

واستنادا على ذلك نستنتج أن أهم العلاقات اللغوية تظهر أثناء الخطاب على مستويات لغوية متنوعة تعمل على مدارك العقل ودرجة الاستعمال، وأن الثبات والتغير في حقل التواصل وفهم السياق والدلالة هو إمكانية تحرير المجاز وتعجيز الحقيقة أثناء المحاورات بالاعتماد على قواعد عقلية تصويرية وعلى مبادئ المواقف الاتصالية للشخصيات المتحاور (المتكلم-المتلقي)، ومعرفة كفايات كل منهما في استيعاب وتفسير الكلام، من كفاية اجتماعية ونفسية ولغوية وتواصلية ودلالية وتداولية حجاجية وبلاغية. ونلخص علاقة الكفايات التخاطبية بالقواعد العقلية في تحرير المعنى وأساليب انتقاله وترميزه المتداول بين المتكلم والمتلقي في الوصف النموذجي التالي

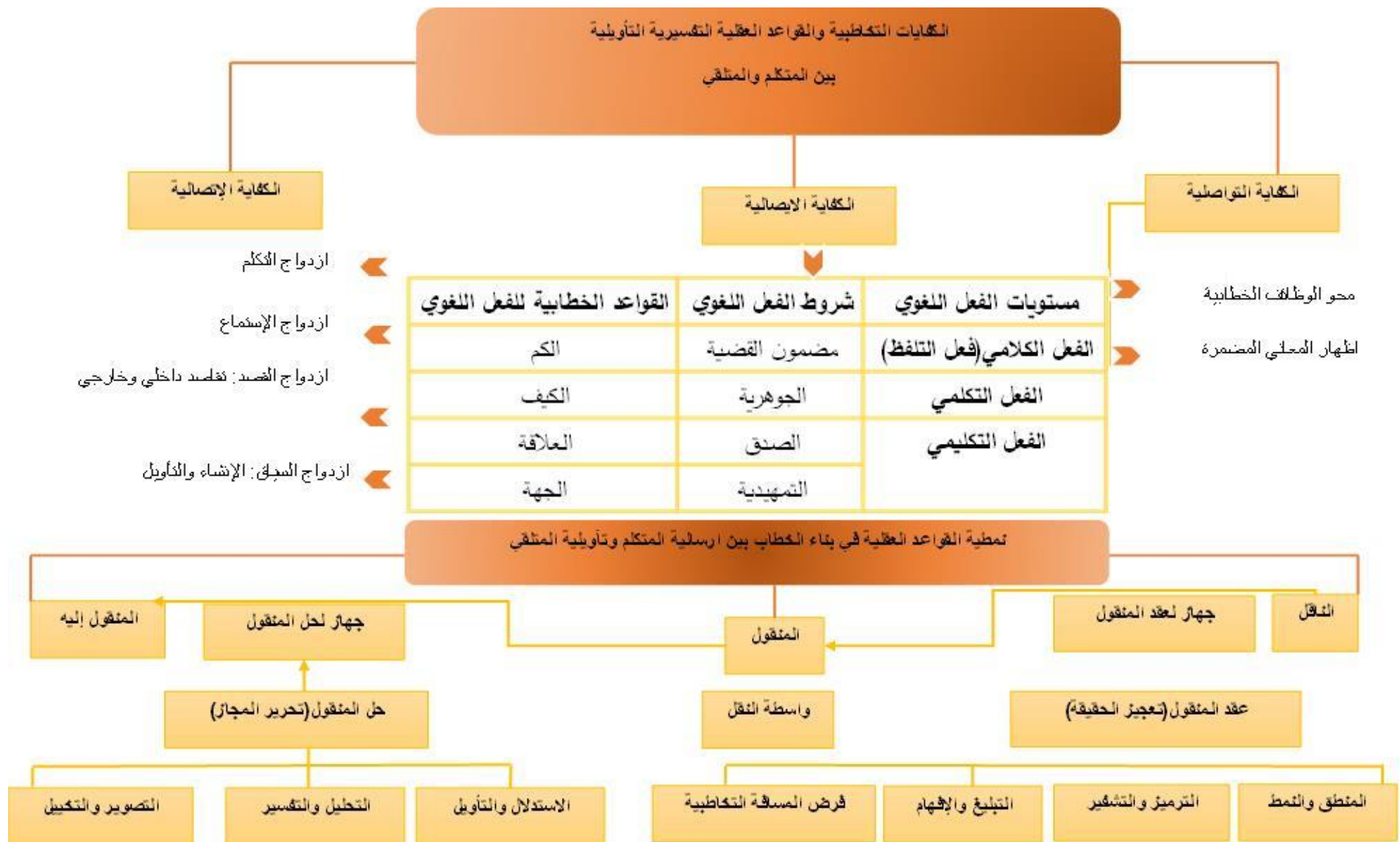
⁽¹⁾ - سارة جبير محمد الناي: التطور الدلالي في معجم المصباح المنير للفيومي (ت770هـ) (دراسة وصفية)، دار قاعدة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1441هـ-2020م، ص239.

⁽²⁾ - ينظر طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998م، ص260-266.

حسب تصنيف طه عبد الرحمن في كتابه اللسان والميزان (التكوثر العقلي):⁽¹⁾

الشكل رقم(06): الكفايات التخاطبية والقواعد العقلية بين إرسالية المتكلم وتأويلية المتلقي.

⁽¹⁾ - ينظر طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998م، ص260-



المرجع: ينظر طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي،

الرباط، ط1، 1998م، ص260-266.

ومن أهم القضايا اللغوية التي اعتنى بها الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في محور الروابط اللغوية لخصها في أربعة قرائن أساسية⁽¹⁾ وهي:

الجدول رقم03: يلخص أنواع القرائن الخطابية ومواقعها النموذجية في الكلام بين التأليف

والنفسير من خلال أعمال اللسانياتي عبد الرحمن الحاج صالح:

أنواع القرائن الخطابية	مواقعها النموذجية
القرينة السياقية	بداية الجمل أو الإحالة
القرينة التركيبية	داخل الجملة الواحدة، دور دلالي محوري
القرينة الدلالية	الجمل المركبة والمعقدة، البنية الحجاجية والتفسيرية
القرينة الصوتية	القصد من المنطوق، التمييز بين الجمل الإنشائية والخبرية
القرينة الإشارية	الإحالة المباشرة داخل الخطاب أو الإشارة إلى عناصر محسوسة
القرينة التداولية	في كل موضع يستلزم تأويلا إضافيا بناء على معرفة الخلفية أو النية

المرجع: ينظر عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، المؤسسة الوطنية

للفنون المطبعية، الرغبة-الجزائر، (د، ط)، 2012م، ص64-76.

ولعل الناظر لهذه القرائن يجدها تتقاطع مع نفس الوظائف اللغوية التي تحدث عنها أحمد

المتوكل في اللسانيات الوظيفية(النحو الوظيفي)، وعلق ياسر آغا في كتابه(نظرية المنحى

الوظيفي عند أحمد المتوكل فصول نظرية ورؤى منهجية)" عن فكر أحمد المتوكل الوظيفي في

⁽¹⁾ - ينظر فريد خلاوي: محاضرات في مادة اللسانيات العربية، الوادي، جامعة الشهيد حمه لخضر، قسم اللغة العربية، 2019م-2020م، ص37-38.

أطروحة التماثل والتمايز البنيوي⁽¹⁾، في تمثل الأطروحة المركزية في النحو الوظيفي في النظرية الموحدة للهدف، التي تُعدّ جهازاً وصفيًا لتحليل التفاعل الخطابي، وميز في العملية التخاطبية بين مستويين أساسيين يُعدّان وحدةً كليةً أثناء التواصل ووحدتان جزئيتان منفصلتان أثناء محاولة الاستقراء والفهم من أجل التحليل وإعادة الإنتاج وهما البنية السطحية والتي نقيس عليها منطقية التركيب والتقلبات الصوتية ورتبة المكونات الظاهرة، والبنية التحتية ونقيس عليها طرائق التواصل وبلاغة التعبير وأساليب التفسير والتأويل ورتبة المكونات المضمرة، واستدل بتصور كل من سايمون ديك "النحو الوظيفي" (1989م) ولايكوف النحو المعرفي (1992م) في تناظر الجمل والحد، وأعمال أحمد المتوكل اللسانيات التداولية أو الوظيفية (1993م) في حد الجملة والنص، وجل هذه الوظائف اللغوية لها منحى تداولي تفاعلي بين (المتكلم والمتلقي) في حيز (النص/الخطاب)⁽²⁾.

ثانياً: النظم/ النظام

إنّ الأساس في النظم والنظام في الخطاب العربي خاصة هو التحدث عن الشكل والمضمون أو اللفظ والمعنى وورد النظم في القرن الثالث والخامس للهجرة مع عبد القاهر الجرجاني (474هـ) لكن زهر مصطلح النظم والبناء عند القدامى بمفاهيم مختلفة مثل: الاستقامة والتلاؤم والسبك⁽³⁾. ومن ثمة الجمع بين المفاهيم الثلاثة بمصطلح "النظم" وعدّه معياراً من هذه المعايير الأساسية في بناء الخطاب إلى أن تطور وأصبح نظرية قائمة بذاتها صالحة لتحليل الخطاب العربي بأدوات

(1) - ينظر ياسر آغا: نظرية المنحى الوظيفي عند أحمد المتوكل فصول نظرية ورؤى منهجية، مركز الكتاب الأكاديمي، دار الوشاح، مصر، (د، ر ط)، 2020م، ص 200-238.

(2) - ينظر العربي طربلي: محاضرات في نظرية النظم، (المحاضرة الرابعة: نظرية النظم عند الإمام عبد القاهر الجرجاني)، الوادي، جامعة حمه لخضر، 2020م-2021م، ص 01.

(3) - أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (474هـ): دلائل الإعجاز، تع: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، جدة، ج 1، ط 3، 1992م، ص 464-467.

عربية ومنهج تراثي خالص موافقا للغة العربية وخصوصياتها ويمكن توضيح المفاهيم الثلاثة المؤسسة لنظرية النظم في النقاط التالية:

***الاستقامة والبناء:** تحدث سيبويه على الاستقامة في الكلام وحدد معيارها في الفصاحة على مستوى أفراد الكلمات في حدود تراكم الألفاظ وجاء عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم تحدث عن الاستقامة بمرتبة البناء على مستوى مجمل الكلمات وحدد معيارها الفصاحة في حدود بناء المعاني وعدم الاختصار على أفراد الكلمات في قوله: >> من يسلم أن الفصاحة ولا تكون في أفراد الكلمات وإنما تكون فيها إذا ضم بعضها إلى بعض ثم لا يعلم أن ذلك يقتضي أن يكون وصفا لها من أجل معانيها لا من أجل أنفسها ومن حيث هي ألفاظ ونطق لسان<<⁽¹⁾، >>لو فرضنا أن تخلو الألفاظ من المعاني، لم يُتصوّر أن يجب فيها نظم وترتيب في غاية القوة والظهور<<⁽²⁾. وقد حدد أساس استقامة الكلام ليس اللفظ فقط بل المعنى وحدود استعماله ومطابقة اللفظ له ولا يظهر ذلك إلا أثناء ضم الكلام بعضه إلى بعض ويقصد ذلك أثناء ضم الكلام لفظه إلى معناه فيقول: >> هذا، وأمر النظم في أنه ليس شيئا غير توحي معاني النحو فيما بين الكلم، وأنك ترتب المعاني، أولا في نفسك، ثم تحذو على ترتيبها الألفاظ في نطقك<<⁽³⁾ فالأصل في الاستقامة والبناء في الكلام أو الخطاب هي توأمة اللفظ والمعنى معا، ومن أجل الكشف عن مقاصد الكلام وتحقيق التأثير في القارئ كما أنه من أسرار القول عند عبد القاهر الجرجاني أنك لا تستطيع التأثير في السامع

(1)-ينظر غدير أحمد بني حمدان: أثر عبد القاهر الجرجاني في الدراسات البلاغية الحديثة، إشراف: إسماعيل أحمد عمارة، رسالة مقدمة لنيل رسالة درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2006م، ص30.

(2)- أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني(474هـ): دلائل الإعجاز، تع: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، جدة، ج1، ط3، 1992م، ص454.

(3)- المرجع نفسه، ص454.

وتتبيها معنى معين حتى يكون مهيناً لإدراكها، ويكون ذا ذوق أثناء التخاطب وقريحه تجعله يكشف عن أوجه المعنى في الجملة⁽¹⁾.

ولعل عبد القاهر الجرجاني من منبره هذا أراد وصل بناء المعنى بالمخاطب أي أنه على علاقه بالمخاطب فقط وعلى المتكلم مراعاة النظم بأدواته النحوية والبلاغية والدلالية أثناء تقديمه للمخاطب ولا يكتفي بذلك فهو يرى أنه متى تم الكشف عن ذهن المخاطب تم سبك المعنى في نظام أو بناء محدد يتلاءم مع خصوصيات السامع أو القارئ.

وهذه المعايير التخاطبية الاستعمالية التي لمَّح لها عبد القاهر الجرجاني في أسرار القول إنما تعد هي من أسرار الخطاب ككل وتختص بالسامع ومؤسسها هو المتكلم، وحلقه التخاطب لدى عبد القاهر الجرجاني يجب أن تتوفر في المتكلم خصائص تطابق خصائص السامع وإلا فإن المعنى يبقى مبهما لدى القارئ ولن يصل إلى تحقيق غاية التواصل حيث نرى أهمية المعنى في تواصلية المتكلم مع المخاطب ومن هنا نجد أن عبد القاهر الجرجاني قد أرسل المعايير الأساسية للتداولية وهي القصدية والسياقية والمتكلم والمتلقي وهذه الدعائم الأساسية التي على إثرها يتم فهم الخطاب وتحقيق التواصل بين الأطراف المتخاطبة حيث يقول: >> ولم أزل منذ خدمت العلم ينظر فيما قاله العلماء في معنى (الفصاحة) و(البلاغة) و(البيان)؛ و(البراعة) وفي بيان المغزى من هذه العبارات، وتفسير المراد بها<<⁽²⁾، وهنا يظهر مدى إدراك الجرجاني في أن هذه المصطلحات ليست فقط صفات أسلوبية بل هي مفاتيح نستمد منها الفهم للبنية العميقة للخطاب، وفي قوله في بيان المغزى من هذه العبارات فهو هنا يوضح العلاقة بين المعنى والاستعمال وذلك أن المعنى

(1) - أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (474هـ): دلائل الإعجاز، تع: محمود محمد شاكر، مطبعة

المدني، جدة، ج1، ط3، 1992م، ص35.

(2) - المرجع نفسه، ص35.

عند الجاحظ يرتكز في النظم أي في طرائق توظيف الكلمات وتناسقها في التركيب مع السياق، وهو نفسه ما تراه التداولية اليوم أن معنى الكلام لا يفهم إلا من سياق الاستعمال، وقدّم في ذلك أمثلة عن أشكال المعنى وسياقه فيقول: >> فأجد بعض ذلك كالرمز والإيماء، والإشارة في خفاء، وبعضه كالتنبيه على مكان الخبيء ليطلب، وموضع الدفين ليبحث عنه فيخرج، وكما يفتح ذلك الطريق إلى المطلوب لتسلكه، وتوضع لك القاعدة لتبنى عليها<<⁽¹⁾. فنرى أنّ الجرجاني قد اهتم بنية المتكلم ومقاصده التواصلية فلا بد أن نعرف نية المتكلم حتى نحدد مغزى الكلمات وهذا ما تنص عليه التداولية اليوم، كما أنّه أعطى للسياق وحسن بيان المتكلم صفة الكفاءة التواصلية فيقول: >> ووجدت المعوّل على أن ههنا نظما وترتبا، وتأليفا وتركيبا، وصياغة وتصويرا ونسجا وتعبيرا وأن سبل هذه المعاني في الكلام الذي هي مجاز فيه، سبيلها في الأشياء التي هي حقيقة فيها وأنه كما يفضل هناك النظم والنظم، والتأليف والتأليف والنسج والنسج والصياغة والصياغة، ثم يعظم الفضل، وتكثر المزية، حتى يفرق الشيء نظيره والمجانس له درجات كثيرة<<⁽²⁾ وتكمن هذه الصفة التواصلية في كفاءة التخيير وجودة التعبير عن المقصود للمتكلم وذلك بربط فهم المعنى بالنظم كدرجة أولى، وكيف يؤثر الكلام في المتلقي كدرجة ثانية، ولا يكون الكلام ذات معنى إلا بتوفر شرط الملاءمة للمقام وهذا مبدأ نظرية الملاءمة في التداولية المعاصرة، فالخطاب عنده لا يتم على مستوى واحد بل يتفاوت فهمه إلى درجات عامة في جانب منها (الخلفية المعرفية والظروف السياقية) وخاصة في جانب آخر (نوعية الأطراف التخاطبية والكفاءة التواصلية).

ويقول في سياق التفاوت: >> وحتى تتفاوت القيم التفاوت الشديد، كذلك يفضل بعض الكلام بعضا، ويتقدم منه الشيء الشيء، ثم يزداد فضله ذلك ويترقى منزلة فوق منزلة ويعلو مرقبا بعد؛

⁽¹⁾ - دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص 35.

⁽²⁾ - المرجع نفسه، ص 35.

مرقب ويستأنف له عليه بعد غاية، حتى تنتهي إلى حيث الأطماع وتحسر الظنون، وتسقط القوى، وتستوي الأقدام في العجز⁽¹⁾، ومن هنا يتضح أن الجرجاني يتحدث عن أن البلاغة ليس قوالب تعبيرية جامدة بل هي تتفاعل مع مقاصد المتكلم وتأثيراتها في المتلقي فيصوّرها في شكل كفاءة بلاغية تواصلية متصاعدة وهذه هي حقيقة البلاغة التداولية حيث تترقى وتتصاعد وتؤثر في المتلقي.

نستنتج أنه قد تحدث عن أهميه المقاصد في بيان المعنى تفسيراً وتأويلاً وتقويلاً؛ ويرمز إلى أغراض بلاغية وأخرى استعمالية تداولية وحدد أساس قوامها الفصاحة والبيان ومبدأها النظم والتأليف وقاعدة بنائها البحث عن الخفي وحدد درجات الكشف عن المعنى متصل بالمتلقي ومنطلقها هو المتكلم ويشترط عليه أن يكون على بينة صحيحة حتى يضمن نظيره وإذا وصل إلى غاية المعنى وانتهاء الكلام يجب أن يقف المتلقي عند استيفاء الكلام بالقصد المطلوب والمعنى المحسوب غاية (بلاغة) وأسلوباً (نحو) وعليه يقول الجرجاني: >>اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ونعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيع عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا يخل شيء منها⁽²⁾، وقد ركز الجرجاني عن القواعد والأصول الأساسية في وضع واستعمال الكلام والحفاظ على قالب الكلمة وطريقة تعبيراتها، من باب النحو وأنه >>لا يقصد من النظم إلا تأليف الكلام وفقاً لأبواب النحو؛ المختلفة⁽³⁾. ولعلّ مبادرته في دراسة النظم، بناءاً وتركيباً ومعناً وسياًقاً وتعليقاً من أهم المعايير النصية والتداولية التي بنيت عليها اللسانيات اليوم معالم الخطاب ومقاصد الكلام واسترسال المتكلم وإدراكية المتلقي

(1) - دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص 35.

(2) - المرجع نفسه، ص 35.

(3) - ينظر عائشة حنان: من نحو القواعد إلى نحو المعاني في نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، مكناس، المؤتمر الدولي للغة العربية وتعليمها، ع 1، 2021م، ص 1560.

*السبك: «أعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه الشك أن لا نظم في الكلمة ولا ترتيب حتى يتعلق بعضها ببعض وتجعل هذه بسبب من تلك، هذا ما لا يجهله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس»⁽¹⁾. والسبك مصطلح نصي قديم استحدثته اللسانيات الحديثة في نظام الخطاب وبنائه، ويعرف >السبك (cohésion) بأنه مصطلح يدل على تعلق كلمات النص بعضها ببعض من أوله إلى آخره أي المكونات التي تجعل النص كلا موحدا متماسكا دالا؛ لا محض سلسلة من الكلمات والجمل غير المترابطة»⁽²⁾.

وقد استعمل عبد القاهر الجرجاني هذا المصطلح من باب حسن التأليف وتقوية الارتباط بين الجمل لفظا؛ وهو يوازي الاتساق الذي يهتم بالبنى الشكلية والنحوية للعمل، فخرج من معيار الوظيفة الظاهرة إلى معيار الوظيفة المضمرة وذلك باتخاذة للنحو صورة أعمق من الصورة المجردة القائمة على قالب قاعدي مجرد، فهو نقل نظام الكلام وأسباب تأليفه إلى علم أوسع يعتمد على النحو من باب المعنى لا من باب اللفظ وحده وأعطى للعلاقات النحوية روحا حية مما يسمح لها أن تتقلب في الدلالة بالمستوى الوظيفي المرغوب فيه وشرط في ذلك شرطين أساسيين هما: الذوق والتركيب» ولعل هذا ما كان يعيب عمل النحويين من سابقه الذين لم يشغلوا أنفسهم بالبحث عن دلالات التراكيب وأبعادها النفسية والجمالية والمعنوية»⁽³⁾.

*التلاحم: وهو التلاؤم والالتصاق وهو انضمام الشيء إلى الشيء أو الكلام إلى بعضه، وعبر عنه

(1) - عبد الوهاب خلف الله أمينة: ثنائية السبك والحبك في الأدب العربي، سبها، مجلة جامعة سبها (العلوم الإنسانية)، مج2، ع1، 2009م، ص48.

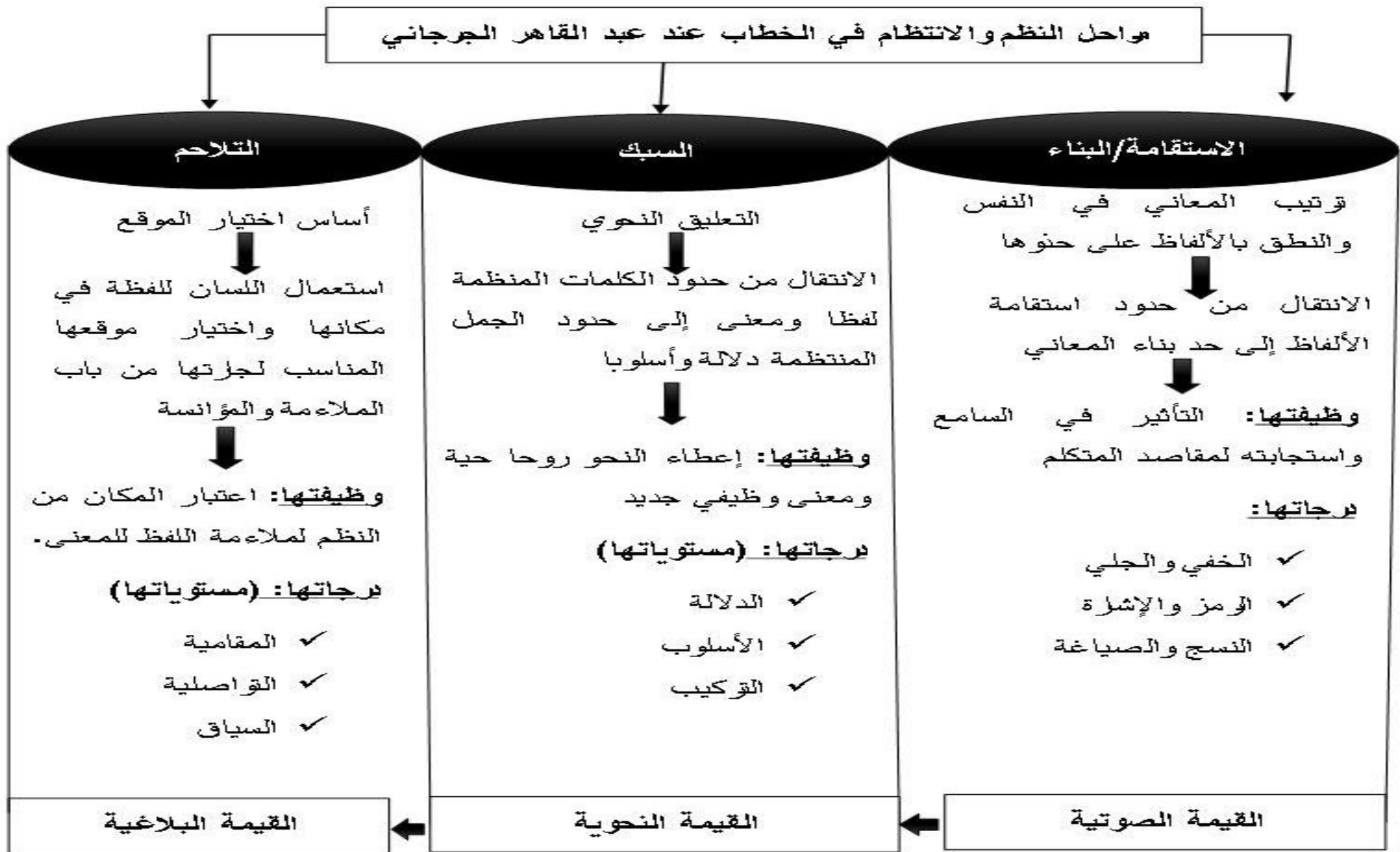
(2) - خليل خلف سويلح: نظم الكلام البياني عند عبد القاهر الجرجاني، شبكة الألوكة، 2023/09/28م، ص نظم الكلام البياني عند عبد القاهر الجرجاني/alukah.net.

(3) - أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني(474هـ): دلائل الإعجاز، تع: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، جدة، ج1، ط3، 1992م، ص44.

عبد القاهر الجرجاني في فن القول بقوله: "وهل يقع في وهم وإن جهد أن تتفاضل الكلمتان المفردتان من غير أن ينظر إلى مكان تقعان فيه من التأليف والنظم بأكثر من أن تكون هذه مألوفة مستعمله وتلك غريبه وحشيه، وأن تكون حروف هذه أخف وامتزاجها أحسن، ومما يجد اللسان أبعد؟ وهل تجد أحدا يقول هذه اللفظة فصيحها إلا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملاءمة؛ معناها لمعنى جارتها وفضل مؤانستها لأخواتها"⁽¹⁾. فقد ربط جرجاني معيار التلاحم باختيار الموقع المناسب للكلام على القيمة البلاغية أثناء تغيير الموقع إلى آخر أو إزالته دون التأثير على النظم ومن هنا يمكن تلخيص مراحل النظم والانتظام لدى عبد القادر الجرجاني في ثلاثة مواضع أساسية:

الشكل رقم(07): يوضح مراحل النظم والانتظام في الخطاب اللغوي عند عبد القاهر الجرجاني.

(1)- دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص44.



المرجع ينظر فريد خلفاوي: محاضرات في مادة اللسانيات العربية، الوادي، جامعة

الشهيد حمه لخضر، قسم اللغة العربية، 2019م-2020م، ص 37-38.

أما في تصور فرناند دي سوسير نجد النظام هو الشكل البنائي للكلام ومنه الخطاب وقد تحدث دي سوسير عن النظام في الكلام وحدد حدوده وأعطى له ميزه الضابط التواصلي للمتكلم ولا بد أن يراعيه ويتقيد به أثناء اختلاطه بالمتلقي ومن ملامح التواصل وفق النظام البنيوي للخطاب نجد:

جدول رقم(03): يوضح الفرق بين النظام البنيوي للمتكلم والنظام التواصلي للمتلقي في

حدي الاستعمال والقصد اللغوي.

تمثالاته	النظام البنيوي	النظام التواصلي
صوره	مادية	اجتماعية
موضوعه	اللغة في محور البناء	اللغة في محور الاستعمال
مبادئه	التركيز على نمط البناء (الشكل)	التركيز على قيمة التواصل (المعنى)
غرضه	ترميز اللغة وإرسالها للمخاطب	دراسة السياق والدلالة وفك شفرات اللغة
حدود التواصل	إرسال القصد	حد التلقي وإعادة الإرسال
	نظام المتكلم	تواصلية المتلقي

المرجع ينظر جوناثان كلر: فرديناند دي سوسير (أصول اللسانيات الحديثة وعلم

العلامات)، تر: عز الدين إسماعيل، مصر، المكتبة الأكاديمية، 2000م، ص 23.

وعلى إثر هذا الفرق قام جوناثان كلر في كتابه فردينان دي سوسير في (أصول اللسانيات

الحديثة وعلم العلامات) بتأكيد القانون البنيوي الذي يبني عليه سوسير نظام الكلام وهو ذات؛

القانون الذي سماه ((شاف (schaff)) بقوانين المعاشية "co-existential" لأن هذه القوانين تركز على كيفية ترتيب الأشياء وفق نظام خاص⁽¹⁾. وهذا القانون الخاص بالمعاشية هو قانون التواصل أو حد التواصلية الاجتماعية (المسافة الاجتماعية) المشروطة في تحليل اللسان والكلام (الخطاب) بين المتكلم والمتلقي.

وينقسم النظام عند أصحاب النظرية البنوية بشكل خاص إلى محور البناء والبنية وقد استعمل دي سوسير مصطلح النسق في مقارنته للنظام اللغوي في الخطاب بمعنى البنية ولم يستخدم مصطلح البنية لفظاً وإنما اختص بالنسق وعرفه على أنه نظام لساني ينطوي تحت استقلال ذاتي يشكل كلا موحداً أي أن هذا النظام ينقسم إلى جزئين جزء خاص بالبناء الداخلي المتمثل في الاستقلال الذاتي وأساسه علاقات التجاور والانسجام والتماسك النصي في حين نجد الجزء الثاني الذي يختص بالبناء الخارجي المتمثل في الكل الموحد وأساسه الدلالة المقصودة⁽²⁾، ولعل هذا ما يثبت لنا أن سوسير أو أصحاب النظرية البنوية قد نظروا إلى النظام أثناء التخاطب مبني على بنية داخلية تقوم على فهم النسق وما اتصل به من علاقات نصية ولغوية أما البنية الخارجية فقد أهملوها باعتبار "الأدب منفصل عن الحياة والمجتمع، وبين هذا الاهتمام (الاعتبار) والإهمال (العزل) هو إثبات لبعض المبادئ النصية الواجب استعمالها في التحليل اللساني البنوي ألا وهي:

*مبدأ النسق: دراسة التركيب وفق نظام محدد باعتباره بنية مغلقة ومتجانسة

*إهمال الخارج: عدم الاعتبار للظروف الخارجية المتعلقة بالسياق أو بالعلاقات اللانصية.

⁽¹⁾ - ينظر جوناثان كلر: فرديناند دي سوسير (أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات)، تر: عز الدين إسماعيل، مصر، المكتبة الأكاديمية، 2000م، ص 23.

⁽²⁾ - ينظر طارق ثابت: النسق الشعري وبنياته: منطلقات التأسيس المعرفي والتوظيف المنهجي، الأردن، مركز الكتاب الأكاديمي، 2018م، ص 17-18.

* **التزامنية:** وهي الاعتبار للآنية وتجاوز الفترة التاريخية في دراسة الظاهرة اللغوية أثناء التحليل، كما أن التاريخ يتعلق بالسياق وبالظروف الخارجة فجعلوه بمعزل عن النص أثناء التحليل.

* **المعالجة الوصفية:** وهي الاهتمام بالظاهر وتجاوز العميق وعدم تفسير النصوص والغوص في دلالاتها أي الاكتفاء بالدلالة السطحية فقط أثناء تحديد الأطراف المتكلمة المنتجة للخطاب اللغوي والمشكلة له.

* **الاستقلالية:** "يعني أن اللغة تدرس ذاتها من أجل ذاتها ضبط الغرض والحد قبل دراسة اللغة.

* **اللسان:** وهو الاعتبار للملفوظ منطوقا كان أو مكتوبا بشرط قبوله للتصور والإدراك بكل موضوعية أثناء التواصل"⁽¹⁾

بينما رأى الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح النظم في الكلام هو تعلق نحوي يشترطه التلازم العقلي وهو "يوافق عبد القاهر الجرجاني في هذا الجانب حيث أقر أن مدار النظم على معاني النحو وعلى التمايزات اللغوية"⁽²⁾. وأساس هذه التمايزات قائم على علاقات وضعية (منطقية) توحى إلى قيمة النظم وأغراضه الخطابية وتشتد ثلاث مستويات تلفظية:

* **الدلالة** وشرطها الاختصاص ويتضح ذلك في تعريف الجرجاني لعلم اللسان فيقول: >> "علم اللسان في الجملة ضربان: أحدهما، حفظ الألفاظ الدالة عند أمة ما، وعلم ما يدل عليه شيء منها، والثاني علم قوانين تلك الألفاظ والقوانين في كل صناعة: أقاويل كلية، أي جامعة، ينحصر في كل منها أشياء كثيرة مما تشتمل عليه الصناعة، حتى يأتي على جميع الأشياء التي هي موضوعة للصناعة

⁽¹⁾ - ينظر خالد حوير شمس: اللسانيات البينية، عمان - الأردن، مركز الكتاب الأكاديمي، 2022م، ص 39-41.

⁽²⁾ - ينظر عبد الرحمن الحاج صالح: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال، سلسلة علوم اللسان عند العرب، حلقة عبد الرحمن الحاج صالح اللسانية-جامعة الجلفة-طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية- الجزائر، 2012م، ص 123.

أو على أكثرها⁽¹⁾. وهذا يدل على أن الدلالة هي أشمل في الخطاب من اللفظ والمعنى لكونها تحتويهما، لكن ملمح الاختصاص يتموضع في أن معرفة دلالة اللفظ في لسان ما مع معرفة قوانينه التي تخول له صناعة الخطاب، فلكل قول صناعة خاصة تُمَوِّضُهُ في حقله الدلالي الخاص به.

* التركيب وشرطه التعلق والتتابع: حيث يقول عبدالرحمن الحاج صالح: «اللفظ والمعنى الموضوع له مقيدان في التخاطب بالحالة الخطابية التي يتخاطبان فيها وخاصة المعنى، فهو ما قصده بالفعل المتكلم في تلك الحالة ويُدرّكه المخاطب بفضل ما يقترن به الخطاب من القرائن من <الحال المشاهدة> و<تقدم الذكر> و<علم المخاطب>»⁽²⁾، ونفسر هذا بأن التركيب يختص بنظم ورصف الكلام بعضه جوار بعض والتعلق والتتابع في القرائن المقيدة لهذا النظم داخل الخطاب، فمتى كان هناك سياق ووظيفة واستعمال توجب فيه توفر مجموعة من القرائن المحيلة إليها والعاملة في هذا الخطاب لفظاً ومعنى.

* البلاغة وشرطها الإفادة والإبلاغ: ولخصها في أفعال المتكلم بين الخبر كفعل عام للمتكلم والإنشاء كفعل خاص له أغراض معيّنة يعبر عنها المتكلم بصور مختلفة وربطها ب: التبليغ واللزوم ويقول في ذلك: «يعدّ تبليغ المتكلم المخاطب بغرضه إفادة ويتم عبر صور بيانية داعمة للمعنى المراد إيصاله، فتجده يُدخل في ذلك المجاز والكناية والتعريض وهي الطرائق التي يرجع فيها لزوماً إلى الدلالة العقلية، ومع ذلك فتبقى قائمة مفتوحة بسبب ما يبتدعه المتكلم من المجازات

⁽¹⁾ -عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، (د، ر ط)، 2012م، ص83.

⁽²⁾ -عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغبة-الجزائر، (د، ر ط)، 2012م، ص244.

والاستعارات الجديدة، قابلة للتأثير في الآخر والإقبال عليها بكونها إبداعاً جديداً⁽¹⁾، ولهذا فحقيقة البلاغة أنها تعتمد على صور عقلية ملزمة بسياق وظيفي معين يحمل خبر أو إنشاء في تبليغه ويحمل معنى وإنتاجاً بلاغياً جديداً في إفادته.

وهذه المفاهيم هي أساليب استعمالية للمواضع التخاطبية الموسعة للمعنى والمحددة لمواقع ورتبة الكلام وأن المتكلم هو المحدد للغرض حسب ما يقتضيه النحو في الوضع اللفظي وأما ما يقتضيه العقل فبعد لازمة معنوية يقول في هذا «لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب (من حدود النحو) وفروقه: زيد منطلق وزيد ينطلق وينطلق زيد ومنطلق زيد والمنطلق زيد وفي الشرط والجزاء..... وفي الحال وغيرها فيتعرف لكل ذلك موضعه... ويتصرف في التعريف والتكثير والتقديم والتأخير...»⁽²⁾. وهذه التمايزات تختلف بين ما يقتضيه العقل وما يقتضيه النحو لدى المتكلم أثناء نظمه للخطاب فنجد:

جدول رقم (04): يمثل التمايزات العقلية والنحوية ومواقعها في نظام المتكلم اللساني

⁽¹⁾ - ينظر عبد الرحمن الحاج صالح: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال، سلسلة علوم اللسان عند العرب، حلقة عبد الرحمن الحاج صالح اللسانية-جامعة الجلفة-طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية- الجزائر، 2012م، ص174.

⁽²⁾ - ينظر عبد الرحمن الحاج صالح: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال، سلسلة علوم اللسان عند العرب، حلقة عبد الرحمن الحاج صالح اللسانية-جامعة الجلفة-طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية- الجزائر، 2012م، ص123.

التمايزات العقلية	موضعها	التمايزات النحوية	موضعها
الحذف	التقدير والترجيح	التذكير والتعريف	الإهمال والإعمال
الشرط والجزاء	التلازم والسببية	المسند والمسند إليه	التخصيص والتعيين
الحال	الاقتضاء	التقديم والتأخير	الرتبة والإخبار

المرجع: ينظر عبد الرحمن الحاج صالح: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال،

سلسلة علوم اللسان عند العرب، حلقة عبد الرحمن الحاج صالح اللسانية-جامعة الجلفة-طبع

بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغبة- الجزائر، 2012م، ص123.

قد رجح عبد الرحمن الحاج صالح فكر عبد القاهر الجرجاني في قضية الإفادة في التركيب وصرح أن لعبد القاهر الجرجاني فضلا عظيما في البحث الدقيق الذي لم يسبقه إليه أحد⁽¹⁾، غير أنه ذكر محاولات النحاة وعلماء اللغة والكلام الآخرين وشكر جهودهم في الوضع النحوي أمثال الحسين الرماني صاحب كتاب النكت في الإعجاز القرآني وقد اختص بالتركيب من الناحية الصرفية للمعنى وسيبويه وتصور الخليل في الجانب النحوي اللغوي والمعجمي وعبد القاهر الجرجاني في الجانب التركيبي والدلالي والبلاغي ويظهر ذلك خاصة عندما ضبط تمييز عبد القاهر الجرجاني بين مصطلح واضع اللغة (الفرد) وواضع الكلام (المتكلم) فوضع الواضع الأول يعني تخصيص اللفظ للمعنى وأخص من ذلك هو نظام اللغة ووضع الكلام هو إنشاء وإبداع عقلي في نظم المعنى والدلالة كما أن المتكلم يتوصل بدلالة المعنى على المعنى إلى فوائد لو أنه أراد الدلالة عليها باللفظ لأحتاج إلى لفظ كثير وهذا الاحتياج هو إنشاء وليس إبداع إنما الإبداع هو في

⁽¹⁾ - ينظر: الخطاب والتخاطب، مرجع سابق، ص125.

الاختصاص والاقتصار مع تحقيق الإفادة في الأذهان كما حدثت تناسقها في اللسان⁽¹⁾.

ثالثاً: العلامة (الرمزية)

يقول بيفون: «كل الأشياء هي خارجة عن ذات الإنسان، أما الأسلوب فهو الإنسان عينه، لذلك تعذر انتزاعه أو تحويله أو سلخه»⁽²⁾.

ولهذا نجد أن الإنسان يرمز ويعبر عن مكنوناته بألفاظ وإشارات مختلفة تسمى بالعلامة اللغوية ومفادها توقع بلاغة التعبير وأبعادها المقصدية من خلال الترميزات الملقاة فيلزم على المتلقي فك شفرات الكلام حتى يستطيع التواصل مع المتكلم والكشف عن مقاصده؛ ولهذا يكتسب المتكلم سلطة الخطاب من خلال ترميزه للكلام المراد استعماله وسلطته على المتلقي بحكم جعله يسعى إلى الكشف عن الخفي ويظهره ولإتمام عملية تواصله والتوقف عند فك رمزية المتكلم.

ويقع الفرق في وظيفة المتكلم بين نظام العلامة ونظام النظم اختلافاً كبيراً وهنا يفضل علم التداولية المزج بين علم العلامات مع علم التركيب لإنتاج علم البلاغة المقصدية، والتي تقوم على سلطة المتكلم للمتلقي في فهم مضمون الخطاب وهو يوازي علم التداولية ومباحثها في اللسانيات الحديثة ومثال ذلك ما قاله عبد القاهر الجرجاني «في باب البيان في شأن الكناية والاستعارة والتمثيل، فالكلام على ضربين:

* **الضرب الأول:** ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلاً بالخروج على الحقيقة فقلت: خرج زيد، وبالإطلاق عن عمرو فقلت عمرو منطلق.

* **الضرب الثاني:** ضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ

(1) - ينظر: الخطاب والتخاطب، مرجع سابق، ص 127.

(2) - ابتسام حمدان: علاقة الكلام بالمتكلم في الدرس البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، مجلة اللغة العربية، دمشق، ع 84، مج 4، 2009م، ص 1087.

على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض⁽¹⁾. "ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل قد مضت الأمثلة فيها مشروحة مستقصات أو لا ترى أنك إذا قلت: هو كثير رماد القدر للدلالة على الكرم والضيافة أو قلت طويلاً نجادي للدلالة على القامة أو قلت في المرأة نؤوم الضحى للدلالة على الترف والعز"⁽²⁾. وعليه فكل لفظ دلالة ثانية تقي بالغرض المراد التعبير عنه.

وقد عبر عن السامع فلا بد له من استخراج المعنى المقصود للمعنى الظاهر الأولي فهو مجرد صورة تغطي المضمير المطلوب كشفه، وحدود العلامة عند عبد القاهر الجرجاني هي من أجل الاختصار للوصول إلى معنى المعنى. ويعبر عن المعنى بأنه "المفهوم من ظاهر اللفظ ونصل إليه بدون واسطة ومعنى المعنى هو أن تعقل من اللفظ معنى تصل بعده إلى معنى آخر غير الظاهر وهذا هو أساس الرمز"⁽³⁾.

ويظهر أكثر في تمثيل عبد القاهر الجرجاني في كون الألفاظ زينة المعاني حيث يقول: "فإذا رأيتهم يجعلون من المعاني كعمل الجوّاري ويجعلون من الألفاظ كموقع المعارض لها؛... فأعلم أنهم يفخمون من شأن اللفظ، ويجعلون المعنى ينبل به ويشرف"⁽⁴⁾.

وذلك إن دل فإنه يدل على رمزية اللفظ في الكشف عن المعنى لأن المعنى المقصود ثابت ولا يزداد وإنما الألفاظ هي التي تتزايد وتتناقص فكلما زادت الألفاظ غمض المعنى، وذهب المتكلم بالمقصود بعيداً عن المتلقي ليتكفل المتلقي بإبعاد كل الألفاظ السطحية وكلما أجاد في إزاله الألفاظ

⁽¹⁾ - أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (474هـ): دلائل الإعجاز، تع: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، جدة، ج1، ط3، 1992م، ص262.

⁽²⁾ - المرجع نفسه، ص262.

⁽³⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص263.

⁽⁴⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص263.

مع الحفاظ على معناها الظاهري أجاد في الاختصار ومنه حدث تناقص في الألفاظ وكلما نقصت فيه عن طريق معنى المعنى فكنى وعرض ومثل واستعار ثم أحسن في ذلك كله وأصاب ووضع كل شيء منه في موضعه وأصاب به شاكلته، وعمد فيما كنى به، وشبه ومثل لما حسنا مأخذه الألفاظ قرب إلى معنى المعنى ولهذا يقول: >> فأعلم أنهم يصفون كلاما قد أعطاك المتكلم أغراضه ودق مسلكه، وطيب إشارته وإن المعرض وما في معناه، ليس هو اللفظ المنطوق به، ولكن معنى اللفظ الذي دلت به على المعنى الثاني <<(1).

وهنا وضح عبد القاهر الجرجاني أشكال الرمز اللغوي في الوجه البلاغي وسلطة المتكلم في فرض المعنى وتلقائية المتلقي في الكشف عن معنى المعنى؛ وتمثلت أشكال العلامة اللغوية في الجانب البلاغي: في أوجه الكناية والتشبيه والاستعارة والقصدية، وضرب مثال في معنى المعنى ورمزية القول في قوله: >> فاني جبان الكلب مهزول الفصيل <<(2).

وينقسم هذا المثال إلى معنى ظاهر وآخر مضمّر وهو معنى المعنى ويتفرع إلى: المعنى الظاهري الذي يظهر كناية عن الغلبة في الأمر والمعنى المضمّر الذي هو كناية عن أنه مضياف وكريم ومتواضع(3). وقد تعلق مبحث الرمز عند دي سوسير بمبحث الدلالات اللفظية حيث عبر عن الرمز بمصطلح "الدال عنده ويعرف الدلالة اللغوية بأنها لا تربط بين شيء واسم، وإنما تجمع بين مفهوم وصورة سمعية، وهذه الصورة الصوتية عبارة عن بصمة نفسية لهذا الصوت"(4) فربط دي سوسير الجانب الصوتي بالجانب النفسي أو الأثر الذي يحدثه ذلك الصوت في النفس وهو نفسه

⁽¹⁾ - ينظر: دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص 263.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص 263.

⁽³⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص 264.

⁽⁴⁾ - ينظر ماري آن بافوج وإيسرافاتي: النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، تر: محمد الراضي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2012م، ص 117-118.

ما عبر عنه عبد القاهر الجرجاني بقوله: "توحي معاني النحو في النفس"⁽¹⁾.

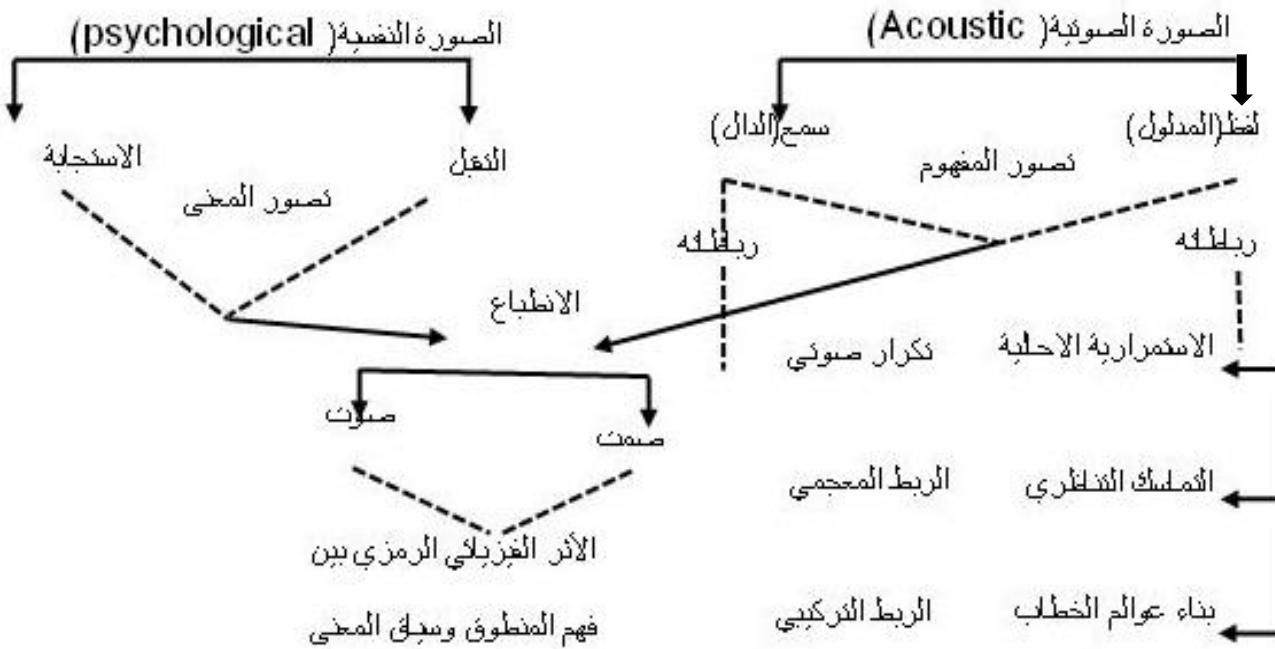
وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على معيار التقبل والاستجابة المعنوية-العقلية- للخطاب-أساسه الكلام-مردّه الأول والأخير إلى النفس فكل منطوق يأتي في صورة لفظية مترتبة يتبعه مجموعة من الانفعالات والسلوكيات المترجمة لردود الفعل الذي تحدثه النفس أثناء تقبلها وعدم تقبلها لتلك الصورة الصوتية، فينتج الانطباع على ذلك شيء بالصمت أو بالكلام" فالدلالة اللغوية عنده تعد كيانا نفسيا مرزما بالصورة الصوتية"⁽²⁾، ونوضح هذا المكون النفسي الصوتي الفيزيائي (psychoacoustic-physical) بتلخيصه في القالب التالي:

⁽¹⁾ - ينظر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي: دلائل الإعجاز، تع: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، (د، ر ط)، 2008م، ص 80-83.

⁽²⁾ - ينظر رشيد الأركو، الدلالة اللغوية اعتباطيتها وقيمتها عند دي سوسير (مقال إلكتروني)، شبكة الألوكة، 2017م، زيارة الموقع: 2023/11/24م، على الساعة: 10:08 صباحاً، ص

الشكل رقم(08): يوضح البصمة النفسية للمكون الصوتي اللغوي وأثرها الفيزيائي على سياق

المعنى في بناء الخطاب عند دي سوسير.



المرجع: فكرة ملخصة من رشيد الأركو، الدلالة اللغوية اعتباراتها وقيمتها عند دي

سوسير(مقال إلكتروني)، شبكة الألوكة، 2017م، زيارة الموقع: 2023/11/24م، على

الساعة: 10:08 صباحاً، ص https://www.alukah.net/literature_language/

يتجذر المعنى في صورة داخلية وأخرى خارجية، ولكل منهما أثرها الفيزيائي في السياق، وكما أننا نجد الصورة الداخلية للمعنى تتمحور في الانطباع النفسي الحاصل نتيجة ثنائية التقبل والاستجابة فمتى كان التقبل لتصور المعنى مندمجا في النفس كان معيار التقبل والاستجابة مرتفع أو إيجابي وإذا كان منفصلا عن السياق كان معيار هذه الثنائية النفسية سلبيا أو منخفض، مما يؤثر هذا على الحالة التواصلية بين المتخاطبين، ويتشكل عن هذا الانطباع إما صمت وإما صوت على حسب التراسل الحاصل بين المعنى الصوتي والمعنى النفسي، فلهذا نجد الصورة الصوتية للمعنى تتمحور في ثنائية الدال والممدول ولكل رباطاته السياقية الخاصة به، فمن رباطات الممدول

السياقية نجده يتلخص في الاستمرارية الإحالية، التماسك التناظري، بناء عوالم الخطاب، أما رباطات الدال نجده يتمحور في التكرار الصوتي، الربط المعجمي، الربط التركيبي، والعلاقة بين الدال والمدلول علاقة اعتباطية بينما بين التقبل والاستجابة علاقة نصية، ولهذا نجد الأولى تعتمد على تصور المفهوم بينما الثانية تعتمد على تصور المعنى، ويتوازي كل من الصورتين الصوتية والنفسية في الانطباع الذي ينتج عنه أثر فيزيائي رمزي يصل بين المنطوق وسياق المعنى ويدعم معنى المعنى في عالم الخطاب النصي.

وعبر دي سوسير عن العلامة أو الرمز بتعبير مجرد وهو لا مادي واصطلاح عليه البصمة النفسية والتي هي موجودة في الدماغ -مبحث اللغة- أي نظريته للعلامة أو الرمز من جانب جوهري في موازاته بين الدلالة العقلية والدلالة الوضعية من جهة وبين الأثر الصوتي في النفس المتعلق بدرجة الذوق والتقبل من جهة أخرى وعليه يمكن تلخيص تصور دي سوسير للرمز وحقله الدلالية في النقاط التالية⁽¹⁾:

*** التمثيل:** عبر كذلك عن الدلالة والواقع وأنها يعدان حقلان مختلفان لا ينتميان إلى بعضهما البعض، ولذلك فهم غير متماثلان عكس التطور الكلاسيكي لسانان أوغسطين وبوررويال الذي يقر بأن الدلالة متماثلة للفكرة ونفس الأمر مع مشكلة اللغة والعالم: فكون "أ" يمثل "ب" عند رويال فليس شرط أن تكون بدورها تماثل "أ" فعلاقة التمثيل بينهما علاقه لا تناظر غير أن دي سوسير⁽²⁾، لم يعترف بقضية التمثيل بين الدلالة والفكرة وإنما جمع بينهما بعلاقة الترابط وهو مصطلح خاص بالنظرية البنائية التي بنى عليها سوسير حججه، وأقصر العلاقة في الترابط هي علاقة تبادل

⁽¹⁾ - ينظر ماري آن بافو وجورج إلياسرفاتي: النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، تر: محمد الراضي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2012م، ص119.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص119.

بكون "أ" مرتبط بـ "ب" فإن "ب" مرتبطة بـ "أ" والدلالة لا تمثل المدلول وإنما هي مرتبطة به، والمدلول مرتبط بالمدال في الوقت نفسه وإذا كان هناك ما يستدعي تمثيل المدلول فهو الدال في شموليته أي كليته كما أن علاقه الدال مع المدلول عليه ليست لها أهمية لدى دي سوسير حيث اقترح نموذجاً للدلالة بعيداً عن نظرية التمثيل فعبر من خلالها عن الدلالة بكونها قالب ثابت لا يستطيع المتكلم التمحور فيها حسب إرادته بل هو متقيد بنسيج دلالي أثناء التعبير أو التواصل⁽¹⁾.

***الانفلات الدلالي:** يقول دي سوسير: "إن الدلالة اللغوية تتفقت من إرادتنا، لا يستطيع الفرد اختيار الدوال، فهو يرثها في ثباتها، ويتحدث دي سوسير على ثبات الدلالة *immutabilité du signe*"⁽²⁾، فإذا كان التمثيل قائم على اللاتناظر عند أوغسطين وبوررويال أصحاب النظرية الكلاسيكية فإن التمثيل لا وجود له في النظرية البنوية عند دي سوسير وأن الرمز اللغوي عند دي سوسير ما هو إلا ترابط بين الدليل والدال والمدلول؛ وهذه الثلاثية هي من تثبت صحة الدلالة وترفع التعقيد عن النسق النصي كما أن عجز المتكلم عن توليد الدلالات وارتباطه بقالب كلامي واحد جامد لا يلتبس الظروف (السياق الخارجي/ الواقع الخارجي) وتمثيله بأنه خزان من الدوال اللغوية ثابت ومحصور في حقبة ما غير أنه هذا الحصر ليس معياراً ثابتاً والدليل على ذلك عندما تعرض هذا الخزان إلى تغير وذلك بحكم تطور الدلالة الزمنية فقد خزان الدوال ثباته فعلى سوسير هذا النوع من الانفلات الدلالي بالانزياح مراعيًا في ذلك الظرف الزمني الذي زرع ثبات الدلالة داخل خزان الدوال⁽³⁾، وهنا يثبت أن الدلالة ليست ثابتة وأن خزان الدوال لا يمكن حصره ولا تقيده بفترة زمنية معينة بشكل استمراري وقد اصطلح على هذا النوع من الانزياح بالاعتباطية الغير معللة

⁽¹⁾ -ينظر: النظريات اللسانية، مرجع سابق، ص 119.

⁽²⁾ -ينظر: المرجع نفسه، ص 120.

⁽³⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص 121.

حيث قال «إن الرابط الجامع بين الدال والمدلول اعتباري»⁽¹⁾.

وقد وضع دي سوسير العلاقة الاعتبارية بأنها لا تعني الاختيار الحر للدوال اللغوية من طرف المتكلم وإنما تكمن في علاقة المدلول الذي لا تربطه أي علاقة مع الدال في الواقع⁽²⁾ وهنا ففي علاقة التبادل بين الدال والمدلول والإبقاء على علاقة الاعتبار الغير معللة كما أنه أشار إلى الاختلاف الحاصل بين الدليل والرمز (symbole) حيث يرى «أن الدليل يختلف عن الرمز لأن الرمز (symbole) يحتوي على بقايا صلة طبيعية بين الدال والمدلول»⁽³⁾ ويقصد بالبقايا هي علاقه التماثل التي لا توجد في الدليل ويبرهن أن فكرة «أخت» في العربية تختلف عن «soeur» في اللغة الفرنسية وقال بأنه لا يوجد صلة بين اللفظ من لغة إلى أخرى⁽⁴⁾.

فهو هنا يتحدث عن الصوت اللغوي المختلف البيئة فبطبيعة الحال الصورة الصوتية للفظ تختلف بين لغة وأخرى بحكم اختلاف أبجدية كل لغة وهذا لا يعد دليلاً لاختلاف الرمز عن الدليل فالرمز للفظ «أخت» في العربية يقابله توازي ترتيب الصوت المنطوق مع استحضار صورة المدلول للفظ «الأخت» في نفس اللغة، في حين يعتبر للفظ الحمامة رمزا للسلام وليس الباز أو النسر فهو هنا أراد التعيين والتخصيص مثل ما يطلق على لفظ «الأخت» في الجانب الصوتي وربطه بالجانب النفسي فهو يرمز لصورة الأخت المخصوصة بالذكر وفي حال ما إذا أردنا إطلاقها بشكل عالمي نقول رمزا للأمان والوفاء في جميع اللغات مثل ما كانت الحمامة رمزا للسلام بجميع اللغات، فالأمر جعل دي سوسير يميز بين الدليل والرمز هو الجانب الذي فسر به الدلالة اللغوية فالدليل فسر من ناحية اللفظ واختلاف الصورة الصوتية أثناء النطق فقط والرمز فسر من ناحية المعنى

⁽¹⁾ -النظريات اللسانية، مرجع سابق، ص 121.

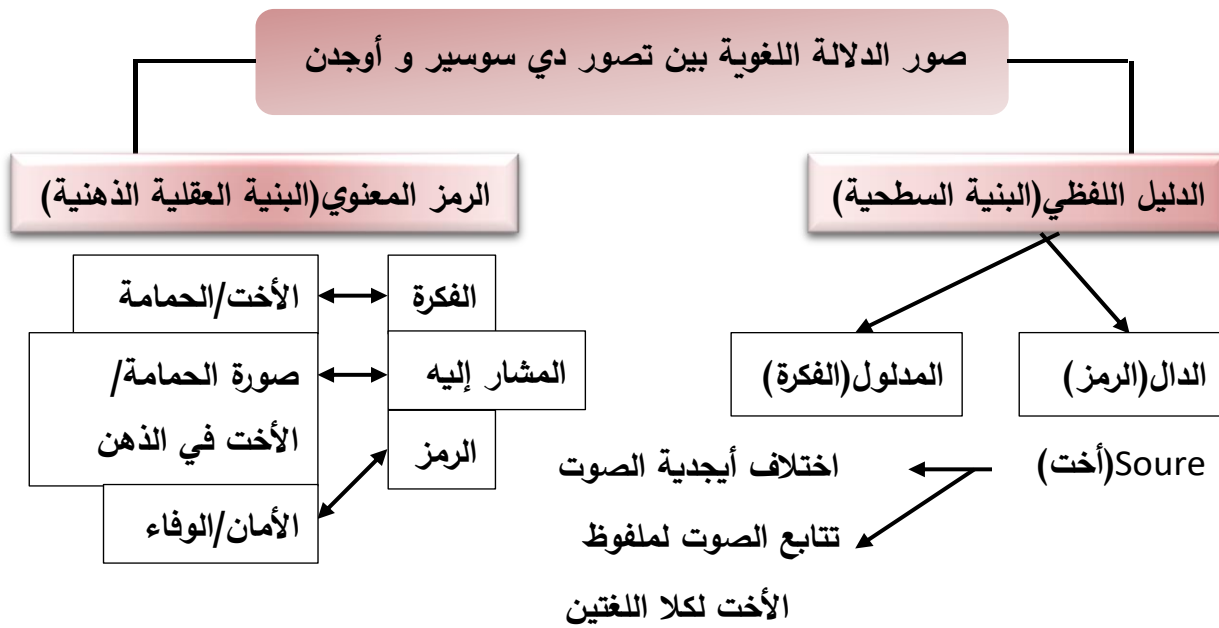
⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص 122.

⁽³⁾ - ينظر محمود عكاشة: الدلالة اللفظية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د، ر ط)، 2004م، ص 30.

⁽⁴⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص 30.

وما يؤول إليه أثناء الترميز ولهذا نستنتج أن العلاقة الاعتبارية في الاختلاف الغير معلل التي عبرت عن فكر دي سوسير هي علاقه اللفظ بالصورة الصوتية، وعلاقة التماثل المعللة التي عبرت عن فكرة دي سوسير هي علاقة المعنى الجامعة بين الدال(الصورة السمعية)⁽¹⁾. والمدلول(الصورة الذهنية) ويمكن تلخيص النموذج اللغوي بين الدليل والرمز عند دي سوسير وأوجدن ريتشارد في المخطط التالي:⁽²⁾

الشكل رقم(09): يمثل نمطية الدلالة اللغوية أثناء الاستعمال وتحولاتها الرمزية في الفكر التأويلي.



المرجع: ينظر محمود عكاشة: الدلالة اللفظية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د، ط)،

2004م، ص30.

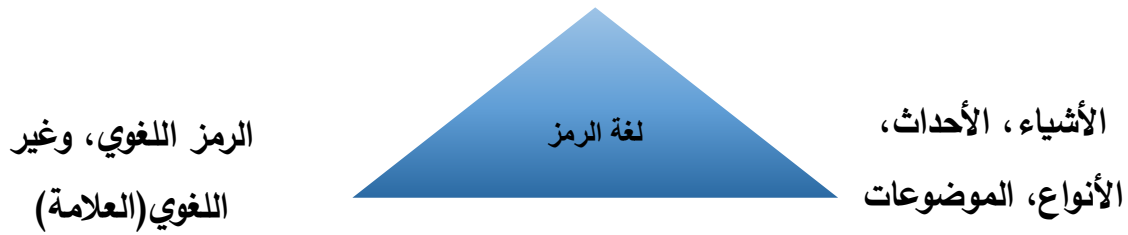
⁽¹⁾ -ينظر ماري آن بافو وجورج إلياسرفاتي: النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، تر: محمد الراضي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2012م، ص122.

⁽²⁾ - ينظر محمود عكاشة: الدلالة اللفظية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د، ر ط)، 2004م، ص30.

ومن هنا نجد أن أوجدن ريتشارد قد نقد دي سوسير في مثلث الدلالة اللفظية في علاقة الاعتباط، عندما عزل المرجع حيث >>عد ذلك أوجدن ريتشارد قصور في دراسة سوسير، ووجهها إليه نقدا لاذعا، لأنه أهمل الأشياء التي تتناولها اللغة وجعلت رموزا لها ومن ثم جعل أوجدن وريتشاردز الأشياء غير اللغوية تمثل الركن الثالث من مثلثهما الشهير ذي الأبعاد الثلاثة<<(1) ونلخصها في الشكل التالي:

الشكل رقم(10): تمثل تداولية الأبعاد الثلاثة للرمز في تأويل اللغة أثناء الاستعمال.

الفكرة، التصور، المعلومات، المفهوم



المرجع: ينظر محمود عكاشة: الدلالة اللفظية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د، ط)،

2004م، ص37.

ومن هنا نرى أنه لا توجد علاقة بين الترميز والاستدلال عند أوجدن ريتشاردز وهذا إن دل فهو يدل على مرونة الرمز في الاستدلال على الأشياء أو الأفكار والتصور المطلق الذي يعبر به بدوال مباشرة أو غير مباشرة، عكس دي سوسير الذي يعد الدلالة ثابتة وعلاقتها غير معللة إذا حدث انزياح في خزان الدوال أثناء التعبير كما أنه أوجدن ريتشاردز يتيح للمتكلم التمكن في التواصل بالرمز اللغوي أو غير اللغوي، على حسب ما يخدم المتكلم وظروفه التعبيرية وهذا هو أساس السيميولوجيا التي تعطي للمتكلم القدرة في بناء المعنى والاستدلال وفهم السياق فللمتكلم في

⁽¹⁾ -ينظر: الدلالة اللفظية، مرجع سابق، ص37.

مثلث ريتشاردز له القدرة الإنتاجية في التمثيل والتصوير وفقا لمجريات الظروف الخارجية عكس ثنائية دي سوسير التي اقتصررت على البناء اللفظي للمعنى لا البناء المعنوي للمعنى⁽¹⁾.

المطلب الثاني: البلاغة والأسلوب

أولاً: بلاغة اللغة والاستدلال

1-حد بلاغة اللغة:

يرى السكاكي اللغة على "أنها هيئة تركيبية للكلم قائمة على وحدة الاختلاف بين الموضع؛ التعبيري والاستقراء اللغوي"⁽¹⁾، ويعرفها من زاوية الوظيفة النحوية فيقول: "اعلم أن علم النحو هو أن تتحو معرفة كيفية التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقا بمقاييس مستتبطة من استقراء كلام العرب، وقوانين مبنية عليها، ليحترز بها عن الخطأ في التركيب من حيث تلك الكيفية، وأعني بكيفية التركيب تقديم بعض الكلم على بعضه، ورعاية ما يكون من الهيئات آنذاك وبالكلم ونوعيتها المفردة وماهي في حكمها"⁽²⁾ كما أن السكاكي حاول استقراء كلام العرب ووضع الطريقة الضابطة لما افتقر إليه علم النحو ومحاولا ضبط مواضع الكلام ومقاصد المتكلم وأغراضه حيث ضبط ثلاثة عناصر خطابية أساسية في ضبط لغة التخاطب ووضع في ذلك شروط لكل واحد منها أثناء الاستعمال بالصورة التالية وهي:

⁽¹⁾ - ينظر محمود عكاشة: الدلالة اللفظية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د، ر ط)، 2004م، ص 30-37.
⁽¹⁾ - ينظر أبو بكر محمد بن علي السكاكي(626هـ): مفتاح العلوم، مراجعة: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2، 1987م-1407هـ، ص 75.
⁽²⁾ -المرجع نفسه، ص 75.

جدول رقم(05): توازي اصطلاحات السكاكي التراثية مع المحدثين في الحقل الخطابي.

العنصر التخاطبي	الموضع الإستعمالي	شرطه التخاطبي
اصطلاحات السكاكي على العناصر التخاطبية أثناء الإستعمال وشروطها		
القابل	المسمى عند أصحابنا معرباً	المناسبة
الفاعل	المسمى عاملاً	السببية و التعاون (مادعا الواضع إلى ذلك
		الأثر أو كان معه داعية له إلى ذلك)
الأثر	المسمى إعراباً	التغيير
وللأثر تقسيمات ثلاث اعتمدها السكاكي في فرض شروط فعل الخطاب للمتكلم والمخاطب تتوازي مع عمل أوستين وتعديل سيرل		
التأثير	فعل الاقتضاء	المناسبة للأثر تكون في القابل
المؤثر	فعل المتكلم	للسببية وتكون في الفاعل
الأثر	الحدث الذي يقع على الكلم	أن يطرأ على الكلام تغييراً أو استجابة ويكون في الأثر

المرجع: ينظر أبي بكر محمد بن علي السكاكي(626هـ): مفتاح العلوم، مراجعة: نعيم زرزور، دار

الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2، 1987م-1407هـ، ص76.

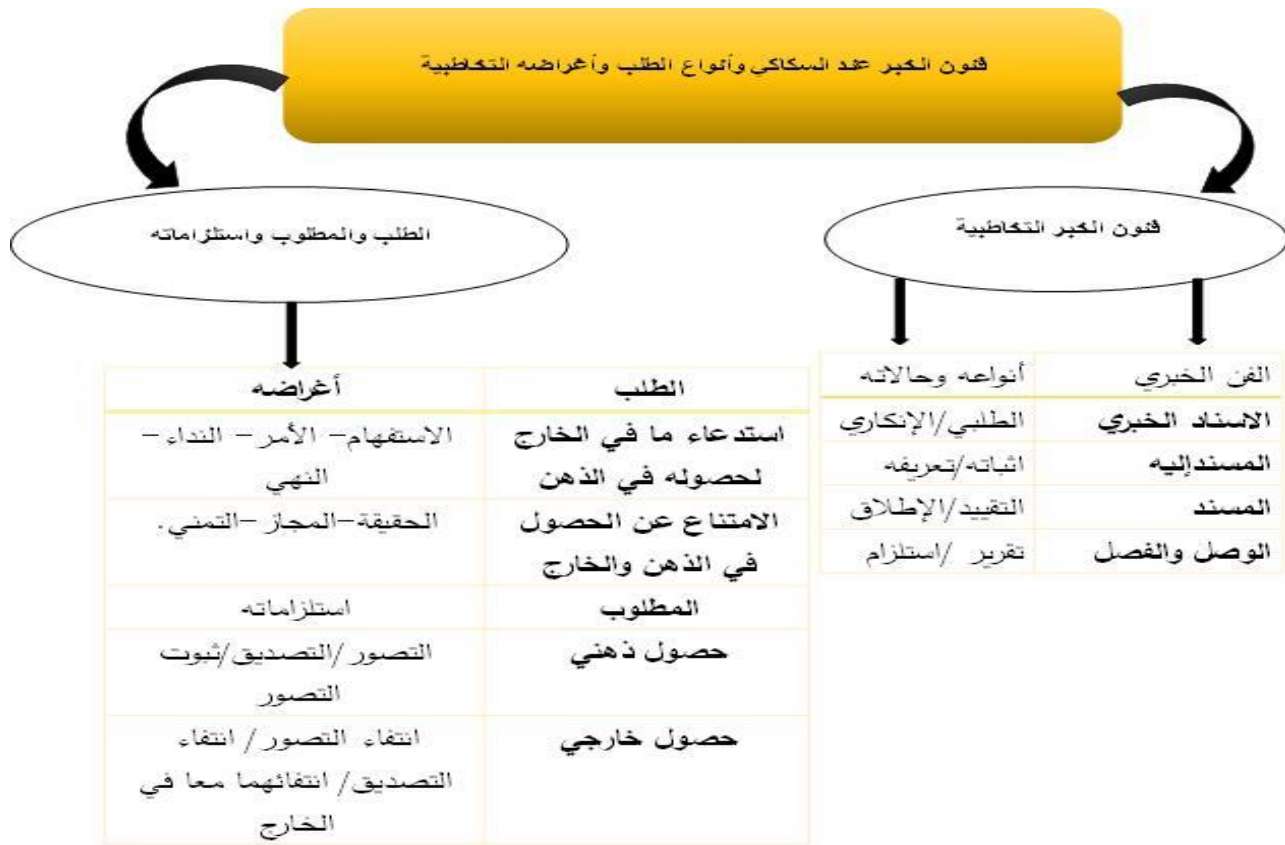
وهذه التقسيمات الثلاثة⁽¹⁾ هي نفسها التي قام بها أوستين أثناء وضعه لأفعال الكلام وأكمل سيرل بعده الخطاطة التخاطبية معدلاً فيها ومضيفاً عليها فعل الإنجاز.

كما أن السكاكي لم يقف على الضبط الخارجي للتركيب(الوظيفي النحوي) فقط بل استمر إلى

⁽¹⁾ - ينظر: مفتاح العلوم، مرجع سابق، ص76.

الضبط الداخلي (ضبط معاهد علم المعاني والكلام فيه وفصل في الخبر والطلب أثناء التخاطب وشرطه في ذلك قانون فيما يتعلق في الخبر وفنونه وقانون فيما يتعلق بالطلب وأنواعه وخصص القانون الأساسي للخبر هو لكل مقام مقال (وهو السياق في النظريات اللسانية الحديثة)⁽¹⁾، وعدد الخبر في أربعة فنون وخصص القانون الأساسي للطلب هو العقل أي المنطق والحجة ونلخص مجمل هذا القول كما يلي:

الشكل رقم (11): يمثل تداولية الاستلزام التخاطبي عند السكاكي.



المرجع: ينظر أبي بكر محمد بن علي السكاكي (626هـ): مفتاح العلوم، مراجعة: نعيم زرزور، دار

الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2، 1987م-1407هـ، ص76-77.

على حد تعبير سيرل في تصوره لبلاغة اللغة: «في مثل هذه الحالات يقصد المتكلم إلى أن ينتج

⁽¹⁾ - ينظر: مفتاح العلوم، مرجع سابق، ص76-77.

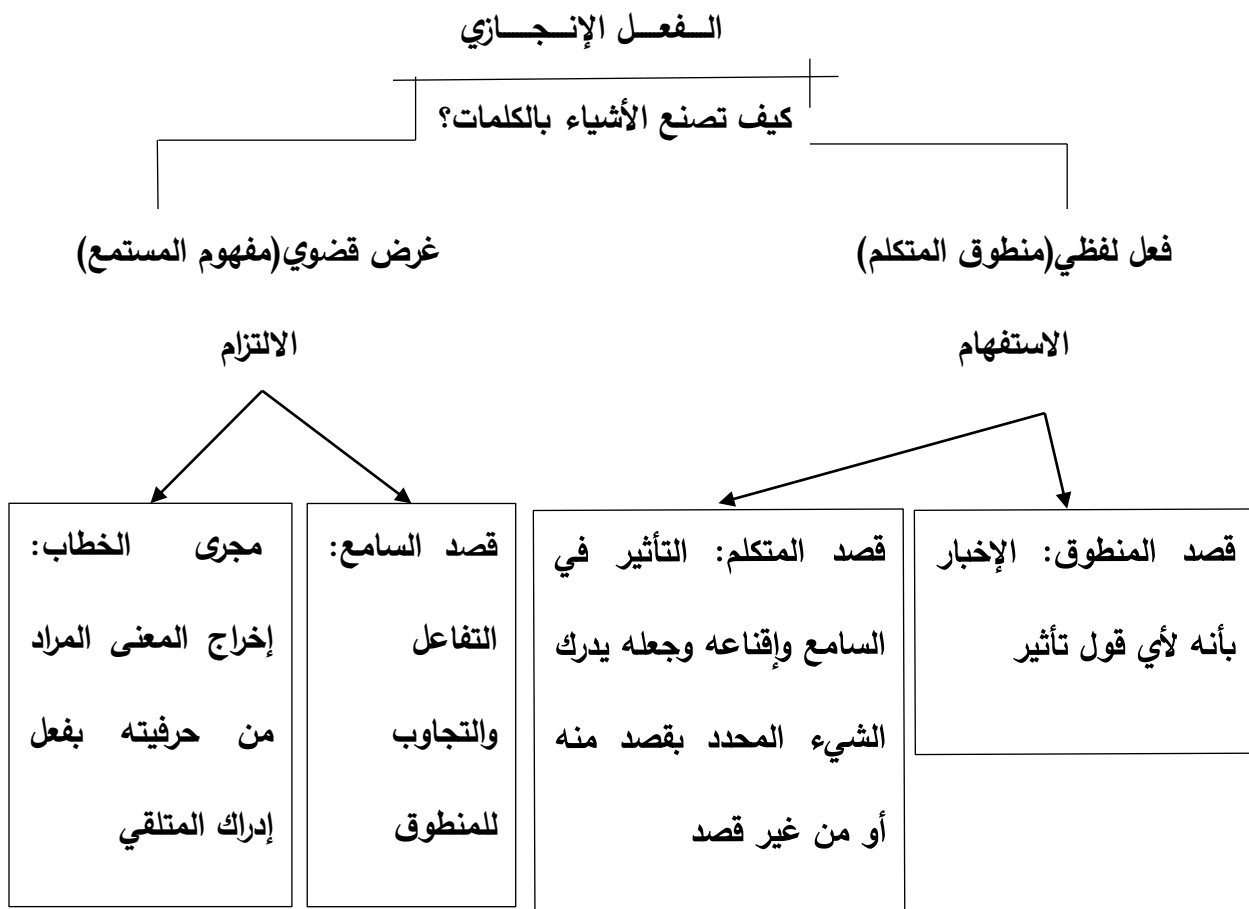
أثرا إنجازيا بعينه في المستمع (Illocutionary Effect) وهو يقصد إلى إنتاج هذا الأثر بأن يجعل المستمع يتعرف إلى مقصده لينجزه وهو يقصد إلى أن يجعل المستمع يتعرف مقصده بالنظر إلى معرفة المستمع بالقوانين التي تحكم منطوق الجملة ولكن ليست جميع حالات المعنى مثل هذه الحالة البسيطة⁽¹⁾. ويقصد هنا سيرل الأثر اللغوي الذي يحدثه المتكلم في المستمع والذي يربطه غاية (غرض الإنجازية) المتكلم من الكلام؛ واللغة في نظره هي مجموعة مقاصد تؤدي بطرائق مختلفة-مباشرة أو غير مباشرة- في نظام لفظي محدد من متكلم محدد إلى مستمع محدد يتوفر على شروط يحددها المتكلم انطلاقا من مقصده ويرسلها إلى السامع حسب حاجاته التخاطبية مطلوبا منه بطريقة غير مباشرة تحليل مقصده والتجاوب معه وتتعدد شروط النظام النطقي (اللفظي) المنجز من طرف المتكلم على حسب تعدد صفة ونوع وخصائص ومفارقات المستمع بالنسبة للمتكلم وأهم من ذلك هو تحديد شرط التفاعل اللغوي للرموز التعبيرية من طرف المتكلم والسامع وذلك يعد شرطا استلزamia يتولد عليه القوة الإنجازية ثم استمر إلى أبعد من ذلك وأوضح أن القوة لوحدها لا تؤثر ولا تؤدي بلاغا وإنما يجب أن يتنبه المرسل إلى تحقيق "معنى المعنى" بأسلوب رمزي قائم على <<الاستعارة أو التلميح"> على مستوى الجملة وليس فقط على مستوى المنطوق⁽²⁾، في صورة أن الفعل الإنجازي نتاج رمزي مستلزم على كيفية صنع المعاني بالكلمات ونوضح ذلك في الشكل التالي:

الشكل رقم (12): يمثل رمزية الفعل الإنجازي بين قصدية المتكلم واستلزامية المتلقي في الخطاب

اللغوي.

⁽¹⁾ -محمد العيد: نظرية الحدث اللغوي، مجلة الدراسات اللغوية، المملكة العربية السعودية-الرياض، مج2، ع4، شوال-ذوالحجة/يناير-مارس، 1421هـ-2001م، ص30.

⁽²⁾ -المرجع نفسه: ص30.



المرجع: ينظر محمد العيد: نظرية الحدث اللغوي، مجلة الدراسات اللغوية، المملكة العربية

السعودية-الرياض، مج2، ع4، شوال-ذوالحجة/يناير-مارس، 1421هـ-2001م، ص30.

ومن خلال كل هذ نصل إلى أن سيرل أثناء تحليله للخطاب وضبط قواعده وأدواته قد أراد الجمع بين المعنى والاستعمال وحالاتي المتكلم والمستمع في سياق التواصل والتفاعل ولذلك جمع بين المتكلم والمجتمع في بلوغ المعنى والقصد إلى خمسة شروط متوازنة تقوم على أساس "الأدائية الرغبة والقدرة والعلة والإنجازية بالتداول بين المتكلم والمتلقي على حد سواء، حيث تتشكل رغبة المتكلم في أداء المستمع الفعل يقابله رغبة المتلقي الذاتية⁽¹⁾" في أداء ذلك الفعل بعينه، وهذا هو شرط الأدائية التي أقرها أوستين وشرط التعاونية التي أقرها غرايس ولكل شرط سبب يفرضه المتكلم

⁽¹⁾-ينظر: نظرية الحدث اللغوي، مرجع سابق، ص33.

على السامع طوعا لا كرها وإلا فيصبح ذلك اختراق ويقلل من درجة الإنجازية، ويخضع المتلقي لسلطة المتكلم عندما نرى المتلقي أقبل على الفعل قدرة وإنجازا وهذه هي حالة التفاعل والاشتراك تحت السلطة أو الخضوع والانقياد بطوعية بمحافضة المتكلم فيها على شروط الأدائية التخاطبية⁽¹⁾.

2- الاستدلال المنطقي:

يرى السكاكي أن الكلام في طبيعته مفتقرا للاستدلال حتى يتصل بالحد، فيصبح "الكلام مقدم عليه في الحد لخلوه من الاستدلال" وكأنه يرى بأن الكلام لوحده حلقة مفرغة لا يتم على مستواها ضبط الاستدلال ونوعه حتى يتوفر الحد والحد عنده هو >>عبارة عن تعريف الشيء بأجزائه أو بلوازمه أو بما يتركب منهما تعريفا جامعا مانعا<<⁽²⁾ ونضبط أنواع الحدود بحسب أنواع التعريف في فكر السكاكي نوضحه بالشكل التالي:

جدول رقم(06): يصور مجموع الحدود وأنواع التعريفات الضابطة للاستدلال والمقيدة للكلام أثناء

التخاطب عند السكاكي.

⁽¹⁾ -ينظر: نظرية الحدث اللغوي، مرجع السابق، ص33.

⁽²⁾ -أبو بكر محمد بن علي السكاكي(626هـ): مفتاح العلوم، مراجعة: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط2، 1987م-1407هـ، ص435.

قيمته	أنواع الحد	أنواع التعريف
الحد أتم	حدا تاما	إذا كان التعريف في جميع أجزاء الشيء المعرّف.
	حدا ناقصا	إذا كان التعريف في بعض أجزاء الشيء المعرّف.
الرسم أعم	رسما ناقصا	إذا كان التعريف في لوازم أجزاء الشيء المعرّف.
	رسما تاما	إذا كان التعريف في ما يتركب من أجزاء ولوازم الشيء المعرّف.

المرجع: ينظر أبي بكر محمد بن علي السكاكي (626هـ): مفتاح العلوم، مراجعة: نعيم زرزور، دار

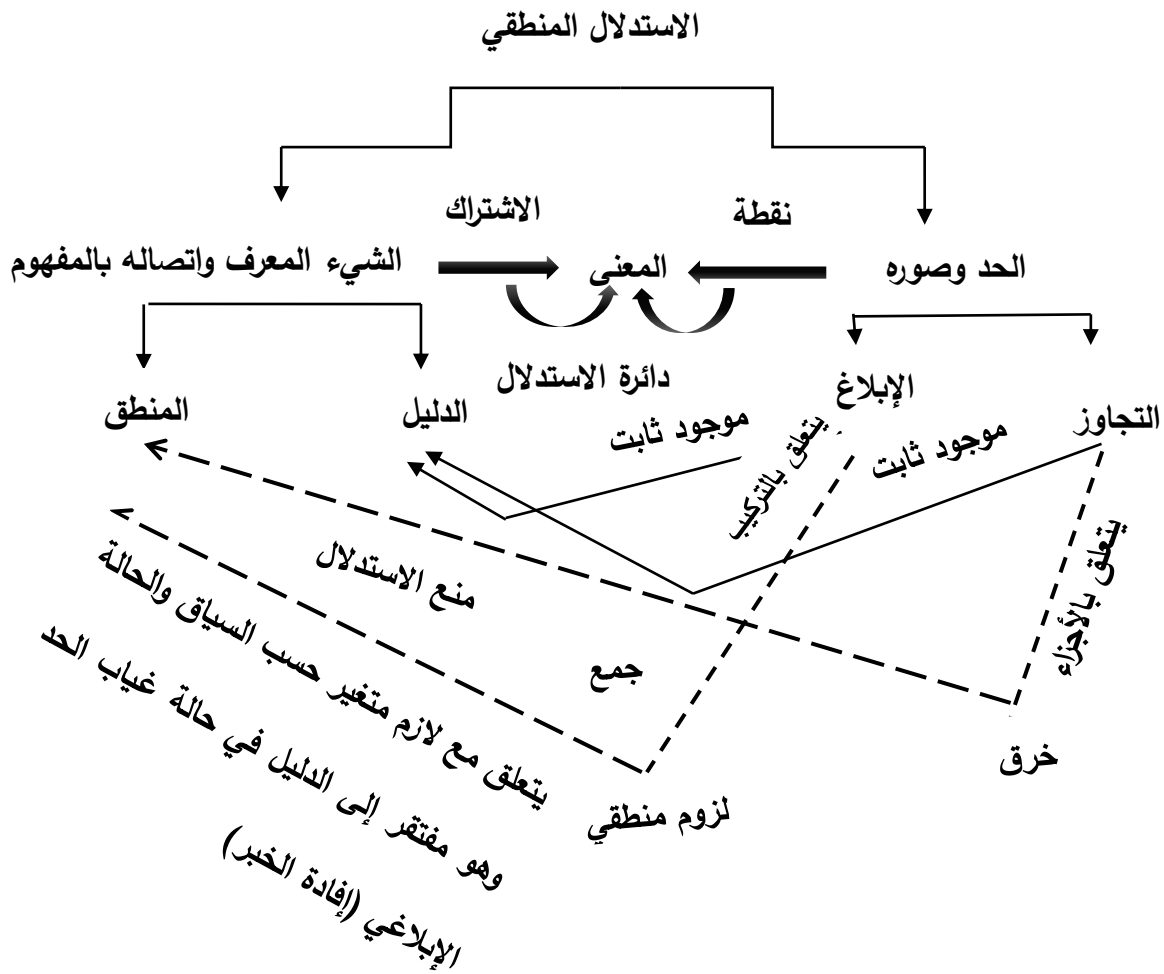
الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2، 1987م-1407هـ، ص436.

أما الدليل عند السكاكي متضمن في الحد، ويعتبر أن الشيء المعرّف قرينة جامعة للتركيب مانعة لدخول معانٍ أخرى لا تلتزم بضوابط أو حدود ذلك الشيء ويقصد بالشيء هنا هو الخبر وحمولاته وحدود الإخبار بين النقل والاستعمال وضبط مقاصد الخبر بين الغرض والهدف، إنَّ ضبط المجال البلاغي للخبر يجعل من تحديد الحد مفهوما وملزما معروفا ويبقى الاستدلال المنطقي في حيز الاعتقاد بدل الافتقار من هنا نفهم أن الاستدلال المنطقي هو ضابطه شرطه- الحد، ومرده العقل وجامعه التركيب (الصياغة البلاغية والصناعة النحوية) ومانعه المنطق وعليه يمكن الاقتصار على معنى الاستدلال المنطقي وعلاقته بالحد في قولنا بالتجاوز والإبلاغ وهما حدان أساسيان في ضبط مفاهيم الاستدلال وجعله موجودا بدلا من افتقاره في المعنى أو الدليل⁽¹⁾.

ويمكن تلخيص المعنى في الشكل التالي:

الشكل رقم(13): يمثل دور الحد في تأويل المعنى وصور استدلالاته المنطقية في عملية التخاطب

⁽¹⁾ - ينظر: مفتاح العلوم، مرجع سابق، ص435-436.



المرجع: ينظر أبي بكر محمد بن علي السكاكي (626هـ): مفتاح العلوم، مراجعة: نعيم زرزور، دار

الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2، 1987م-1407هـ، ص435-436.

وقد نظر إليه من جانب حاجي استدلال على ذلك بقضية الخبر أثناء النقل والاستعمال (الرواية والتداول) يوضح كيفية نقل المتكلم إلى المتلقي الخبر والحقل الاستعمالي (التداولي) لهذا الخبر بين طرفا التخاطب واعتمد على الحد بكونه يضمن ويفرض لزوم الحد حتى لا تختلط الأدوار، فيلتزم المتكلم بحد الإخبار ويلتزم المتلقي بحد التلقي للخبر ولا يسمح بالتجاوز ولا الخرق فيمنع؛

ذلك منعاً باتاً لأنه في حدوث ذلك الخرق في الحد سيجعل من الاستدلال المنطقي مفتقراً في المعنى (حمل الخبر) والحجاج لدى السكاكي يظهر في سلب الضرورة وهي تتوافق مع سلم الحجاجي الذي أعده ديكروا والذي نقله إلينا العزاوي فيرى سكاكي أن سلب الضرورة هي الأساس الأول للاستدلال على المعنى وينقسم السلب إلى قسمين السلب ويقصد به المعنى العدمي الدال على التمام وسلب السلب يقصد به المعنى الوجودي الدال على النقص⁽¹⁾.

كما نجد السكاكي قد نظر للمنطق في الاستدلال اللغوي من باب الرياضيات للغويين فالمنطق لديه عبارة عن معادلات لغوية تسمح للمعنى المتضمن للكلام والكلام المجاور على تشكل بنية معيارية سمحت هذه الأخيرة لعلم المعاني بالاكتمال والنضوج وهذا تلاقح العلمي اللغوي هو ما زاد الاستدلال رتبة وقيمة وخصها السكاكي في كتابه "مفتاح العلوم" في القسم الثالث وهذا إن دل فهو يدل على أهمية الوقوف على فهم الدليل وطلبه ومعانيه وأغراضه البلاغية ولهذا مثلما نجد السلم الحجاجي يتطلب صيغة نهائية للمعنى المجلل للقضايا الكلامية نفس الأمر عند السكاكي في الاستدلال يختص بصيغة نهائية للمعاني المجللة فقد ربط السكاكي البلاغة بالمنطق قبل أن تأتي المقاييس الغربية في ربط البلاغة عند السفسطة وأرسطو بالمنطق فالحقل اللغوي والرياضي قد اهتم به السكاكي أثناء تقييده ومعيّرة المنطق للغويين وضبطه في قياس باب النحو واستنباط المسائل والمعطيات اللغوية ومعالجتها في مشروع النمذجة اللغوية ومعرفة صياغات المعاني وضبطها بين مقام الاستدلال ومقام الكلام في شعبة المعاني والقياسات اللغوية⁽²⁾.

⁽¹⁾ -ينظر غانم عبد الحسن رداد ومجيد نوط الشمري: الاستدلال عند السكاكي بسلب الضرورة (الإمكان)، مجلة الآداب، جامعة بغداد، ع125، 2018م/1439هـ، ص103.

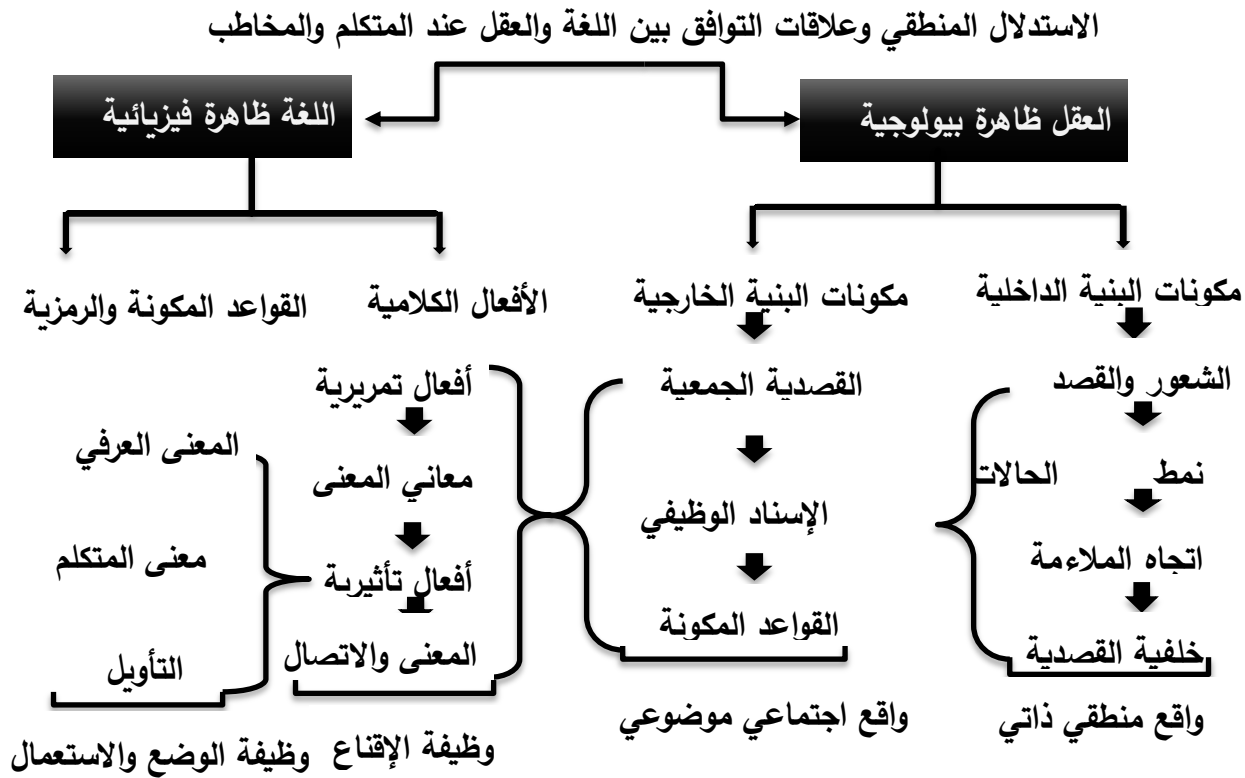
⁽²⁾ -ينظر شكري المبخوت: الاستدلال البلاغي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت-لبنان، ط2، 2010م، ص65-

أما سيرل فقد نظر للاستدلال المنطقي من جانب تحليل فلسفي قبل أن يكون لغوي تداولي، ركز فيه على العقل والمنطق والغرض والدليل وأضاف المحتوى القضوي ووافق أوستين في الشروط والقواعد وفرض مجموعة من الشروط المنطقية لتصوير المعنى وتأويل مقصده وأهمها شرط القضية (ضبط القضية) وشرط التوجيه (توجيه الخبر نحو المعنى وتوجيه المتلقي نحو معنى كلام المتكلم) وشرط المنطوقات (كل منطوق حجاج وكل ملفوظ له غرض وغاية) وشرط الإنجازية (حد التفاعل والمشاركة والتساند)⁽¹⁾؛ وإذا كان سيرل قد ألزم الاستدلال المنطقي بشروط تحليلية فلسفية فإنه في مقابل ذلك قد حصر المنطق الفلسفي في تصوير المعنى وفي جدلية القصد بين الاستعمال والإنتاج. ونرى أن التفاعل والتساند في المعنى بين جدلية القصد الاستعمالي والإنتاج الإنساني عند سيرل مرجعه العقل واللغة والمجتمع وكيفية اشتغال العقل في مسار القصد وتقفي المعنى وكيفية عمل اللغة في الإنتاج الإنساني-الإبداع- وأهمية الواقع أو العالم الخارجي (الاجتماعي) وكيفية اندماج العقل واللغة فيه حتى صار قاعدة مكونة للقصدية الجمعية والإسناد الوظيفي⁽²⁾. فالاستدلال يكون باللغة -طلب الدليل باللغة- أما الحكم فيضمن شرط منطقي بين الاستدلال وصحة القول فيكون على مستوى العقل، فالاستدلال في غياب الحكم ناقص وتمامه يتم في حضور الحكم بالعقل وعلاقات التوافق بين الثلاثي المتفاعل (اللغة والعقل والمجتمع) ويمكن توضيح ذلك من خلال الشكل التالي:

⁽¹⁾ -ينظر جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع الفلسفي في العالم الواقعي، تر: سعيد الغانمي، الدار العربية للعلوم، بيروت-لبنان، ط1، 2006م-1427هـ، ص128.

⁽²⁾ -ينظر: المرجع نفسه، ص128-200.

الشكل رقم(14): يبين استراتيجية الاستدلال المنطقي في تحليل الخطاب اللغوي وتأويله.



المرجع: ينظر جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع الفلسفي في العالم الواقعي، تر: سعيد الغانمي،

الدار العربية للعلوم، بيروت-لبنان، ط1، 2006م-1427هـ، ص128-200.

ثانيا: بلاغة الأسلوب

الأسلوب عند البلاغيين هو >>طريقة الكتابة أو طريقة الإنشاء أو طريقة اختيار الألفاظ أو

تأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير<<⁽¹⁾. فالأسلوب يتعلق بطرائق الاختيار

وطرائق التأثير فيكون الاختيار في اقتناء التعابير وفق الأغراض الخاصة بالمعاني المطروحة سواء

أكان التعبير منطوقا أو مكتوبا، وطرائق التأثير تتعلق بقدرة المتكلم الإنجازية الموجهة إلى المتلقي.

⁽¹⁾ -محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت-لبنان، ط1، 1994م، ص108.

كما يهتم الأسلوب بالفن القولي وهو الحد الحجاجي البلاغي فعلم الأسلوب الذي نشأ من باب البلاغة وانفصل عنها كعلم مستقل اختص بالنص بينما البلاغة مختصة بالخطاب وهذا إن دل فهو يدل على اتصالية الأسلوب بالبلاغة أثناء الكلام مثلما كان النص جزء من الخطاب والعكس غير صحيح.

تطور الأسلوب من فن إلى علم فأصبح يسمى بعلم الأسلوب وهو علم يدرس اللغة ضمن نظام الخطاب كما أنه يدرس الخطاب وفق هوية مبدأ الأجناس⁽¹⁾. أي النظام الاجتماعي وهذا يعود إلى حقيقة اجتماعية اللغة بما أن الخطاب متشكل من اللغة والأسلوب موجه إلى فرد أو جماعة فهو حتما سوف يتصل بنظام المجتمع وضبط الكلام وفق نظامهم اللغوي، ولهذا نجد اللغة العربية في بلاغتها ترتقي إلى درجة الإعجاز وهذه الدرجة لا توجد في نظم لسانية في مجتمعات أخرى هي خاصة فقط باللغة العربية بحكم القرآن الكريم، وموضوع علم الأسلوب أو الأسلوبية متعدد المشارب والاهتمامات والاتجاهات وعليه فالخطاب في عمومته متضمن للأسلوب وعلم الأسلوب يقوم بدراسته وتحليله وفق آليات تعبيرية تجعل من تواصله إبداعا ومن اتجاهاته ميدانا ومن مشاريعه مراجعا ومن مستويات الخطاب مبادئ ومن اهتماماته استراتيجيات إجرائية وفي هذا يقول السكاكي: <<والسابق في الاعتبار في كلام العرب شيان: الخبر والطلب>>⁽²⁾ وهما أسلوبان بلاغيان يتعلقان بالمتكلم والمخاطب والقصد وهي ذات الأسس التي بنيت عليها التداولية المعاصرة بحثها في حقل تصنيف الأفعال الكلامية ومقاصدها.

فإذا كان الأسلوب هو البعد اللساني للخطاب فإن البلاغة هي البعد التداولي والحجاجي

⁽¹⁾ -ينظر: البلاغة والأسلوبية، مرجع سابق، ص 108.

⁽²⁾ - أبو بكر محمد بن علي السكاكي (626هـ): مفتاح العلوم، مراجعة: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2، 1987م-1407هـ، ص 344.

وعليه فلا يمكن دراسة الخطاب دون مراجعة أسلوبه واعتباره فلماذا كان الأسلوب المباشر وغير المباشر في التعبير مبدأ هام في التواصل ولا يمكن دراسته بمعزل عن القصد والحجة (الاستدلال) بكونه غاية يجب الوصول إليها ولهذا كانت التداولية مدمجة بين الفعل اللغوي والقصد اللغوي ولا يمكن دراسته بعيدا عن الحجاج ولهذا امتد الدرس التداولي ليشمل الجوانب التأثيرية للمتكلم والانفعالية للمتلقى بغية معرفة حجية القول ومدى انعكاسه على ذات المتلقى فيولد لنا الإنتاج وكيف يصنع من المتكلم مبدعا فيولد لنا سرحا من الإقناع والاقتناع.

والأسلوب كما عرّفه السكاكي >> الأسلوب الحكيم لربما صادف المقام فحرك من نشاط السامع وسلبه حكم الوقور، وأبرزه في معرض المسحور >>⁽¹⁾، ويعني السكاكي بأن الأسلوب له أثر في الخطاب فهو يحدث الدهشة في قلب السامع على حسب المقام المستعمل ووصفه بالأسلوب الحكيم أي المتناسق والمنسجم مع الخطاب والمحقق للتفاعل في المتلقى، والحكيم هو نسيج المتكلم وقدرته الجمالية في خلق الإبداع ونقله إلى أذن السامع وهي ذاتها القدرة الإنجازية للمتكلم على إرسال القصد وتمريضه إلى المتلقى وهذه الكفاية البلاغية لا يستطيع أي شخص بلوغها إلا إذا كان حكيما بليغا قادرا على التمثيل والإقناع كما أن >>الأسلوب الحكيم هو تلقي المخاطب بغير ما يتقرب، وتلقي السائل بغير ما يتطلب ولهذا الأسلوب أثر في الكلام >>⁽²⁾.

وعليه نستنتج من هذا القول أن متى كان الأسلوب موجها توجيهها قصديا فهو سيتلقاه كل من المخاطب في حال التخاطب أو السائل في حال السؤال دون القصد إلى الجواب بهذا الأسلوب وإن أردنا إسقاط هذا الأسلوب على البعد التداولي سنجد ملقي في الاستلزام (المتلازمات المعنوية)

⁽¹⁾ - إنعام فوال عكاوي: المعجم المفصل في علوم البلاغة والبديع والبيان والمعاني، مراجعة: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، (د، ر ط)، 2014م، ص 143.

⁽²⁾ - المرجع نفسه، ص 143.

فحضوره أكيد بطلب أو بغير طلب فهو ملازم لنمط الخطاب وللحالة التعبيرية أو المقام التواصلية المنجز فيه.

لم يغفل السكاكي حقيقة العلوم اللسانية وتطوراتها حيث يرى أن علم المعاني والبيان هما الحقلان المهمان في البلاغة وأن البلاغة فرع من فروع علم اللغة (النحو والصرف)، ويذهب إلى أن اللغة في الحيز البلاغي ترتقي إلى التعقيد وتتطور درجة أكثر فترتقي إلى الإعجاز، وضبط درجات الارتقاء بخاصية الشمول والاتساع في حدود المعنى والاستعمال والإعجاز والمجاز⁽¹⁾. وقد عرّف البلاغة وقال: "هي بلوغ المتكلم في تأدية المعنى المخصوص مع مراعاة النظم والمجاز"⁽²⁾. وهذا ما جعل السكاكي يعتبر المتكلم أساس البلاغة بحكم لسانه البليغ⁽³⁾. وإذا أردنا التعبير عن البعد البلاغي عند السكاكي فنجد أنه يركز على ثلاثة علوم أساسية هذه العلوم تطورت وأصبحت في الوقت الحاضر علوم لسانية مختلفة الاتجاهات غير أن اللبنة الأساسية قد استقرت في مناهج واحد وهو: التواصل فعلم البديع يتصل بعلم الأسلوب وكل ماله علاقة بالانزياحات والمحسنات والجمال والتذوق اللغوي وعلم البيان يتصل بالحجاج وكل ماله علاقة بالاستعارة والتمثيل والتصوير والتخييل وعلم المعاني هو مبحث خاص بالتداولية أو البعد الوظيفي للغة ويتعلق بكل ماله علاقة بالرمز والمعنى والأسلوب والقصد والأفعال اللغوية والإدراكات والعقل.

مما نرى أن التصنيف التراثي السكاكي للغة الوظيفية هي المعالم الأساسية التي تطورت

⁽¹⁾ - ينظر فريد خلفاوي: محاضرات في مادة اللسانيات العربية، جامعة حمه لخضر-كلية الآداب واللغات، الوادي-الجزائر، 2020/2019م، ص 29.

⁽²⁾ - ينظر أبو بكر محمد بن علي السكاكي (626هـ): مفتاح العلوم، مراجعة: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط 2، 1987م-1407هـ، ص 638-652.

⁽³⁾ - ينظر عبد المتعال الصعيدي: بغية الايضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، ميدان الأوبرا-القاهرة، ج 1، ط 1، 1420هـ-1999م، ص 20-24.

على إثرها العلوم المعرفية اللسانية الحديثة ومهما تطورت الدراسة وتفرعت واستبعدت وانفصلت على غيرها من العلوم المماثلة إلا أن حلقة اهتماماتها ومجال دراستها ومباحثها تقوم على عنصر واحد وهو حد اللغة ومواضعها الاستعمالية وأوجهها التعبيرية ومراتبها المقامية ونصوصها المقالية. ويعبر السكاكي عن علم المعاني بقوله: >>أعلم أن علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره<<⁽¹⁾. فنرى هنا أن المقصود بالاستحسان يتصل بالأسلوب الخاص بالمتكلم أثناء إنجازه لعملية التخاطب وأن الاحتراز من الخطأ في مطابقة الكلام لمقتضى الحال يتصل بعلمي النحو والبلاغة في آن واحد أي بالكفايات النحوية والبلاغية للمتكلم ذاته، وإن هذا التلازم بين الأسلوب والنحو والبلاغة يشكل لنا عدة لسانية عمادها الوظيفة ومجالها التداول وموضوعها اللغة وهدفها ضبط القصد الإجرائي للمنطوق المستحسن المطلق من طرف المتكلم الزاميا وعدول الخطأ عن الصواب وتمييزه عن المستهجن وهو أساس ضبط استراتيجيات الخطاب لغويا وبلاغيا، ثم أن الأسلوب ما هو إلا حلقة وصل واشتراك بين باب النحو وباب البلاغة وهو أصل الكلام واستقامته لفظا ومعنى المسؤول عن تحريره المتكلم ونقله من عقدة التقييد إلى ساحة التعبير المستلزم-ضبط الغاية التخاطبية-.

كما نجد السكاكي مثلما حدد أسس المتكلم في عملية التخاطب قد ركز كذلك على أسس المتلقي أثناء عملية التلقي للخطاب المرسل بحكمه متكلماً (في حالة الرد) ومخاطباً (في حالة الاستماع) في آن واحد وضبط أسس وقواعد خاصة بلغة المتلقي الخطابية المتناوبة تدخل في فن البلاغة من باب التأثير والإقناع وتخرج من حيز الفهم إلى التأويل والشرح والتحليل مع ضبط

⁽¹⁾ -بودوخة مسعود: الأسلوبية والبلاغة العربية (مقاربة جمالية)، مركز الكتاب الأكاديمي، الأردن، (د، ر ط)، 2016م، ص 103.

المقاصد البلاغية في حيز الأغراض وهذا النوع من التناوب فهو في حد ذاته تداول كلامي، ويظهر ذلك أثناء حديثه عن البلاغة وطرائق الاستدلال⁽¹⁾، كثيرا ما يتكلم عن المتكلم فالتكلم هنا يجمعه بين المتكلم الأول والمتكلم الثاني (المتلقي) مثلما يوجد للكلام رتب يوجد للمتكلمين كذلك رتب وبلوغ هذه الرتب هي في حد ذاتها إنجاز كما أنه يناسب بين اللفظ والمعنى وفي حد المعنى يميز بين المعنى ومعنى المعنى فالمعنى الأول هو الظاهر من الكلام والذي يستعمله المتكلم الأول بقصد فتح باب الحوار مع المتلقي ومعنى المعنى وهي الأغراض البلاغية أو المقاصد الاستلزامية الموجهة إلى المتكلم الثاني (المتلقي) بغية تحقيق التواصل وفك التعقيد عن الكلام فينتقل الكلام عند السكاكي من كلام بليغ (معقد) إلى كلام فصيح (خالي من التعقيد) وهذا لا يتم إلا بواسطة المتكلم الثاني⁽²⁾، وهي ذات المبادئ التي جاءت بها التداولية المعاصرة عند أوستين وسيرل في مجموع الأفعال الكلامية بالتركيز على القصد الكلامي وحد الإنجازية.

يتحدث الفيلسوف اللغوي سيرل في كتابه (speech acts: An Essay In The Philosophy Of Language 1969) عن الطريقة التي تستخدمها اللغة، كوسيلة للتأثير في الآخر وتحقيق التفاعل أثناء الحوار وقد ركزت أعماله اللغوية على ثلاثة أساليب نذكرها كما يلي:

* **الأفعال الالقاءية (perlocutionary acts):** وهي الأفعال المنطوقة في نسيج تواصلية يتضمن تتابع الصوت المنطوق لمسار السمع لدى المتلقي، وهي رمزية قولية تجعل من المستمع في انتباه بغرض تحقيق التفاعل.

* **الأفعال الدلالية (Semantic acts):** تشير إلى التأثير الفعلي أو النتيجة الناتجة عن الكلام أو

⁽¹⁾ - ينظر أبو بكر محمد بن علي السكاكي (626هـ): مفتاح العلوم، مراجعة: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2، 1987م-1407هـ، ص69-78.

⁽²⁾ - ينظر المرجع نفسه، ص69-78.

العمل اللغوي (أعمال قضوية) وكيفية تأثيره على المستمع أو المتلقي.

*الأفعال الإقناعية (Persuasive acts): تشير إلى الأثر أو الكلام أو العبارة التي يتم استخدامها

أو الأفعال التي تحمل معنى إقناعي أو إثبات أو طلب أو وعد أو تحذير وما إلى ذلك⁽¹⁾.

أما حيز البلاغة فنجدها مدمجة في الإقناع والإلقاء فمتى كان المتكلم متمكناً من إرسال قصده وخلق جو الجدل والبرهان فهو في طبيعة الحال يستدعي الاستدلال من المتلقي بفعل التأثير الناتج عن الكلام المرسل إليه وعليه نجد أن قوة المتكلم الإنجازية عند سيرل هي من تمكن من استعمال أساليب الحوار بصفة مدمجة مع القوة الإقناعية، فالتأثير والإقناع قطبان أساسيان في ضبط البعد البلاغي للقصد وهما مقياس التفاعل والتحاور. والأسلوب مع البلاغة هو عبارة عن اتحاد القوة الإنجازية (المنطوقات والقصد) والقوة الإقناعية (التأثير والحجة).

وفعل الكلام هو عنصر لغوي محتمل يكون معناه -في ضوء سياق الكلام- كافياً لتحديد نطقه الحرفي الذي يعد أداء لفعل الكلام بصفة خاصة⁽²⁾. وركز في الأسلوب على السؤال ووصفه بالسؤال النموذجي لمبدأ التعبير للفعل الكلامي وخصص السؤال النموذجي في نهجين النهج الثاني تقدم على الأول بحكم الحالية والزمنية حيث كان النهج الثاني يختص بكيفية تحديد معاني عناصر الجملة معنى الجملة بأكملها وهو سؤال عن أسلوب الحالية في الانتقال من الجزء لتغطية المعنى بأكمله. بينما عني النهج الأول بماهية الأنواع المختلفة من أفعال الكلام التي يؤديها المتحدثون متى ينطقون بالعبارات؟ وهنا يتساءل عن الماهية المتعلقة بالزمنية بشكل تراتبي⁽³⁾.

⁽¹⁾ -ينظر جون سيرل: الأعمال اللغوية بحث في فلسفة اللغة، تر: أميرة غنيم، مراجعة: محمد الشيباني، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط1، 2015م، ص50.

⁽²⁾ - john R.Searle: speech acts :An Essay In The Philosophy Of Language,Cambridge, university press,1969,first edition,pages19-21.

⁽³⁾ -ينظر: المرجع نفسه، ص21.

وقد أجاب سيرل عن هذين السؤالين النموذجيين المتصلين بالنهجين اللغويين بمصطلح الضرورة اللغوية بحكم لكل فعل كلامي محتمل هنالك جملة أو مجموعة من الجمل المحتملة الكلام الحرفي الذي في سياق معين سيشكل أداء لفعل الكلام هذا مثل ذلك:

أ-إذا سألت سيرل هل ستذهب إلى السينما

ب-فيجيب سيرل بقوله: نعم

وما يقصده من "نعم" كما هو واضح من السياق أنه ذاهب إلى السينما وليس "نعم" هو اليوم جميل أو ليس لدينا موز -تعايير بعيده عن السياق المقصود- وكذلك أثناء الوعد عندما يقول سيرل "سأتي" فهو يعني ذلك على أنه وعد بالمجيء والحضور فهو يتلفظ هذه الجملة ويعني حرفيا ما يقوله؛ فمفهوم قصد الوعد من الكلام أو طريقة التلفظ⁽¹⁾. إذا نستنتج أن مبدأ التعبير عند سيرل في الأسلوب يقوم على قاعدتين هما: قاعدة السياق وقاعدة الطريقة والجامع بينهما هو القصد المعدل للفعل الكلامي.

وقد دفع المعنى والقول في حيرة بين النسيج الدلالي والسياق النحوي والقصد البلاغي في الأبحاث الغربية، وهو كيفية التفكير في بعد معين للكلمات ووصفها أنها دلالية أو نحوية أو بلاغية؟ فطابع الكلمة أهم من معنى الكلمات لأن الطابع هو من يحدد المعنى وليس العكس ولذلك فالقدرة اللغوية ليست محيرة بقدر الطابع اللغوي للكلمة⁽²⁾.

كما ربط جون سيرل النية أو القصد بالجانب النفسي أثناء التعبير مركز في ذلك على الاعتقاد والاعتبار، فيقول: >> فعل الكلام والحالة النفسية المعبر عنها متطابقان... وذلك لأن شروط

⁽¹⁾ -ينظر: الأعمال اللغوية، مرجع سابق، ص 19.

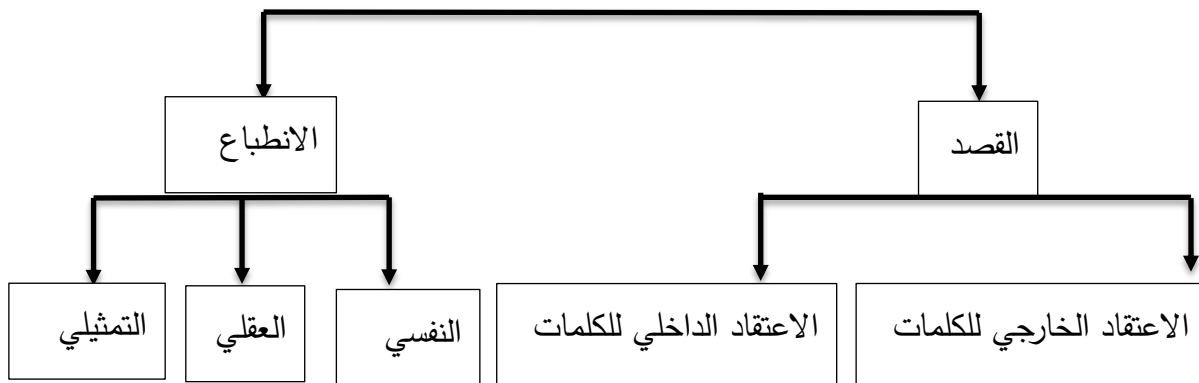
⁽²⁾ -FRANK B.EBE RSOLE : Meaning and Saying : Essays in The Philosophy Of Lanuage, Xlibris corporation,Bertrons,second edition,2002, page02.

العرض في الحالة القصدية تكون داخلية مما يجعل القول على حقيقته...والقصدية هي كل حالة مقصودة تتكون من محتوى تمثيلي في وضع نفسي معين⁽¹⁾. واقتصر سيرل في معنى القولة على الجانب الداخلي للكلمات المطابقة للواقع وبين الجانب الخارجي الواقع المطابق للكلمات أو بعبارة أخرى قد خصص الاعتقاد في محور النية والقصد العقلاني وخصص الاعتبار في محور التمثيل وشرطه الأساسي التقبيلية والمقبولية وانعكاس ذلك في النفس وتأثيرها على العقل. وهذه الفلسفة البلاغية قد اهتم بها التراثيين أمثال السكاكي وعبد القاهر الجرجاني منذ القدم، وقد خصص في محور التفاسير القرآنية وتحديد الأساليب البلاغية آنذاك. ويمكن تلخيص فكر سيرل في الحيز البلاغي في الشكل التالي:

الشكل رقم(15): يمثل أساسيات التأويل ومتعلقاته الإنجازية بين المتكلم والمخاطب عند سيرل

في المنحى التداولي البلاغي.

المعنى والقول في بلاغة سيرل



المراجع: ينظر جون سيرل: الأعمال اللغوية بحث في فلسفة اللغة، تر: أميرة غنيم، مراجعة:

محمد الشيباني، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط1، 2015م، ص50-51.

⁽¹⁾ - المعنى والكلام، مرجع سابق أجنبي، ص02.

الباب الثاني: الجانب التطبيقي

الآليات الإجرائية للمتلقي التداولي في فكر محمد الطاهر بن

عاشور لتحليل مقاصد الخطاب القرآني بين استمداداته

التفسيرية والتأويلية التقويلية

-من خلال كتابه تفسير التحرير والتنوير- رؤية تداولية-

المدخل التطبيقي:

حلقة التأثير والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور
في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات
العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى-محطات
التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة -قراءة تأصيلية -

المدخل التطبيقي: حلقة التأثير والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة-قراءة تأصيلية-.

المدخل التطبيقي: حلقة التأثير والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن

عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر

وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين

التراث والحداثة-قراءة تأصيلية-.

المطلب الأول: محمد الطاهر بن عاشور متلقيا ومتأثرا بمن جاء قبله.

أولاً: فكرة التلقي والقراءة في تفسير ابن عباس:

أشتهر ابن عباس في مجال التفسير اللغوي والقرآني وإظهار مشكلات التفسير والبحث عن معاني الغريب في القرآن الكريم منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى أنه يعد المرجع للعديد من الصحابة في الأخذ والاعتماد، وهنا تظهر عملية القراءة التفاعلية، في حين أن التلقي لديه يتمثل في أخذه العلم من كبار الصحابة حتى أنه واصل في ذلك، إلى أن انتقل إلى العراق مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد علق ابن حجر على ذلك بلسان الزبير عن ابن عباس أنه كان في البصرة لا ينقضي شهر رمضان إلا وقد فقه الناس جميعاً أي كان يخطب عنهم العلم والدين وتفسير القرآن مما أخذ صدره من كبار الصحابة والأئمة في وقته⁽¹⁾، وهذه الصفة صفة الأخذ والعطاء هي في حد ذاتها تمازج بين القراءة التفاعلية والتلقي الصائب الناتج عن العلم النافع والفكر الناضج والقلب الواعي والأذن الصاغية والعين الناصحة واللسان الفصيح والوضع السليم والاستعمال الدقيق والحرص المجمع- هناك إجماع بالاتفاق على صحة رأي ابن عباس في

⁽¹⁾ -ينظر عبد العزيز بن عبد الله الحميدي: تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة، المملكة العربية السعودية، مركز البحث العلمي، للتراث الإسلامي، ط53، (د، ت)، ص22.

المدخل التطبيقي: حلقة التأثير والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة-قراءة تأصيلية-.

التفسير -.

كما كان يلقي دروسا ويجعل من المستمع بليغا، ومن المنصت فاهما، ومن العاقل وازنا، ومن المحاجج منطقيا، ومن عامة الناس مستلهما، ومن خاصة الناس مرجحا حتى أنه قيل في شأنه نقلا عن لسان يونس بكير قال: حدثنا أبو حمزة الثمالي عن أبي صالح: >>قال لقد رأيت من ابن عباس مجلسا لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها به الفخر، لقد رأيت الناس اجتمعوا على بابه حتى ضاق بهم الطريق، فما كان أحد يقدر أن يجيء ولا أن يذهب، قال: فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على بابه، فقال لي: ضع لي وضوءا، قال: فتوضأ وجلس وقال: أخرج فقل لهم: من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أريد منه فليدخل. قال: فخرجت فأذنتهم فدخلوا حتى ملؤا البيت والحجرة فما سألوهم عن شيء إلا أخبرهم وزادهم مثله أو أكثر، ثم قال: إخوانكم، فخرجوا، ثم قال: أخرج فقل من كان يريد أن يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام فليدخل، فخرجت فأذنتهم فدخلوا حتى ملؤا البيت والحجرة فما سألوهم عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله، ثم قال: إخوانكم، فخرجوا، قال أبو صالح: فلو أن قريشا كلها فخرت بذلك لكان فخرا، فما رأيت مثل هذا لأحد من الناس <<(1).

ومن هنا نلاحظ درجة مهارته في عملية الإلقاء واستحسان السامع للأخذ من معارفه دليلا على تفاعل جمهوره لمضامين خطبه وكلامه، واستكشاف وجوه القراءة وقياس درجات استعمالها في الواقع اليومي أو حسب المقامات المتداولة، وهذا النوع من التلقي لا يبلغه إلا من كان عالما متمكنا وماهرا في مجالات تخصصه وشموليا لمناهج علمه وأساليب تخاطبه وإرسال مقاصده وإشفاء

(1)-أبو الفداء الحافظ ابن كثير(774هـ): البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ج8، (د، ر ط)، 1413هـ-1992م، ص302.

المدخل التطبيقي: حلقة التأثير والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة-قراءة تأصيلية-.

صدور مستفهميه وإلهام عقول متأثريه، والفخر لمن استجد في نفسه طيب علمه وأثر في عقله حسن نظمه ونثره.

ولابد أن يتميز الملقى بمهارات تواصلية تجعله ضابطاً لعملية التلقي، ومسترسلاً لمضامين القراءة وتفاعلاتها في عقل المتلقي وعالمها باحتياجاتها ومقوماً لاستعداداتها قبل أن يكون متأثراً في مدارك المتلقي مخطاً بين الحاجة والغاية وهذا عينه "منهج ابن عباس"⁽¹⁾ في طريقة إلقائه وصور المتلقي في أنماط التلقي وأدواره التفاعلية في القراءة الناضجة لمفاهيم علمه ومفاتيح تفسيره وشرحه ومن أهم الدعائم العلمية والمعرفية واللغوية في تلقي الخطاب القرآني التأثيرية حسب المقامات الاستعمالية ودرجات تداولية القول عند ابن عباس في تفسيره كما يلي:

1-دعامة المنهج:

تنوع المنهج عند ابن عباس وذلك لتنوع مصادر تفسيره وأساليب التلقي وعمق الفهم ودرجات التحليل أثناء عملية القراءة والتفسير سواء من ابن عباس المفسر نظراً لحاجيات المتلقي لآراء ابن عباس وعلمه التي تعد من أساسيات ضبط المفسر لها قبل التطرق لإرسال تفسيره للغير ونرى أن منهج التلقي وطرائق القراءة لدى ابن عباس اختلفت وهذا بدوره يجعل من المتلقي متعدد التلقي؛ لأن هذا الاختلاف لم يأتي من فراغ من ابن عباس بل أن حاجة المتلقي هي من استدعت حضور هذا النوع من التعدد في المنهج⁽²⁾؛ وإن ذهبنا إلى حصر عدد المناهج التفاعلية التي اعتمدها ابن عباس أثناء عمليتي التلقي والقراءة حسب البحوث السابقة واجتهادات العلماء والباحثين نجدها مجملة في ثلاث أو أربع مناهج أساسية بالتحديد وجلها ترمي إلى درجة التأثير والفهم نمليها

⁽¹⁾ - ينظر عبد العزيز بن عبد الله الحميدي: تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة، المملكة العربية السعودية، مركز البحث العلمي، للتراث الإسلامي، ط53، (د، ت)، ص22-23.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص21-22.

المدخل التطبيقي: حلقة التأثير والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة-قراءة تأصيلية-.

كما يلي⁽¹⁾:

أ- المنهج الفقهي:

نجد ابن عباس يستند بكثرة في تفسيره على النصوص القرآنية والحديث النبوي الشريف حيث أنه يحسن ويجيد فهم معنيهما وغريب لفظيهما ومحاولة توجيه القصد نحو الآية القرآنية على حسب استعمالاتها ومقاماتها وسياقاتها وقد كان يجيد استخدام أدوات المنهج الفقهي المتمثلة في مجموعة من المبادئ والقواعد الفقهية الواجب الالتزام بها، وهذا النوع من الالتزام هو في حقيقته ضبط منهجه لعملية التلقي وجوهر القراءة ومستويات تفاعلاتها في نفس وعقل الملقى قبل أن ترسل إلى المتلقي ويتمثل صور الضبط المنهجي التداولي الفقهي عند ابن عباس في ما يلي:

-الاعتماد على الأدلة الشرعية:

لا يكتفي ابن عباس في تفسيره وتحليله بصور الاستدلال الحرفي بل يتعداه إلى ضرب من ضروب الاستدلال العقلي العميق الذي يجعل منه موسوعة معرفية في مجال فهم القرآن ومعانيه وهذا النوع من الاستدلال لا يصل إليه المفسر إلا إذا كان على معرفة واسعة بمراجع ومصادر وعلوم تلقيه وعلى ذكاء وقدرة في توظيف معرفته وثقافته بكل مهارة وحنكة، وقد دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفقه والعلم مرتين قائلاً ابن عباس: دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح على ناصيتي، قال ((اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب)) كما دعا له مرة أخرى عندما كان في بيت خالته ميمونة ووضع للرسول صلى الله عليه وسلم وضوءاً من الليل فقال صلى الله عليه وسلم: ((اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل)) وعليه نجده أعلم الصحابة بتفسير القرآن فهو بحر

⁽¹⁾ - ينظر: تفسير ابن عباس، مرجع سابق، ص 22-23.

المدخل التطبيقي: حلقة التأثير والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة-قراءة تأصيلية-.

التفسير وجبر الأمة الذي لم يكن على وجه الأرض في زمانه أعلم منه⁽¹⁾.

-التركيز على المقاصد الشرعية:

ونجده فسر الآيات القرآنية بالاعتماد على سياقاتها ومواقعها التعبيرية فلم يدرسها حرفياً فقط بل وقف عليها وأمدّها بما يعرفه وما اكتسبه من تلقيه علوم كبار عصره ومشايخه فنجده في تفسيره لقوله تعالى: ﴿الْم﴾ سورة البقرة، الآية 01 لثلاث تفسيرات ومواقع نحددها كما يلي:

جدول رقم(07): يمثل معاني حروف الهجاء في سورة البقرة في فكر محمد الطاهر بن عاشور

ألف	الله	آلاؤه	ابتداء اسمه الله	أنا
لام	جبريل	لطفه	ابتداء اسمه اللطيف	الله
ميم	محمد	ملكه	ابتداء اسمه مجيد	أعلم ⁽²⁾

وهذه التوليدات السياقية أو التأويلات التفسيرية تعود إلى بعد لغوي تداولي في علم الحروف

والمعاني التي أجادها ابن عباس في تفسيراته لمضامين الخطاب.

ب-المنهج الاستدلالي:

وهو أخذ الحجة وقياس الحكم وضبط القصد قبل التطرق إلى تفسير القرآن الكريم وقد روي عن ابن عباس أنه قال: "(أن امرأة أتت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إن أُمّي نذرت أن تحج فماتت قبل أن تحج، أفأحج عنها؟ قال: رأيت إن كان على أمك دين أكننت قاضية إياه؟

⁽¹⁾ - ينظر أبو عبدالله غانم بن قدوري بن حمد بن صالح: محاضرات في علوم القرآن، دار عمار، عمان، ط1، 1423هـ-2003م، ص172.

⁽²⁾ - ينظر عبدالله بن عباس: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، دار الكتب، بيروت-لبنان، ط1، 1412هـ-1992م، ص4.

المدخل التطبيقي: حلقة التأثير والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحدائث- قراءة تأصيلية-.

فقلت: نعم، فقال: فدين الله أحق أن يقضى⁽¹⁾، وعليه يمكن تفسير قول الرسول صلى الله عليه وسلم للمرأة السائلة بالنحو التالي:

جدول رقم(08): يمثل طرائق الاستدلال للقول وفنونه ودوره في ضبط المقصد الكلامي أثناء تفسير الخطاب القرآني عند بن عباس.

القول	أرأيت
فنه	التمثيل(ضرب مثل)
الأصل منه	دين الآدمي على الآدمي
الفرع فيه	دين الله
العلة	وجود الدين والدين للآدمي فيه مطالبة فوجوب قضاء الدين كما أن حق الله تعالى لا بد من قضائه.
الحكم	وجوب قضاء دين الله
طريقة التخريج	الاستدلال عن طريق القياس
نوع التخريج	قياس جلي(أولي) تسبق قضاء الأول بنفس حكم وإلحاق وجوب قضاء الثاني

المرجع: ينظر محمد حسن عبد الغفار، تيسير أصول الفقه للمبتدئين(كتاب إلكتروني)، دروس

صوتية، موقع الشبكة الإسلامية، رقم الدرس 21، 2024/02/10، مرجع إلكتروني، ص 04

الرابط: www.Islamweb.net

⁽¹⁾-ينظر محمد حسن عبد الغفار، تيسير أصول الفقه للمبتدئين(كتاب إلكتروني)، دروس صوتية، موقع الشبكة الإسلامية، رقم الدرس 21، 2024/02/10، مرجع إلكتروني، ص 04 الرابط: www.Islamweb.net

المدخل التطبيقي: حلقة التأثير والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة-قراءة تأصيلية-.

ج- المنهج اللغوي:

عرف ابن عباس قيمة الشعر في تفسير القرآن الكريم كما ميز لغة القرآن الكريم هو وحدة اللغة العربية التي كانت متداولة ومستعملة في جميع الأقطار العربية ومفهومة لدى العامة والخاصة من الناس، وقد عمل ابن عباس على فهم وتفسير نظم القرآن الكريم حيث كان يجيد فهم الشعر وعلوم القرآن من أمثال وحكم ويقوم بشرحها على ما حمل معناها مقابل الآيات القرآنية وسياقاتها حتى أنه كان يقول: >> إذا أعينكم العربية في القرآن فالتمسوها في الشعر فإنه ديوان العرب <<(1)، فيتضح أنه على علم بالتأويل وسهولة التفسير عند الاعتماد على الشعر العربي كمرجع للتفسير، كما أنه يتضح أن ابن عباس كان لا يفسر القرآن بدون منهج بل كان يعتمد على المنهج اللغوي أي على المنهج الاستعمالي ودليل ذلك أنه يختص باللفظة ويشرحها مع ضبط قبيلتها أي أنه كان يهتم باللغات في تفسير القرآن مثل ذلك قوله عز وجل: ﴿بِعَذَابٍ بَیْسٍ﴾ سورة الأعراف، الآية 165 ؛ يعني شديد بلغة غسان وقوله تعالى كذلك: ﴿ثَقُلْتُ﴾ سورة الأعراف، الآية 07. ؛ يعني خفيت بلغة قريش وقال تعالى أيضا: ﴿وَلِجَءٍ﴾ سورة التوبة، الآية 16. ؛ يعني بطانة بلغة هذيل(5).

2-دعامة المقاصد والأساليب:

أولى ابن عباس أهمية بالمقصد والأسلوب في الكلام وتفسيره حتى أنه سمي "بحبر الأمة كونه

(1) - أبو عبدالله غانم بن قدوري بن حمد بن صالح: محاضرات في علوم القرآن، دار عمار، عمان، ط1، 1423هـ-2003م، ص78.

(5) - ينظر إسماعيل بن عمرو المقرئ عن عبدالله بن الحسن بن حسنون المقرئ بإسناده إلى ابن عباس: كتاب اللغات في القرآن، تح: صلاح الدين المنجد، مطبعة الرسالة، ط1، القاهرة، 1365هـ-1946م، ص28-29.

المدخل التطبيقي: حلقة التأثير والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة-قراءة تأصيلية-.

عالمًا بكلام العرب والغريب ومعان القرآن الكريم⁽¹⁾، حتى أنه كان يستعمل الاستشهاد والتمثيل من كلام العرب لكون الشعر ديوان العرب في تفسيره^{>>} وابن عباس عالم العربية الذي لا يدرك شأوه، عرف اللغة، وحفظ غريبها، وتعمق بخصائصها وآدابها، وأدرك أساليبها، حتى إنه كان له طريقة مميزة في التفسير، فكان كثيرًا ما يرجع إلى الشعر الجاهلي إذا سئل عن غريب القرآن.^{<<(2)}، ومن هنا يتضح أن ابن عباس يرى اللغة لا تستقل عن القرآن وأن اللغة حمالة المقاصد وأن القرآن الكريم لا يفسر غريبه إلا بأعضاء اللغة ومواضعها وسياقاتها بحكم أن القرآن نزل في معظمه بلغة

قريش حيث قال الله تعالى في هذا: ﴿بَلِسَانَ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ سورة الشعراء، الآية 195-196

ومن نماذج ابن عباس في توضيح المعنى ورفع الضباب عن غريب اللفظ في القرآن بواسطة أسلوب الاستشهاد والتبيان في الكشف عن مقاصد الكلام حيث ورد أنه سئل "ابن عباس عن معنى قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ﴾ سورة المائدة، الآية 482، فأعرب عنها بمعنى اتبعنا على آثار الأنبياء، أي بعثنا على آثارهم فقليل له وهل العرب تعرف معنى ذلك؟ فأجاب بنعم، أما سمعت عدي بن زيد وهو يقول:

يوم قفت غيرهم من غيرنا واحتمال الحي في الصبح فلق⁽⁵⁾

ثانيا: فكرة التلقي والقراءة في فكر كلثوم بن عمرو العتابي

⁽¹⁾ -ينظر عبد الرحمن بن معاضة الشهري: الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم أهميته، وأثره، ومناهج المفسرين في الاستشهاد به، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط1، 1431هـ، ص 237.

⁽²⁾ -عبدالله ابن عباس: غريب القرآن في شعر العرب، تح: محمد عبد الرحيم وأحمد نصر الله، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت-لبنان، ط1، 1413هـ-1993م، ص19.

⁽⁵⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص43

المدخل التطبيقي: حلقة التأثير والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة- قراءة تأصيلية-.

كلثوم بن عمرو العتابي وهو ممن يجمع الشعر الجيد مع البيان الحسن⁽¹⁾، كما نجد كلثوم بن عمرو العتابي قد تطرق إلى فكرة التلقي في عصره حيث أنه كان ينشد الأشعار على مسامع الجمهور، >>كما تعرض العتابي الشاعر(ت213هـ/828م) للنظم حين رأى أن الألفاظ للمعاني كالأجساد للأرواح، وأن الألفاظ إذا وضعت في مواضعها زادت المعنى وضوحاً، وإذا وضعت في غير موضعها فسدت الصورة وتغير المعنى وساء النظم، وفقدت شطر الحسن والجمال<<⁽²⁾، أي أنه كان على وعي مبكر لأهمية ربط اللغة بسياقها التداولي، حيث أثار في فكرة التلقي علاقة اللفظ بالمعنى بين الوضع والاستعمال مشيراً إلى أهمية التفاعل بين البنية اللغوية وسياق الخطاب.

وزاد عن ذلك ضبط سُلْمِيَّة التفاعل بين المتكلم والمخاطب أثناء التلقي وذلك لبلوغ درجة التأثير فقد دمج التأليف مع النظم سعياً منه أن يميز بين مستويين بنيويين في الخطاب هما: البنية السطحية التي تقوم على الترابط النسقي بين الألفاظ والبنية العميقة القائمة على الترابط السياقي وتفاعلات المعنى في ذهن المتلقي، وهذا التصور يلتقي مع ما تعرفه اللسانية الحديثة بـ"هرمسية التلقي" و"إنتاجية المتلقي" حيث لم يعد المتلقي عنصراً سلبياً بل شريكاً في بناء المعنى من ناحية التأويل الجمالي والتفاعل السياقي للمعنى.

كما أن العتابي قد خصّ المعاني والألفاظ بمكانة دقيقة في نظره البلاغي، معتبراً أنهما يشكلان حقلاً من التعقيد والتركيب لا ينكشف أثره إلا إذا جاء النظم محكماً والتأليف منسجماً، والنظام البلاغي بالغاً حد الإعجاز. بذلك يصح المعنى وتستقيم العبارة واشترط أن لا يتقدم كلاماً

⁽¹⁾ - ينظر إميل بديع يعقوب: موسوعة علوم اللغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ج6، (د، ر ط)، 1971م، ص511.

⁽²⁾ - عطية نايف عبدالله الغول: النظرية البلاغية عن الإمام الزمخشري(467هـ-538هـ) في الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، (د، ر ط)، (د، ت)، ص372.

المدخل التطبيقي: حلقة التأثير والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة-قراءة تأصيلية-.

على آخر لأنه سيفسد المعنى وأن لا يفصل اللفظ عن المعنى لأن اللفظ صورة له، وفي هذا قال العتابي: "كما لو حول رأس إلى موضع يد... فإن الخلقة تتغير والحلية تتغير"⁽¹⁾، والأصل في تشبيهه أن الإخلال بترتيب المعاني والألفاظ يفسد البنية الكلية للنص كما يفسد تبديل أعضاء الجسد تناسقه وجماله، وأن هذا التحول لا يفسد النظم فقط بل يمتد إلى أن يحدث تغيراً في طبيعة التلقي والقراءة والتفاعل، فيصبح المتلقي أمام نص مضطرب البنية فلا يحسن فهمه ولا التفاعل معه تفاعلاً جمالياً أو دلالياً.

ثالثاً: فكرة التلقي والقراءة في فكر الرماني

ينظر الرماني إلى التلقي على أنه آلية تفسيرية فيوضح من خلالها معاني القرآن الكريم وشرح ألفاظه ولا يكتفي بزوايا الشرح والإيضاح بل يتعداها إلى زاوية التأثير في نفس وعقل القارئ، فيجد الرماني أن القارئ لابد له من أن يكون لديه حسن القبول والمقبولية وفهم الغاية من بيان الإعجاز اللغوي وكأنه يفعل الخيال التدوقي لمتعة القراءة ويربطها بالعقل التأويلي لذات القارئ مما يجعل من هذا الربط نظاماً منطقياً وإرسالاً معنوياً في آن واحد⁽²⁾.

وعليه يستطيع من خلالها القارئ تتبع عتبات القراءة واستدراج قدراته التحليلية والتفسيرية في فهم عتبات النص وتأويلها، وهذا يعود إلى الحس الجمالي والإيجاز البياني الذي يعرض المتلقي أثناء تلقيه المنتظم والجيد للنص ومعانيه وألفاظه، كما يراعي المتلقي في عملية التفاعل أو القراءة التفاعلية المنتجة الإيجاز والتصريف والمبالغة والبيان والتضمين والتجانس

⁽¹⁾ -ينظر محمد بن عبد الرزاق بن محمد وكرد علي: أمراء البيان - تحليل أساليب عشرة من أكابر كتاب الحضارة الإسلامية، تح: محمد العزاوي، دار الكتب العلمية، لبنان، (د، ر ط)، 2020م، ص 434.

⁽²⁾ -ينظر مراد حسن فطوم: التلقي في النقد العربي في القرن 4هـ، منشور الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، (د، ر ط)، 2013م، ص 107.

المدخل التطبيقي: حلقة التأثير والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة-قراءة تأصيلية-.

والفواصل والتلاؤم والاستعارة والتشبيه⁽¹⁾، وهذه الآليات البلاغية هي التي يقوم عليها نظام التلقي للنص الواحد ويحمل على مراعاتها في كل خطاب يقوم بقراءته وإعادة إنتاجه وإن وصل إليها فأعلم أن الملقي قد كان على درجة عالية في معرفة احتياجات مستمعيه والعمل على توفير ظروف نجاح عملية التلقي والقراءة فأصل المتكلم محتاج للمخاطب من أجل إنجاز فعل التكلم⁽²⁾، وهذا الفعل البياني والجمالي في عملية التخاطب والقراءة الإنتاجية هو ما ركز عليه الرماني في التراث العربي الذي أصبح حديثاً يعد قضية نقدية حديثة لا بد من ضبطها كمنهج وتوفير أغراضها كآليات لذلك المنهج حتى يستصاغ منها فعل الإنجاز وقياس درجة التفاعل.

المطلب الثاني: تطور فكرة التلقي من كلام بليغ إلى الإعجاز اللغوي عند محمد

الطاهر ابن عاشور

تتمظهر فكرة التلقي وتطورها في فكر محمد الطاهر ابن عاشور في المقدمة العاشرة المسماة بـ: "في إعجاز القرآن"⁽³⁾ انطلاقاً من قوله: "لم أر غرضاً تناضلت له سهام الأفهام، ولا غاية تسابقت إليها جياذ الهمم فرجعت دونها حسرى. واقتنعت بما بلغته صباية نزرا، مثل الخوض في وجوه إعجاز القرآن فإنه لم يزل شغل أهل البلاغة الشاغل. وموردها للمعلول والناهل، ومغلى سبائها للنديم والواغل، ولقد سبق أن ألف علم البلاغة مشتملاً على نماذج من وجوه إعجازه. والتفرقة بين

⁽¹⁾ -ينظر: التلقي في النقد، مرجع سابق، ص 107.

⁽²⁾ - ينظر أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي: نتائج الفكر في النحو، تح: عادل أحمد عبد الرحمن وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، ط 1، 1412هـ-1992م، ص 170-173.

⁽³⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، المقدمة، الدار التونسية للنشر، تونس، ج 1، (د، ر ط)، 1984م، ص 101.

المدخل التطبيقي: حلقة التأثير والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة-قراءة تأصيلية-.

حقيقته ومجازه⁽¹⁾، فحرفيّة النضال بين غرض الأفهام وغاية التأليف وضبط مصادرها للمعلوم والناهل يقصد هنا ضبط لعملية التلقي ومصادر المتلقي البلاغية المازجة بين الحقيقة والمجاز في غرض فهم الإعجاز اللغوي وتبيان مقاصد القرآن الكريم، وهذه تمثل الدرجة الأولى من درجات التداولية حيث تقرر بالانتقال من المستوى الحرفي التصريحي إلى المستوى المعنوي التلمحي وهو ما يقابل حقل الحقيقة والمجاز في علم البلاغة، والبلاغة عند محمد الطاهر بن عاشور تقوم على شيئين أساسيين: أولها اعتبار الشخص وينقسم إلى نوعين؛ الشخص المتلقي (القارئ-المعلول-الناهل) والشخص الملقى (المتكلم-الواغل-النديم)، وثانيها اعتبارات العلم وله نمطين علم عام (يدخل في علم اللغة ومستوياته الاستعمالية) وعلم خاص (البلاغة-المتكلمين-المفسرين-أصحاب الإعجاز)، فيقول في تفسيره للآية القرآنية في الفرق بين تفسير القارئ العام والقارئ المتخصص لمقامات المعنى وسياقاته الاستعمالية البلاغية للمقاصد القرآنية أن المتوغل يكون أكثر اقتصادا ودليل ذلك قوله تعالى ﴿فَأَتَوْا عَلَيَّ قَوْمٌ﴾ سورة الأعراف، 138، فلما ضمن أتوا معنى المرور عدي بعلی لأنهم لم يقصدوا الإقامة في القوم، ولكنهم ألفوهم في طريقهم⁽²⁾؛ فهنا قام ابن عاشور بشرح القصد من القول أتوا نحويا وبلاغيا ودلاليا فجمعت هذه المستويات الثلاثة في تأويل الفعل واستخراج المقصد من الصريح إلى المؤول التلمحي؛ فالفعل أتوا في عمومه يدل على الإتيان أي الإقدام أو الإقامة فهذه قراءة المتلقي القارئ المعلول العام، أما قراءة المتكلم المتوغل المختص فهو يرى أن الفعل أتوا لا تدل على الإقدام كما يظهر وإنما تحمل معنى آخر مغاير وهو المجاوزة أو الصدفة فالتقوا بهم في طريقهم صدفة أثناء المجاوزة وما يدل على ذلك هو حرف الجر "على" التي

⁽¹⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج 1، ص 101.

⁽²⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، المقدمة، الدار التونسية للنشر، تونس، ج 1، (د، ر ط)، 1984م، ص 80.

المدخل التطبيقي: حلقة التأثير والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة- قراءة تأصيلية-.

تدل على المجاوزة دون القصد أو النية بالذهاب إليهم خصيصا والمكوث عندهم. حيث ينقل لنا رأي أبو يعقوب السكاكي في هذا السياق فيقول: >> وأعلم أنني مهدت لك في هذا العلم قواعد متى بنيت عليها أعجب كل شاهد بناؤها.⁽¹⁾ أي من حسن نظامها وسبكها وصحة مسندها واستدلالها تجعل من كل قارئ لها ينشرح عقله لفهم بلاغة هذا العلم المُمَهَّد، وزاد عن ذلك أثناء قوله باعتراف المتلقي بحسن السبك والنظم والتأليف فعبر مسترسلا في الكلام قائلا: >> واعترف لك بكمال الحذق في البلاغة أبنائها-إلى أن قال- ثم إذا كنت ممن ملك الذوق وتصفحت كلام رب العزة. أطلعتك على ما يوردك موارد العزة. وكشفت عن وجه إعجازه القناع⁽²⁾. وهنا يثبت أن البلاغة علم وذلك من خلال تأكيده على وجود قواعد منهجية يصح البناء عليها، فالبلاغة لديه ليست فقط ملكة ذوقية فطرية بل هي نسق معرفي قائم على أصول محددة، واستكمل السكاكي حجته بقوله اعترف لك بكمال الحذق في البلاغة أبنائها وهو اعتراف نابع من تقدير علمي لا من ذوق عابر، وأساس هذا العلم هو التمكن من قواعد ورسم ركائزها وتوظيف أساليبها في بناء نسيج خطابي بليغ يرتقي إلى درجة الحذق في فهم الإعجاز ووجوهه ويسمح للمفسر باكتشاف معاني القرآن وأحكامه ومبتكراته ويرفع القناع عنه ويوصل إلى موضع التذوق فيعترف له بالفضل والإجادة والبيان وذلك لـ >> أن مفسر القرآن لا يعد تفسيره لمعاني القرآن بالغاً حد الكمال في غرضه ما لم يكن مشتملاً على بيان دقائق من وجوه البلاغة في آية المفسرة بمقدار ما تسمو إليه الهمة من تطويل واختصار فالمفسر بحاجة إلى بيان ما في آي القرآن من طرائق الاستعمال العربي وخصائص بلاغته وما فاقت به آي القرآن

⁽¹⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، المقدمة، الدار التونسية للنشر، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص101.

⁽²⁾ - المرجع نفسه، ج1، ص101.

المدخل التطبيقي: حلقة التأثير والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة-قراءة تأصيلية-.

في ذلك⁽¹⁾، وعليه يشترط على مفسر القرآن الكريم والضابط لمعانيه التمكن من التوجيه اللغوي نحو المعنى المطلوب حسب الاستعمال العربي وفق خصائصه وسياقاته وظروفه وأنماط تلقيه. وهذا ما وفره بن عاشور في تفسيره أثناء حديثه عن أساسيات الخطاب وتأويله.

كما يعد الطاهر ابن عاشور من المخضرمين المجددين للنظريات اللغوية وأنماطها الصورية ومناهجها النظامية والنظامية، كما أنه يعد من أبرز الباحثين المفسرين المنفردين بأعمالهم كونه كان يمحس ويفرز ويجدد حسب غايات المتلقي واحتياجاته المعرفية والعلمية ويسخر له الأدوات العملية الواجب انتهاجها حتى يسمو إلى درجة الارتقاء العلمي والتطور المعرفي، وعلى هذا الأساس لخص ابن عاشور دعائم لنظرية التلقي وركز فيها على المتلقي كونه الحدث الأمثل لتطبيق النظرية والمقياس الأنسب لقياس سلمية الإنتاج والإنجاز الفعلي لها، حيث عدد للمتلقي أغراضا ووسائل وحدد له مراجع علمية لا بد له من إتقانها حتى يكون على أهبة واستحقاق لنيل درجة التلقي والخروج من دائرة المستفهم والمستوعب⁽²⁾، ليصبح بدوره الملقي والمفهم للغير وهذا التحول الاتصالي يبين حلقات الكلام في أصل المتلقي أثناء خروجه من دائرة الكلام الصغرى إلى دائرة التفسير الكبرى وهذه هي مرحلة التخصص للقارئ المعلول عند محمد الطاهر بن عاشور، كما أن القارئ لدى محمد الطاهر ابن عاشور أصله ووصله بالحقل اللغوي من جميع جوانبه العلمية والتراثية وأقر على ضرورة إيجاد المتلقي أو البليغ أو المفسر أو القارئ لهذه المعارف والعلوم حتى يستطيع التلقي والتفسير والفهم السليم ويعطي قيمة إضافية نتيجة القراءة التفاعلية وهذه هي قيمة الإنجاز التداولي في فكر محمد الطاهر بن عاشور تتمظهر في مبدأ التعاون والاستلزام التخاطبي.

⁽¹⁾ - التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 102.

⁽²⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، المقدمة الرابعة، الدار التونسية للنشر، تونس، ج 1، (د، ر ط)، 1984م، ص 38.

المدخل التطبيقي: حلقة التأثير والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة-قراءة تأصيلية-.

كما أنه قد حدد للمتلقي خصائص وصفات تجعله واعيا فارزا ومعدلا لما قبله ومجددا لما بعده فهذا هو المتلقي الفعال في نظره حيث قال بن عاشور في تمهيد مقدمته: >فجعلت حقا على أن أبدى في تفسير القرآن نكتا لم أر من سبقني إليها، وأن أقف موقف الحكم بين طوائف المفسرين تارة لها وآونة عليها، فإن الاختصار على الحديث المعاد، تعطيل لفيض القرآن الذي ماله من نفاذ<⁽¹⁾، هنا يبرز محمد الطاهر بن عاشور دور المجدد في العلم وأن قيمة التفسير لا تكمن في التكرار، بل في الاجتهاد الواعي والتجديد المعرفي.

ومن هنا تظهر أهمية التلقي المنتج فما جدوى العلم إذا لم يتوفر له قارئ مجددي حاجات عصره؟ ذلك هو التأثير الحقيقي، وما قيمة التلقي إذا ظل في دائرة التلقي السلبي دون فهم أو استنباط؟ ذلك هو التلقي الفاعل، وما قيمة القول إن خلا من الغاية والتأثير والبرهان؟ ذلك هو التأثير المقصود، وما أساس القول العلمي إن لم يستند إلى أدلة موثوقة ومعايير اقناعية تتجاوز البيان إلى الإعجاز؟ ذلك هو الإعجاز البياني المعرفي.

وقد تفرّد بن عاشور عن غيره لأنه زواج بين التأثير بما سبقه والتجديد فيه، وبين الفهم الواعي والمعالجة المنهجية، فكان قارئاً معاصراً ومفسراً مبدعاً، يخاطب أهل زمانه ويحاور الأجيال القادمة، واضعاً أسس التفسير العلمي الحق في ثلاثية متكاملة: العلم، التلقي، المتكلم المفسر، نوضحها في الجدول التالي:

جدول رقم(09): يلخص أسس العلم والتلقي ومهارة التواصل بين المتخاطبين

⁽¹⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، المقدمة، الدار التونسية للنشر، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص07.

المدخل التطبيقي: حلقة التأثير والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة-قراءة تأصيلية-.

أسس العلم	أسس التلقي	أسس المتلقي	أسس المتكلم
المنهج	الحد	المهارة	
المنطق	العقل	التفاعل	التبليغ
المعرفة	التأليف	الشمول	التخصص

أولاً: أساسيات التلقي

التلقي عند محمد الطاهر بن عاشور هو: "حد اللغة في فهم واستنباط النصوص وفق سياقاتها الاستعمالية وأغراضها البيانية"⁽¹⁾، فيعطي للفهم درجة أولى قبل أي شرط أو خاصية نصية لسانية إدراكية أخرى، فقد يستعمل اللفظ في حقيقته ومجازه في آن واحد، وقد تجد الفهم الذي يصل إليه قارئ معين قد وصل إليه قارئ غيره أو متكلم قبله، وكم من كلام تستظهره تجده قد سبق⁽²⁾ إليه متفهم آخر، فالمعاني القرآنية متعددة الأساليب والفنون ومتزامية الأطراف تستبعد القريب وتستدعي البعيد⁽³⁾.

ولفهم سُلْمِيَّة هذا الاستعمال يجب التقيد بقانون الجمع أثناء عملية الفهم >> الذي اعتماده أن يحمل المشترك في القرآن على ما يحتمله من المعاني سواء في ذلك اللفظ المفرد المشترك، والتركيب المشترك بين مختلف الاستعمالات، سواء كانت المعاني حقيقية أو مجازية، محضة أو مختلفة<<⁽⁴⁾.

أما حقل الاستنباط فقد أجازته في حقل التأصيل والموازنة بين الأصل الشرعي كمصدر

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص47-48.

⁽²⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، المقدمة، الدار التونسية للنشر، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص07-08.

⁽³⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص08.

⁽⁴⁾ - المرجع نفسه، ص99.

المدخل التطبيقي: حلقة التأثير والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة-قراءة تأصيلية-.

وحكم والتطبيق العملي للغة كمنهج وأسلوب، وأساس التوازن أثناء عملية التلقي عند محمد الطاهر بن عاشور يعود لأسباب علمية وعملية في آن واحد:

جدول رقم(10): يصور العوامل العلمية والعملية الواجب أخذ المتلقي بها أثناء عملية التلقي عند محمد الطاهر بن عاشور.

العوامل العلمية	العوامل العملية
القرآن الكريم	الاستنباط /الاستدلال/ الحكم/الأسلوب
اللغة العربية	البيان/المعاني/الاستعمال/اللسان

الجدول يوضح العلاقة بين العوامل العلمية والعوامل العملية في مجال التفسير أو البلاغة أو في فهم النصوص عامة، ففي الجانب الأول خصص بالعوامل العلمية التي تضمنت القرآن الكريم وهو المصدر الأساسي لموضوع الفهم والتأويل، واللغة العربية التي الأداة التي يفهم بها القرآن الكريم وتشمل على علوم النحو والصرف والمعاجم والبلاغة.

بينما يمثل العمود الثاني العوامل العملية وهي الأدوات الإجرائية أو التطبيقية التي تمارس على النص لفهمه واستنباط دلالاته التشريعية واللغوية النصية.

كما أنّ هذه العوامل تحكمها حالات لسانية أساسية تتمثل في الأغراض الاستعمالية التداولية وتنقسم فيها إلى قسمين:

***التداولية الصوتية:** يعرف الجانب الصوتي التلفظي أهم جانب في تصوير الكلام في مقام تواصل بلغة فهو الغاية الأساسية التي يجب فهم ترميزها ودراسة أحوالها وسياقاتها نظراً لأهمية المعنى الموجه بالصوت وهي ما يقارب بين صورة الحرف أو التلفظ في السيمياء التداولية حديثاً، ولهذا ففهم هذا الجانب ومراعاته أثناء تفسير مقام التواصل الخطابي يقتصر المعنى ويوجزه ويحدد بلاغته ويسهل استرساله في عقول المستفهمين وقد نظر محمد الطاهر بن عاشور فيها على وجوه

المدخل التطبيقي: حلقة التأثير والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة-قراءة تأصيلية-.

اختلافا القراءات وفق توجيه الحروف للحركة المناسبة بمقام القراءة.

فيقول محمد الطاهر بن عاشور: >> أما الحالة الأولى فهي اختلاف القراء في وجوه النطق بالحروف والحركات كمقادير المد والإمالة والتخفيف والتسهيل والتحقيق والجهر والهمس والغنة، مثل عذابي بسكون الياء وعذابي بفتحها، وفي تعدد وجوه الإعراب مثل <<حتى يقول الرسول>> بفتح لام يقول وضمها<<(1).

يعزى الاختلاف في القراءات القرآنية وتوجيهها إلى أسس صوتية تركيبية تقوم على الصفات الجوهرية للأصوات، بما يتوافق مع ما درج عليه اللسان العربي في الاستعمال، ويراعي خصوصيات اللغة العربية في بنيتها الصوتية وأنماطها القرائية، مع الالتزام بالضوابط الشرعية التي تحكم الأداء القرآني، ويوضح أسباب حالات هذه القراءات المختلفة بأن "أئمة العربية لما قرأوا القرآن قرأوه بلهجات العرب الذين كانوا بين ظهرائهم في الأمصار التي وزعت عليها المصاحف: المدينة، ومكة، والكوفة، والبصرة، والشام، قبل، واليمن والبحرين...فقرأ كل فريق بعربية قومه في وجوه الأداء...وقد يكون القارئ الواحد قد قرأ بوجهين ليتحقق من صحتها في العربية قصداً لحفظ اللغة مع حفظ القرآن الذي أنزل بها"(2)، فنجد ابن عاشور قد وفق أو وزن بين علم الأصوات وعلم التداول اللساني، حيث بين كيف تداولت اللغة العربية المواضيع اللسانية للقراءات المختلفة وكيف استخدم اللسان والصوت ضمن حقل تداولي يراعي الخصائص السياقية والاستعمالية للحفاظ على الفهم الصحيح للنص القرآني، وهذا الحفظ هو في الحقيقة ليس حفظاً للألفاظ أو المعاني فقط بل هو حفظ لعلوم العربية والقرآن على مر العصور، قديماً وحديثاً، وفي مختلف الأمصار الاجتماعية،

⁽¹⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، المقدمة، الدار التونسية للنشر، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص51.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص51-52.

المدخل التطبيقي: حلقة التأثر والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة- قراءة تأصيلية-.

سواءً كانت عربيّة أو مستعربة.

***التداولية البينانية:** وقصد بن عاشور في هذا القسم باتساع الدلالة وتعدد المعاني ففي قوله: >> اختلاف القراءات في ألفاظ القرآن يكثر المعاني في الآية الواحدة<<⁽¹⁾، حيث أن تعدد القراءة لا يعد تناقصا بل هو وسيلة لزيادة المعاني الممكنة في الآية الواحدة، وأن اختلاف المعاني يدخل في أساسيات فهم العلوم اللغوية من أجل التفسير أو التأويل الصحيح، فبلاغة القرآن محلها البيان والكشف عن أوجه الإعجاز وبلاغة اللغة محلها التفسير والتأويل القائم على النظم والسياق وأن اجتماع البيان مع التفسير ينتج لنا نظائر معنوية للألفاظ المطروحة التي تستدعي الفهم والتوضيح على حسب درجة استعمال ذلك اللفظ في تلك المواضع عند العرب، "فإكثار المعاني للفظ الواحد بطريقة اختلاف القراءات تعد تضمينا وتوجيها واستتباعا في علم المعاني، وزيادة في قانون الملائمة بين البلاغة والقرآن ولذلك كلما ارتفعت درجة الاختلاف في اللفظ كلما تعددت المعاني لذلك اللفظ وكلما ارتفعت درجة تعدد المعاني كلما ازدادت الحاجة للحجة، وكلما قويت الحجة كلما حضر الجدل وحضور الجدل يفرض حضور الاستدلال المنطقي وإذا وجد المنطق حضر العقل وهذا ما كان ابن عاشور يوضح توازنه في هذه التداولية ودليل ذلك قراءة الجمهور لقوله تعالى ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ في سورة الممتحنة، الآية 06، وقراءة نافع وابن عامر، حيث اسقط ضمير "هو" لاعتباره ضمير فصل لا مبتدأ وذلك بدليل جواز حذفه في القراءة الثانية عند البعض وأن المعنى لم يتغير وهذا هو حيز التوافق بين القراءتين كما عبر عنه التوحيدي، بحكم أنه استلزم بالحفاظ على توجيه المعنى ولو اختلف اللفظ، لكن محمد الطاهر بن عاشور يرى رأيا مخالفا وهو لا بد للمفسر أن يبين اختلاف القراءات المتواترة لأن في اختلافها توفيراً لمعاني الآية غالبا فيقوم

⁽¹⁾ -التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 55.

المدخل التطبيقي: حلقة التأثير والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة-قراءة تأصيلية-.

تعدد القراءات مقام تعدد كلمات القرآن⁽¹⁾.

وكما لاحظنا نجد أن من اقتصر على القراءة اللفظية كان مرتبطاً بعلم النحو وأسبابه، وأن محمد الطاهر بن عاشور قد ربط بين أصل البيان وحقيقته فرضاً في القراءة وعدم الاكتفاء فقط بالنحو لأن الأخير يعد قواعد معنوية مجردة مقارنة بالدرجة التي يحلها البيان ويؤثر بها على اللفظ وسياقاتها الاستعمالية فالنحو مثلاً هو توجيه اللفظ نحو استقامة المعنى أما البيان فهو توجيه المعاني نحو اختلاف تعدد الألفاظ في مقامات مختلفة، فالنحو تصويب أما البيان فهو توضيح لأنه يعد اكتشاف للمعنى وترجيح للدليل ومحااجة للقول⁽²⁾.

فشرط في أساس التلقي لابد من التمكن من اللغة وعلومها بالموازنة مع التمكن من القرآن وعلومه فهذا الجمع أو الاشتراك مجاله تكييف الفهم وتطويره مع مستجدات الأبحاث المعاصرة في اللسان العربي، بحكم أن الخطاب اللغوي العربي مصدره الأساس هو الخطاب القرآني الذي يحمل جميع أصناف الخطابات الأخرى من الاجتماعية أو السياسية أو اللسانية التداولية أو الفلسفية المنطقية أو الحجاجية؛ بمعنى أن علوم اللغة وعلوم القرآن في اجتماعها تحقق لنا توازن التلقي واستثمار سياقات استعمالية متولدة عن المصدر مثلما كان الحال في أول الأمر عند نشأة طريقة التفسير وتطورها إلى علم كذلك الحال لفكرة التلقي وتطورها إلى نظرية حديثة ممتدة إلى مختلف المجالات والسياقات الاستعمالية والبراغماتية⁽³⁾.

ثانياً: أساسيات المتلقي

وقد ركّز محمد الطاهر بن عاشور على المتلقي بكونه المفسّر وحدد له أغراض وضبطها

⁽¹⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 55-56.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص 10-11.

⁽³⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص 19.

المدخل التطبيقي: حلقة التأثير والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة-قراءة تأصيلية-.

وفق غايتها التوجيهية للخطاب اللغوي القرآني وهذه الأغراض في رأيه شيء أساسي، لأنها تُظهر للمتلقى درجة البلاغة القرآنية وحقيقة المعاني على وجه الإعجاز اللغوي، حيث كان يقول: >> تتطلعون بعد إلى الإفصاح عن غاية المفسر من التفسير، وعن معرفة المقاصد التي نزل القرآن لبيانها حتى تستبين لكم غاية المفسرين من التفسير على اختلاف طرائقهم، وحتى تعلموا عند مطالعة التفاسير مقادير اتصال ما تشتمل عليه، بالغاية التي يرمى إليها المفسر... ثم ينعطف القول إلى التفرقة بين من يفسر القرآن بما يخرج عن الأغراض المرادة منه، وبين من يفصل معانيه تفصيلاً، ثم ينعطف القول إلى نموذج مما استخرجه العلماء من مستنبطات القرآن في كثير من العلوم<<⁽¹⁾، ولعلّ الملاحظ هنا يجد محمد الطاهر بن عاشور قد اهتم بالمتلقي من زاويتين أساسيتين هما: زاوية البعد وزاوية الوظيفة وهذه الزوايا هي أهم نقطة في البحث التداولي الحديث أو البلاغي البياني التأصيلي قديماً؛ حيث يمكن القول أن في زاوية البعد اشتغال لمختلف العلوم وأنواع الخطابات والسياقات المقامية وخاصة المقاصد اللغوية القرآنية فهي الزاوية التي تعد تأصيلاً عند محمد الطاهر بن عاشور هي ذاتها تعد معياراً في الدراسات والأبحاث المعاصرة وتسمى بالشمولية، أما زاوية الوظيفة فهي تتعلق بالأسلوب البلاغي والغرض البياني والمعاني الحقيقية والمجازية التي يتخذها المفسر منها في رصد الوظيفة الاتصالية والكشف عن مواطن الغموض وبهذه الزاوية يكون التمييز بين من يكون مفسراً مؤولاً ومن يكون مفسراً مفصلاً ومصرحاً ومن يكون مفسراً مقولاً مستنبطاً ومثيراً للحجج والأدلة من المقصد الكلامي.

ثالثاً: أساسيات المتكلم

نجد محمد الطاهر بن عاشور قد فصل بين المتكلم الأول وبين المتكلم الثاني وصنف في

⁽¹⁾ - التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 38.

المدخل التطبيقي: حلقة التأثير والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة- قراءة تأصيلية-.

هذا التفرد صفتي التبليغ والإفهام والمحااجة والبرهان ضمن شروط أو أسس المخاطب؛ بكونه الناطق للخطاب وفق غاية محددة لا يستكملها إلا إذا كان مراعيًا لخصوصياته التبليغية وحاجات المتلقي التفهيمية وأدوات التوجيه الإقناعية والاستدلالية أثناء إثبات الحجة بغرض تقويتها أو دحضها فعنصر التأثير والإقناع أهم من عنصر الإلقاء والتأليف، بل أن عنصرا الإلقاء والتأليف لا يبلغا درجة التواصل إلا إذا حققا شرط التأثير وهو الفعل الإنجازي للمتكلم المتعلق بمحوري الأداء والكفاءة، فكلما ارتفع الأداء كانت الكفاءة أقوى وأبلغ وتأثيرها أسطع، والتي بدورها تأخذ المتلقي من عنصر التلقي إلى عنصر الإنتاج وهذه هي درجة بلوغ الفهم والإفهام.

وهنا نلاحظ أنّ محمد الطاهر ابن عاشور قد حدد فكرة التلقي وصور تطورها وبيّن أنّ العلم لا يسمى علما والنظرية لا تسمى نظرية إلا إذا توفرت على شروط ذلك العلم أو النظرية للاصطلاح عليها ذلك الاسم، فهو يركز على المتلقي ويؤخر المتكلم بدرجة بحكم درجة الفهم والاستيعاب والتجديد أولى، فقد خاطب الله سبحانه وتعالى العرب بلسانهم الفصيح والمطرد في الاستعمال واختاره الله سبحانه وتعالى مستودعا لمراده ومقصده من الوحي والتنزيل لأمرين أساسيين هما: أولهما لكون اللسان العربي بليغ وفصيح وكثير الاستعمال، وثانيهما لكون اللسان العربي يحتمل أكثر من معنى مع إيجاز لفظه، فعموم الغاية التشريعية تجمعها خصوصية الإعجاز بالدرجة الأولى تتمظهر في المقاصد، وخصوصية التلقي واختيار الملقى لأساسيات التلقي وذلك لحاجة المتلقين إليها وهؤلاء هم المخاطبون العرب الذين اختارهم الله تعالى⁽¹⁾.

فالمتلقي هو المستفهم الأول للعلم وهو الشمولي والطالب للتعلم والنقطة وهو المسبب لنشأة عملية التلقي لكونه بحاجة المخاطب في كل أحوال خطابه وتواصلاته واستفهامه فهو المصدر له

⁽¹⁾ - التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 39.

المدخل التطبيقي: حلقة التأثير والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة-قراءة تأصيلية-.

والمرجع في حد ذاته، أما المتكلم الثاني هو المفهم الأول للمستفهم الأول في العلم المتخصص والمطالب بالإبلاغ والمحدد لنوعية الإلقاء، بحيث يرى محمد الطاهر بن عاشور أن لا يأتي المتكلم بشيء خارج عن تخصصه وعلمه ومعرفته. ويمكن الفرق في الحد الذي يفرض طريقة الإلقاء والمنطق الذي يقيد ضرورة الإلقاء فرق وظيفي، وأن اجتماعهما أثناء عملية التواصل يفرض على المتخاطبين إتمام وظيفة التواصل والاستجابة إما بالتأثير فيحدث إطلاقاً أو بالتأثر فيلزم تقييداً. ومن هنا نفهم بأنّ المتحاور يكون شمولياً نتيجة التراكم والتشعب المعرفي والعلمي وتعدد وجهات الرأي وتكدس المعلومات حوله أما أن يكون المحاور متخصصاً فهو نتيجة الفرز والنقحص والتمحيص في المعلومة ومصادرها والاقتصار على الأهم وتجاوز المهم وأنه ملزم بتوجيه السامع نحو الغاية أو الفائدة العلمية المراد اكتسابها أو الإحاطة بها، وعدم التوسع لكونه في مكانة أرقى المتلقي بحكم أنّه وصل إلى مرحلة النضج المتخصص حتى يستطيع المخاطب التثبت من المعلومة⁽¹⁾.

المطلب الثالث: محمد الطاهر بن عاشور ملقياً ومأثراً بمن جاء بعده

أولاً: صور تلقي محمد الغزالي في طريقة التحليل والفهم (المعاني الخفية وأغراضها البعيدة).

يعد محمد الغزالي متأثراً بخطاب محمد الطاهر بن عاشور اللغوي الديني وذلك من خلال منهجه وقواعد التوجيه المعمول بها عنده، حيث يظهر لنا أن محمد الغزالي قد أعطى أولوية للفكر اللغوي وأهميته في التفسير القرآني وهو نفس الغرض الذي اتخذته محمد الطاهر بن عاشور وأضافه عن غيره من المفسرين الذين جاؤوا قبله؛ ممهداً في ذلك ومعدلاً مصححاً لمن سيأتي بعده فاستفاد محمد

⁽¹⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 39-40.

المدخل التطبيقي: حلقة التأثير والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة-قراءة تأصيلية-.

الغزالي من أهم المتلقين الذين أثر فيهم محمد الطاهر بن عاشور ونوضح بالتفصيل عتبات التأثير والتأثير بين محمد الطاهر بن عاشور ومن جاؤوا بعده وفق بعض المبادئ الخطابية والقواعد الاستدلالية في تلقي الخطاب وتفسيره نوردتها كما يلي:

1-مبدأ التوجيه اللفظي للمعنى الخطابي:

شمل مبدأ التوجيه⁽¹⁾ مجموعة من الخصائص والصور البلاغية اللغوية التي تعنى بالمعاني الظاهرة والمضمرة والتي تحتكم إلى الأغراض والسياقات الخاصة والظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للمتلقي، وقد راعت البلاغة القرآنية هذه الصور البلاغية من أجل تحقيق أعلى درجة من درجات التأثير والاستجابة فكما كانت الصور البلاغية للفظ أكثر إضمارا كلما شغلت العقل والنفس للبحث عن معناه وتفسيره، فالتأمل الباحث المتعمق يستهوى هذه الأصناف من البلاغة لأنها تجعل له نوع من أنواع التذوق أثناء توجيه اللغة نحو فهم الخطاب وإدراكه، وعليه نجد كل من محمد الطاهر بن عاشور والشيخ محمد الغزالي اهتموا بالمعنى المتعدد الأوجه والدلالة. وقد اتفق محمد الغزالي مع محمد الطاهر بن عاشور في تصوير المعنى على أنه أسلوب علمي لغوي ثابت في الأصل ويتغير ثبوته في حالة الانتقال من نقطة الشرح إلى غرض المفسر وذلك تبعا لفكر المفسر وبيئته والزمن الذي تلقى فيه الخطاب.

وهذه الإشارات الزمنية والمكانية تعد في حد ذاتها بنية تفسيرية لظروف التلقي ولابد من مراعاتها لصحة الحكم على التفسير وضبط أغراضه بشكل سليم وخاصة عندما يتعلق الأمر بالخطاب القرآني، فأغلب مواضعه تفرض على المتخاطبين الدقة والثبات لأن حججه يقينية معجزة

(1)-ينظر توفيق جمعات: التوجيه المعجمي للقراءات القرآنية دراسة تطبيقية لنماذج من القراءات المتواترة، جامعة عمار ثليجي الأغواط-الجزائر - مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، ع8، جوان 2018م، ص402.
*مبدأ التوجيه: عند أهل العربية هو الفرق بين الوجوه والنظائر.

المدخل التطبيقي: حلقة التأثير والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة-قراءة تأصيلية-.

تستدعي التقريب بالأسلوب المناسب كشرط الملائمة وهذا الأخير يعد معيارا تداوليا في الأبحاث المعاصرة التي تحكم الخطاب ونسيجه⁽¹⁾.

وما يدل على توافق المعنى بين محمد الطاهر بن عاشور ومحمد الغزالي كذلك في قول محمد الطاهر بن عاشور: >> ويظهر أن هذا العلم إن أخذ من حيث إنه بيان وتفسير لمراد الله من كلامه كان ممدودا من أصول العلوم الشرعية وهي التي ذكرها الغزالي في الضرب الأول من العلوم الشرعية<<⁽²⁾. حيث يشترط هذا العلم مراعاة المناسبة بين المعنى الأصلي (المنقول عنه) والمعنى الفرعي (المنقول إليه)⁽³⁾، ومن هنا نجد محمد الطاهر بن عاشور قد حدد العلم الخاص بمصطلح المناسبة وإن دل هذا فهو يدل على تحديد أوجه المعنى المحتمل وفق الصورة الأصلية للمعنى الأساس فما وافق فهو ضرب بياني وما لم يوافق فهو ضرب تفسيري لأن الأول يعد غرضا بلاغيا أما الثاني يعد نظما لغويا وكلاهما يقصد بهما تفسير الألفاظ من أجل ضبط المعنى، حتى أن بعض المفسرين قد اعتبروا في الضرب التفسيري نوعين: الأول تعريف لفظي⁽⁴⁾، كقوله تعالى ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ سُورَةُ الْفَاتِحَةِ، الآية 03، فسرهما بن عاشور هو يوم الجزاء، فقد أخذ معنى التعريف للإعلام والتوضيح فقط. أما النوع الثاني: هو الاستنباط ينضوي في سياق دلالة

⁽¹⁾ - بلقاسمي الزبيدي: كتاب الاجتهاد في مناط الحكم الشرعي دراسة تأصيلية تطبيقية-رسالة دكتوراه - اش: غازي بن مرشد العتيبي، مركز تكوين للدراسات والأبحاث، ط1، 1435هـ - 2014م، ص84.

* مفهوم المناسبة: وهو الملاءمة ويقال: هذه اللؤلؤة تناسب هذه اللؤلؤة، أي: تلائم جمعها في سلك واحد

⁽²⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، المقدمة، الدار التونسية للنشر، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص13.

⁽³⁾ - المرجع نفسه، ص12.

⁽⁴⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص12.

المدخل التطبيقي: حلقة التأثر والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة-قراءة تأصيلية-.

الالتزام⁽⁵⁾ "كقوله تعالى ﴿وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ سورة الأحقاف، الآية 14، مع قوله ﴿وَفِصْلُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ سورة لُقْمَنَ، الآية 13، فضبط التوجيه الدلالي للمعنى بأسلوب التقريب في تبيان الفرق بين الفصل في ثلاثون شهرا والفصال في عامين فيأخذ بالاحتمال أن أقل الحمل ستة أشهر⁽¹⁾. فنجد التعريف اللفظي للشيخ محمد الغزالي للآية القرآنية (مالك يوم الدين) المقصود بالجزء يوافق حد تعريف محمد الطاهر بن عاشور غير أن محمد الغزالي مال إلى التفصيل والربط والمقابلة مستندا إلى الدلالة الزمنية البعيدة المدى فربط بين الزمن المعاصر وزمن الغيب الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، وتم هذا الربط بصورة المقابلة من أجل تقريب التصوير وتثبيته في ذهن القارئ أكثر، أما من حيث الدلالة المكانية فقد قسمها إلى ثلاثة أقسام: قسم الحضارة العليا المادية وتتمثل في الفكر المادي والنفعي الذي سيطر على عقول الناس الآن والحضارة المتوسطة التخصصية وهي تتعلق بالفكر العلمي وكل ماله علاقة بالميادين الخاصة بالعلم والتطوير، والحضارة الدنيا الإنسانية وتعلق بالفرد العادي أو الإنسان البدوي الذي يحيا دون غاية أو نفع ابتغاء حسن الجزاء في العالم الآخر، وهذه الحضارة يراها البعض هزل أثناء ذكرها لعدم الاهتمام أو الاكتراث بها⁽²⁾.

أما دلالة الالتزام في تفسير محمد الغزالي فقد اختصت "بالدلالة الموضوعية" القائمة على أسلوب المحاور، فقال في تفسير الآية (وفصاله في عامين) أنه >> عند بلوغ العظام يتشاوران معا

⁽⁵⁾ - محمد الطيب الفاسي: مفتاح الوصول إلى علم الأصول في شرح خلاصة الأصول، تح: إدريس الفاسي الفهري، دار البحوث الإسلامية وإحياء التراث، دبي - الإمارات المتحدة، ط1، 1425هـ-2004م، ص84.

* دلالة الالتزام: وهو الزوم الذهني البين.

⁽¹⁾ -ينظر: محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، المقدمة، الدار التونسية للنشر، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص12.

⁽²⁾ -ينظر محمد الغزالي: نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، ط4، 1420هـ-2000م، ص7-8.

المدخل التطبيقي: حلقة التأثير والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة-قراءة تأصيلية-.

في ذلك فإن أراد فصلا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما⁽³⁾، فنجد أنّ محمد الغزالي تأثر بمبدأ التفسير الدلالي الذي خاضه محمد الطاهر بن عاشور من جانب الإبلاغ والتعليل ورفع الحجة عن المتكلم⁽¹⁾.

2- مبدأ القواعد الكلية الفلسفية المنطقية للخطاب اللغوي:

- مبدأ القواعد اللغوية: اعتمد محمد الطاهر بن عاشور على مبدأ القواعد اللغوية وتوظيفها في التفسير لأنها تدعم مبدأ التوجيه وترسله نحو القاعدة السليمة للتأويل في ذهن القارئ، وأن أساس الحجة والبرهان المنطقي عند محمد الطاهر بن عاشور هو ضبط المصدر مع خصوصية قواعد الاستنباط العقلي باللفظ المقصود المعبر عن المعنى المتمم للكلام والمستوفي الشروط وأهمها الفهم فتتقسم العلوم اللغوية إلى نوعين علوم منقولة وعلوم معقولة وبآلية الفهم تكون المسائل في القضايا الكلية مبرهنة عليها في العلم الخاص بالعلوم المعقولة وذلك لأن العلماء قد اشترطوا ذلك في تقسيم العلوم، أما العلوم الشرعية والأدبية لا يشترط فيها ذلك، بل يكفي أن تكون مباحثها مفيدة كمالات علميا لمزاولها... كما انه لا يعنى بعلم الكتاب حفظ ألفاظه بل فهم معانيها⁽²⁾، وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدلّ على أن القاعدة حكم قائمة على قواعد التفسير وأن اللغة بناء وأن ما اتصل بها علم وهو الأساس الذي نجده أثناء استعمال وتداول اللفظ ومعانيه المختلفة بين الناطقين لها، وما جاء وصلا لها فهو فرع وأن حاجة اللغة للعقل كحاجة الجسد للروح، ولذلك فالعلم لدى محمد الطاهر

⁽³⁾ - ينظر محمد الغزالي: نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، ط4، 1420هـ-2000م، ص22.

⁽¹⁾ - ينظر: نحو تفسير موضوعي، مرجع سابق، ص22.

⁽²⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، المقدمة، الدار التونسية للنشر، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص12-13.

المدخل التطبيقي: حلقة التأثير والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة-قراءة تأصيلية-.

بن عاشور أنواع: علم خاص وهو علم اللغة المسؤول عن تولد جميع العلوم الأخرى والمستدعي للدراسة والتفصيل وعلم عام وهو كل علم مستمد من علم اللغة يعدّ فرعاً عنه، علم التفسير الذي يعدّ علماً عقلياً فرعياً نشأ من حاجة العقل إلى شرح الألفاظ وفهم دلالاتها في السياق القرآني وتوجيه دلالات المعاني في السياق اللغوي البلاغي المفترض، أما علم اللغة فهو علم عقلي محض ناشئ عن فعل الكلام اللفظي في بيئة اجتماعية خاصة بزمان محدد ومرتبطة بغرض خاص وهذا يدعى بالتغريض أي مجموعة السلوكيات والتفاعلات اللغوية الأدائية الفارضة على المتلقي بلوغ درجة الاستيعاب والتأثير بالإضافة إلى تحديد القصد اللغوي الأساسي من الكلام وما تولد عنه من ألفاظ استبدالية وتراكيب إسنادية للمعنى الخاص وتفرقة عن المعنى العام المجمل كما يتميز الحقل اللغوي بمرونة النقل والتموضع أثناء الاستعمال فيصبح المتلقي من معقول إلى منقول على وجه الاستدلال والاستشهاد وهذا ما اعتمده محمد الطاهر بن عاشور ورأى أنّ الحقل اللغوي يعدّ عنصراً بالغ الأهمية في عملية التفسير لأنه يضمن له أساليب التفسير المختلفة ويُمكن له من ضبط المعنى وتوجيهه إلى الذهن فاللغة تحمل حقل عقلي -يخص أسلوب الاستقامة ومنطقية التأليف- أو حقل نقلي -يخص أسلوب التوسع وأسس الاستعمال- وهذه الحقول هي نفسها الحقول الخاصة بالتفسير وحتى أنها تعدّ من أهم المباني المعنوية التأويلية؛ ومثال ذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾ سُورَةُ النَّصْرِ، الآية 03، أثناء تفسير قوله تعالى يستلزم التقيد بمجموعة من القواعد اللغوية التفسيرية⁽¹⁾ وضبط شروطها لتحقيق فعل التوجيه الدلالي

والاستقامة اللغوية للمعنى بالكيفية التالية:

*القاعدة اللغوية المنطقية: اختصت هذه القاعدة بالصنف التأصيلي للكلام وتركز على علم

⁽¹⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع السابق، ص 12-13.

المدخل التطبيقي: حلقة التأثير والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة-قراءة تأصيلية-.

النحو وأصوله؛ ففي الأول وجه"السيوطي كلامه في معناه إلى مستوى الاهتمام بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب ودرجة الصحة والثقة في النقل والتداول في اللسان العربي، وربط الخضراوي علم النحو بالتغيرات اللغوية التي تطرأ على الكلم وأواخرها أي بالأثر الإعرابي للكلام العربي"⁽¹⁾، وأما في الثاني عرّفه ابن الأنباري على أن >> أصول النحو أدلة النحو التي تفرعت منها فروع وفصوله، كما كان أصول الفقه أدلة الفقه التي تنوعت عنها جملته وتقصيله<<⁽²⁾، وهذين العلمين يعدان الركيزتين المشتركتين في صنع منهج التقعيد والتعميم بين معياري العقل(القياس) والنقل(الاستعمال)، وهذا التلاقح بين العلوم اللغوية والأصولية توجه الخطاب اللغوي نحو التفسير البياني والنحوي، القائم على مجموعة من الروابط المنطقية والشبه المنطقية والمتوفرة على شروط العقل والبرهنة والمحااجة، وإذا كان المنطق الفلسفي له علاقة وطيدة بالمنطق النحوي والبلاغي فإن الخطاب سيكون مصاحب للمعاني المستلزمة للدلالات الوضعية والقياسية والاستعمالية، وعليه تستمد هذه القاعدة علم تفسيرها من العلوم اللغوية وتشتمل على قدرة الضبط من التقويل الموسع والوقوف عند أهم قاعدة في النحو واللغة وهي قاعدة التقعيد المنقسمة إلى منهج المعيارية والقائم على المطرد ودفع الشاذ من الكلام والنادر منه في الاستعمال ومنهج الاستعمال القائم على المطرد والشاذ معا من الكلام بحكم أن القرآن جاء بلغة قريش خاصة ولهجات العرب جميعا المتداولة كذلك ولو كانت قليلة في الاطراد اللغوي ويقول الحضرمي في

⁽¹⁾ -ينظر عبد الرحمن بن أبو بكر جلال الدين السيوطي(911هـ): الإقتراح في أصول النحو وجدله، تح: محمود فجال، دار القلم، دمشق، ط1، 1409هـ-1989م، ص24.

⁽²⁾ - ينظر أبو البركات عبد الرحمن كمال الدين بن محمد الأنباري(577هـ): الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة في أصول النحو، تح: سعيد الأفغاني، دار الفكر، ط2، 1391هـ-1971م، ص80.

المدخل التطبيقي: حلقة التأثير والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة-قراءة تأصيلية-.

ظاهرة التخصص: >>عليك بباب من النحو يطرد وينقاس<<(1).

ويعلق الكسائي في ظاهرة التوسع: >>إنما النحو قياس يتبع وبه في كل أمر ينتفع<<(2)، غير أنه لم يقف عند القياس منحصرًا بل مده واتسع فيه وحول كل قياس مقيد إلى قياس مطلق من أجل الانتفاع أي تحت غاية الإفادة بحكم القياس ضبط اللغة واللغة استعمال فلا يصح الانحصار أثناء التقعيد ولا بد من دراسة اللغة في سياقها الحي بدل سياقها اللغوي المجرد فتوسع في القياس "واتهمه البصريون باللحن ثم ألف كتاب لحن العوام للرد على اتهامه بأنه يفرز بين اللحن العطب اللساني الذي يفسد النحو واللغة معا وبين الاستعمال والقياس الواجب إدماجهما في التفسير اللغوي وتثبيت القاعدة فهو يؤكد على التفريق بين لغات العرب واللحن"⁽³⁾، فرأى الاطراد في القياس هو قانون لساني محتم وأن الإتياع في الاطراد هو الوضع الاستعمالي المنتفع المحقق لفائدة وهي اشتغال اللغة لعدم ضياع أسبققتها المعنوية الخاصة والعامة معا وعدم الاضطراب أثناء التقعيد إلى الصنعة اللغوية بلفظها ومعناها والالتزام باللسان العربي عامة وتخصيص منه الخاص، وذلك لحتى لا تفسر اللغة بمعنى آخر بعيدا عن استلزامها ولا تقف مقيدة عاجزة في قالب نحوي تحكمه قاعدة جافة فتموت اللغة الواسعة في فترة ما، فنجدده خصص القاعدة كمعيار سماعي محكم يعود إليه أثناء التشفير والحصص، وخصص التوسع كحكم لساني متحرر يحرك القالب المجرد من حين إلى آخر ويخرج اللغة من جمودها ويطورها حسب أسبققتها اللسانية المتعددة الظروف والمتغيرة الأحوال.

والنحو عمدة العوامل والعلل وتفسيرها من باب الاستقامة والإعراب بحكم أن العوامل تؤثر

⁽¹⁾ - خالد حسين أبو عمشة: الاصطلاح النحوي البصري، الألوكة، (د، ر ط)، 1436هـ-2015م، ص16.

⁽²⁾ - أحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف (1426هـ): المدارس النحوية، دار المعارف، (د، ر ط)، (د، ت)، ص76.

⁽³⁾ - ينظر: المرجع السابق، ص76.

المدخل التطبيقي: حلقة التأثير والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة-قراءة تأصيلية-.

على بناء المعنى في تشكل الخطاب ويظهر ذلك على الكلام لفظاً في ظاهره ويصحب هذا التأثير خلق زيادة أو نقصان في المعنى ولعل ذلك دور في فرض الاستقامة وتحديد المعنى إذا كانت العلل عقلية منطقية فإن الاستقامة عقلية لغوية وهذا ما يقره كل من سيبويه والزجاجي وقد اتخذ محمد الطاهر بن عاشور وصنفه في محور المطابقة اللغوية بين اللفظ والمعنى من الناحية المنطقية، وعلاً ذلك بأن قال "لو كان التفسير مقصوراً على بيان معاني كلام القرآن الكريم لكان نزرًا، بل إن القرآن يمتد إلى أوسع من ذلك بكثير حيث يذهب بحد البيان إلى حد الاستنباط وفتح نافذة التأمل والتقييس الموسع"⁽¹⁾.

*القاعدة البلاغية التفسيرية: اتخذت اللغة العربية درجات علمية مختلفة ومتنوعة فصنفت المقاييس اللغوية البلاغية على حسب قاعدة الأولوية لبلاغة الكلام أو على حسب درجة الحاجة إلى البيان أثناء الاستعمال، وهذه الدرجات هي عبارة عن مسافات خطابية بين العلوم العربية لأن جل الكلام متكون من شقين شق المرسل وشق المتلقي، وبين هذين الطرفين علاقة ترتيب وموقعية، ونجد ابن خلدون تقاطع مع محمد الطاهر بن عاشور في ترتيب العلوم العربية وتدرجها حسب الموقع والرتبة والأهمية فحديث ابن خلدون عن الرتب العلمية للغة العربية وتصنيفها في هرم عمراني⁽²⁾ يدل على ضبط المسافة بين العلوم ومنها بين الأطراف المتخاطبة كذلك ابن عاشور قد تحدث في مقدماته العشر⁽³⁾ ورتبها على حسب درجات الأولوية والموقعية بين المفسر

⁽¹⁾ -ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، المقدمة، الدار التونسية للنشر، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص28.

⁽²⁾ - ينظر عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، دار يعرب، تح: عبد الله محمد الدرويش، دمشق، ط1، 1425هـ - 2004م، ص98-110.

⁽³⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، المقدمة، الدار التونسية للنشر، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص16-17.

المدخل التطبيقي: حلقة التأثير والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة-قراءة تأصيلية-.

والمتلقي المفسر له، ويمكن تلخيص المسافة البلاغية الخطابية بين محمد الطاهر ابن عاشور وابن خلدون في الشكل الموازي التالي:

الشكل رقم(16): يمثل حدود التلقي ورمزيات الإلقاء بين محمد الطاهر بن عاشور والجرجاني وابن خلدون من ثلاث زوايا أساسية -اللغة وجوهر النفس والحيز الاجتماعي-.

الرتبة والموقعية للعلوم العربيّة في الخطاب العربي وأسسها لدى المتلقين
(محمد الطاهر بن عاشور التفسيرى وابن خلدون الاجتماعى)

التصنيف العاشوري	درجة التطابق مع تصنيف عبد القاهر الجرجاني	التصنيف الخلدوني
علم التفسير والتأويل	الاستدلال المنطقي اللغة البلاغة	علم النحو الشعر
المتلقي		
نظرية علم المقاصد البلاغية		
نظرية التلقي والقراءة		
نظرية السياق	الأسلوبية الشعر	علم الأسلوب
علم دلالة المصطلح		
علم المناسبة		
علم النص القرآني	الإعجاز المعاني والبيان والبديع	علم البلاغة علم اللهجات
علم المعنى ومعنى المعنى		

علم الإعجاز

المدخل التطبيقي: حلقة التأثير والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة-قراءة تأصيلية-.

المرجع: ينظر عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، دار يعرب، تح: عبدالله محمد الدرويش، دمشق،

ط1، 1425هـ-2004م، ص98-110. / ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير،

المقدمة، الدار التونسية للنشر، تونس، ج1، (د، ط)، 1984م، ص16-17.

ومن هنا نرى أن كل من ابن خلدون ومحمد الطاهر بن عاشور قد اشتغلا على الدرجات اللغوية البلاغية في اللغة العربية واعتبارهما للمسافة التخاطبية أنها تتوازى مع درجة التصنيف اللغوي للعلوم العربية عند عبد القاهر الجرجاني، والتي تصل إلى حد بلاغة الإعجاز وهذا الحد البلاغي يخرج عنه ثلاث مسافات تخاطبية متميزة عن بعضها البعض إلا أن محمد الطاهر بن عاشور وظفهم ضمن حقل علمي واحد وهو حقل التأويل.

ركّز ابن خلدون على البعد الاجتماعي في عملية التلقي وفهم الخطاب اللغوي، معتبراً أن التفاعل مع الخطاب يتم ضمن سياق اجتماعي محدد يؤثر في القراءة والتأويل. وقد منح الشعر مكانة معرفية رفيعة تفوق غيره من العلوم، لكونه يمثل اللغة الطبيعية للاستعمال اليومي في اللسان القومي. كما نظر إلى البعد الاستعمالي للغة من زاوية التأليف والصناعة، مبرزاً التداخل بين البلاغة والأسلوب بوصفهما أداتين أساسيتين في تشكيل المعنى والتأثير الخطابي.

فربط البلاغة الاستعمالية للسان العربي بنموذج الهرم العمراني يعود إلى طبيعة اللغة الاجتماعية وبعدها التأثيري في تطوير فكر أفراد المجتمع⁽¹⁾، الذين يعيشون داخل ذلك العمران والذين يتميزون بصفات وخصائص تختلف عن غيرهم من أهل العمران ذاته⁽²⁾.

وقد حاول محمد الطاهر بن عاشور مناصرة هذا التقسيم بإعطاء أولوية للعلوم اللغوية

⁽¹⁾ - ينظر عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، دار يعرب، تح: عبدالله محمد الدرويش، دمشق، ط1، 1425هـ-2004م، ص137.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص140.

المدخل التطبيقي: حلقة التأثير والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة- قراءة تأصيلية-.

وقواعدها في تفسير الخطاب، كما عدّها عمدة القارئ المنتج أو المفسر المؤول، وأبرز من خلالها أن هذا النوع من القراء هم من يعطون للمعنى حقوله الدلالية ومقاييسه الاستعمالية ومقاصده المضبوطة لأنه يتميز بكفاءة لغوية مما يجعل لغته التفسيرية أكثر وصفاً وأدقّ في الإبلاغ من القارئ العادي، الذي طالما يتميز بالسطحية أو الشكلية في طرح الموضوع دون إيجاد حجج وبراهين ممكنة تساهم في دعم تفسيره وتطويره كما أن غياب الحجج والبراهين يعدّ ضعف إنتاجي لأن العلم ما اعتمد على اليقين من خلال أساليب الإثبات وأدوات التقوية التي تجعله يترسخ وينتشر، أما ضعف الإنتاج ينقص من اهتمام القارئ ومنه يقلل درجة التأثير في الآخر وإقناعه وليس كل من يقرأ يبلغ هذا المقام، إذ لا يكفي أن يكون قارئاً، بل ينبغي أن يتحلّى بالدقة والبلاغة، ويكون كفؤاً لما يطلبه المقام من فهم وتبيين وتمكّن من جميع القواعد اللغوية والبلاغية والتفسيرية المنطقية والحجاجية، هذه الكفايات تعدّ أدوات إجرائية للقارئ المنتج، ولن يبلغها إلا إذا كان له طول نفس وعمق استيعابي للكلام، حيث يعلق محمد الطاهر بن عاشور عن الكفاية اللغوية ويستدل بقول الجد الوزير: >> وهي ناشئة عن تتبع استعمال البلاغ فتحصل لغير العربي بتتبع موارد الاستعمال والتدبر في الكلام المقطوع ببلوغه غاية البلاغة فتكون معرفة الذوق لا تقبل الخاصة وهو يضعف ويقوى بحسب مثاقفة ذلك التدبر<<⁽¹⁾، ويقصد في ذلك أن الكفاية اللغوية في البلاغة العربية تعدّ من أساسيات الأسلوب في قياس درجة المعنى من قربه وبعده وقوته وضعفه، وأن أسلوب المثاقفة أو المحاوره هو أساس العلم والتدبر والبحث، وأن الاستعمال الخفي أبلغ في اللغة من الاستعمال الظاهر، وأن المحذوف أبلغ من المذكور وأن الكلام الخاص أهم من العام لأنه هو

⁽¹⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، المقدمة، الدار التونسية للنشر، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص21.

المدخل التطبيقي: حلقة التأثير والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة- قراءة تأصيلية-.

المقصود.

أما محمد الغزالي فقد اهتم بالكفاءة اللغوية وعدّها قاعدة أولية من القواعد الكلية وفرّع القواعد الكلية إلى قاعدة جزئية عامة وقاعدة كلية خاصة، وفي اجتماعهما ينتج قاعدة كلية فلسفية، حيث قال في مقدمته على تفسير القرآن وأسلوبه: "لا يكفي أن نتناول السورة بظاهرها وروابطها السطحية وإنما لابد أن نتعرف على الروابط الخفية التي تشدها كلها، وتجعل أولها تمهيدا لآخرها، وآخرها تصديقا لأولها"⁽¹⁾، فهو يلزم المتلقي المفسر أن يراعي شرطي المطابقة والصدق وهذين الشرطين هما معيارين تداوليين في استراتيجية الخطاب.

وإن نظرنا إلى هذه القاعدة الكلية الفلسفية سنجدّها حتما مرتبطة بالحجاج أو ببلاغة الحجة، لأن القرآن كله خطاب مؤسس على حجج وبراهين وفق منهج جذلي إقناعي اجتماعي ومنهج تفسير محمد الغزالي يميل بكثرة إلى منهج محمد الطاهر بن عاشور المتمسك بالفلسفة العقلية والمنطقية، وجل القواعد المنطقية المؤسسة للحجج لها أبعاد تفسيرية تداولية.

يعود التقاطع التداولي بين محمد الغزالي ومحمد الطاهر بن عاشور إلى حقيقة البلاغة وأغراض التفسير وأسرار التأويل وتوجيه المقصد، فكل منهما اعتمد على منهج فلسفي تحليلي وهذه الصفة تعد انطلاقة تداولية بحتة لأن التداولية كما عرفنا نشأت من رحم الفلسفة التحليلية وتميزت هذه الأخير بغلبة العقل والمنطق على الكلام، وأن مجال الفلسفة مجال واسع ومتعمق يسمح للمنتج بالممارسة العقلية لمعالجة الموضوعات ونقدها، كما أن التفكير في حد ذاته يميل إلى الصبغة الفلسفية حتى نجد أن بداية أي علم يبدأ انطلاقاً من أطروحة فلسفية ناتجة عن ملاحظة ذاتية

⁽¹⁾ - ينظر محمد الغزالي: نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1416هـ - 1995م، ص05.

المدخل التطبيقي: حلقة التأثير والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة-قراءة تأصيلية-.

لستقل بعد ذلك وتترسخ على أنها ملاحظة موضوعاتية هذا الانتقال لا يتم إلا من خلال الملاحظات الدقيقة فموضوع الفلسفة هي المعرفة، والعلم هو فعل عقلي، يقوم على تقوية المعرفة ودعمها وإثباتها فإذا كان العلم عمل فإن الفلسفة تعد منهاجاً لذلك العمل "والعلم لا يكتسب إلا بطرائق عقلية خاصة يستند إليها العلماء في البحث عن الحقيقة... فهل يمكن الاكتفاء بقانون الأحوال الثلاث للبرهان على المعرفة العلمية"⁽¹⁾، والانفراد عن غيرها من المعارف الأخرى؟ وماهي قيمة مبادئ العلم؟.

فالمجيب عن هذا السؤال الأخير سيدرك أن مبادئ العلم في الفلسفة التحليلية تعتمد في جوهرها على قواعد البيان والتبيين، وأن مبدأ الاستقلال في محور الانفراد ينبع من التميز والتخصص. كما أن الاكتفاء بقوانين المعرفة الثلاثة—قانون الأسلوب، وقاعدة الصدق، وقانون المطابقة—لا يكفي وحده لإثبات المعرفة العلمية، بل يتطلب الأمر طاقة عقلية وعملية مضاعفة، تنطلق من الاشتغال العميق بموضوع البلاغة وقواعدها التفسيرية. وفي هذا السياق، نجد أن الإمام محمد الغزالي قد تناول هذه القواعد، مبرزاً علاقتها بالتفسير والتأويل، وهو توجه سبق أن أشار إليه محمد الطاهر بن عاشور، الذي أولى الفهم البلاغي للنص القرآني أهمية خاصة. وإذا نظرنا إلى العلوم اللسانية المعاصرة، فإننا نجد الخطاب الديني—وفي مقدمته الخطاب القرآني—يُعدّ الخطاب الأكثر شمولاً، لما يتميز به من اتساق، وقوة في القياس، ودرجة عالية من الإعجاز. إذ يحتوي الخطاب القرآني على جميع أنماط الخطابات اللغوية الأخرى، ويتفاعل معها في مختلف المقامات التواصلية. ويُعدّ هذا أحد أبرز الشواهد على شمولية الخطاب القرآني وفاعلية المنهج التحليلي

⁽¹⁾ - ينظر جميل صليبيّا: كتاب دروس الفلسفة، علم النفس، مطبعة ابن زيدون، دمشق، ط1، 1359هـ- 1940م، ص21-24.

المدخل التطبيقي: حلقة التأثير والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة- قراءة تأصيلية-.

التداولي في الكشف عن أبعاده. لكل من ابن عاشور ومحمد الغزالي فيما يلي:

***الخطاب الاجتماعي:** تحدث محمد الغزالي عن القيم والمساواة الإنسانية بعمومها وقد اقتصر القول في الأسرة ومن باب ذلك يقول: أن "من يستصحب التأمل في أحكام القرآن سيجد قانون الأسرة طاغ خاصة في سورة البقرة حيث تناولت حديثاً طويلاً عن قضايا الأسرة ومن بينها التفريق بين الذكر والأنثى في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ سورة النحل، الآية 97.(1).

وقد فسر هذا القول محمد الطاهر بن عاشور حيث أشار إلى أن الوعد المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَيَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ سورة النحل، الآية 96، هو خطاب خاص وجه إلى المتقين الذين نهوا عن بيع عهد الله بثمن قليل، وقد قيس هذا الخطاب الخاص بخطاب عام يشمل كل من ثبت على الإسلام والعمل الصالح مع التبين للأجر العظيم الذي وعدهم الله به وخصهم به، فهذا كانت الجملة الأولى العمل يقابلها في الجملة الثانية الجزاء فالعمل معتبر ما دام فيه صلاح، والجزاء عام لكل من صبر واحتسب وأحسن والتوجيه خاصاً للمؤمن الذي سيكون أجره أعظم مع عمله الصالح المحتسب.(2) وقوله تعالى ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ﴾ سورة آل عمران، الآية 195، تطلق للعموم لوجود (من) الموصولة(3).

وفي هذا الطرح يتبين أن الإسلام قد ساوى بين الرجال والنساء في الحقوق والواجبات وميز بينهما في العمل والصفات وفق معايير أخلاقية واجتماعية لاختلاف طاقة كل منهما في تحمل

(1) - ينظر محمد الغزالي: نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1416هـ-1995م، ص05.

(2) - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص272.

(3) - ينظر: المرجع نفسه، ص273.

المدخل التطبيقي: حلقة التأثير والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة-قراءة تأصيلية-.

الحياة⁽¹⁾.

كما أننا نلاحظ محمد الطاهر بن عاشور قد عمد في تفسيره للخطاب الاجتماعي على قيمة العدل والمساواة الاجتماعية وذهب إلى القيمة الأسرية العامة والذي شرط في الأول الدين والعمل وشرط في الثاني تعميم المساواة وتخصيص الدين لهذين الصنفين فقال الذكور بدل الرجال وقال النساء بدل الإناث ويُبرّر ذلك من خلال التمييز بين العمر الزمني العام وتخصيص العمر الزمني الخاص، ففي المجتمع بعض الأسر تقدم بتقديس الذكور وتفضيل إناجهم على الإناث فيصبح هناك تفريق، وتحليل الفكر الاجتماعي يكون إما لـ:

- أن العمر الزمني العام شمل عدم التمييز بين الذكور والإناث منذ ولادتهم إلى غاية بلوغهم.

- أو أن العمر الزمني الخاص يشمل ما بعد البلوغ حيث يبدأ التمييز بين الجنسين مع الحفاظ على حقوق المساواة بينهم بنية العدل، ولهذا أطلق على الأنثى في مفرد النساء، وأشار أنه يبقى الفصل فقط وفق ما خصه الدين بينهما في قضية الميراث والقوامة.

***الخطاب اللغوي:** إن بلاغة اللغة وأوجهها التصريفية تعد جوهر الخطاب التواصلية في القرآن الكريم⁽²⁾، فنجد كل منهما اعتماداً في تفسيره عن الصيغ التصريفية والقواعد النحوية المؤسسة للخطاب والمساهمة في بناء المعنى، إن المزوجة بينهما تجعل من تفسير الخطاب اللغوي حقلاً متشعباً بالدلالات والتوجيهات والتلميحات، ولرفع الضباب عن الحقل اللغوي الخطابي وتفسيره لأبد من امتلاك الكفاءة في التعامل مع هذه القضايا اللغوية وإسقاطاتها العربية بغرض التفسير والإبانة،

⁽¹⁾ - ينظر: المرجع السابق، ص 273.

⁽²⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 212.

المدخل التطبيقي: حلقة التأثير والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة-قراءة تأصيلية-.

ويختلف مستوى التبيين عن مستوى الشرح فالأول يرتبط بالمبالغة التصريفية أي محور التراكيب الوضعية والثاني يرتبط بالمعجم والدلالة أي محور المفردات.

***الخطاب اللغوي القانوني:** تطور طرح محمد الطاهر بن عاشور من اللغة النصية إلى اللغة الخطابية في التفسير وهذا يعود إلى منهجه الموضوعي في الطرح العلمي القرآني وقد شملت اللغة القانونية في القرآن أبعاداً متعددة أهمها قانون القول أو المعاملات وإذا عدنا إليه، فسنجد مهمماً جداً في عصرنا الحالي لما فيه من مظاهر وأساليب وآفات اجتماعية انتشرت وسطت على السلوك التربوي وأصبحت تهدد كل من يعيش في ذلك المجتمع، ولهذا فالقوضى الاجتماعية يلزمها قانون محكم ينظم ويسطر قواعد المجتمع ويأخذ كل ذي حق حقه بنظام ورضى، فكان القرآن الكريم المنبر الأساسي للحقل القانوني الذي فرض هذه القواعد وأمر بتطبيقها لأهميتها في ضبط المجتمع، والقدرة على فرض القانون على الجميع، مهما كانت درجتهم أو صفتهم الاجتماعية، ولهذا فالخطاب القانوني يتضمن -إجمالاً- إما أمراً بالقيام بفعل معين أو نهياً عنه أو إباحته من دون أمر أو نهى عنه، وكل هذا يستلزم خبرة لغوية عالية وقانون تفسيري خاص حيث يكشف ويظهر المعنى بشكل سليم⁽¹⁾، فكان محمد الطاهر بن عاشور قد اهتم بهذا النوع من الخطاب ونبه له وربطه بالمجتمع فجاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ سورة النحل، الآية 90. ، حيث رأى محمد الطاهر بن عاشور أن الأصل في هذه الآية تعود إلى أصول التشريع فهي جامعة لكل قواعد كتاب الله تعالى وفروضه، فبكون الشريعة قائمة على قانون الأمر والنهي والامتنال والاجتناب من باب

⁽¹⁾ - ينظر لطيف نجاح شهيد القصاب: اللغة القانونية وأخطاء الدلالة والتداول والتركيب في البحث القانوني، جامعة وارث الأنبياء، كلية الحقوق، مجلة دواء، العراق، مج5، ع21، 1440هـ-2019م، ص141.

المدخل التطبيقي: حلقة التأثير والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة- قراءة تأصيلية-.

التقوى فإن حرف التوكيد "إن" في صدر الآية يعود إلى الاهتمام بما تحويه هذه الآية من قانون إلهي بدليل أنها تصدرت باسم الجلالة للتشريف⁽¹⁾، كما أنه شملت "أسلوب التشويق فوق أسلوب التوكيد من خلال لفظتي ((يأمر)) و((ينهى)) بدل أن يقول اعدلوا واجتنبوا والعدل هو إعطاء الحق إلى صاحبه فالمؤمن مأمور بالعدل في المعاملات الاجتماعية ولا بد من شرط المطابقة بين القول والعمل"⁽²⁾ لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ سورة الأنعام، الآية 152، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ سورة النساء، الآية 58، فقد اهتم محمد الطاهر بن عاشور بالخطاب القانوني من جميع أشكاله وفصره وفق ما يتطابق مع الشرع واللسان العربي وشمل في ذلك مختلف شعب نظام المعاملات الاجتماعية من آداب وحقوق وشهادات ومعاملة مع الناس... إلخ.

أما محمد الغزالي فيرى أن هذه السنن والتعاليم صعبة حسب تفسيره للآية، ويجب أن يعود القارئ إلى القرآن الكريم لعقلها وتطبيقها، بشكل صحيح كما تطرق إلى قضية الجريمة، والعدالة شيء لا بد من فهمه، ويروي محمد الغزالي "في جريمة قتل تورط بها المسلمون في أحد المعارك وهي حدث استسلام رجل من خصوم المسلمون معلنا إسلامه فظنوا أنه مخادع فقتله أسامة بن زيد وعندما عرف الرسول صلى الله عليه وسلم حزن حزنا شديدا وعزر أسامة"⁽³⁾، قائلا له: كيف أنت بلا إله إلا الله التي نطق بها؟ قال أسامة: إنما قالها خوفا من السلاح، فرد عليه الرسول صلى الله

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، المقدمة، الدار التونسية للنشر، تونس، ج14، (د، ر ط)، 1984م، ص254.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص255.

⁽³⁾ - ينظر محمد الغزالي: نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1416هـ - 1995م، ص61-62.

المدخل التطبيقي: حلقة التأثير والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة- قراءة تأصيلية-.

عليه وسلم: أفلا شققت على قلبه حتى تعلم أقالها خوفا أم لا؟⁽¹⁾.

فقد نوه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ضرورة تضمين القصد في الكلام وإعطاءه حق الصدق وهذا شرط المطابقة في الكلام التي لا تتحقق إلا بتوفر قانوني الصدق والإخلاص وحتى يستطيع المتلقي تأويل كلام المتكلم حسب موضعه والحكم عليه بإيجاب أو سلب لابد أن يطبق قاعدة التعفف مع الآخر وهذه قاعدة من مبدأ التأدب، فبعبارة أخرى هو أن الخطاب اللغوي القانوني القرآني يشترط قواعد الصدق والتأدب قبل كل شيء، وعليه "نزلت الآية القرآنية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ سورة النساء، الآية 94.⁽²⁾، وقد نهت هذه الآية عن إطلاق الحكم على الآخر دون دليل، وأن عقد النية أولى من التصديق، وعدم تفسير نية الآخر بالعدمية في الإيمان لأن الله وحده يعلم ما تسره النفوس والقلوب.

ثانيا: يوسف القرضاوي التأثير بمنهجية محمد الطاهر بن عاشور في فهم القضايا

القرآنية(النص المدمج اندماج التفسير البياني مع التفسير اللغوي ضرورة وآلية

تأويلية لدى ابن عاشور)

تحدث محمد الطاهر بن عاشور والقرضاوي في تفسيرهما عن دلالة الجملة ومعنى القول ومواضعه التعبيرية فشملت هذه الصور الثلاثة نموذج الدمج وهو ما يسمى حديثا بالتداولية

⁽¹⁾ - ينظر: نحو تفسير موضوعي، مرجع سابق، ص 62.

⁽²⁾ - ينظر محمد الغزالي: نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1416هـ - 1995م، ص 62.

المدخل التطبيقي: حلقة التأثير والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة-قراءة تأصيلية-.

الدمجة التي تعمل على دمج الدلالة مع البلاغة أثناء تأويل العمل القولي في الخطاب التواصلية، والناظر إلى أفكار القرضاوي ومنهج عمله يجده متأثراً بمنهج محمد الطاهر بن عاشور وشمل هذا التأثير نوعين من أساليب الاندماج اللغوي، أو يسمى بنوعين من الانغماس اللغوي في تحليله وتأويله للخطاب القرآني، فنجد محمد الطاهر بن عاشور قسم أصول التفسير إلى دعامتين أساسيتين تشمل جل القواعد اللسانية والعقلية في تحديد دلالة القرآن والمعنى الموضوعي الخاص بالسور والآيات⁽¹⁾ وهذه الدعامات نفصلها في النقاط التالية:

1- دعامة التفسير اللغوي: وهي تعني دعامة الاندماج اللغوي التفسيري وتعتمد هذه الدعامات على القواعد اللغوية والآليات التفسيرية الواجب مراعاتها أثناء عملية التأويل حيث تتحد دلالة الجملة مع معنى القول ومواضعه التعبيرية مما يتشكل جراء هذا الاتحاد الثلاثي نوع من أنواع الاندماج اللغوي وهو الذي اعتمد عليه محمد الطاهر بن عاشور مركزاً فيه على كفايات المتلقي اللغوية.

فنجد القرضاوي في تفسيره أخذ منهج التخصيص من منهج محمد الطاهر بن عاشور ومنهج التحليل الإحصائي كان أسلوبه الخاص فدمج بين التفسير الوضعي والتفسير التحليلي بالإحصاء من أجل زيادة درجة الإقناع ففي قوله: >>وقد عنيت بالتفسير القرآني بكل أنواعه وألوانه التحليلية لكتاب الله عز وجل، والتفسير الموضوعي، وقد صدر لي في التفسير الموضوعي كتابان هما: ((الصبر في القرآن أو العقل)) و((العلم في القرآن))<<⁽²⁾، ونجد أن المنهج العقلي في تفسير علم اللغة قد اعتمده محمد الطاهر بن عاشور كذلك كما أن أغلب تفاسير القرضاوي كانت تعتمد على

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، المقدمة، الدار التونسية للنشر، تونس، ج1، د، ر ط، 1984م، ص11-12.

⁽²⁾ - ينظر يوسف القرضاوي: كتاب دروس في التفسير: تفسير جزء عم، الدوحة، 2013م، ص

المدخل التطبيقي: حلقة التأثر والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة-قراءة تأصيلية-.

التفسير المعجمي للألفاظ والمعاني القرآنية هذا في حيز اللغة، حيث اهتم بالمعاني اللغوية وغير اللغوية الأخرى التي تحتاج إلى صور مخالفة من أجل تفسيرها كما فعل محمد الطاهر بن عاشور؛ فمنهج تفسيره كان منهجه تحليلي يعتمد على الحقل المعجمي في باب المفردة ويظهر ذلك في تفسيره لأسماء الله الحسنى الرحمن الرحيم⁽¹⁾.

كما أنه اتخذ تفسير المعاني المتعددة في باب اللغة وأساليبها وتبيان أغراضها وذلك في تفسيره لمعنى ربوبية الله للعالمين ففي قوله تعالى: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ سورة الفاتحة: الآية 01، ففسر معنى ربّ تعني المالك والسيد، والراعي والمربي وكلها ثابتة في حقه سبحانه بالنسبة للعالمين⁽²⁾، والعالمون لها معنيان:

***المعنى القريب:** المعنى المتصل باللفظ الظاهر فالعالمين من العوالم التي يشتمل عليها هذا الكون الكبير، كما سأل فرعون موسى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ سورة الشعراء، الآية 22-23، فلفظة رب العالمين تأخذ معنى رب الكون بما فيه ورب السموات والأرض وما بينهما ربكم ورب آبائكم الأولين ورب المشرق والمغرب، فهناك عالم الإنسان، وعالم الحيوان وعالم النبات وعالم البحار، وعالم الجبال، وعالم الأفلاك، وعالم الجن، وعالم الملائكة وغيرها من العوالم⁽³⁾. فثبتت المعنى الأول دلالة على قربها من الواقع وأن اللفظ مصور لما يوجد على سطح الواقع.

وكل عالم من هؤلاء ينقسم إلى عوالم، فعالم الحيوان مثلاً ينقسم إلى عالم الدواب، وعالم

⁽¹⁾ - ينظر: دروس في التفسير، مرجع سابق، (ن، ص).

⁽²⁾ - ينظر يوسف القرضاوي: كتاب دروس في التفسير: تفسير جزء عم، الدوحة، 2013م، ص <https://www.al-qaradawi.net/node/5054>

⁽³⁾ - ينظر يوسف القرضاوي: كتاب دروس في التفسير: تفسير جزء عم، الدوحة، 2013م، ص 11-12. <https://www.al-qaradawi.net/node/5054>

المدخل التطبيقي: حلقة التأثير والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة-قراءة تأصيلية-.

السباع، وعالم الطير، وعالم الحشرات، وعالم الزواحف، وعالم الأحياء المائية، إلى آخره⁽¹⁾. وأن في تقسيمه تعمق في الظاهر فالعالم الواحد يحمل صفات مختلفة تميزه وتفرقه عن العوالم الأخرى الموجودة.

*المعنى البعيد:"المعنى المتصل بالعقل والفقه فهم العقلاء والمكلفين من الخلق، كما قال تعالى: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَلَمِينَ نَذِيرًا﴾ سورة الفرقان، الآية 01.⁽²⁾ وقد اتخذ معنى العالمين موضع الاعتاظ، وقال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ سورة يوسف، الآية 104.

"وقد كان معنى العالمين مسبقا بالتذكير وهم الفئة المؤمنة وتمييزها عن الفئة الكافرة التي لا تتذكر وأن هذه الآية حجة للكافر والمؤمن على حد سواء، ويفسر يوسف القرضاوي قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ سورة الأنبياء، الآية 106.⁽³⁾، فالرحمة لم يقصرها الله على عبد دون آخر وإنما مطروحة على جميع خلقه وهذا من فضل الله سبحانه وتعالى على عباده، وعليه فالمعنى البعيد هو المعنى السياقي الضمني فلا يخرج تفسير القرآن وتأويله عن موضعه السياقي ولا عن ظروف الخطاب ومقاصده.

2- دعامة الحجاج اللغوي: وهو ما يسمى بالاندماج اللغوي البياني ويظهر ذلك من خلال اهتمام القرضاوي بدراسة فقه المقاصد العامة ومقاصد الشريعة خاصة وهذه الدراسة شملت المقاصد

⁽¹⁾ - ينظر يوسف القرضاوي: كتاب دروس في التفسير: تفسير جزء عم، الدوحة، 2013م، ص12
<https://www.al-qaradawi.net/node/5054>

⁽²⁾ - ينظر يوسف القرضاوي: كتاب دروس في التفسير: تفسير جزء عم، الدوحة، 2013م، ص12،
<https://www.al-qaradawi.net/node/5054>

⁽³⁾ - ينظر يوسف القرضاوي: كتاب دروس في التفسير: تفسير جزء عم، الدوحة، 2013م، ص12،
<https://www.al-qaradawi.net/node/5054>

المدخل التطبيقي: حلقة التأثير والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة-قراءة تأصيلية-.

الكلية للقواعد البيانية والنصوص الجزئية للقواعد اللغوية وهذه الأساسيات تعود إلى حقلين بيانيين

هما:

*أولهما: حرفية الفهم والتفسير التي رأى فيها التقيد شرط إلزامي لفهم ما يكمن ما وراء

النص من علل ومقاصد⁽¹⁾

*ثانيهما: التمييز بين المقاصد⁽²⁾ وأبعادها البيانية ويكون هذا الإنجاز وفق أسلوبين

تحليلين بلاغيين هما:

- "أسلوب التقرير: وهو الأسلوب الذي يُستخدم لنقل الحقائق بشكل صريح وواضح، وأن

يكون مكيفا بحسب الحدث المرتبط بزمن ومكان معينين، ومراعيا للظروف الاجتماعية والأغراض

الأخرى، ومثال ذلك في مبدأ الشورى؛ وهو من ضمن القرب في قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورِي

بَيْنَهُمْ﴾ سورة الشورى، الآية 35، وقال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ سورة آل عمران، الآية 154،

فهذا المبدأ يتلاءم مع طريقة الاختيار أما قاعدة تقرير الأمر في قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ

عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ سورة لقمان، الآية 16⁽³⁾، يتلاءم مع طريقة التعفف، التي تعد أهم الطرائق لأداب

ومبادئ الحوار.

- "أسلوب التعيين: ويعنى بتعيين وسيلة مناسبة للزمان والمكان الخاص بالمقصد الشرعي

اللغوي والملاءم لأغراض المسلم العاقل، حيث ليس بالضرورة أن تكون هذه الوسيلة عالمية أبدية،

⁽¹⁾ - ينظر يوسف القرضاوي: دراسة في فقه مقاصد الشريعة-بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية-، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2006م، ص53.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص176.

⁽³⁾ - ينظر يوسف القرضاوي: دراسة في فقه مقاصد الشريعة-بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية-، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2006م، ص174-175.

المدخل التطبيقي: حلقة التأثير والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة-قراءة تأصيلية-.

بل يجب فيها مراعاة ظروف المتخاطبين⁽¹⁾، وهذه القاعدة تتلاءم مع قاعدة الاستحسان.

وعليه نجد كل من القرضاوي ومحمد الطاهر بن عاشور قد اهتمتا بالقصد اللغوي والمبادئ الحوارية والأساليب البلاغية والتمايزات التفسيرية البيانية للخطاب فدمج الخصائص من أجل فرض أو إعطاء دور التلقي والتأويل المنحصر في وحدة الفهم والإفهام وصورة الاستنباط والاستدلال. فالتداولية المدمجة سعت إلى ترسيخ دعامتين رئيسيتين بالإضافة إلى دعامتين ثانويتين هما:

-حصر الجوانب التداولية في اللغة ذاتها وسياقاتها الاستعمالية.

-حصر الحجاج داخل أبنية اللغة وأبعادها البيانية.

-إعلاء نظرية إلقاء القول وأسس الإقناع بين النسق والسياق.

-تداخل التلقي والتفسير والتأويل في حيز القول دلالة على اتساع المعنى في ذهن المتلقي الشمولي⁽²⁾.

وعليه نجد الجانب الحجاجي بين الشيخ القرضاوي ومحمد الطاهر بن عاشور متمحورا على السياق الاستعمالي للغة في صورته البيانية المنطقية المنحصرة بين محوري الاستدلال والإقناع، كما أن درجة التلقي وعملية الإلقاء لها درجة في التأثير عندما يكون القول المركزي ذا صيغة بنيوية تداولية، وكما أن أبنية اللغة محصورة في الحجة وخاصة في جانبها التصريفي والنحوي الذي يحمل وظيفة بلاغية في مضمونه، وهذا ما يفرز لنا الفرق بين النسق والسياق للغة الاستعمالية، كما يحدد لنا أبعاد المعنى ومواضعه المقاصدية في ذهن ونفس المتلقي، وعلى المتلقي أن يكون فاهما لمجريات التفسير والتأويل ومستوعبا للوظائف اللغوية والحاجيات المقاصدية للنصوص

⁽¹⁾ - ينظر: مقاصد الشريعة، مرجع سابق، 176.

⁽²⁾ - ينظر خالد حوير: التداولية المدمجة إجابة في المفهوم والتلقي العربي، مجلة كلية الشيخ الطوسي الجامعة، جامعة ذي قار -كلية الآداب - العراق، مج 1، ع 9، 2020م، ص 400.

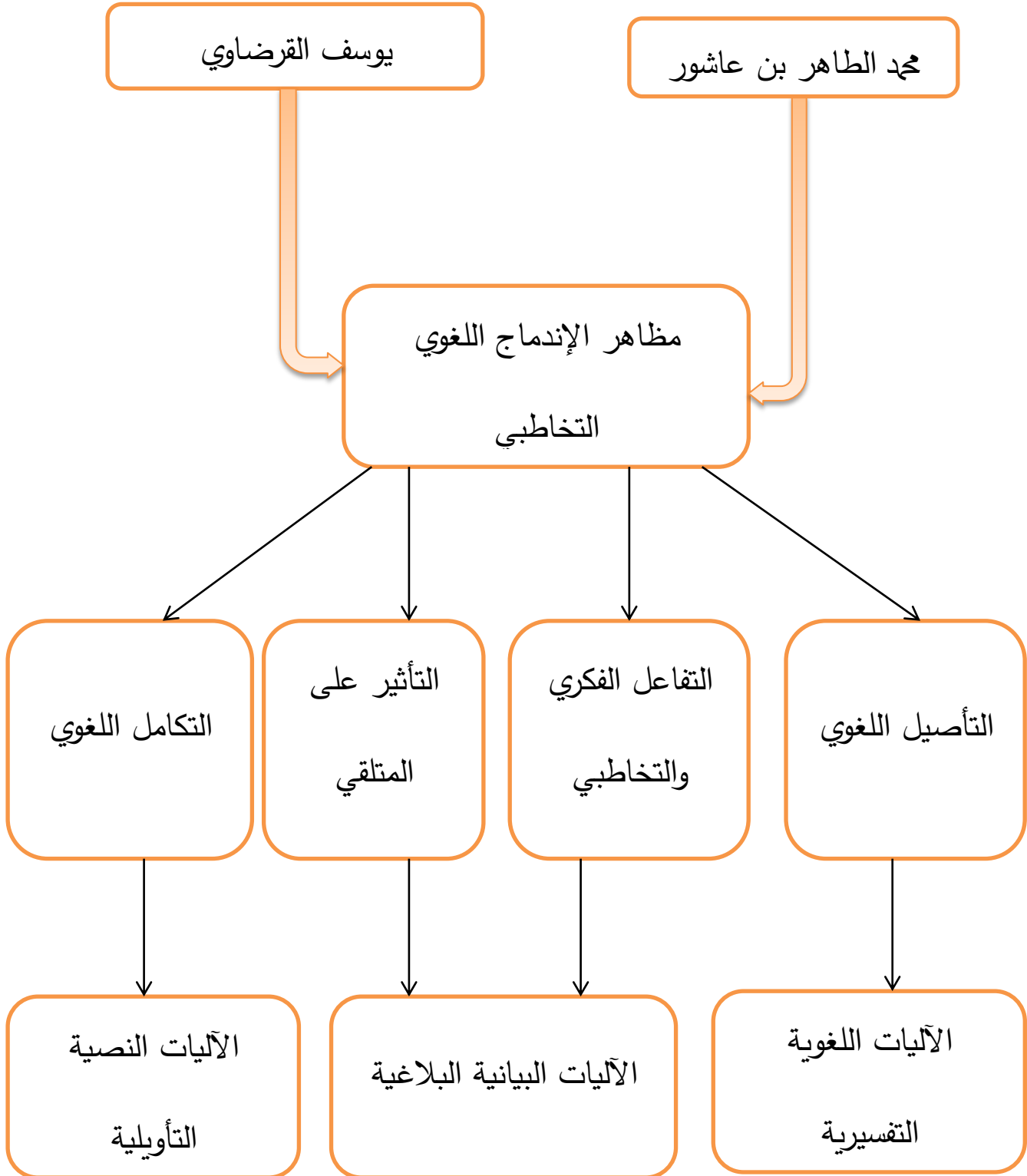
المدخل التطبيقي: حلقة التأثير والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة-قراءة تأصيلية-.

والأقوال الخطابية ومستوعبا للشروط التخاطبية ومطبعا للاستراتيجيات التواصلية وضابطا للحدود أثناء تحليله للخطاب ومصنفا لمهاراته المعرفية وموسوعيته الشمولية في علم اللغة والبلاغة في صنف يناسب الوظيفية التواصلية للخطاب، وكفاً في استعماله للتفسير والتأويل وضابطا لمواضعه التعبيرية والتقديرية المستحقة الإيضاح والتبيين ولا يتحقق ذلك إلا ببلوغ مستوى من الكفاءة اللغوية والدينية والبلاغية يمكّنه من التعمق في مضامين القول ونقل المعنى بوضوح ضمن الخطاب. ويمكن تحديد صور الاندماج اللغوي وتدرجه من التأسيس إلى التطبيق في الشكل التالي:

الشكل رقم(17): يفسر أنواع الاندماج اللغوي وآلياته التخاطبية بين محمد الطاهر بن عاشور

والقرضاوي.

المدخل التطبيقي: حلقة التأثير والتأثير عند المتلقي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير من خلال المقدمات العشر وبين الدراسات اللسانية الغربية الأخرى -محطات التقاطع المعرفي بين التراث والحداثة-قراءة تأصيلية-.



الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة
عند برلمان وتتكا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقى المقصدي - مقارنة
تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقى المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة

الجديدة عند برلمان وتكا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقى

المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

تمهيد:

يتحدث الفصل الأول في الجانب التطبيقي عن أهمية التفسير وآلياته الإجرائية التي اعتمدها محمد الطاهر بن عاشور في تحليله للخطاب اللغوي القرآني وكيف استطاع أن يكون مفسراً متلقياً وملقياً في آن واحد، وفق المعيار التداولي اليوم الخاص بمنظور التلقي والتخاطبية، وكذلك سنرى في هذا الفصل طرائق وأساليب الانتقال للغة من باب الاستماع إلى باب الاستعمال ومواقفه وبعدها لابد من أن نتطرق إلى ضرورة ضبط الغرض وهو ما يسمى في النصية والتداولية بمبدأ التغيريض، فالى أي مدى استطاع محمد الطاهر بن عاشور التحكم في حد التفسير وجعله غرضاً حقيقياً مناسباً ومطابقاً لمضمون الخطاب، وما مدى تطبيقه لقانون المطابقة ويتضح ذلك أثناء تحليلنا لسورة البقرة وفق التفسير الذي أورده محمد الطاهر بن عاشور في تحريره.

يعلق محمد الطاهر بن عاشور معنى التحرير بفك التعقيد وتبسيط المعنى وشرح المفردة في مستواها الاستعمالي، ولذلك خصصنا الفصل الأول بتحرير المعنى ومعايير التفسيرية التداولية وعلاقتها بالبنية السطحية للخطاب اللغوي.

إنّ تحرير محمد الطاهر بن عاشور يتراءى لنا بأنه يركز على حد التفسير والمفسر وأغراض المفسر وطرائق المفسر في تحليله وفهمه وإفهامه للخطاب، ومن هنا يظهر محمد الطاهر بن عاشور بأنه خصّ النصّ القرآني في باب التفسير بالتركيز على القواعد اللغوية والبلاغية والدلالية ومن

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكتا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

ناحية لفظية وغرضية ووظيفية إيحائية، فما المقصود بتحرير المعنى عند محمد الطاهر بن عاشور؟ وما علاقته بالتفسير والمفسر في الخطاب القرآني؟ وما هي آليات التفسير اللغوي المستعملة في تحليل سورة البقرة لمحمد الطاهر بن عاشور سنتعرف على هذا كله انطلاقاً من التطرق إلى مباحث الفصل -إن شاء الله تعالى-.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكتا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

المبحث الأول: البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والكفايات التداولية.

تمهيد: ملمح الإعجاز اللغوي البلاغي في فكر محمد الطاهر بن عاشور ومرجعياته

التداولية المعاصرة.

خصّص محمد الطاهر بن عاشور في مقدمته العاشرة الحديث عن الإعجاز اللغوي القرآني وأظهر قيمته وأهميته في تفسير الخطاب وفهمه، مستسيعاً مجموعة من الدلائل البلاغية التي أراد منها تبيان قوة الخطاب اللغوي والوسائل التي يجب أن يتخذها المتلقي المفسر كان أو المؤول على حد سواء في حالة تعامله مع هذا النوع من الخطابات المتوسعة، وأبرز من خلالها أن درجة الإعجاز تثبت الحقيقة، وتتجاوز بلاغة المجاز إلى حدّ يلتبس فيه الأمر على المتلقي، فيظن أنه حقيقة، حيث يقول: >> ولقد سبق أن ألف علم البلاغة مشتملاً على نماذج من وجوه إعجازه، والفرقة بين حقيقته ومجازه<<⁽¹⁾، ويظهر هنا إعجاز البلاغة القرآنية، حيث توسعت البلاغة فيه وأخضعت أقلام البلغاء له لتحقيق غايتين إما: لإثبات الإعجاز أو تفسيره.

وأن تميز العرب ببلاغة التعبير وفصاحة اللسان يعود إلى خصوصية اللغة العربية وما يميزها عن باقي اللغات الأخرى من الأمم، وتعدّ اللغة العربية مرادفاً للبلاغة بسبب اندماجها في القرآن الكريم، مما منحها تميزاً وثباتاً في المقام الأول، ودليل ذلك نجد أن خصائص الكلام البليغ

⁽¹⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص101.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكتا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

المعجز تختلف عن خصائص كلام البلغاء في مستواه الإبداعي لذلك عجز البلغاء عن الإتيان بمثله⁽¹⁾.

كما نرى محمد الطاهر بن عاشور يستدل بجوهر كلام الباقلاني الوارد في كتابه المسمى بـ"إعجاز القرآن" حيث قال ومفاد ما ورد في كتابه أن الرسالة المحمدية قد بنيت على معجزة القرآن في حد ذاته، وشملت هذه المعجزة اللسان العربي وأساليب التعبير وطرائق الفهم والإدراك المتجدد عليهم فكانت بلاغة القرآن تختلف عن نمط بلاغة الكلام العربي المؤلف⁽²⁾.

المطلب الأول: المتلقي المقصدي في البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور
علاقته بالتداولية المعاصرة.

أولاً: مفهوم المتلقي المقصدي وأنوعه

وقع محمد الطاهر بن عاشور بين ثلاث ضوابط علمية جديدة أحدهما تطويرية والثانية تساندية تعاضدية، والثالثة المتلقي، وذلك من أجل جعل الخطاب القرآني ملائماً للتحليل اللغوي التخاطبي وفق الاستراتيجيات الخطابية التفسيرية والتأويلية حتى التقويلية منها، انطلق من أول عتبة وهي عتبة ضبط المصطلح البلاغي اللغوي القرآني وربطه بالنظم والإعجاز البياني في حدي الاستعمال والقياس -حد البلاغة والحجاج-، ثم انتقل إلى دراسة أسس تجديد المقاصد ودلالات الأساليب البلاغية وأغراضها، وركز على المتلقي في ركنه الثالث القائم على التلقي والإنتاج وربطه بالبعد الإنجازي أو ما يسمى بالقوة الإنجازية وكيف يمكن للمتلقي التمييز بين التفسير والتأويل وكيف يمكن التناوب والانتقال من نمط إلى نمط آخر تحليلي دون خلخلة للخطاب أو اضطراب

⁽¹⁾ - التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 101.

⁽²⁾ - المرجع نفسه، ص 102.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكتا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

للمعنى؟ وماذا يجب أن يتوفر في المتلقي من كفايات حتى يجعل الخطاب يدور في حلقة مقاصده الخاصة لا أن ينقيد المتلقي بحرفية المتكلم ولا واقعيته الإخبارية، وإنما يسافر إلى التعامل مع مقصديته المضمرة ويستخرجها ويتواصل معها بدرجاتها المطلوبة، أي بعبارة أخرى كيف يمكن أن يتجاوز المتلقي مظهر الكلام للمتكلم إلى التوجيه المقصدي؟ وإلى أي درجة يمكن للمتلقي أن يتحرر من قيود اللغة الظاهرة التي تعد قيد بالنسبة له تقيد فكره عن التفسير وعمق التأويل؟ وكيف ينجح المتلقي في التحكم في التحرير اللغوي فيجعل من الكلام ما يريده مقيداً مطاوعاً لأغراضه، ويجعل من بعضه الآخر محرراً يتوسع فيه بالإطناب والتفصيل وذلك مطابقة لفائدة يعلمها ويغترضها، ومنها ما يراها سهلة بسيطة واضحة فيدعمها بحجج ويخرجها من ثوب اللبس ويستدل بها لتقوية حجته وأغراضه التخاطبية، ولهذا جاء كتاب محمد الطاهر بن عاشور بعنوان التحرير والتنوير كرسالة للمتلقي بطريقة أو بأخرى في التحكم في استراتيجيات التحليل التخاطبي ويحاول فيها بن عاشور ترسيخ الصور البيانية والأقوال والمقاصد والدلالات، وتوجيه المتلقي نحو الغرض قاصداً للاستفاضة بغية التحرير والتنوير.

1- مفهوم المتلقي المقصدي

أ- المتلقي في اللغة:

جاء في المعاجم اللغوية الأجنبية المترجمة لفظ المتلقي بمعنى المخاطَبُ (spoken to)، والمتلقي بمعنى المتقبل أو المستقبل (recipient-acceptor) وهو من يوجه إليه الكلام

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكتا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

ويستقبله⁽¹⁾. وجاء في معجم الصحاح أن المتلقي هو من مادة لقي ومن فعل تلقى⁽²⁾ وفاعل من تلقى⁽³⁾ بمعنى استقبل وفي قوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ سورة النور، الآية 15. بمعنى يأخذه بعض عن بعض⁽⁴⁾ أو يتداولونه.

ب- المقصد في اللغة:

المقصد هو جمع مقاصد من (ق ص د) والمقصد في المعجم الوسيط هو موضع القصد، ويقال: إليه مقصدي، أي وجهتي⁽⁵⁾، وقد جاء في لسان العرب في مادة قصد: قَصَدَ يَقْصِدُ قَصْدًا، فهو قاصِدٌ وقول تعالى: وعلى الله قَصْدُ السبيل؛ يعني أَنَّ الله بَيَّنَّ الطريق المستقيم ودعاً إليه بالحجج والبراهين الواضحة... ومنها طريق غير قاصد وطريق قاصد: سهل مستقيم... وقال أبو اللحام التغلبي ويروي لعبد بن الرحمن بن الحكم الأول والصحيح:

على الحكم المأتى يوما إذا قضى قضيته أن لايجور ويقصد

⁽¹⁾ - ينظر روعي البعلبكي: المورد (Al-mawrid)، قاموس عربي - إنكليزي، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط7، 1995م، ص 966-997. مادة: (ل ق ي).

⁽²⁾ - ينظر إسماعيل بن عماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، (د، ر ط)، (د، ت)، ص 2484.

⁽³⁾ - ينظر: معجم المعاني الإلكتروني، 2024/03/12م، الرابط: <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/> المتلقي

⁽⁴⁾ - ينظر إسماعيل بن عماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، (د، ر ط)، (د، ت)، ص 2484.

⁽⁵⁾ - ينظر مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية، ط4، 11425هـ-2004م، ص 738. مادة: (ق ص د).

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكتا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

وقصدت قصده بمعنى نحوت نحوه، والقصد في الشيء خلاف الإفراط⁽¹⁾. وعليه القصد هو كل قول وضع موضع التحديد والتوجيه والضبط والإرشاد والإبانة والتوضيح، وباختصار هو كل عناية معنوية بالقول ودقائقه وفنونه القائم على مجموعة من الأدلة المنطقية والمستلزمات العقلية وآلياتها البلاغية والتواصلية.

ج- المتلقي اصطلاحاً:

>>يقول بشر بن المعتمر ينبغي للمتكم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينه وبين أقدار السامعين، وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلام، ولكل حالة من تلك مقاما حتى يقسم أقدار الكلم على قدر أقدار المعاني...ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار السامعين على أقدار الحالات<<⁽²⁾، وهذا التقسيم هو اعتبارات تخاطبية جمعت بين المتلقي والمتكلم والمقام والحال والمعنى لغرض تواصل مقصود.

ويعود نجاح عملية التواصل بدرجة أولى على المتكلم وأنّ فهم المعاني يرتبط بإبداعية المتلقي ومدى اهتمامه بجماليات الأسلوب اللغوي من ناحية التعبير اللفظي وإلمامه المعرفي من ناحية ثقافته وموسوعيته في العلوم الإنسانية الأخرى والتي تعتبر دعامة أوليّة لفهم النص فهما صحيحاً⁽³⁾ أما وولفانغ آيزر (Walfgang isére) على فعل المتلقي ومدى تحقق الانسجام بين ذهن

⁽¹⁾ - ينظر ابن منظور: لسان العرب وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ج4، د، ر ط)، د، ت)، ص352-353.

⁽²⁾ - الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، ج1، ص99

⁽³⁾ - ينظر محمد عزام: سلطة القارئ في الأدب، مجلة الوقف، ص377، مأخوذة من الموقع الإلكتروني: www.oudnad.net

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

القارئ والنص وأثره في التفاعل النصي، الذي ينتج عليه عملاً جديداً بفعل المتلقي⁽¹⁾.

والمتلقي عند هانز روبرت ياوس هو كل قارئ فعلياً كان ملماً بالخلفية التاريخية والاجتماعية

للحدث التأويلي ومركزا على المسافة الجمالية التي يتحرك فيها هذا الحدث داخل النص⁽²⁾.

وتكمن مهمة القارئ أو المتلقي في استنطاق شفرات النص وتكثيف دلالاته وتفكيك معانيه

والكشف عن أسراره وبنية وعلاقات أنظمته⁽³⁾.

د - المقصد اصطلاحاً:

اهتم محمد الطاهر بن عاشور بالمقصد ليس من باب الترف العقلي أو المتعة الذهنية وإنما

كان لغايات عملية تهم المسلمين في حياتهم الفكرية والاجتماعية الراهنة⁽⁴⁾، وحقيقة المقصد ترتبط

بالغاية عنده كما يعبر عنها بالمراد والحقيقة >«وشرطه أن لا يخرج عما يصلح له اللفظ، ولا يبعد

عن الظاهر إلا بدليل ولا يكون تكلفاً بيئاً ولا خروجاً عن المعنى الأصلي»⁽⁵⁾، ويركز المقصد على

المعنى الحقيقي ولا يقبل الانزياح المفرط الغير هادف، لأنه يجعل المعنى خارجاً عن مقصوده

الحقيقي، وعلق المقصد بالعقل والإفهام واللغة ويقول محمد الطاهر بن عاشور: "أنّ اللغة بوصفها

ظاهرة حضارية... تنمو وترتقي بارتقاء الأمة الناطقة بها، وتتسع بمقدار سعة العقول... وأنها

⁽¹⁾ - ينظر نادر كاظم: المقامات والتلقي بحث في أنماط التلقي لمقامات الهمذاني في النقد العربي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2003م، ص27.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص31.

⁽³⁾ - ينظر سماحي ليندة: سلطة القارئ وعالم النص، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، ع8، ديسمبر 2015م، ص294.

⁽⁴⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية، تح: محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط2، 1421هـ - 2001م، ص86.

⁽⁵⁾ - المرجع نفسه، ص69.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

وضعت للتعبير عن المراد وتصوير الفكر النفساني واتسع التصوير كلما اتسعت الأفكار... في حين أنّ جمود الفكر وضمور الأفكار يؤدي إلى تضاييق أوعيّة اللغة⁽¹⁾، وهنا نرى المقصد يتسع تارة إذا كان التعبير واللغة يستوعبان العقل والأفهام المخاطبة، ويضيق تارة أخرى إذا كانت سعة العقول محدودة واللغة مقيّدة والفكرة جامدة فتؤدي إلى ضمور وتضييق التصوير والتعبير.

وعليه المقصد هو كل قول أو تعبير مراد منه توضيح غاية أو تبيان غرض بشرط تحقيق التلازم بين الأوعيّة اللغوية (المعجم، التركيب، الدلالة) والعقول المتخاطبة، وترك المتلقي في دائرة التوسع من أجل التوصل إلى مراد المتكلم مع مراعاة الظروف المقاميّة في الكلام ودراسة منطقيّة اللغة وعلاقتها بأبنية المعنى.

2- المتلقي المقصدي في الاصطلاح:

يندرج مصطلح المتلقي المقصدي تحت نظرية المقاصد أو "نظرية التمكين عند العرب وهي نظرية نشأت في أحضان البلاغة العربية، ولها أصول حول فكرة الإعجاز البياني في القرآن الكريم، وهذا يعود إلى علاقتها القوية بوضعية المعنى أثناء إنتاجه وتلقيه⁽²⁾، وتحدد الصفة الإجرائية للمتلقي في تمكينه في فهم المعنى وإعادة بناءه وفق القصد المفترض مسبقاً مع الحفاظ على مسار مقصدية المتكلم ونحدها في مجموعة من النقاط الأساسية الواجب مراعاتها أثناء التطبيق لتحليل الخطاب واستقراء مقاصده واستنباط معانيه وهذه الصفة الإجرائية نلخصها في الشكل التالي:

جدول رقم (11): يبين إجراءات المتلقي المقصدي في نظرية التمكين

⁽¹⁾ - ينظر: مقاصد الشريعة، مرجع سابق، ص 73.

⁽²⁾ - ينظر ناظم عودة خضر: الأصول المعرفية لنظرية التلقي، دار الشروق، عمان - الأردن، ط 1، 1997، ص 61.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكتا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

إجراءات المتلقي المقصدي في نظرية التمكين	
النظرية	قضية تثبت ببرهان، وهي عند الفلاسفة تركيب عقلي، مؤلف من تصورات منسقة تهدف إلى ربط النتائج بالمبادئ.
المبادئ	غرض البلاغة (بوصفها صفة في الكلام) وتمكين المعنى في ذات السامع (المتلقي).
النتائج	احتواء الكلام على بنيات خاصة بالاستجابة، ولها صلة بتمكين المعنى.
الطريقة	المنهج المنظم الذي سار عليه علم البلاغة في تحليل الخطاب البلاغي.

المرجع: ينظر ناظم عودة خضر: الأصول المعرفية لنظرية التلقي، دار الشروق، عمان-الأردن،

ط1، 1997، ص61-62.

كما ركزت نظرية المقاصد لمحمد الطاهر بن عاشور على المتلقي الذي يعد المحور الأساس واليؤرة النصية لغاية بناء معنى الخطاب البلاغي ومضمونه، فاختص محمد الطاهر بن عاشور بوضع الأسس النصية للخطاب التي تعد مرجعا إجرائيا يؤوله المتلقي¹ أثناء فهمه لخطاب المتكلم واستبانة علله من كلامه واستقراء مقصده⁽¹⁾، وهذه الأسس الخاصة بالمتلقي لا تخرج عن محور التخاطبية القصدية وتجتمع على ثلاثة مبادئ وهي:

* مبدأ القصدية: ويعرفها محمد الطاهر بن عاشور على إمكانية توأمة المتلقي بين العلل التخاطبية والمعنى المحتمل مع اعتبار المعنى الثابت المحور الذي يحدد مسار الخطاب. وذلك في قوله: "بتنوع الكيفيات والأساليب المعبرة عن المقصود العام والخاص بين الناس يمكن أن يتوسع المعنى غير أن ضبطه شيء مشروع فلا بد من اعتبار القياس والعلة والحكم في ادراك المقاصد القريبة

⁽¹⁾ -ينظر بن يمينه محمد: الإستقراء المقاصدي عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور وأثره في القانون المقارن، مجلة الدراسات القانونية، مخبر السيادة والعولمة، جامعة المدية، مج4، ع1، جانفي 2018م، ص30-32.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكتا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

والعالية⁽¹⁾ ويقصد بالمعاني هنا المعاني العامة والخاصة، وأن المتلقي المقصدي يحكمه شروط يتقيد بها للإبحار في علم المقاصد وهذه الشروط هي:

-التخصص: ويختص بعلوم التفسير وعلوم القرآن وعلوم اللغة واستعمالاتها، واستبعد من هذا الباب عامة الناس وحصره بمن يتأهل إليه فيقول محمد الطاهر بن عاشور: إن >> العناية بالتوقيف والنقل تجنباً للخطأ، ودفعاً للعامة من ولوج باب هذا العلم الذي يحتاج إلى تأهل وسابق إعداد للمشاركة فيه، ومن الملاحظ أن كثيراً من أصحاب هذه السمة كانوا يتساهلون في نقولهم، وإن كانت ضعيفة ويتجنبون اعتماد الرأي، ولو كان صواباً... مما صرف ألفاظ القرآن عن معانيها واقتباس غير المراد منها<<⁽²⁾ وهنا لابد من اعتبار هذا المحور أهم نقطة قبل المشاركة في تحديد قصد أو استخراج المعنى بل يرى محمد الطاهر بن عاشور أن التخصص أولى من أي تحليل إجرائي وأولى من المتلقي كذات مخاطبة فهو يرمي إلى تحديد نوعية المتلقي المخاطب وليس إلى أهمية وجوده.

-التمكن: من اللغة وقواعدها: إن ضعف العلم باللغة والبلاغة سيجعل من المتلقي المقصدي بعيداً جداً عن مسار الخطاب بل عن مسار تحديد المعنى وأن المعنى سيزداد تعقيداً والقصد سيزداد بعداً وهذا لا يحسن السكوت عنه أو تجاوزه لأنه سيفقد القصد درجته الإبداعية ومنه يقول محمد الطاهر بن عاشور: >> ضعف العلم باللغة والبلاغة. فإن قلبي البضاعة منهما لا يقدر على شيء في هذا العلم، لأنه لا يتم تعاطيه وإحالة النظر فيه إلا بحذق الفنين<<⁽³⁾، فربط محور المعرفة باللغة والبلاغة ولا يتمكن من لا يملك الوسائل البلاغية واللغوية من تحليل القصد ولا الخوض في غمار

⁽¹⁾ - الإستقراء المقاصدي، مرجع سابق، ص 30-32.

⁽²⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ج 1، 1425هـ-2004م، ص 248.

⁽³⁾ - المرجع نفسه، ص 249.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكتا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

المعنى والكشف عن بيبانه لأنه لا يخول له ضعف تمكنه الغوص في هذا العلم، و>يقول الجاحظ: لا يمكن لأحد أن يغوص على شيء من حقائق الكتاب إلا رجل برع في علمين مختصين بالقرآن هما المعاني والبيان<>(1)

-البعد عن القصد وضعف المناسبة: إن التنصل من صيغة الخطاب ونوعه يجعل من المتلقي بعيدا عن المقصد الخاص ويجعل من الاستنباط ضعيفا متروكا، فهناك "من يظنون علم النص والمقاصد بعيدة عن القرآن ومضامينه وهذا خطأ وضعف لأنها ضرورية في ادراك مراميه ومعرفة عظمتها مثل التاريخ وفلسفة العمران والأديان والسياسة"(2)، فإدراك القصد في الخطاب اللغوي البلاغي يعتمد على استنباطات من القرآن الكريم للاستدلال عن صحة التخريج والبرهنة عليها، وأنه في تفسير القرآن ومواضع الكلم يحتاج إلى العلم بقواعد اللغة والبلاغة للتمكن من الصياغة القصدي المناسبة، وأنه في ادراك فلسفة الاجتماع والدين نجد المشترك بينهم علوم اللغة والقرآن فلا نستطيع المرور إلا إذا صحبنا معنا معاني العلم المناسب وهذه العلاقة التكاملية يراها محمد الطاهر بن عاشور ضرورة في ضبط القصد وتحديدده عند المتلقي الخاص.

*مبدأ السياقية: ربط محمد الطاهر بن عاشور محور السياقية بأسباب النزول وأغراض المفسر وعلم المناسبات وهذا المبدأ يعود إلى ضرورة ادراك السياق اللغوي النصي لمقصد المتكلم حتى يتسنى للمتلقي المقصدي إغتراض المعنى وفق سيرورة مراد المتكلم وفهم خطابه وعليه فضبط دلالة النص في بعده المقاصدي وتضمينه صيغة الخطاب وفق سياقها اللغوي يشترط وجود العلة المقصودة من المنطوق عامة والخطاب خاصة والعلة المقصودة هي المعاني اللغوية والمعاني الشرعية في

(1) - الإستقراء المقاصدي، مرجع سابق، ص 249.

(2) - المرجع نفسه، ص 249.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

الخطاب⁽¹⁾ وتنقسم هذه المعاني المقصودة من الخطاب إلى قسمين: أولها التعليل والإستقراء وأداة التمييز بين الوسيلة والقصد وثانيها استحضار مقامات النصوص⁽²⁾، فلا يمكن ادراك السياق دون الاحتكام إلى الموضع اللغوي في النص أو الخطاب ولا يمكن استعمال اللغة بمعزل عن سياقها ودلالاتها النصية، فـ«دلالة النص هي فهم غير المنطوق من المنطوق بسياق الكلام ومقصوده»⁽³⁾

*مبدأ التفاعلية: فرض محمد الطاهر بن عاشور مبدأ التفاعلية من باب درجة الميل والتوجه للمتلقي المقصدي فمتى كان المتلقي على دافعية نحو خطاب معين حقق إنجازاً، والدافعية النصية تتضمن درجة التقبل ومدى استعداد المتلقي لتقبل النص ودرجة التأثير والتأثير وعلى درجة استعداد الحدث أو الفعل فكيف يدفع النص المتلقي للقيام بفعل معين، ووافق مبدأ التفاعلية لمحمد الطاهر بن عاشور في جوهره مبدأ التعاون عند غرايس (Grice)، والتناص في الدراسات اللسانية الحديثة في التداولية المعاصرة، حيث يقول محمد الطاهر بن عاشور: "أن المفسر يكون أميناً على إبلاغ الناس مراد الله من كتابه، فلا بد أن يكون على معرفة باللغة وعلومها"⁽⁴⁾، ويعني أن مبدأ التفاعل أنه يشترط بلوغ الفهم والذوق والإدراك واشتراط الممارسة الفعلية وهي ضرورة للمتلقي المقصدي باعتبارها الحيز التطبيقي الحي الذي يضمن اكتشاف مغالق المعاني وأسرار البيان⁽⁵⁾.

والمتلقي المقصدي لا يستطيع استبيان المعاني إلا إذا اتصل بالبديع أي إذا اقترن

⁽¹⁾ - ينظر إسماعيل الحسني: نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1416هـ - 1995م، ص115-117. مأخوذ من الموقع الإلكتروني: www.shamela.ws/book

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص118-119

⁽³⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص117.

⁽⁴⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ج1، 1425هـ - 2004م، ص250.

⁽⁵⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص250.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكتا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

بالجمالية النصية وهذه الجمالية هي التي تحقق التفاعلية، فـ >> لا يتأتى للمفسر أن يغوص في أسرار الكتاب، ويتعمق في معانيه إلا متى اكتمل إدراكه لنظمه البديع، فيتجه به كل اتجاه لتصور محامله، والوقوف على احتمالاته مهما تعددت <<⁽¹⁾، وعليه فالنظم الجمالي يختلف عن النظم المقاصدي-البيان والمعاني- ويشتركان معا في درجة الإنجازية والمقبولية والتأثير فمتى توفرت هذه الشروط حصل التفاعل وأكتشف المعنى المناسب ومُيز من المعاني المتعددة أو المحتملة.

وعليه يمكننا الاستنتاج من هذه الأساسيات أو الاستنباطات المفهوم العام للمتلقي المقصدي في الخطاب القرآني على ضوء فكر محمد الطاهر بن عاشور: "هو كل متلق يمتلك ثقافة معرفية واسعة وأساليب تواصلية متنوعة وإدراك علقى صحيح ومنفتح في آن واحد، وذوق نقدي جريء ذو مسلك صحيح، وبعد اجتماعي يشمل أغراض عديدة"،⁽²⁾ وربما يمتد المقصد للمتلقي إلى أبعاد تحليلية إجرائية أخرى بعيدة عن المصطلحات اللغوية المعتادة فينقله محمد الطاهر بن عاشور من عنصر الانكماش إلى عنصر الانغماس وأن الانحصر في الشيء لا يعني الغوص فالغوص يمتد إلى التوسع عكس الانحصر إلى التضييق فيعبر عنه بتعبير آخر يختلف عن الأول فالمتلقي المقصدي هو "كل متلق مفسر قادر على الإلمام بمجموع الوسائل اللغوية والفقهية والفلسفية والبلاغية في حيز خطابي واحد وفي زمان واحد وفي ظروف سياقية معينة" لفهم أساليب الكلام وفنونه، واكتساب الملكة الأدبية والنقدية والفنية للإسهام في الإبداع إسهاما يربط حياة الفرد والجماعة -المتكلمين- بحياة اللغة العربية في هذا العصر - ثنائية الخطاب والزمن-⁽³⁾ فالمتلقي

⁽¹⁾ - مقاصد الشريعة، مرجع سابق، ص 250.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص 251.

⁽³⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص 267.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

المقصدي لدى محمد الطاهر بن عاشور من كان قادرا على الإلمام والتوسع والاكتساب والإنتاج أي من كان مؤثرا بدرجة أولى.

والمتلقي المقصدي هو المتلقي القادر على التحرك وسط مسار خطابي مغلق تحكمه دوائر نصية كبرى وصغرى ومتوسطة، قادر على إقامة علاقات جدلية تجمع بين خبرته المعرفية ورؤاه الإيديولوجية ومتمكن من التقلب وسط الاستنباطات والاستقراء والقياس والتعليل من أجل تحديد المقصد واستبيان المعنى وتوجيهه دون الإخلال بفنية الخطاب ووزنه العلمي "ولا مجافيا للأصول ولا للعربية"⁽¹⁾.

ثانيا: أنواع المتلقي المقصدي

1- المتلقي التفسيري:

أ- التفسير لغة:

يقول ابن فارس: >>(فَسَّرَ) الفاء، والسين، والراء كلمة واحدة تدلُّ على بيان شيء وإيضاحه<<⁽²⁾ والتفسير في اللغة جاء على وزن تفعيل⁽³⁾ وهو مصدر فسر بتشديد السين الذي هو مضاعف فسر بالتخفيف (من بابي نصر وضرب) الذي مصدره الفسر، وكلاهما فعل متعد فالتضعيف ليس للتعدية⁽⁴⁾ ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئُوكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾

⁽¹⁾ - ينظر: مقاصد الشريعة، مرجع سابق، ص 251.

⁽²⁾ - عرفة بن طنطاوي: المنهج التأصيلي لدراسة التفسير التحليلي، مركز تأصيل علوم التنزيل، (د، ر ط)، 1442هـ، ص 01، مادة: (ف س ر).

⁽³⁾ - ينظر خالد بن عثمان السبت: قواعد التفسير جمعا ودراسة، دار ابن عفان، ج 1، (د، ر ط)، 2006، ص 28.

⁽⁴⁾ - التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج 1، ص 10.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكتا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

سورة الفرقان، الآية 32؛ أي أحسن إيضاحاً وإبانة فالتفسير يدل على معنى البيان والإيضاح والإفصاح والإظهار والتفصيل⁽¹⁾. ويقول محمد الطاهر بن عاشور بأن التفسير يقع بين المعقول والمنقول فالإبانة أو الكشف عن كلام أو لفظ ما يحتاج إلى مدلول يعقله المتلقي أو السامع المفسر وهذه الآلية التفسيرية ترتبط بالحدود المنطقية المختصة بالبيان والضابطة للأقوال والمؤثرة في الفكر أثناء تحصيل المعاني الدقيقة ومثل ذلك في قول أوس بن حجر:

الألمعي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا

يعلق محمد الطاهر بن عاشور أن المقول جاء على صيغة مضاعفة بناء على أن فعل المضاعف إذا لم يكن للتعدية كان المقصود منه على التكثر من الصدر وهنا جاء للدلالة على عمق الذكاء وشدة الفطنة⁽²⁾ والألمع هو الذكي المتوقد الصادق في الفراسة⁽³⁾.

ب- التفسير اصطلاحاً:

كما يعرف محمد الطاهر بن عاشور التفسير في جانبه الاصطلاحي بأنه >> اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار أو توسع <<⁽⁴⁾ وفي قوله اسم وليس فعل أي يحاول من خلاله بيان الوظيفة وليس الأثر، فإذا كان في اللغة عرّفه على أصل فعله فإن في الاصطلاح عرّفه على أصل علمه وما يرتبط به في المجال النصي كما ذهب إلى ضبط موضوعه وحقوقه التي يشتغل فيها وقد ربط التفسير بالعلم فهو بذلك ربط القول بالعقل وربط المنطق

⁽¹⁾ - ينظر عبير بنت عبد الله المنعم: قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير، دار التدمرية، ج1، ط1، 1436هـ، ص107.

⁽²⁾ - ينظر: تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج1، ص10.

⁽³⁾ - ينظر: معجم المعاني (2025م)، مأخوذة من: <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar>

⁽⁴⁾ - التحرير والتنوير، ج1، مرجع سابق، ص11.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكتا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

بالأسلوب وفي هذا الربط والتدرج عمد إلى جعل الوظيفة هي الأساس وأما الفعل هو الناتج فعندما ونجد المفسر يحاول البحث عن الأدلة واستنباط أحكامها ونقل خبرها للمتلقي من خلال التركيز على الآليات الذهنية لكونه الآلة التي تبحث في جوهر المعنى ثم يذهب إلى القول وفق دلالة المعنى الموجه للفعل الكلامي والمناسب لمنطقية القضية، ولنجاح البرهنة يستلزم على المفسر النظر إلى نوع الخبر وأسلوب نقله ووظيفة تأثيره في ذهن المتلقي فهذا ما يسمى بالغرض البلاغي، وأما في إنجاز الفعل يجب على المتلقي تصديق تصور المفسر لمحتوى القضية وتقبل البرهنة المفترضة لأنه في تفسير الألفاظ يكون من قبيل التعريف اللفظي أي المعنى المختصر وأما في الاستنباط فيكون من قبيل الالتزام وهو المعنى الإضافي المتوسع⁽¹⁾. فبين المعنى الضيق المقيد والمعنى الإضافي المتوسع وظيفة التأثير والإنجاز.

والتفسير يعتبر بيان كلامي مختصر ومخصص مقيد بخطاب معين⁽²⁾ والتفسير إلزام المعنى الأصلي في المعنى الإضافي لوجود مناسبة بين المنقول والمنقول إليه بغرض التوسع والشمول⁽³⁾. فالتفسير بشكل عام عند محمد الطاهر بن عاشور ما زواج تقييد اللفظ مقابل تضيق في المعنى من باب الاختصار أو بين تقييد في اللفظ والمعنى وتوسع في معنى المعنى من باب الاستنباط والإضافة بغية الشرح فيكون التوسع جزئياً وليس كلياً وذلك لغرض التفصيل والإبانة فقط في قضية معينة. فعلى المفسر أن يكون متمكناً من الآليات البلاغية التفسيرية واستعمالها على حسب موضعها وخاصيتها الخطابية.

⁽¹⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 12.

⁽²⁾ - ينظر محمد بن صالح العثيمين: أصول التفسير، المكتبة الإسلامية، عين شمس الشرقية، ط 1، 1422هـ - 2001م، ص 27.

⁽³⁾ - التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج 1، ص 12.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكتا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

2-المتلقي التأويلي في صورة المتلقي التأصيلي لدى عبد القاهر الجرجاني ومحمد

الطاهر بن عاشور-البلاغة والكلام في وضع التحرير والتأليف-

ويعنى به بالمتقدمين الذين سبقوا المحدثين في العلم والتطرق لمواضع الكلام وأغراض التأليف؛ فنجد عبد القاهر الجرجاني سابق لمحمد الطاهر بن عاشور في مجال اللغة والبلاغة غير أنهما اشتغلا على مجال واحد في أزمنة مختلفة ولكل منهما حاول مواكبة عصره والتجديد مع المحافظة على القديم والاستدلال منه، ولهذا نراهما من المؤولين المأصلين للعلم العربي البلاغي المستمد من المعرفة من حقول فكرية سابقة لجهود العلماء وأئمة العرب القدامى، فكان لهما جانب تأصيلي يحاولان من خلاله تحرير النص بالمحافظة على المتن الأصلي، مثلاً كتاب دلائل الإعجاز⁽¹⁾ يوازي كتاب تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور⁽²⁾ وكتاب أسرار البلاغة⁽³⁾ للجرجاني يوازي كتاب موجز البلاغة⁽⁴⁾ لابن عاشور وهذا إن دلّ فهو يدل على محور الاشتغال التماثلي في فكر البليغ واللغوي، فنرى أن عبد القاهر الجرجاني قد أصل علم البلاغة في كتابه لأسرار البلاغة وفصل علم البلاغة واللغة معا في كتاب دلائل الإعجاز حيث كان الأول تأصيلاً نظرياً أما الثاني فهو تأصيل تطبيقي أضاف فيه مجموعة من الاجتهادات الفردية كدمج العامل

⁽¹⁾ - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تع: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د، ر ط)، 2000م، ص 03.

⁽²⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج 1، (د، ر ط)، 1984م، ص 01.

⁽³⁾ - عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تع: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، (د، ر ط)، (د، ت)، ص 03.

⁽⁴⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، المطبعة التونسية، تونس، ط 1، (د، ت)، ص 01.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

النفسي في وضع اللغة وأثرها البلاغي في المتلقي أو نفس السامع⁽¹⁾، كذلك نرى أن في هذا الكتاب جمع اللغة بالبلاغة في حقل المعاني وجمع الذوق باللغة في حقل البديع وجمع التأويل بالإعجاز في حقل البيان فكانت نظريته متوسعة عن نظرية من سبقه لكن مأسلا ومركزا على تحرير العلم وفق المقاييس النظرية والمنهجية التي جاء بها الأوائل.

وذهب محمد الطاهر بن عاشور في فكرة التأصيل التراثي إلى الاعتماد على جهود وآراء سابقة ومعلومات راسخة يستمد المفسر منها علمه وتكون عوناً له وإضافة وإتقان لتدوينه وسمّاه باستمداد على التفسير⁽²⁾، أي المرجعيات المعرفية واللغوية والبلاغية التي يمكن أن يأخذ منها المفسر مادته الأولية في حقل التأليف، وذلك ليسهل على المتلقي الأصل تحديد الغرض من التدوين واستكشاف مقصدية المفسر.

وقد طبّق محمد الطاهر بن عاشور فكرة الاستمداد في علم التفسير عندما أخذ في الحديث عن قيمة البلاغة على مسلك عبد القاهر الجرجاني ويقول في دلائله: ومن عادة قوم ممن يتعاطى التفسير بغير علم...يفسدوا المعنى بتوهمهم الزائف ويبطلوا الغرض ويمنعوا انفسهم والسامع من التمكن من هذا العلم ويذهبوا بقيمة البلاغة بعيدا في باب يضرب بالضلالة⁽²⁾، ولرفع الغموض عن المعنى وتمكّن السامع من هذا العلم ركز محمد الطاهر بن عاشور على فكرة السبق والأولية باعتبارها المرجع الذي يقتبس منه الباحث مادته ويوثق معلوماته فيقول في معنى الاستمداد في العلم: >>يراد به توقفه على معلومات سابق وجودها على وجود ذلك العلم عند مدوّنيه لتكون عوناً

⁽¹⁾ - ينظر مصطفى الصاوي الجويني: البلاغة العربية تأصيل وتجديد، منشأة المعارف، الاسكندرية، (د، ر ط)، 1985م، ص 76.

⁽²⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج 1، ص 20.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

لهم على إتقان تدوين ذلك العلم⁽¹⁾، ولهذا نجده في التحرير ركز على المعنى وربطه بالتنوير العقلي أي بالقيمة اللغوية والبلاغية التي تحدث عنها عبد القاهر الجرجاني وذلك للتأثير في المتلقي وتحقيق تواصل صحيح بعيدا عن الغرابة والغموض.

3- المتلقي التجديدي: محمد الطاهر وأبو بكر العزاوي (العقل واللغة والحجاج)

وأشار محمد الطاهر بن عاشور إلى الجانب الفلسفي التحليلي وذلك باعتماده على العقل واعتباره دعامة منطقية لتجدد الفكر في المجتمع العربي وفهم المقاصد الخطابية، ونجد في الدراسات اللسانية الحديثة عند أبوبكر العزاوي ومحمد العمري اهتمام بالبلاغة العربية الجديدة التي ركزت على اللغة والمنطق والحجة وفنون التبليغ والحوار، فتحول البلاغة القديمة من بلاغة تأثير وتصوير إلى بلاغة حجاج وجدل نتيجة التأثير بالتيار الغربي الحديث مع أوزفالد ديكرو (O.Ducrot) الذي يجيب على فكرة أننا نتكلم عامة قصد التأثير⁽²⁾، وهذا أساس البلاغة العربية القديمة وهي التركيز على السامع وإثارة عقله والتأثير فيه.

وامتد الاهتمام المحدثين بالتأثير والتأثير في المنجز اللغوي نجد محمد العمري قد تبنى الوظيفة التأثيرية في البنية الحجاجية مركزا فيها على الاستعارة تأثيرها على المتلقي، وكذلك أبوبكر العزاوي قد اهتم بالاستعارة الجديدة وقال: "أنّ القول الاستعاري ما يقدمه المتكلم على أنّه دليل أقوى لصالح النتيجة المتوخاة"⁽³⁾ فالمتكلم أحدث الاستعارة لغاية ما معلومة كانت في نفس المتلقي أو مجهولة يكشفها بعد الاطلاع والتأمل ويقول محمد الطاهر بن عاشور: "العلم إما تصور وإما تصديق، وإما

⁽¹⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص18.

⁽²⁾ - ينظر أبوبكر العزاوي: اللغة والحجاج، الأحمدة، الدار البيضاء، ط2006م، ص14.

⁽³⁾ - ينظر أبوبكر العزاوي: اللغة والحجاج، الأحمدة، الدار البيضاء، ط2006م، ص106.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكتا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

أن يراد به الملكة المسماة بالعقل وإما أن يراد به التصديق الجازم وهو مقابل الجهل... وإما أن يراد بالعلم المسائل المعلومات وهي مطلوبات خبرية يبرهن عليها في ذلك العلم وقضايا كلية⁽¹⁾، فالاستعارة عند محمد الطاهر بن عاشور تنتمي إلى علم البلاغة أو يبرهن عليها في حد البيان وهذا هو الموروث البلاغي، أما الاستعارة الجديدة عند العزاوي والعمرى فهي تنتمي إلى الحجاج ويبرهن عليها حد التأثير، فنجد محمد الطاهر بن عاشور ركز عليها من حيث هي ملكة عقلية تقوم على التأثير والإقناع معا بينما نظر إليها العزاوي من حيث هي وظيفة تأثيرية تصنع الإقناع بفضل الحجة وسلميتها الحجاجية بين القوة والضعف.

4- المتلقي التقويلي اللغوي:

أ- التقويل لغة:

مصدر قَوْل، وقَوْل يَقُول، تقوِيلاً، فهو مُقَوِّل، والمفعول مقوَّل⁽²⁾، ويتصرف فعل القول إلى صيغ عديدة جميعها تدخل في معنى النطق والتلفظ الواسع المغترض لأسباب وغايات بعيدة عن ملفوظه الظاهر ومنه القول السديد: كلام يتميز بإصابة المعنى إصابة كاملة بطريقة فيها الإيجاز البليغ، وجذب الانتباه، والمطابقة لمقتضى الحال. والقول السديد ما كان صواباً تسد به الحاجة هو كل كلمة تسد منافذ الشيطان وكذلك منافذ الشك والريبة، فكل كلمة طيبة هي قول سديد، وقوله إنه القول الفصل: الحكم الفاصل بين الحق والباطل⁽³⁾. وعليه التقويل من صيغة المبالغة تفعيل وتحمل

⁽¹⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص12.

⁽²⁾ - ينظر معجم المعاني، (2025م)، مادة: (ق و ل)، مأخوذ من الموقع الإلكتروني:

<https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar>

⁽³⁾ - ينظر: معجم المعاني (2025م)، مأخوذ من الموقع الإلكتروني:

<https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar>

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

بلاغة التبليغ وعمق المعنى بين الظاهر والمضمّر.

ب- اصطلاحاً:

>> (التقويل) في التداولية الاجتماعية مفردة تحيل إلى تأويل كلام القائل بعيداً عن مقصديته، وقد تعني في واحدة من معانيها الإغراق في التأويل بما لم يقله المتكلم أصلاً⁽¹⁾، ونرى أن التقويل يتعلق بالخطاب الاجتماعي لما فيه كثرة للخطاب وتكثيف له ونجد هذا في القرآن الكريم في مواقف مخاطبة الله تعالى لإبليس والملائكة والأنبياء والمؤمنين والكافرين، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ 44﴾ سورة الحاقة، الآية 44.

ويعرب محمد الطاهر بن عاشور معنى التقويل بقوله >>التقول: نسبة قول لمن لم يقله، وهو تفعل من القول صيغت هذه الصيغة الدالة على التكلف لأن الذي ينسب إلى غيره قولاً لم يقله يتكلف ويختلق ذلك الكلام، ولكون في معنى كذب عدي بـ(على)⁽²⁾ فيحمل القول معنى التكلف والإجهاد في القول أو منه كذلك المعنى السلبي الخاص بالاختلاق والافتراء، وضبط سياق القول بمعنى الكثرة وذلك نستوضحه من مفردة >>الأقوايل: جمع أقوال الذي هو جمع قول، أي بعضاً من جنس الأقوال التي هي كثيرة فلكثرتها جيء لها بجمع الجمع الدال على الكثرة، أي ولو نسبت إلينا قليلاً من أقوال كثيرة صادقة يعني لو نسب إلينا شيئاً قليلاً من القرآن لم ننزله لأخذنا منه باليمين، إلى آخره أي لأخذناه بقوة⁽³⁾، فالأقوايل والتقويل كلها تجتمع في معنى التقويل غير أن التقويل المقصود به في دراستنا هو قياس نسبة استنتاج النص وجهد المتلقي في فهم المعنى في حدود

⁽¹⁾ -سمير الخليل: تقويل النص تفكيك لشفرات النصوص الشعرية والسردية والنقدية، دار المنهل، ط1، 1437هـ-2016م، ص13.

⁽²⁾ - التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج29، ص145.

⁽³⁾ - المرجع نفسه، ص145.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكتا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

مقصود المتكلم ودرجة صدق حجته في ذلك، ويحدث هذا عندما يكون للمتلقي افتراضات أو تساؤلات تجعل من الخطاب إنتاجاً جديداً أو يتطلب استرداد لبعض الأفكار والمعارف حتى يتثبت مقصود المتكلم. فمقصود الله تعالى من خطابه للنبي هو تنبيه للمسلمين للحد من تحريف القرآن الكريم والكف عن خلق الأكاذيب على الله ورسوله.

>>فتتحول تداوليا إلى معنى سلبي يرفضه المتلقي ويعدّه اتهاما له بما لم يقل أصلا، ويواجهك منفعلا بقوله: ((لماذا هذا التقويل علي؟)) وكأنه يتهمك بالتجني عليه في إنطاقه بما لا يقصده أصلا، وليس ذلك بعيدا عن الأصل اللغوي كما جاء في لسان العرب وهو يتحدث عن الفعل (تقول) لأنه أصل (التقويل) ((وتقول قولاً ابتدعه، وتقول فلان عليّ أي قال ما لم أكن قلت⁽¹⁾)).

وتوظيف كلمة (تقويل) المراد منها البعد التداولي للمفردة فضلا عن معناها المعجمي ويقصد تقويل النص هو استنطاقه بعيدا عن مقصدية قائله والرغبة في فك شفراته انطلاقا من علاماته النصية التي توحى ولم تصرح بشكل مباشر⁽²⁾. وتعد الشفرة خطابا مكثفا مختزلا يتجاوز فيه المتلقي لذة النص إلى استنطاق النص من خلال الاكتشاف وفك الغموض وسبر الأغوار ويعرفها رولان بارت بالقوى التي تصنع المعنى ويرى فيها المتلقي تملكه حيرة الاختزال غير أنه لا يستسلم للإحساس بلذة النص إلا بعد أن يجهد نفسه ليحس بنشوة الظفر وفرحة الوصول لتلك الشفرات الاختزالية الكامنة⁽³⁾.

تعتبر علاقة التقويل بالاستنطاق علاقة تراثية تفصيلية من خلال تصوير الصراع المعرفي

⁽¹⁾ - سمير الخليل: تقويل النص تفكيك لشفرات النصوص الشعرية والسردية والنقدية، دار المنهل، ط1، 1437هـ-2016م، ص14.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص13.

⁽³⁾ - ينظر: تقويل النص، مرجع سابق، ص14.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

لمواكبة الجديد وتتعلق هذه الكفاية بالقول ومقول القول وأشكاله وبعبارة أخص تتعلق بعنصر الاستنتاج النصي والمتلقي التقويلي الذي نجده يميل أكثر إلى دمج التأصيل بالتجديد في ان واحد ومحاولة الانتفاع من الموروث والفكر المعرفي الجديد بشكل تمازجي، وهذا يعتمد على حسن قراءة المتلقي التقويلي للنص فبعد أن يفرغ المتلقي من عنصري التفسير والتأويل ويبقى المعنى أو معنى المعنى في حالة من حالات الغموض واحتياجات الإبانة والشرح والتعمق في الدلالة والاستظهار فيلجأ المتلقي إلى محور التقويل لزيادة التوضيح والأفهام؛ ورفع الالتباس وهذا لا يتمكن منه إلا خاصة الخاصة وتندرج هذه الكفاية ضمن حيز المعاني السلطانية وهو صنف من أصناف المعاني الغير متداوله وغير مألوفة لدى العامة ولا يصل إليه إلا خاصة الخاصة فهو محتجب لا يريك وجهه حتى تكون أهلاً لذلك، أي مالك لبلاغة تأويله على درجة عالية⁽¹⁾، فيميل المتلقي هنا إلى تكوين البنية وإعادة بناءها بصورة جديدة وتحريكها وحجبها ثم إظهارها على حسب درجة عمق الاستنتاج المعرفي والتماس الفكري لهذا النص.

فعملية الاستنتاج للنصوص تختلف عن عملية الفهم والتأويل لأن في الاستنتاج أشمل وأكثر بكثير حيث يجب أن يتوفر في المتلقي التقويلي عناصر التأويل والفهم والتفسير، إضافة إلى عناصر الاستنباط والاستقراء مضافاً على ذلك آليات القراءة فوق تفاعلية ففي الاستنتاج تكون أكثر تأويلية للقول عامة وليس للجملة أو الكلمة فقط كما أن في الاستنتاج يعتمد على الفكرة ومحلها في البنية عكس التأويل الذي يعتمد على العقل، وأن القول المتضمن في التأويل يكون أعمق من القول المتضمن في التفسير وذلك لطبيعة المعنى وأسلوب تحريكها والسياق المعبر عنها

⁽¹⁾ - ينظر محمد بازي: التأويلية العربية (نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات)، منشورات ضفاف، بيروت، ط1، 1436هـ - 2015م، ص391.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

كما ان هناك فرق بين إنشاء القول المتصل بالتأويل والتقويل المتصل بالاستنتاج ولكل خصائص تميزه عن الآخر وهي:

***الإنشاء والقول:** يطرح عبد السلام عيساوي في كتابه "أشكال القول من الإنشاء إلى التأويل" سؤالاً بـ(هل إنشاء القول هو حركة تأويلية أم حدث تأويلي) فإذا قلنا أن القول أساسه حركة تأويلية فهذا يعني أنه جزء من الحدث وأن التأويل بعض من المعنى وإذا قلنا أن القول حدث تأويلي، فهذا يعني أن القول هو أساس المعنى وهو أشمل من الحركة لأن الحدث يشمل الحركة والزمن فلا يمكن أن يكون هناك حدث دون أن يكون القول فيه متأثراً ومؤثراً في آن واحد ولهذا فإن الحدث التأويلي هو هوية القول أما الحركة التأويلية هي جزء معنوي للقول.

وأن أصل الإنشاء رابط تلازمي بين الناظم والمتلقي أما أصل التأويل فهو رابط ذهني ضمني بين درجة وعي المتكلم ومقام القصد للمتلقي. والأصل في المعنى التوسط بين اللغة والخلفية المعرفية للمؤول⁽¹⁾.

***التقويل والاستنتاج:** التقويل عملية بنائية جديدة تقوم على استنتاج نصي ويعنى بأنه يجب ان تشتمل قراءة المتلقي على خمس مراحل تكوينية للنصية الجديدة:

مرحلة التكوين وتشمل مرحلة كشف البنية ومرحلة الحجب ومرحلة اجتزاء البنية ثم مرحلة التحريك وأخيراً مرحلة تثبيت البنية⁽²⁾، وهذه المراحل التكوينية الخمسة عبارة عن محاولة إعادة بناء علم أصول النص وفقهه، وتحمل صورة التقويل ومحل البناء والتقويل واحد وهو البنية فنحن نقول النص

⁽¹⁾ -ينظر عبد السلام عيساوي: أشكال القول من الإنشاء إلى التأويل، الدار التونسية للكتاب، منوبة، ط1، 2019م، ص10-07.

⁽²⁾ - ينظر حسن حنفي: من النص إلى الواقع (تكوين النص)، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ط1، 2004م، ص497-508.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكتا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

والنص باعتباره بنية نجدنا نستلزم مجموعة من الآليات النصية والتداولية والخطابية الملائمة للقصد والمستحدثة للمعنى والمساهمة لبناء النص وإعادة تشكيله.

وبحكم محور التقويل يتضمن استنتاج النص فهو يخول للمتلقي بحمل القول من البنية النصية الأولى للمتكلم وإخراجها إلى سطح التفاعل النصي الخاص بالمتلقي المنشئ بغية تغيير مقصدية المتكلم واستظهار فرضية المتلقي وذلك بحكم أن أصل التقويل قراءة متعمقة وحركة تأويلية قريبة من الاستنتاج تركز على العقل وتولد أفكار جديدة فالتقويل هو قراءة مغايرة للقراءة الأصلية ويبعده عن مقاصد القول الأول لأغراض معينة كالتوسع أو الاختصار أو التفصيل، أما التأويل هو رفع الغموض عن الكلام المضمّر وتفسيره تفسيراً صحيحاً ويشترط تركيزه على المعنى المقصود ولو كان بعيداً.

ف نجد محمد الطاهر بن عاشور في إنشائه لكتاب تفسير التحرير والتتوير فورد العنوان بقول موجز محافظاً على فرضية المتلقي مما يجعل الخطاب التأويلي له عدة تصورات قرائية منها ما يلي:

جدول رقم (12)⁽¹⁾: يمثل أشكال القراءة للمتلقي التقويلي وصورها التداولية في الخطاب

النصي عند محمد الطاهر بن عاشور.

مصاحبة التحرير لمعنى التكرير ولمعنى التقرير.	تحرير المعنى: ويتم فيها إجراء المعنى وإيصاله للمتلقي دون التقيد بألفاظ النص فيستقصي جوانب المعنى ويفصل فيه، دون أن يغيره أو يتعالى فيه.

⁽¹⁾ - ينظر محمد بازي: التأويلية العربية (نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات)، منشورات ضفاف، بيروت، ط1، 1436هـ-2015م، ص384-383، 388.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكتا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

تكرير المعنى: وهو شكل تأويلي يقوم على إعادة القصد في صياغة لغوية جديدة مع الحفاظ على المعنى. تقرير المعنى: إثبات المعنى النصي دون تجديد أو توسع أو تفصيل. تسوير المعنى: وهو الإحاطة بالمعنى ومحاصرته والوقف على مقصوده الأصلي دون زيادة أو نقصان		التحرير والتنوير
تنوير المعنى: إخراج المعنى من صورة المبهم إلى صورة أوضح مع الإضافة والتوسع في الشرح والتمثيل. تمرير المعنى: إمكانية دعائية في بناء المعنى وتمريره عبر تأويل النصوص، واستظهار قصد المتلقي من بناء المعنى الممرر وأسلوب إنشائه للتعبير. تطوير المعنى: وهو نوع من أنواع التعامل مع المعنى النصي المبني عبر صياغة تفرعاته والبحث في متعلقاته، فتتضاف معان أخرى مفرعة عن المعنى الأصلي مما تفتح أفق التقويل وتمهد له من باب التأويل.	ومصاحبة التنوير لمعنى التسوير لمعنى التمرير.	
تقويل المعنى: والاستزادة في القول والإنشاء والتأويل فهو عنصر تضعيف المعنى والإكثار فيه والمبني على مقاصد ودلالات نصية جديدة مبهمة لا تظهر للعامة ويستقرأها المتلقي المتمكن	مصاحبة التقويل المضمر في التحرير والتنوير لمعنى التنوير	التحرير والتنوير

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكتا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

قراءة تفوق قراءة ما بين السطور .	والتحوير والتطوير .	
تثوير المعنى: يتعلق بشعرية التأويل وتذوقه وبتشظي المعاني وتعددتها .		
تحوير المعنى: وهو حالة في بناء المعنى يتم فيها إخراج المعنى النصي من صورته الأصلية وتغييره وتحويره ليتماشى مع مصلحة المؤول، أو يخرج من مآزقه وإن لم يطاوعه النص .		

المرجع: ينظر محمد بازي: التأويلية العربية (نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات)،

منشورات ضفاف، بيروت، ط1، 1436هـ-2015م، ص384-383، 388.

وعليه من هنا نرى أن محمد الطاهر بن عاشور قد حاول من خلال كتابه إلى التلميح لعنصر التقويل وسماه في كتابه بـ " غرض المفسر" ⁽¹⁾ أدرجه في مقدمة بأكملها تحدث فيها عن غرض المفسر في بيان ما يصل إليه أو ما يقصده من مراد الله تعالى في كتابه حيث يوضح المقصد من تفسيره لكلام الله تعالى ففي هذه الحالة يلجأ المتلقي التقويلي إلى التركيز على المعنى في بيان المراد من مقاصد القرآن بالرغم من أن اللفظ متغير ولب المعنى باقٍ؛ غير أن اللفظ المتعلق بالقصد يتغير تبعاً لتغير توظيف المتلقي لهذا اللفظ فيلبسه القصد الذي يريده مع البقاء على المعنى الأصلي ومع إقامة الحجة في التفصيل والتفريع ⁽²⁾ حتى لا يعد افتراء واختلاق في النص القرآني، يقول محمد الطاهر بن عاشور نقلاً عن ابن رشد الحفيد في فصل المقال،.. والسبب

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج1، ص38.

⁽²⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج1، ص41.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكتا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقى المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

في ورود الشرع بظاهر وبطان هو اختلاف نظر الناس، وتباين قرائحهم في التصديق⁽¹⁾.

ولهذا شرع الدكتور عبد السلام عيساوي في مقالته بطرح مجموعة من الأسئلة في سياق حركة اللغة واتصالها بالمعنى في ذهنية المتلقي والتي اصطلح عليها الحركة التأويلية⁽²⁾. ونجد أن القراءة المعنوية تعلي درجة استنتاج النص وتحقيق التفاعل لما لها علاقة بالتوليد الوظيفي والتأويل النصي، فكلما كان المتلقي أكثر وعياً كان التعمق أكثر انفتاحاً على المقاصد النصية لمجموعة من المعاني المتعددة الظاهرة بين سطح النص ومضمرة ويعلو المعنى سلطة الخطاب فنجد المتلقي الحاذق والمبدع والمحتاج هو من ينبه لهذا المعنى الجديد مهما كانت صفته ودرجته التواصلية وهذا يعود إلى درجة التكاثر العقلي والمعرفي للمتلقى المشروط في باب الاستنتاج وباعتبار أن نوعية النص المستنطق هو القرآن الكريم فهذا يزيد من تخصص الخاصة وتعمق الدلالة واستبعاد كل متلقي عادي غير متفاعل لأن في ذلك يكون انحراف للمعنى فالمتلقي العادي حده في التلقي يتجسد في التوصيف والاستيعاب أما المتلقي التفاعلي يتمظهر في الاستقراء والاستنباط وما زاد عن هذه الحدود فهو يسمى بالمتلقي التقويلي الذي يتجاوز عمليتي الاستقراء والاستنباط إلى درجة الاستنتاج.

المطلب الثاني: الكفايات التداولية للمتلقى المقصدي عند محمد الطاهر بن عاشور

أولاً: الكفايات التداولية للمتلقى التفسيري

1- الكفاية التعليلية:

⁽¹⁾ - ينظر: المرجع السابق، ج 1، ص 43.

⁽²⁾ - ينظر عبد السلام عيساوي: أشكال القول من الإنشاء إلى التأويل، الدار التونسية للكتاب، منوبة، ط 1، 2019م، ص 10-07.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

يختلف المتلقي في فكر محمد الطاهر بن عاشور على حسب أنواعه وغاياته فنجد محمد الطاهر بن عاشور قد حدد أنواع المتلقي في ثلاث وظائف أساسية وهي:

المتلقي العادي يقف عند زاوية التفسير بغية الشرح وطلب الإيضاح وقد وصفه بالمستفهم.

أما المنتج يستمد التفسير من العلوم العربية بغية البيان والتبيين والإضافة زياده وتوسعا في الفهم والاستدلال الذي يخرج من دائرة التفسير إلى حد الإقناع والاقتناع وقد وصفه بالناهل والواغل والنديم.

والقارئ فهو أفضل من العادي وأقل درجة من المنتج بحكم انه يكون في محطه تلق مع وعي وسعي نحو البحث والتأمل وقد وصفه محمد الطاهر بن عاشور بالباحث المتأمل.

وعليه فالمتلقي العادي حده القراءة السطحية فمتى وجد جوابا عن استفهامه أخذه دون تحقق أو استزادة.

أما المتلقي المنتج حده التوليد حيث يأخذ المعرفة والموسوعية ويطلب الاستزادة ويذهب إلى المقارنة والاستدلال ويتعمق في المعنى وتوليد اللفظ. وبالنسبة للمتلقي القارئ حده التوسط فلا يرتقي إلى درجة المتخصص ولا ينزل إلى درجة العادي فيكون وعيه بمثابة الباحث الواعي الذي يحمل هدفا يمكنه بأن يرتقي إلى درجة أعلى وذلك على إذا توفرت على الكفايات التخاطبية⁽¹⁾.

ولمحمد الطاهر بن عاشور كفايات تجعل من المتلقي التفسيري قادرا على مجاوزة الشرح البسيط ومصاحبة التفسير الغرضي المسمى بالتعليل ونجد أن الجرجاني قد تحدث في كتاب

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، المطبعة التونسية، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص38.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكتا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

العوامل المثة عن أهميه التعليل في تفسير الكلام واستصحاب القاعدة الأصولية للقاعدة النحوية أمر ضروري في تمييز الكلام العادي من الكلام التغريضي وكذلك نجد أصحاب لسانيات النصية المعاصرة قدموا مبادئ الانسجام القائمة على أحد مبادئ التغريض وقالوا أن الانسجام لا يتم إلا اذا كان له قصد من ذلك في تكوينه للنص كما تحدث الدكتور في كتابه تكوين النص عن أهميه البنى التفسيرية في تعليل القاعدة النصية أو ما يسمى بالتعادل النصي المساق داخل الخطاب.

والمتلقي المفسر عند محمد الطاهر بن عاشور لابد من أن يمتاز بكفايات لغوية وأصولية وفقهية في آن واحد وأن يعتبر لحدود التعبيرات اللسانية والأطروحات الدينية مازجا في ذلك العلم واللغة في نظام دلالي موحد لا يخرج عن مقام الاستعمال المتعدد للمعاني ويقول محمد الطاهر بن عاشور في هذا السياق أن المتلقي المفسر هو من كان على قدرة لغوية وعلمية تجمع بين غايته من التفسير ودرجة اتصاله الذهني بالمقصد ويميز بين المعنى الظاهر والمعنى المستتبط من الظاهر⁽¹⁾.

وعليه محمد الطاهر بن عاشور ان المفسرة يكون على درجه عالية من التلقي تسمح له باستمداد التفسير على حسب الغاية التي تقوده لبناء المقصد والحاجة التي تدفعه إلى استنباط المعنى الإضافي من الظاهرة ولا يمكن للمتلقي ان يبلغ هذه الدرجة إلا اذا كان متمكنا من التفسير ومدركا لجميع آلياته وطرائق توظيفها وزمانها وحدوده التي توقفه عند بداية حد آخر من حدود العلم اللغوي الاستعمالي.

2- الكفاية النظرية الجدلية:

يعتبر محمد الطاهر بن عاشور القصد هو الإمكان الوقوع الفعلي لا العقلي فلا مانع من التكليف

⁽¹⁾ - ينظر: المرجع السابق، ص 38.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

باستقصاء البحث عنه بحسب الطاقة ومبلغ العلم مع تعذر الاطلاع على تمامه⁽¹⁾.

فالإمكان الفعلي يتعلق بمكمن الخطاب ومضمونه والأشخاص الفاعلين والمرتبطين به من ناحية الإنجاز وأن البحث عن القصد يختلف على حسب اختلاف القدرة التفسيرية للمتلقي وموسوعيته العلمية وأن تمام المعرفة غير الممكنة تعود لاختلاف القدرات الإدراكية للمتلقين⁽²⁾.

"وتتميز المعاني المتداولة بقربها من الأذهان والألسن مما يضمن سهولة الفهم والتواصل وحسن الاستيعاب وقال الله تعالى ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعُقَبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ سورة هود، الآية 49. ، وقال ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَي طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَفْلِينَ﴾ سورة الأنعام، الآية 156. ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾ سورة الأنعام، الآية 157⁽³⁾. والمراد من هذا الخطاب تبيان حال الناس الغافلين، وحسرتهم لعدم تصديقهم الوحي وهذا بيان حدود العلم والمعرفة وأن الله تعالى هو من يهب الحكمة والعلم لمن يشاء وكيف ما يشاء ومتى يشاء وفي المكان الذي يشاء ولهذا فحد المتلقي المفسر ينتهي عند امتناع التعمق في أسرار الله عز وجل وعلمه⁽⁴⁾.

ثانيا: الكفايات التداولية للمتلقي التأويلي

وتتحدد الكفاية التداولية في ثلاثة حدود بلاغية أساسية وهي تعتبر من المباحث الرئيسية في البعد البلاغي فنجد محمد الطاهر بن عاشور قد وظف آلية المعنى والبيان والبدیع في تفسيره

⁽¹⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 39.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص 39.

⁽³⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، المطبعة التونسية، تونس، ج 1، (د، ر ط)، 1984م، ص 39.

⁽⁴⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 39.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكتا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

للخطاب اللغوي القرآني⁽¹⁾، وهذا يعود إلى نمط الاستعمال الوظيفي الذي يحتاجه المقال في تفسير المقام المناسب.

فيخصص محمد الطاهر بن عاشور علمي البيان والمعاني ويقدمهما على علم البديع وذلك يعود لأن الأخير يكمن في هذين العلمين حيث نرى أن علم البديع يمتاز بجانبه الشكلي الحسي والمجرد، ويركز على الأسلوب ودرجة التأثير وهذا يتضمن ضمناً في البيان والمعاني فلا يخلو المعنى من الأسلوب ولا يخلو البيان من تأثير وتأثر، فنجد الحس الجمالي في علمي البيان والمعاني في خاصية التكيف المناسبة والتألف فإذا كان المعنى يركز على المتكلم فإن البيان يركز على المتلقي والبديع يركز بدرجة أولى على المتلقي ويعطي الدرجة الثانية للمتكلم⁽²⁾، وهذا إن دل فهو يدل على أن التوجيه الخطابى بما فيه من بيان ومعنى وجمال موجه للمتلقي بدرجة أولى ولو لم يكن ظاهراً ففي مضمرة حاضراً حيث يقول: >أن مقدار أفهام المخاطبين به ابتداءً لا يقتضى إلا أن يكون المعنى الأصلي مفهوماً لديهم فأما ما زاد على المعاني الأساسية فقد يتهياً لفهمه أقوام، وتحجب عنه أقوام، وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه.<⁽³⁾ يعني من المعنى الأصلي يكون مفهوماً في ظاهره أما المعنى الإضافي لا يتبين لكل متلق أو سامع إلا إذا كان متخصصاً في علم الفقه وأن أقدار الأفهام غير أقدار الفهم والأفهام هي العقول الخاصة بالمتلقي المخاطب وشرطه أن يكون المعنى واضحاً في ذهن المتلقي متمكناً منه في نفسه أثناء التخاطب حتى تتم عملية التأثير والتأثير والأقدار هي ذاتها سلمية أو درجات التخاطب حيث ورد في الحديث: >خاطب الناس على

⁽¹⁾ - ينظر: المرجع السابق، ص 42.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص 45.

⁽³⁾ - التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 45.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكتا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقى المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

حسب عقولهم⁽¹⁾ وهذا ما قام به القرآن الكريم حيث خاطب العرب على حسب نياتهم وعقولهم وثقافتهم.

1- الآلية المعنوية:

وتركز على الوظائف المعنوية والروابط السياقية، ويمكن موافقة هذه الآلية المعنوية بالاستعمال اللغوي وبمحور المعاني في البلاغة.

أ- المعنى البلاغي:

ويعرفه رحمه الله عليه محمد بن صالح العثيمين: >> هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي الذي يطابق مقتضى الحال⁽²⁾، وشرح معنى هذا التعريف حرفياً فربط بين حال اللفظ بحال سياق المعنى حيث يقول: >> أي أنك إذا تعلّمته عرفت به أحوال اللفظ التي يطابق بها مقتضى الحال⁽³⁾، فمتى عرفت علم المعاني وجب معرفة وظيفته داخل الخطاب وهذا شرط أساسي في المتكلم والمتلقي في حد سواء لكونهما في مرتبة كلامية واحدة وهذا الشرط يوافق شرط محمد الطاهر في فهم المعنى وكيفية حمله على المعاني المتعددة والتي تشترط فيها تشابك المعنى مع منطقية المتلقي وذلك لأن المتلقي هو المستنبط للمعنى حسب القصد التوجيهي، ونظراً لحاجاته البحثية بعد أن يطرح له المتكلم مجموعة من المعاني المتوقعة والتي يتركها مفتوحة في ذهنية المتلقي في

⁽¹⁾ - ينظر سامر عرار: الاختلاف والتعارف في ضوء علم النفس المعاصر، دار الفكر، مصر، (د، ر ط)، 2012م، ص 140.

⁽²⁾ - محمد بن صالح العثيمين (رحمه الله): شرح البلاغة من كتاب قواعد اللغة العربية، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، المملكة العربية السعودية، ط 1، 1434هـ، ص 45.

⁽³⁾ - شرح البلاغة، مرجع سابق، ص 45.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقى المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

أفق الانتظار⁽¹⁾.

وفي شأن مقتضى الحال ففي معنى المقتضى ومعنى الحال أن الثاني متعلق بالأول فهو يعبر عن الحال الواقع فيها ذكر هذا الكلام أما الثاني تقتضيه هذه الحالة من أنماط مختلفة في السياقات مختلفة في الكلام فتعلق الحالي المقتضى كتعلق الواقع بالسياق وذلك لأن الحال يناسب الواقع أو شرطه الواقع وهو لهذا الواقع وهو واقعية الكلام فالمقتضى يناسب السياق الاستعمالي لهذا الواقع الكلامي بينما الواقع الكلامي هو حالة التعبير في زمن تواصل محدد أما ما يخص المقتضى المتعلق بالسياق فهو الطرف الخارجي لحالة التعبير التي شكلت من التواصل واقع خارجي⁽²⁾.

وهذا ما يسمى عند فلاسفة التداولية المعاصرة في شرط مبادئ الخطاب في المحتوى القضوي مطابقة العالم الخارجي للكلمات ومطابقة الكلمات للعالم الخارجي وهو باب الوقائع والتي تنفرع إلى قسمين:

***وقائع داخلية:** ونقيس بها مدى تناسب الكلمات للسياق ففي قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ سورة الغاشية، الآية 17،، فهنا تحققت مطابقة مقتضى الحال ونجد كيفية خلق الإبل والاستجابة لأمر الله تعالى يعود إلى واقعة كلامية حيث حولنا الكلام إلى العالم الخارجي من خلال سورة الإبل في الواقع.

***وقائع خارجية:** ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص45.

⁽²⁾ - ينظر محمد بن صالح العثيمين (رحمه الله): شرح البلاغة من كتاب قواعد اللغة العربية، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، المملكة العربية السعودية، ط1، 1434هـ، ص45.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

يَدِيهِ وَهَدَىٰ وَبَشَّرَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿سورة البقرة، الآية 97.﴾

فالانتقال من العالم إلى الكلمات يبرز مناسبة هذه الآية عند نزول جبريل عليه السلام على الرسول صلى الله عليه وسلم عمره بقول هذه الكلمات إلى المؤمنين وتنبية الكافرين للاتعاظ فبمناسبة العالم للكلمات شكل إجباري وهذا لتعذر رؤيه جبريل من عامة الناس واقتصار الرؤية على سيدنا محمد دون غيره من البشر تكريما وتنزيها له سنجد أن مقتضى الحال متطابق لحال اللفظ زمنا ومكانا وتلقيا ولهذا نجد توفر شرط معرفة علم الوحي إلى شرط العمل بما جاء في الوحي وإضافة على ذلك نجد أن كلمات الوحي تكونت من عالم الرؤية والتلقي إلى لفظ يطابق حالة وقع هذا الكلام في ذلك العالم فعالم رسول الله صلى الله عليه وسلم خاص عن عالم البشر ومختلف وهذه الخصوصية والاختلاف تجعل من الكلام يأخذ سياقات استعمالية متعددة⁽¹⁾. ففي الوحي مثلا شرطه التصديق وهو بدوره يحمل سياقين معنويين: سياق فعلي: وهو فعل التصديق حدث بين جبريل عليه السلام الرسول صلى الله عليه وسلم بشكل سليم لأنهما في موضع تلقي واحد وهو تنفيذ لأمر الله تعالى.

والسياق التفاعلي نجده في قيمة التصديق بين الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين المهتدين بكلام الله تعالى والمقتنعين بالرسالة المحمدية.

ب- وظائف المعنى البلاغي:

وتنقسم إلى وظيفتين وظيفة الأخبار ووظيفة الإنشاء في الكلام ولوظيفة الخبر يكون وظيفة أما

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص45.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكتا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

إسنادية وتكون إسمية أو فعلية أو إلى وظيفة حالية وتكون في الجملة الحالية⁽¹⁾.

ب-1- وظيفة الخبر:

ب-1-أ-الخبر جملة فعلية: >> وتكون الجملة الخبرية الفعلية موضوعة لإفادة الحدوث في زمن مخصوص مع الاختصار⁽²⁾ وأصل هذه الإفادة الحديثة المتعلقة بشرط الاختصاص والاختصار هي في حد ذاتها أصل الغرض المميز الذي يحمل معانٍ متعددة وأن الزمن المخصوص ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

جدول رقم(13): يمثل الفضاء الزمني المخصوص وأغراضه البلاغية⁽³⁾.

الغرض منه	المثل	الفضاء الزمني
الإنقطاع والتذكير	قوله تعالى: ﴿أَوَكَلِمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ سورة البقرة، الآية 100..	الماضي
الاستمرار التجديدي	قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ سورة البقرة، الآية 03.	الحاضر
الطلب والرفض	قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمَنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنْتُمُنَا كَمَا	المستقبل (الأمر)

⁽¹⁾ - ينظر محمد بن صالح العثيمين (رحمه الله): شرح البلاغة من كتاب قواعد اللغة العربية، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، المملكة العربية السعودية، ط1، 1434هـ، ص59.

⁽²⁾ - المرجع نفسه، ص59-60.

⁽³⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص60.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

آمن السفهاء ﴿سورة البقرة، الآية 13﴾.

المرجع: ينظر محمد بن صالح العثيمين (رحمه الله): شرح البلاغة من كتاب قواعد اللغة العربية، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، المملكة العربية السعودية، ط1، 1434هـ، ص59.

في الجدول ثلاثة أظرف زمنية وفي نفس السورة في الجملة الفعلية: معنى الخبرية وتقيد معاني متعددة ففي الماضي تحمل معنى الانقطاع والتذكير من خلال تبين مناقضة العهد في الماضي فينقطع عنهم المؤمنون لأن في صفة إنقاص العهد خيانة ونفاق وهذا لا يتتام مع صفات المؤمنين وشروطهم الأخلاقية والقلبية، والتذكير بواجب العبرة والاتعاظ من أمر المنافقين الذين يتوارون عنه الكثير وهم من نفس القبيلة الحاجة إلى الخبر بصيغته الاستفهام المجازي لأنه أبلغ في الخبر⁽¹⁾.

أما الحاضر يفيد الاستمرار التجديدي حيث يبين الفضل الذي يناله المؤمن المحتسب القائم بواجباته من عبادة وصوم وزكاة كما أمر الله تعالى على عبده المؤمن وتجديد رزقه ففي كل زكاة زيادة وليس إنقاص.

أما المستقبل يفيد الطلب أو الرفض وقد احتوت هذه الآية على فرض الإيمان على وجه الإلزام لكن قول بالرفض والاستهزاء فكان عقاب الله تعالى لهذه الفئة من الناس وخيم جدا واقترب بالشرط وصاحب جواب الاستفهام بغرض التراتبي في المعنى ونقل الخبر بالوظيفة الخبرية بشكل

⁽¹⁾ - ينظر محمد بن صالح العثيمين (رحمه الله): شرح البلاغة من كتاب قواعد اللغة العربية، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، المملكة العربية السعودية، ط1، 1434هـ، ص59-60.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

تميل إلى التغيير⁽¹⁾ لأن الأصل في الفعل حدث متغير على تغير الزمن الوارد فيه فنجد وظيفة الخبر في الجملة هي الوظيفة الأساسية للبنية التغيرية المؤسسة على الإسناد الفعلي والإسمي.

ب-1-ب-الخبر جملة اسمية: ففي الاسمية تشترط في الخبر أن يكون اسماً وهي: >>موضوعة لمجرد ثبوت المسند للمسند إليه نحو شمس مضيئة<<⁽²⁾ وأن عنصري الاستمرار أو عدمه يركز على القرائن غير أن شرط القرائن في الفعلية هي الإفادة ومطابقة الحدث وزمنه أما الاسمية فشرطها الإفادة في مطابقة اتصاف المسند بالمسند إليه⁽³⁾ وتفيد معاني عديدة منها:

- الاستمرار الثبوتي: وهذا شرط خلو الغرض من الفعل وثبوته على الاسمية في محل الصفة والحالة ففي قوله الحمد لله رب العالمين: نقول أنها جملة اسمية تحمل إفادة اتصاف المحمود(الله سبحانه وتعالى) بالحمد(صفة) والقرينة التابعة هي قرينة الحالية وهي أن الله تعالى متصف بصفات الكمال دائماً وكذلك فضله وأنعامه كثيرة على عباده ودائمة فنجد الجملة قد تتطابق إفادتها مع غرض الاستمرار بالقرائن الحالية الثابتة للتوصيف(فضل الله سبحانه وتعالى)⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ - ينظر: شرح البلاغة، مرجع سابق، ص 60-61.

⁽²⁾ - المرجع نفسه، ص 61-62.

⁽³⁾ - المرجع نفسه، ص 62.

⁽⁴⁾ - محمد بن صالح العثيمين(رحمه الله): شرح البلاغة من كتاب قواعد اللغة العربية، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، المملكة العربية السعودية، ط1، 1434هـ، ص 63.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكتا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقى المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

ففي قوله تعالى: ﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ سورة الأعراف، الآية 61.

مقابل قوله تعالى: ﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ سورة الأعراف، الآية 67.

الوظيفة الإسنادية المتغيرة (أنصح) فعلية بصفة تجديد النصح والتذكير تحتوي على قرينة الحالية.

الوظيفة الإسنادية الثابتة (ناصح) اسمية بصفة الثبات والبقاء على النصح والتذكير تحتوي على قرينة الوصف.

ويفسر بن عاشور هذه الآية بأن الله تعالى كلف الرسول صلى الله عليه وسلم بالتبليغ والنصح والإخبار بما لا يعلمونه فحسبوه ضلالاً⁽¹⁾، وأن رابط لكن في بلاغ الرسول للناس في قوله تعالى ﴿قَالَ يَقُومُ لَيْسَ بِي ضَلُّةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ سورة الأعراف، الآية 61، هي المقيدة للآية والتي في مقصودها حقيقة الإبلاغ والغرض منه فتكون جملته مفيدة لمعنى المغايرة حيث يحمل رابط (لكن) حملين معنويين أولهما تحمل صفة الإحالة القبلية وهو النداء والتوضيح قصد الإصغاء والانتباه والثانية تحمل الإحالة البعدية وغايتها هو مفاد الإسناد منها فالتمييز بين المسند من الكلام إلى المسند إليه هو تحقيق وجهة الخطاب ومضمونه حيث يقول بن عاشور في هذا المقام: >> إن حقيقة الاستدراك هو رفع ما يتوهم السامع ثبوته أو نفيه فإنما نظر إلى بعض أحوال الاستدراك أو إلى بعض أغراض وقوعه في الكلام البليغ، وليس مرادهم أن حقيقة الاستدراك

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج 8، (د، ر ط)، 1984م، ص 193.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

لا تتقوم إلا بذلك⁽¹⁾، فيعتبر الثبوت والنفي حالة من حالات التغير المعنوي لأنها تتعلق بمدرجات المتلقي وأغراضه الكلامية حيث أنه ما يميز النفي عن الثبوت في الاستدراك أن النفي أوسع فيجد المتكلم نفسه يحتاج إلى كثرة البيان وزيادة التأويل الموسع⁽²⁾، وأن جملة (أبلغكم رسالات ربي) صفة للرسول أو استئناف عن مضمون الإبلاغ من الآية التي قبلها والمقصود منها هو إفادة التجدد، والثبات في آن واحد التجدد والمواصلة في الإبلاغ وأما الثبات فهو غير تارك التبليغ من أجل تكذيبهم وتأييسهم، فكل تبليغ يحتوي على رسالة خاصة بما بلغه حيث يحمل ما كان في معنى الالتفات ويظهر أثناء العدول عن ضمير الغيبة (أبلغكم) إلى ضمير المتكلم (ربي) وذلك لحمل الموصوف معنى الخبر⁽³⁾ من ضمير المتكلم أما إذا وقف المعنى عند حد الاستئناف يخلو من الالتفات⁽⁴⁾، وأن فعل التبليغ والإبلاغ هو تحويل الشي من كلام عادي إلى كلام مقصود موجه متعلق بأمر مخصوص بإعلام موضوع لغاية⁽⁵⁾.

وأن النصح يكثر إطلاقه لغاية تنبيه المخاطب والتمييز بين النفع والضرر⁽⁶⁾.

ب-2- وظيفة الإنشاء:

وتتفرع إلى وظيفة طلبية قصدية وأخرى غير طلبية خارج القصدية فالوظيفة الطلبية القصدية وتنقسم إلى معنى أصلي ومعنى قصدي ثاني فنجد الأمر يحمل أربع صيغ ولكل صيغة معنى

⁽¹⁾ - التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 193.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص 193.

⁽³⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص 193.

⁽⁴⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص 193.

⁽⁵⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص 194.

⁽⁶⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص 194.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكتا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقى المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

أصلي غير مقصود ومعنى بعيد هو المقصود ففي فعل الأمر تأتي الجملة على:

1-ب-2-أ- صيغة فعل الأمر في قوله تعالى ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾

سورة مريم الآية 12، المعنى البعيد غرضه الفهم وتدبر وإلزام العمل عليه وتطبيقه.

1-ب-2-ب- المضارع المقرون بلام الأمر في قوله تعالى: ﴿لَيَنْفَقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾ سورة

الطلاق، الآية 07.

المعنى البعيد غرضه أن لا يحمل الإنسان فوق طاقته في الإنفاق فلينفق مما عنده دون تكليف

1-ب-2-ج- اسم فعل الأمر ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ سورة الأحزاب، الآية 18، غرضه

طلب التأخي والتآزر

.

1-ب-2-د- المصدر النائب عن فعل الأمر ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبُ الرِّقَابِ﴾ سورة محمد،

الآية 04، غرضه التأديب بالنفر والدفاع عن النفس في الحرب ويخرج الأمر إلى أغراض أخرى

غير أصلية منها الدعاء والالتماس التمني⁽¹⁾.

2- الآلية البيانية

أولى محمد الطاهر بن عاشور بعلم البيان شأنًا كبيرًا وحطه في خط موازي بشأن علم المعاني

والتعرض له بجميع أشكاله ونقاطه ومفاهيمه وأدواته التبيينية سواء في الجانب الصريح أو الضمني

كما أعطى أهمية كبيرة إلى الإعجاز والمجاز وقياس مسافة الغرض البلاغي في حيز الإنشاء

والخبر القائم عليهما في حقل الاستعارة العقلية واللفظية وبحقل المجاز العقلي والمرسل والمركب

⁽¹⁾ - ينظر: محمد بن صالح العثيمين (رحمه الله): شرح البلاغة من كتاب قواعد اللغة العربية، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، المملكة العربية السعودية، ط1، 1434هـ، ص80.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتتكا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقى المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

وهذا يعود إلى درجة أهمية البلاغة في فك شفرات الإعجاز وتبيان مطابقة التأويل للمعنى الاستعمالي فنجد هذه الآلية تندمج مع الاستعمال في السياق بواسطة أحوال البيان وهو "علم يبحث فيه عن التشبيه والمجاز والكناية"⁽¹⁾. فنجد البيان يبحث في الألفاظ المتعددة المعاني فهو >> يتناول كيفية الإتيان بمعنى واحد على صور مختلفة في الوضوح والتشبيه من علم البيان <<⁽²⁾ والقول في الكيفية هو القصد من الأسلوب في العرض والتخصيص؛ فنجد توأمة علم المعاني للمعنى والتناسب بين علم البياني اللفظي كأننا نرى قضيه اللفظ والمعنى تطرح دلالاتها البلاغية في لسانيات التلفظ التداولية وهذين العلمين التابعين لها والمتوسعة فيهما تجعل من التأويل حي يتبع وينقاس فنجد أن البحث عن أساليب وكيفيات التعبير المختلفة السياقات والأنماط والصور إلى حد أبعد من الوضوح الظاهري إلى التوضيح الكنائي فهو حد التبليغ والإبلاغ في حد ذاته وأن هذين الحدين هما الخبر التأثري الملزم وقوعه في ذهن المتلقي، ونستعرض طرائقه الاستعمالية في النقاط التالية:

أ- آلية التشبيه الاستعمالي الغرضي:

التشبيه هو إلحاق أمر بأمر في وصف بأداة لغرض⁽³⁾، ويقصد من هنا هو تركيب بياني لفظي يتكون من المشبه المتعلق بالإلحاق والمشبه به المتعلق بالوصف ووجه الشبه المتعلق بالتناسب والغرض المتعلق بالقصد وهذه الأركان وتعلقاتها هي في حد ذاتها تركيب لفظي مقصدي وتتنوع المقاصد التشبيهية إلى عدة أغراض منها التحسين والتقبيح والتحقيق والتقريب المدح والذم وما أشبه

⁽¹⁾ - ينظر: شرح البلاغة، مرجع سابق، ص 229.

⁽²⁾ - المرجع نفسه، ص 229-230.

⁽³⁾ - ينظر: محمد بن صالح العثيمين (رحمه الله): شرح البلاغة من كتاب قواعد اللغة العربية، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، المملكة العربية السعودية، ط1، 1434هـ، ص 229.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكتا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقى المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

ذلك⁽¹⁾، وتقوم مقاصد التشبيه في ثلاثة حدود⁽²⁾ وهي:

ففي قوله تعالى: ﴿صَمُّ بَكْمٍ عَمِيٍّ لَا يَرْجِعُونَ﴾ سورة البقرة، الآية 17

أركان التشبيه	أقسامه	الغرض منه
المشبه	الكفار	غرضه الإخبار على طريقة التشبيه فيقول محمد الطاهر بن عاشور: «والإخبار عنهم بهذه الأخبار جاء على طريقة التشبيه البليغ شبهوا في انعدام آثار الإحساس منهم بالصم والبكم العمي أي كل واحد منهم اجتمعت له الصفات الثلاث وذلك شأن الأخبار الواردة بصيغة الجمع بعد مبتدأ هو اسم دال على جمع المعنى كل واحد منهم كالأصم والأبكم والأعمى وليس المعنى على التوزيع فلا يفهم أن بعضهم كالأصم وبعضهم كالأبكم وبعضهم كالأعمى»⁽³⁾.
المشبه به	الصم-البكم-العمي	
وجه الشبه	محذوف	
أداة التشبيه	محذوف	

وفي قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ سورة البقرة، الآية 18.

أركان التشبيه	أقسامه	الغرض منه
المشبه	السحاب	انتزاع التمثيل في هذا التشبيه من متعدد سابق وصور في

⁽¹⁾ - ينظر: شرح البلاغة، مرجع سابق، ص 230.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص 231-252.

⁽³⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج 1، (د، ر ط)، 1984م، ص 314.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

متعدد لاحق وهو (صورة النار الموقدة عند قوم) تدل على الإيمان و (صورة النار المنطفئة في قوم) تدل على الكفر بأسلوب العطف >> حيث عطف على التمثيل السابق في قوله تعالى (كمثل الذي استوقد ناراً) أعيد تشبيه حالهم بتمثيل آخر وبمراعاة أوصاف أخرى، فهو تمثيل لحال المناققين المختلطة بين جاذب ودوافع حين يجاذب نفوسهم جاذب الخير عند؛ سماع مواعظ القرآن وإرشاده، وجاذب الشر من أعراق النفوس والسخرية بالمسلمين، بحال صيب من السماء اختلطت فيه غيوث وأنوار ومزعجات وأقدار، جاء على طريقة بلغاء العرب في التفنن في التشبيه وهم يتنافسون لاسيما التمثيلي منه وهي طريقة تدل على تمكن الواصف من التوسع فيه <<(1).	تشبيه تمثيلي	محذوف تقديره أو كمثل ذوي صيب	المشبه به
		صورة الإيمان في النور بصورة الكفر في الظلمات التي يسلطها الله تعالى عقاباً على الكافرين المكذبين وتوعده لهم بها.	وجه الشبه
		الكاف	أداة التشبيه

ب- آلية المجاز اللغوي الاستعمالي المعنوي:

وهو عدول اللفظ عن الموقع الأصلي له وهو نوع من أنواع الخروج أو الانزياح المعنوي. فالمجاز اللغوي لا يخرج عن حد اللفظ والمعنى فهو يعتبر اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لوجود قيد معنوي في جملة (الرجل الشجاع) مقابل حد الاستعمال (الأسد في الرجل الشجاع) والقيد هو العلاقة

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج8، (د، ر ط)، 1984م، ص315.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقى المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

الواصلة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي⁽¹⁾.

لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ سورة القارعة، الآية 06-07.		
المجاز اللغوي	المعنى البياني	القيد البياني
المجاز العقلي	وصف الحياة براضية على سبيل المجاز العقلي، لأن الراضي صاحبها راض بها فوصفت به العيشة لأنها سبب الرضى أو زمانه ⁽²⁾ .	الإسناد (إسناد ما بني للفاعل إلى المفعول)
لقوله تعالى: ﴿وَيَنْزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ سورة غافر، الآية 13.		
المجاز اللغوي	المعنى البياني	القيد البياني
المجاز المرسل	تعلق معنى الرزق بمسببه وهو الماء المنزل من السما (المطر) ⁽³⁾ .	الحالية
لقوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَقَاتُ يَتَرَبِّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ سورة البقرة، الآية 228.		

⁽¹⁾ - ينظر محمد بن صالح العثيمين (رحمه الله): شرح البلاغة من كتاب قواعد اللغة العربية، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، المملكة العربية السعودية، ط1، 1434هـ، ص 260-266.

⁽²⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج30، (د، ر ط)، 1984م، ص514.

⁽³⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج24، (د، ر ط)، 1984م، ص103.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقى المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

المجاز اللغوي	المعنى البياني	القيد البياني
المجاز المركب	استعمال الخبر في لازم معناه، وهو التقرير والحصول	تقيد الخبر بالأمر (ليتريصن) ⁽¹⁾ .

ج-آلية الاستعارة الذهنية والاستعمالي الكنائي:

وفي قوله تعالى: ﴿والسما رفعها ووضع الميزان ألا تطفوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان﴾ سورة الرحمن، الآية 07-09، والميزان جاء متعدد المعنى بلفظ واحد في ثلاث أوضاع ففي الأولى حمل الثبات في الحكم على حسب ما نصه الشرع، أما الثانية حملت معنى عدم الظلم والفساد في الوزن وعدم الإسراف والتمويه في الوزن، والثالثة حملت موضع الخوف من الله تعالى والاحتساب بالمعروف والقسط بين الناس لأن في الطغيان بكل أنواعه ظاهراً أو خفياً فساد للنفس والعقل في الفرد والمجتمع وعلى الرزق عامة.

ومن ذلك قول محمد الطاهر بن عاشور في هذا الموضوع: >> والميزان: أصله اسم آلة الوزن، والوزن تقدير تعادل الأشياء وضبط مقادير ثقلها وهو مفعول من الوزن >>⁽²⁾ فالميزان جاء بمعنى العدل على وجه الاستعارة في مقياس >> ما تقدم في قوله تعالى ((والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه)) في سورة الأعراف، وشاع إطلاق الميزان على العدل باستعارة لفظ الميزان للعدل على وجه تشبيه المعقول بالمحسوس >>⁽³⁾ فنجد أن لفظ الميزان يوازي العدل بشكل عام فهما في صورة

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج2، (د، ر ط)، 1984م، ص388.

⁽²⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج27، (د، ر ط)، 1984م، ص238.

⁽³⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج27، ص238.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكتا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

واحدة.

3-آليات الجمالية

أ-المعنوية(الطباق والمقابلة):

يعتبر كل من الطباق والمقابلة حدان بديعيان يتعلقان بالجانب الجمالي والأثر الذي يكسبه للمعنى والموجه للمتلقي، وهذه الآليات المعنوية تعتمد على الذهن فصورة المحسن البديعي هو محسن للمعنى ومزين له أي من جانب أسلوبه جمالي فقط، فنجد محمد الطاهر بن عاشور قد اهتم بهذا الجانب بشكل ضمني وأحيانا يذكره بشكل مباشر غير أن السبب في ذلك هو تركيزه على علمي البيان والمعاني وبما أن البديع يحتوي عليهما فهو اكتفى بهما وأهمل قليلا البديع في بعض المناسبات الممكن توفرها ولو استعملها لكان المعنى أكثر وضوحا وتفسيرا.

يعود الاستعمال في الحقل البلاغي إلى ضرورة التأثير في السامع إما بالضد أو بالتقابل قصد الالتفات.

فيقول محمد الطاهر بن عاشور: "أن الأسلوب القصصي عن النعيم والعذاب وتمثيل الأحوال كان له تأثير عظيم على نفوس العرب... فلما جاء القرآن بالأوصاف بهت به العرب كما جاء في سورة الأعراف من وصف أهل الجنة وأهل النار وأهل الأعراف ((ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار))⁽¹⁾. فنرى أن الطباق يقع في مفردتي (الجنة والنار) وهذا له قصد بين حالة النعيم التي يعيشها أصحاب الجنة ومقارنتها بحالة العذاب الذي يعيشها أصحاب النار.

والمقابلة تعمل كذلك في التأثير قصد الالتفات حيث تخرج من اللفظ الظاهر معاني عديدة

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص120.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

متقابلة مع المعنى الآخر ففي قوله تعالى (لا تأخذه سنة ولا نوم) قال محمد الطاهر بن عاشور: "مقررة لمضمون جملة ((الله الحي القيوم)) ولرفع احتمال المبالغة فيها، فالجملة منزلة البيان لمعنى الحي القيوم ولذلك فصلت عن التي قبلها، وأن السنة فعلة من الوسن وهو أول النوم (النعاس) والظاهر من اللفظ أن الأصل فيه اسم هيئة كسائر ما جاء على وزن فعله من الواوي الفاء، وقد قالوا وسنة بفتح الواو على صيغة المرة⁽¹⁾ فالله سبحانه وتعالى منزّه عن النوم والرقاد وأن الله تعالى دائم اليقظة والحياة بخلاف البشر الذين لهم طاقة ضعيفة فسرعان ما يميلون إلى النوم العميق وأحياناً إلى النوم في وقت الغلبة أي ليس في وقته المعتاد وفسر محمد الطاهر بن عاشور النوم وربطه بفعل الدماغ العصبي حيث يرى أن الأعمال التي تثقل وتتعب الأعصاب هي التي تؤدي إلى النوم وذلك: >> فيشتد عند مغيب الشمس ومجيء الظلمة فيطلب الدماغ والجهاز العصبي الذي يديره الدماغ استراحة طبيعية فيغيب الحس شيئاً فشيئاً وتثقل حركة الأعضاء، ثم يغيب الحس إلى أن تسترجع الأعصاب نشاطها فتكون اليقظة<<⁽²⁾. فربط السنة بالنوم من خلال علاقة المشابهة التي يحملها الذهن في مغيب الشمس ومجيء الظلمة.

ب- اللفظية (الاقتباس):

ذهب محمد الطاهر بن عاشور إلى استعمال الاقتباس بشكل كبير في تفسيره للآيات ففي تفسيره لقوله تعالى: <<متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنا الجنتين دان>> سورة الرحمن، الآية 54. >> فقال في الفرش أن جمع فراش ككتاب وكتب، والفراش أصله ما يفرش، أي يبسط على

⁽¹⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج3، ص19.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ج3، ص19.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكتا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

الأرض للنوم والاضطجاع⁽¹⁾، هذا من ناحية الحد المعجمي أما من ناحية الحد الاستعمالي >> أطلق الفراش على السرير المرتفع على الأرض بسوق لأنه يوضع عليه ما شأنه أن يفرش على الأرض تسمية باسم ما جعل فيه⁽²⁾، حيث وصل بين نفس المعنى في مواضع استعمالية مغايرة في سور متناظرة، فوصل في ذلك بين سورة الواقعة في قوله على ((سرر موضونة متكئين عليها متقابلين)) وفي سورة الصافات ((على سرر متقابلين))⁽³⁾. فنجد أنه استعمل في تفسيره للمعنى القرآني اقتباس من القرآن واعتمده كآلية تأويلية بيانية بدرجة أولى ثم ذهب إلى تفسير مفردة البطائن بالاستشهاد من كلام العرب حيث قال أن البطانة هي حشية الشيء ومن ذلك >> أن العرب كانوا يجعلون الفراش حشية، أي شيئاً محشوا بصوف أو قطن أو ليف ليكون أوثر للجنب⁽⁴⁾ فنراه قد عاد إلى الاحتجاج بكلام العرب وأسلوب استعمالهم لمعنى البطانة فجمع بين معنى الخفي الذي يكون مغلفاً للداخل ومعنى الظاهر الجلي الذي يكون في الخارج ولم يكتف بذلك فأحضر شاهد شعري لعنترة يصف فيها تنعم عبلة يقول:

تمسي وتصبح فوق ظهر حشيةٍ وأبيت فوق سراة أدهم ملجم⁽⁵⁾

فقال إن تم تغليف الحشية ولفها بثوب وتم خياطتها فهو يسمى بطانة وإذا غطوا ذلك بثوب أحسن منه فهو الظهارة والتقدير أن بطائن فرش الجنة من استبرق فلا تسأل عن ظهائرها فإنها أجود من

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج 27، (د، ر ط)، 1984م، ص 267.

⁽²⁾ - المرجع نفسه، ج 27، ص 267.

⁽³⁾ - المرجع نفسه، ج 27، ص 267.

⁽⁴⁾ - المرجع نفسه، ج 27، ص 268.

⁽⁵⁾ - ينظر: اتحرير والتنوير، مرجع سابق، ج 27، ص 268.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكتا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

ذلك⁽¹⁾.

ثالثاً: كفايات المتلقي التقويلي اللغوي

1- الاحتجاج اللغوي:

ربط محمد الطاهر بن عاشور الاحتجاج اللغوي بشروط القراءة الصحيحة حيث أن >> ما دون العشر لا تجوز القراءة به وأخذ حكم منه لمخالفته المصحف الذي كتب فيه ما تواتر، فكان ما خالفه غير متواتر فلا يكون قرآناً >>⁽²⁾، فشرط الأخذ والاحتجاج توفر شرط التواتر في النقل وهذا يقوي صحة الشاهد وثبوت السند، >>وقد تروى قراءات عن النبي صلى الله عليه وسلم بأسانيد صحيحة في كتب الصحيح مثل صحيح البخاري ومسلم وأضرابهما إلا أنها لا يجوز لغير من سمعها من النبي صلى الله عليه وسلم القراءة بها لأنها غير متواترة النقل >>⁽³⁾ وذلك لأن شرط إلا من حضر استماعاً في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم يقصد بها الصحابة لأن في الرواية أشكال تغير المعنى بالرغم من أنها صحيحة غير أنها غير مسموح في أن يخوض فيها العامة فتبقى قصراً على خاصة الخاصة من الفقهاء وعلماء اللغة والاحتجاج >>فلا يترك المتواتر للأحاد وإذا كان راويها قد بلغته قراءة أخرى متواترة تخالف ما رواه وتحقق لديه التواتر وجب عليه أن يقرأ بالمروية تواتراً، وقد اصطلح المفسرون على أن يطلقوا عليها قراءة النبي صلى الله عليه وسلم، لأنها

⁽¹⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج 27، ص 268.

⁽²⁾ - المرجع نفسه، ج 1، ص 54.

⁽³⁾ - المرجع نفسه، ج 1، ص 54.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكتا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

غير منتسبة إلى أحد من أئمة الرواية في القراءات⁽¹⁾. وأن في إرجاعها وتسميتها بقراءة النبي صلى الله عليه وسلم إثبات لصحة القراءة وأنها إذا أخذت للاحتجاج بها وجب الاعتماد عليها لأنها من قراءة النبي صلى الله عليه وسلم لكن تبقى مخصوصة فقط لفئة من الصحابة المشهود عليهم الثقة في النقل والرواية.

فيقول ابن الجزري "أن كل قراءة وافقت ثلاث أركان صح سندها والاحتجاج بها وأصبحت في حكم المقبولية وهذه الأركان هي بكل اختصار:

موافقة العربية ولو بوجه من الوجوه

موافقة الرسم العثماني

صحة السند أو تواتره.

فيقول ابن الجزري:

وكان للرسم احتمالاً يحوي

فكل ما وافق وجه نحو

فهذه الثلاثة الأركان

وصح إسناداً هو القرآن

فمن غير هذه الأركان لا يجوز الاحتجاج ولا تسند القراءة ولا تثبت صحتها.

وذهب محمد الطاهر بن عاشور يبرز لنا ويوضح خطاب العلماء والمرجحين من أهل العلم في قضية القراءة والإسناد وكيف أن الرسول صلى الله عليه وسلم أشار إلى أن الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن على سبعة أحرف وذهب جمهور القراء إلى تفسير المقصود من ذلك وقسم المراد على حسب اعتبارين:

-اعتبار المنسوخ وهو جماعة الباقلاني وابن عبد البر وأبو بكر بن العربي والطبري والطحاوي،

⁽¹⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج 1، ص 54.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكتا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقى المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

حيث ربطوا الحديث المنسوخ بالرخصة التي منحها الله تعالى للعرب وهي قراءة القرآن على حسب ما ألفوه وعلى حسب ما جرت عليه عادة استعمالهم⁽¹⁾. فقرأ عبد الله بن مسعود قوله تعالى: ((فتول عنهم عتي حين)) وهي لغة هذيل في حتى⁽²⁾. وواصل محمد الطاهر بن عاشور في التحقيق لمعنى سبعة أحرف فأجمل تفسيرهما في ثلاثة أقوال هي:

*المراد بالأحرف الكلمات المرادفة للمعنى الواحد، ففسر موقف القارئ في هذا السياق بأنه في قاعدة التخيير حيث يرى أن قارئ هذا المعنى يختار اللفظ الذي يريد أن يقرأ به والذي يحضره من المرادفات تسهيلا عليهم حتى يحيطوا بالمعنى⁽³⁾.

*"يرى أن العدد مراد به التعدد والتوسع في القراءة فهي كناية على أن القراءة حمالة أوجه حيث أقرأ ابن مسعود رجلا إن شجرة الزقوم طعام الأثيم فقال الرجل طعام اليتيم، فأعاد له فلم يستطع قول الأثيم فقال له ابن مسعود: أتستطيع أن تقول طعام الفاجر؟ قال نعم، قال فاقراً كذلك، وكل ذلك تسهيلا وتقريبا للفهم والتناول في القراءة"⁽⁴⁾.

*يراد به التوسعة والمناسبة وفي ذلك قراءة إن الله سميعا عليما قراءتها بالتوسع عليما حكيما وذلك لتوفر شرط المناسبة في القراءتين⁽⁵⁾.

- اعتبار المحكم: فخرج الذين يعتبرون المراد من الحديث محكما إلى تأويل المقصد وتغريضه وهذا حد التقويل في عنصر الاحتجاج اللغوي حيث يرى أبو الفضل الرازي أن المراد من الأحرف هو

⁽¹⁾ - ينظر التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 57.

⁽²⁾ - ينظر المرجع نفسه، ص 57.

⁽³⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ج 1، ص 57.

⁽⁴⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ج 1، ص 57.

⁽⁵⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ج 1، ص 58.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكتا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

معرفة أنواع أغراض القرآن من عدة جوانب حصرها القرآن بين بلاغة وتركيب ودلالة على التوالي وربطها بشرط الرخصة في التوسع وقصده الحجة التي يثبت بها الغرض ويسلم بها من النقض⁽¹⁾.
ومن هذه الأغراض هي:

جدول رقم(14): أغراض الخطاب القرآني ودلالاته البلاغية.

أغراض بلاغة القرآن	أغراض نظم القرآن	أغراض دلالة القرآن
الأمر والنهي والحلال والحرام والحقيقة والمجاز والخبر والإنشاء.	الاستقامة والقصد	العموم والخصوص، الظاهر والمؤول.
التوسعة والرخصة.		

المرجع: ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس،

ج1، (د، ط)، 1984م، ص58.

2- الاستدلال العقلي:

في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾

سورة الفرقان، الآية45.

استعمل محمد الطاهر بن عاشور العقل في توضيح الاستدلال القرآني وذلك لمناسبة صيغة السؤال الغير حقيقية بمفاد الخبر والتي تحمل وجه بلاغي أعمق من الإخبار والإنشاء وهو الكناية على القدرة الإلهية الجبارة، واستوضح محمد الطاهر بن عاشور معنى الدليل الوارد في الآية القرآني

⁽¹⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج1، ص58.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكتا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

وعلاقته بالشمس والظل بقوله "أن توظيف السؤال من باب غرضي يحمل معنى الاستئناف الابتدائي والذي فيه انتقال من إثبات صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وإثبات أن القرآن من عند الله أنزله على رسوله، وصفات الرُّسل وما تخلَّل ذلك من الوعيد وهو متصل بقوله تعالى ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة﴾ سورة الفرقان، الآية 32⁽¹⁾.

وأضاف معنى انتقالي آخر حيث يقول "وفيه انتقال من الاستدلال على بطلان شركهم وإثبات الوجدانية لله عزَّ وجلَّ وهو متصل بقوله تعالى ﴿واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا﴾ سورة الفرقان، الآية 03. ⁽²⁾.

وجل هذه المخاطبات موجهة للرسول صلى الله عليه وسلم وأن مدَّ الظل وقبضه هو تمثيل لحكمة التدرج في التكوينات الإلهية والقدرة الخلاقة فجاء هذا التمثيل بمنزلة كبرى القياس للتدليل على أن تنزيل القرآن منجما جار على حكمة التدرج لأنه أمكن في حصول المقصود⁽³⁾. فاستعمال اللفظ في حقيقته ومجازه إعجاز لغوي وبلاغة في التبليغ ومدَّ الظل وجعل الشمس دليلا يعتبر زيادة في التعليل وتعلق نظم الكلام التمثيلي في هذه الآية بجانب مجازي وهو الاستعارة التصريحية حيث شبه الهداية بنور الشمس وأن في ألم ترى لا يقصد رؤية النظر لوحدها وإنما تعلق النظر بالقلب لأنه في حد الإقناع والإثبات⁽⁴⁾ حيث أن رؤية البصر تجعل من العقل يقتنع ويستوضح الدليل

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، (د، ر ط)، 1984م، ج 19، ص 38.

⁽²⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، (د، ر ط)، 1984م، ج 19، ص 38.

⁽³⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص 38.

⁽⁴⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، (د، ر ط)، 1984م، ج 19، ص 38-39.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

المقدم وأن القلب يهتدي وهذا الغرض من هذه الآية الكريمة وهو إثبات وحدانية الله تعالى في قلب المؤمن ودفعه إلى استتارة عقله بفهم الأدلة المقدمة" فاستدلال القرآن بالظل أجدى من الاستدلال بالظلمة لأن الظلمة عدم، لا يكاد يحصل الشعور بجمالها بخلاف الظل فهو جامع بين النور والظلمة فكلا دلالاتيه واضحة وصريحة⁽¹⁾، ولهذا فمعجزة القرآن ليس في اللغة وحدها ولا البلاغة لوحدها وإنما في جدلية العقل.

3- الاستنطاق مقابل الإسقاط النصي:

تعد ظاهرة الإسقاط في قراءة التراث اللغوي العربي ظاهرة متداولة بين القراء والمأصلين للقديم في قيود التجديد غير أن سوء استعمال أو توظيف إمكانيات الإسقاط الذهني في النص وتحقيق التوازي المعرفي والثقافي يشكل خلط في المنهج والتراث وعليه فبدل من إسقاط النص على نص أو فكرة ممتدة إلى فكرة تستمد منها أو تستبدل مكانها على حسب وظيفية تشو مسكي فإن محور الكفاءة هو الذي يتحكم في توجيه المعلومة واستحضارها أو تغييبها فنجد أن >>التراث اللغوي يعد رسالة قائمة بذاتها، وهو رسالة لسانية أساساً، فلذلك يجوز تعدد القراءات لهذه الرسالة بتعدد القراء، وبتنوع إدراكهم لأنماطها<<⁽²⁾، وقد تنوعت مصادر استمدادات القراءة وأساليب توظيفها في الاستعمال اللغوي من طرف النحاة والبلغاء والفقهاء وغيرهم" ونجد محمد الطاهر بن عاشور في مقدمته علم القراءات تحدث عن أوجه تعدد القراءة وطرائقه الإسقاط الصحيح وأن الاستعمال المكثّر والمتداول للعديد من الأوضاع القرائية يجعل من القصد يتركز نحو الهدف المطلوب وأن الوضع

⁽¹⁾ -ينظر: المرجع السابق، ص 41.

⁽²⁾ -يوسف منصر: التراث اللغوي العربي من الإسقاط إلى الإقساط، مجلة تاريخ العلوم، جامعة زيان عاشور، الجلفة، ع 2016، 3م، ص 16.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكا إلى الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

في اللغة وأساليب الاستعمال من تعقيد وتدقيق وتجديد قد كان منطلقه القراءة الواعية المتحسنة لمواضع الصحة والخطأ، فميزان النقد الذي فرضه محمد الطاهر بن عاشور هو نظام بنائي يجعل من المتلقي يتعرف على ثقافات وتتوسع مداركه واستدلالاته ويجعل من المؤلف يتميز ويتفرد ومن المتخصص يزيد تعمقا واختصاصا وهذا محور القراءة التفاعلية في تكاملية العلوم عند محمد الطاهر بن عاشور فيستمد من القديم الثقل المعرفي والفكر النابض ويستمد من الجديد الآليات المستحدثة والأفكار المناسبة لمنهج الحداثة وتكون في حدود الطاقة الإدراكية للقارئ الفعال لأن هذه الطاقة تعتبر قدرة إنجازية تمييزية يتفرد بها القارئ ويوسع من خلالها وذلك حفاظا على معنى النص حتى لا يكون الإسقاط لباس حاف للمعاني، أو لا يتناسب مع الوضع والاستعمال فيميل إلى الخلط والحشو بدل أن يكون يميل إلى التميز والاستعلام. وعليه يقول محمد الطاهر بن عاشور: "أن اختلاف القراءة في لفظ واحد فقط يؤدي إلى اختلاف المعنى بأكمله"⁽¹⁾. وعليه يقرّ محمد الطاهر بن عاشور بأن القرآن متصل بعلوم العربية ولا يفهم القرآن إلا بفهم العربية ويشير إلى أهمية علم الدلالة واللغة والبلاغة⁽²⁾ في فهم العلوم التراثية وصلتها بالقرآن الكريم والدراسات اللسانية الحديثة والمعاصرة حيث نجد في هذه العلوم مراتب زمنية ومعرفية متكررة ومتداولة على عالمية اللغة العربية وهو بفضل القرآن الكريم الذي جمع الأمة تحت لواء واحد وهو الهوية العربية.

⁽¹⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج 1، ص 55.

⁽²⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج 1، ص 70.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكتا إلى

الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقى المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

المبحث الثاني: المتلقي المقصدي وكفاياته الحجاجية في البلاغة الجديدة بين

محمد الطاهر بن عاشور وبرلمان وتكتا.

المطلب الأول: بلاغة الإعجاز اللغوي عند محمد الطاهر بن عاشور

أولاً: مفهوم بلاغة الإعجاز

1- الإعجاز لغة:

في معجم مقاييس اللغة: العين والجيم والزاء، أصلان صحيحان يدل أحدهما على الضعف، والآخر على مؤخر الشيء⁽¹⁾. ويعني عدم امتلاك القدرة، كما يدل الإعجاز في لغة القرآن: على قصور الإنس والجن عن أن يأتوا بمثل القرآن الكريم أو بسورة من مثله⁽²⁾. وهذا تحدي صريح من الله سبحانه وتعالى لعباده واشعارهم بحقيقة الضعف وأن البلاغة في القرآن أوسع من البلاغة الشعرية التي يتداولونها بينهم وإلزامية التأمل والتدبر في أمر الله تعالى.

ويقول الفيروز بادي في بصائره: اعلم أن الإعجاز: إفعال من العجز الذي هو زوال القدرة عن الإتيان بالشيء، من عمل، أو رأي، أو تدبير⁽³⁾. وهذا يعني أن المبالغة في التضعيف قصد تثبيت العجز على العباد من الله تعالى ومنه استشعار القدرة الإلهية في الكون.

2- الإعجاز اصطلاحاً:

⁽¹⁾ - عبد الكريم بوغزالة: المعالم في علوم القرآن، منشورات مزوار، الوادي-الجزائر، ط1، 2015م، ص152. مادة: (ع ج ز).

⁽²⁾ - ويكيبيديا: إعجاز القرآن، الاثنين 09 سبتمبر 2024م، موقع الكتروني - ص

[www.https://www.wikipedia.org](https://www.wikipedia.org)

⁽³⁾ - عبد الكريم بوغزالة: المعالم في علوم القرآن، منشورات مزوار، الوادي-الجزائر، ط1، 2015م، ص152.

جاء في تعريفات الجرجاني: >>الإعجاز في الكلام هو أن يؤدي المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق<<⁽¹⁾. وهو تعبير جديد بصياغة جديدة غير مألوفة لدى البلغاء من العرب قصد تحديد علمهم وتخفيض درجة التطاول والعظمة التي كانوا عليها فابتكر الله سبحانه وتعالى أسلوب استعماله عقلي جديد لمخاطبة العرب جميعا وثباتهم على دين واحد وهو الإسلام واحتسب في ابتكاره العقول المكذبة المفسدة والمحرفة لكلام الله تعالى مثلما كان الوضع في نزول الوحي على الأنبياء من قبل الإسلام فأسس هذه الطريقة من أجل تكبيلهم وإضعافهم وجعل عقولهم في محطة استصغار وأن العلم الذي لديهم هو من عند الله تعالى وليس من صنع أنفسهم، وأكد الله تعالى لهم ذلك من خلال "المعجزة التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم تحديا للمعاندin أو المعارضين تحديا صريحا"⁽²⁾. واختار الله تعالى التحدي الصريح الواضح لما فيه من قوة وثبات. كما علل بعض العلماء معنى المعجزة والإعجاز بمعنى سلب الله القدرة للعباد المنكرين حتى لا يعترضوا على القرآن وليثبت الحجة عليهم أمام جميع العرب⁽³⁾.

3- مصطلح بلاغة الإعجاز اللغوي في فكر محمد الطاهر بن عاشور:

شغل مصطلح بلاغة الإعجاز اللغوي مجال اللسانيات القرآنية حيزا واسعا في علم التفسير والفقه والتأويل والخطاب، وعلّقه محمد الطاهر بن عاشور بأفانين البلاغة حيث ذكر أن معنى الإعجاز اللغوي جاء لغاية التحدي الإلهي فجاء نظم الكلام وصوغه جديدا عن أساليب العرب

⁽¹⁾ -المعالم في علوم القرآن، مرجع سابق، ص152.

⁽²⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، ج1، د، ر ط، 1984م، ص102.

⁽³⁾ - ينظر المرجع نفسه، ص103.

ومناسبا للغرض الذي سيق فيه الكلام وفنونه لكنه غير خارج عما تسمح به اللغة⁽¹⁾.

ثانياً: أوجه إعجاز القرآن اللغوي وعلاقته بالمبادئ التداولية

1-البلاغة والفصاحة مع مبدأ أسبقية القدرة على الإنجاز:

وهو يتعلق بمحور التعبير والكفاية، حيث عرّف العرب تنافسا شديدا في مستوى البلاغة والفصاحة وخاصة بين الشعراء والبلغاء والنحاة والنقاد، فكان العرب يقيسون القدرة اللغوية من خلال المنجز الكلامي، ويعتبرون أن من يمتلك البلاغة والفصاحة يحقق إنجازاً يجمع بين اللغة والعقل معاً، مما يجعله يبلغ مرتبة البلغاء. وقد كان التلازم بين اللغة والعقل في الفكر العربي محصوراً ضمن حدود البلاغة، دون أن يرتقي إلى مستوى الإعجاز، حتى جاء القرآن الكريم ليضع الإعجاز في قمة مراتب اللغة والتركيب والنظام في الكلام العربي⁽²⁾، فقسّمت البلاغة إلى ثلاث درجات واضحة درجة المعاني، ودرجة البيان ودرجة البديع، وتخصصت كل درجة بمجموعة من الآليات الخطابية فنجد الدرجة فالأولى تخصصت في المعاني وشملت مستوى الأساليب والأغراض والدرجة الثانية البيان وشمل الحقيقة والمجاز والدرجة الثالثة البديع وشمل المحسنات اللفظية والمعنوية.

2-الرصف والنظم مع مبدأ أسبقية النظام والبنية على الاستعمال:

تتعلق هذه الجهة بفصاحة اللفظ وانسجام النظم، ويرتبط ذلك بالاستقامة والسلامة اللغوية. وقد عُرِفَت لغة العرب بفصاحة اللسان وجمال التركيب وحسن اللفظ وسبك المعنى. ومن هنا نجد أن

⁽¹⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص104.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص107.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكتا إلى

الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقى المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

هذا النظام أو هذه البنية الكلامية لا بد أن تلتزم بنظام، وإن طرأ عليه تغيير فيكون وفقاً لمدلولاته، حفاظاً على درجة الانسجام.

وقد شبه محمد الطاهر بن عاشور الانسجام اللغوي في النظم بانسجام الجسم مع عقل الإنسان؛ فمتى كان عقل الإنسان حكيماً، كان اللفظ منسجماً في التركيب، مؤثراً في السمع، محسناً في الأداء، ومناسباً للمعنى⁽¹⁾.

3- الإيجاز والبلاغة مع مبدأ أسبقية الاستعمال التمثيلي للغة:

ينقسم الكلام إلى نوعين: ظاهراً ومقدراً، وأن الإيجاز هو التقليل من التفصيل والشرح والتركيز على المعنى بشكل مختصر ومفيد⁽²⁾ فكلما نقصت الألفاظ تعمق المعنى وتمكّن في ذهن المتلقى، مثل ذلك ما ورد في قول بشار:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

وقول آخر:

من راقب الناس مات كمدا وفاز باللذات الجسور⁽³⁾

فبين قول بشار وقول الشاعر الآخر مساواة في المعنى وإيجاز في اللفظ كما أن في مضمونها تمثيل مضمّر بين من يراقب الناس كيف يكون ومن يعيش حياته بعيداً عن مراقبة الناس وإيذائهم كيف يكون غير أن الصورة الثانية لم تذكر حرفياً وإنما تفهم من مضمّر القول.

4- الإجمال والتفصيل مع أسبقية الاستعمال الوصفي للغة:

⁽¹⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 112.

⁽²⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: موجز البلاغة، المطبعة التونسية، تونس، ج 1، ط 1، (د، ت)، ص 30.

⁽³⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص 30.

يرى محمد الطاهر بن عاشور أن الوصف المفصل يشتمل على وصف أي القرآن الكريم وما يتعلق بالمستنبط والمبتكر في تفسير القرآن⁽¹⁾.

وأما الوصف الإجمالي فنجد أنه يشمل مواقف المعاندين والمنكرين من مجيء القرآن الكريم من خلال ما تجمعها السور وما تحمله من أغراض، فلم يستطع أحد أن يأتي بمثله رغم أنهم أصحاب فصاحة وبلاغة وبيان⁽²⁾.

ثالثاً: الإعجاز اللغوي وأغراضه البلاغية

إن الحديث عن مظاهر الإعجاز اللغوي في فكر محمد الطاهر بن عاشور وأساليب الانتقال من مظهر إلى آخر، وتعدد الأغراض البلاغية على حسب المواقف التعبيرية، وأن المتلقي يعتمد على الذهن في فهم المعنى البلاغي، ويتقيد بأدوات المعنى لفهم مضمره وعلى مواضع استعمال اللفظ لفهم ظاهرية اللغة، نجد محمد الطاهر بن عاشور قد استعمل في فهم الأسلوب البلاغي مظهرين هما: مظهر عقلي يعتمد على المعنى وأدواته ومظهر استعماله يعتمد على اللغة وأوصافها.

وأن خصوصيات الكلام البليغ معجزة ومرادة لله تعالى تحدى بها المعاندين وأن من أفانين الكلام الإلتفات وهو نقل الكلام من أحد طرائق التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى طريق آخر منها... وأن التغيير في طرائق الكلام يجدد نشاط السامع نحو فهم موسع وتعليل أحسن للمعنى⁽³⁾.

جدول رقم (15): يمثل أساليب انتقال الكلام وأغراضه عند محمد الطاهر بن عاشور

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، ج1، د، ر ط، 1984م، ص106.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص106.

⁽³⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص109.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكا إلى

الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

الانتقال العقلاني	الانتقال الاستعمالي
يعتمد على المعنى والدليل	يعتمد على اللفظ والتركيب
يعتمد على التأويل والاستنباط	يعتمد على الوصف والتفسير
يعتمد على الذهن والمعرفة	يعتمد على اللسان والفصاحة
يعتمد على التخصص	يعتمد على الشمول
يعتمد على المنطق والحجة	يعتمد على القاعدة واللغة

نجد المتلقي الواعي والمنهل السائل يتقن أسس الخطاب القرآني وفق الأغراض البلاغية وأساليبها الخطابية وهذه الأسس تعدّ وسائل لغوية ذهنية يمتاز بها المتلقي، فكلما كان على معرفه بها كان تحديده للأسلوب الانتقالي العقلي صحيح وهذه الأساليب هي:

1- الفهم والإفهام

وهي الجهة الأولى عند محمد الطاهر بن عاشور حيث يقول: >> أن الأمة العربية أمة ذكية فنجد كلام العرب مبني على الإيجاز المفهم والإطناب المفهم⁽¹⁾ ويقصد بالإيجاز المفهم هو الاختصار بنية التوضيح والفهم فكلما كان الشرح مقتصدا كلما كان المعنى واضحا ويقصد بالإطناب المفهم هو الإكثار بنية التعظيم والمبالغة فيمكن أن يكون في بعض المواضع التي تحتاج إطنابا وإطالة في الكلام مع مراعاة قوة الأسلوب ورونق العبارة ولهذا نجد الإيجاز يركز على المعنى أما الإطناب فيركز على اللفظ وجمال العبارة فيه.

⁽¹⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: موجز البلاغة، المطبعة التونسية، تونس، ط1، (د، ت)، ص31.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكتا إلى

الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقى المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

وهذا التنوع الحاصل في الكلام يتحكم فيه مقتضى الحال⁽¹⁾، ولهذا فاستخدام أساليب مختلفة في الكلام يتعلق بالظروف والسياق الذي قيل فيه كما يتعلق بالموقف لتحقيق التأثير المطلوب، "وأن ما يعرض من لهجات العرب يعتبر تنوعاً لأساليب الخطاب التي جاء بها القرآن الكريم وتشير إلى نزول القرآن على سبعة أحرف وذلك تيسيراً من الله تعالى لعباده في تلقي الأسماع له ورسوخه في أذهانهم⁽²⁾، ودليله قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ سورة القمر، الآية 17، والغاية من التيسير هنا هو للذكر والتدبر والإنشغال به.

2-التأليف والأسلوب:

وهي الجهة الثانية التي تعنى بالنظم والتأليف ومراعاة السياق لفهم الأسلوب ويرى محمد الطاهر بن عاشور أن هذه الجهة تتعلق بجمالية اللغة أكثر المعنى، فيقول: >> اعلم أن أدب العرب نوعان شعر ونثر <<⁽⁴⁾ وهذا التذكير يدل على شيئين في نفس محمد الطاهر بن عاشور هو الأول عدّ الشعر حجة كونه إبداعاً متداولاً يسهل الاستدلال به لفهم مضامين القرآن الكريم وخاصة بعد أن هدّب القرآن اللغة وصحح الفكر فلا بد من الاهتمام بالشعر الذي يعدّ ديوان العرب وعدم الغفلة عنه لأنه يحتوي على جميع أوضاع التعبيرات اللغوية التي يمكن من خلالها فهم وضبط المعنى وتفسيره. والثاني هو عدّ النثر وسيلة ثانية لفهم نسيج القرآن ويظهر ذلك في خطب العرب ورسائلهم لتأثرهم بالنظم القرآني آنذاك.

⁽¹⁾ - ينظر: موجز البلاغة، مرجع سابق، ص 31.

⁽²⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، مج 1، (د، ر ط)، 1984م، ص 113.

⁽⁴⁾ - المرجع نفسه، ج 1، ص 114.

أما فيما يخص الانتقال الاستعمالي وأغراضه البلاغية ما يلي:

أ-المقام:

ويحمل المقام مجموعة من الأغراض البلاغية المناسبة لسياق اللفظ المستعمل فنجد في قوله تعالى ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ سورة المرسلات، الآية 15. ، ورد في مقام التهويل وفي قوله تعالى ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ سورة البقرة، الآية 178.، ورد في مقام العدل والحد من الفتنة في القتل وفي قوله تعالى ﴿وَسَلِّ الْقُرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾ سورة يوسف، الآية 82.، ورد في مقام توجيهه، وفي قوله تعالى ﴿إِسْتَكْبَاراً فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئِ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ فَعَلَّ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ سورة فاطر، الآية 43.، ورد في مقام التذكير بأن الجزاء من جنس العمل⁽¹⁾.

ويقول محمد الطاهر بن عاشور أن المقام قد يقتضي معنيين متوازيين أحدهما قريب غير مقصود والآخر ضمنى مقصود، فيكون المتلقي البليغ مخيراً في أحدهما؛ ففي قوله تعالى ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ سورة البقرة، الآية 34.، في سورة البقرة وردت بواو العطف وفي سورة الأعراف وردت بفاء الترتيب بغرض التفريع وكلاهما مطابق لمقام الأمر⁽²⁾.

وكذا قوله في سورة البقرة ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ يُغْفَرَ لَكُمْ خَطِيئَتُكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ سورة البقرة، الآية 57.، وفي سورة الأعراف ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا

⁽¹⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: موجز البلاغة، المطبعة التونسية، تونس، ط1، (د، ت)، ص31-32.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص118.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكتا إلى

الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

تُعَفَّرَ لَكُمْ حَظِيَّتُكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ 161 ﴿ سورة الأعراف، الآية 161. فجاءت مرة بـ(ادخلوا) ومرة أخرى بـ(اسكنوا) وذلك لاختلاف الغاية الأولى الدخول بمعنى المباشرة بالتمتع دون إقامة أما السكن بمعنى التمتع مع الإقامة⁽¹⁾.

أما بالتعبير بالواو العاطفة توهي إلى تعلق الدخول بالاستضافة وفي التعبير بالفاء توهي إلى ترتيب النفس والزام السكن أولا ثم الأكل⁽²⁾.

وهذا النوع في الكلام يقصد به تلوين المعاني المعادة من جهة بغية التذكير والتجديد في المعنى والأسلوب ومن جهة ثانية إلزام الأمر بمقام الشرط بغية التأثير في ذهن السامع واستحسان الكلام في الأذن وأن الانتقال من غرض إلى غرض آخر محكوم أساسا بالمقام، أي بتعبير أوجز أن الاستلزام في منظور البلغاء وخاصة السكاكي استلزام مقامي والأمر نفسه عند محمد الطاهر بن عاشور⁽³⁾.

ب-السياق:

يعدّ السياق المجال الاستعمالي الخاص ببنية الكلمة الداخلية أو النظام اللغوي ولولا السياق لا يتحدد المعنى ولا يتضح، ونجد أن القرآن الكريم قد راعى السياق بالدرجة الأولى وذلك لسببين أقرهما محمد الطاهر بن عاشور في مقدمته عندما قال: «فمختلف المحامل التي تسمح بها كلمات القرآن وتراكيبه وإعرابه ودلالاته من اشتراك وحقيقة ومجاز، وصريح وكناية، وبديع، ووصل، ووقف،

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، ج1، (د)، ر ط، 1984م، ص118.

⁽²⁾ - المرجع نفسه، ص118.

⁽³⁾ - ينظر أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة ف الوظيفة والبنية والنمط، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1431هـ-2010م، ص50.

إذا لم تقض إلى خلاف المقصود من السياق، يجب حمل الكلام على جميعها⁽¹⁾ وذلك لأن الحمل المعنوي للكلمة يختلف عن الوضع وأن أسلوب القراءة والتلقي يختلف عن غرض التأليف والتدوين وأن الكلمات القرآنية بتركيبيها وأساليبيها واستدلالاتها يتحكم فيها السياق وذلك كموضع >الوصل والوقف في قوله تعالى ﴿أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ سورة البقرة، الآية 0، إذا وقف على لا ريب أو على فيه، وقوله تعالى ﴿وَكَايْنٍ مِّن نَّبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ﴾ سورة آل عمران، الآية 146، باختلاف المعنى إذا وقف على قوله قتل، أو على قوله معه رببون كثير⁽²⁾، وهذا يعني أن التلقي يتحكم فيه السياق وأن المعنى يفهم من خلال مدى ملائمته مع غرض الإلقاء.

رابعاً: الإعجاز اللغوي والقوة الإنجازية في الخطاب القرآني

تنقسم القوة الإنجازية في الكلام إلى قوتين أصلية وهي تطابق النمط الجملي كالأمر والإستفهام والتعجب ومستلزمة وهي لا تطابق النمط الجملي، وتنقسم إلى مقالية منعكسة في خصائص الجملة المعجمية والصرفية-التركيبية والتنغيمية ومقامية المتولدة عن المقام⁽³⁾.

ويرى محمد الطاهر بن عاشور القوة الإنجازية تكمن في اختلاف قوة المعنى البلاغي بين الوكيد والأكّد وهذا التخالف بين الشئيين يقصد به تلوين المعاني المعادة وذلك لغرض التذكير

⁽¹⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، ج1، (د، رط)، 1984م، ص97.

⁽²⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، ج1، (د، رط)، 1984م، ص97.

⁽³⁾ - ينظر أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة ف الوظيفة والبنية والنمط، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1431هـ-2010م، ص50.

واستند محمد الطاهر بن عاشور عما ورد في الكشف لتفسيره قوله تعالى ﴿قُلْ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ سورة الأنبياء، الآية 04،⁽¹⁾ وهذا هو حد القوة الأصلية أن العلم بكل شيء لله وحده قبل أي شيء والقوة المستلزمة المقالية هو تأكيد برابط العطف (الواو) والضمير العائد على الله سبحانه وتعالى أما القوة المستلزمة مقاميا هو التذكير بأن الله سبحانه وتعالى هو عالم كل شيء ظاهره وباطنه، وخرجت هذه الأساليب بأغراض متنوعة على حسب تلون المعاني وأسباب التوظيف والتعبير فيها فكانت منها هذه الأغراض كالوصف والتذكير والتعظيم والمدح... الخ، منها أوضاع أصلية ومنها أوضاع مستلزمة وما يحددها هو قوة المعنى وأثره في نفس المتلقي⁽²⁾.

وانتظمت القوة الإنجازية في إتيان القرآن الكريم بأسلوب بلاغي متعدد المعاني وأعطى لكل فن بلاغي ما يليق به من المعاني والألفاظ ولهذا تضمن المحاور والخطابة والجدل والأمثال والقصص والرواية والحكم والتوصيف وهذه المتضمنات هي مستلزمات عن القوة الأصلية لأن كل غرض تتحكم فيه لهجة معينة ولفظة خاصة تناسب المعنى المعبر عنه ويصاحب الفن البلاغي الملقى في طريق المتلقي⁽³⁾.

كما أن معيار الفصاحة قد جعل من القصد أكثر قوة وحضورا وجعل من اللسان أكثر شمولاً واتساعاً وتداولاً وجعل من اللفظ أكثر دلالة ومن المعنى أنسب نظماً وتركيباً⁽⁴⁾، وعليه نرى أن ما

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، ج1، (د)، ر ط، 1984م، ص118.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص118.

⁽³⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص119.

⁽⁴⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص119.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكا إلى

الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقى المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

ميز القوة الإنجازية منطقية النظم والتركيب وأثر المعنى في نفس المتلقى ومدى قرب المتكلم البليغ منه ليجعله مخيلا للمعنى البلاغي المراد الوصول إليه.

خامساً: أسباب تعدد أوجه تفسير الكلام

يحدد محمد الطاهر بن عاشور أسباب تعدد أوجه تفسير الكلام فيرى من ذلك أن الكثير من المفسرين يعتقدون أن القرآن نزل لأجل بيان الأحكام وحكاية القصص أو إظهار حوادث مضت، حتى ذهب كل مجتهد يبحث في كل آية عن سبب خاص⁽¹⁾، وفي قوله تعالى ﴿وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ سورة المائدة، الآية 04، فلم يجز محمد الطاهر بن عاشور تفسير هذه الآية بحملها على جزء مخصوص لأن ذلك يبطل مراد الله ولا يجوز تعميم القصد في موضع الخصوص ولا إطلاق في قصد التقييد، لأن ذلك يؤدي إلى التخليط في المراد أو إبطاله من أصله⁽²⁾، وعليه نجمل الأسباب في تعدد أوجه التفسير في ثلاثة أسباب وهي:

السبب الأول: عدم التمييز بين حد التأويل والتفسير

قد تعدد القراءات وتختلف مما تؤثر في كفايات الأداء⁽³⁾، باختلاف طريقة الأداء هو اختلاف في طريقة التفسير وأدواته المستعملة، فالواقع بين التفسير والتأويل وعدم ضبط آلياته قبل الشروع في تحليل القول وتفسيره هو ما يجعل المعنى غريباً وبعيداً عن مقصوده ويخرج عن سياقه ويبقى المفسر يبحث عن المعنى الأنسب، فمثلاً في قوله تعالى ﴿وَعَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ سورة

⁽¹⁾ - ينظر: المرجع السابق، ص 50.

⁽²⁾ - ينظر: ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، ج 1، (د، ر ط)، 1984م، ص 50.

⁽³⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص 51.

الإسراء، الآية 59، فتم تفسيرها انطلاقاً من ظاهر اللفظ لا من معناه لأن الظاهر يتقيد بتفسيره لفظاً أما معناه فيتقيد بالتأويل ففسرت هذه الآية كلمة "مبصرة" بأنها ذات بصر لم تكن عمياء فهذا من الرأي المذموم لفساده⁽²⁾. ويقصد بفساده هو بعده عن المراد الأصلي لأن حد هذه الكلمة التأويل وليس حدها التفسير لأن فيها معنى مضمر يحتاج إلى إظهار وكشف والقصد من مبصرة أي دليل وحجة أي شاهدة وليس البصر من النظر المألوف.

وعليه لا بد من معرفة زمنية التفسير والتأويل، ونطرح التفسير من أين يبدأ إلى أين ينتهي ومتى نلجأ إليه ومتى نخرج منه ونتعداه إلى التأويل ونقرر بأن الكلمة هذه تحتاج إلى تفصيل وتوسع أكثر وأهم شيء هو ضبط حاجة المتلقي مع مناسبة غرض المفسر حتى يكون الغرض ذا توجيهها تواصلية واضحة ومفهوماً، وأن لا يكون تأليفاً عشوائياً ولا تعبيراً طيفياً ولا تحريراً فاقداً لمواطن الفهم فلا يكون مطلقاً على المتأولين ولا يكون مفسراً مقيداً مضيقاً عليهم⁽³⁾.

وقد أوضح ابن قتيبة صاحب كتاب تأويل مشكل القرآن سبب التضيق والتقيد بغير غرض عند بعض المفسرين والذي وسع من ثغرة تعدد أوجه التفسير، فيرى أن المعنى كلما كان عميقاً كلما كان متعدد الأغراض، غير أن الإشكال الذي يقع فيه المفسر هو عدم تمكنه من التحكم في آلية التفسير ومتى ينتقل منها إلى آلية التأويل ومتى يكتفي بالتخصص بآلية واحدة إذا كانت الآية لا تتحمل معاني عديدة فيقول في مفاد هذا: "فالمتمكّن من العرب إذا أراد كلاماً بليغاً ومفاداً صريحاً وعلماً فقيهاً، لا يكفي بأن يأتي بنسق كلامي واحد وإنما لا بد له من التنويع والتفنن حيث

⁽²⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، ج 1، (د، ر ط)، 1984م، ص 30.

⁽³⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص 31.

يميل إلى الاختصار تارة وإرادة التخفيف ويذهب إلى الإطالة تارة إرادة الإفهام ويكرر تارة أخرى إرادة التوكيد، ويخفي بعض المعاني حتى يغمض على أكثر السامعين ويصرح عن بعضها حتى يفهمه بعض الأعجميين ويثير إلى الشيء قصد الحجة وإقامة الدليل ويكنى عن الشيء قصد النسبة والموصوف والصفة⁽¹⁾، وهذه الأفانين والتنوع في أسلوب العرض والتحضيض تعدّ أدوات من الضرورات التفسيرية الواجب على المتلقي المفسر والتأولي التقيد بها لأهميتها في مجال اتساع المعنى وتحليل الخطاب. ومن ذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لَنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾ سورة سبأ، الآية 20-21.

فتأويله أن هذه الآية عندما سأل إبليس الله سبحانه وتعالى النظرة فينظره فتعدى بالقول بأن يغوي عباده المؤمنين تحدياً لله تعالى فقال: ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا وَلَاضِلَّيْنَهُمْ وَأَلْمَيْنَهُمْ فَلْيُبَيِّنَنَّ لِي أَدَانِ الْأَنْعُمِ وَأَلْمَرْتَهُمْ فَلْيُعَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا يَعْدُهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ سورة النساء، الآية 117-119. فلما تبع المؤمنين الشيطان قال تعالى صدق ظن إبليس فيهم ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ سورة سبأ، الآية 20، أي ليس بمعنى صدق إبليس في كلامه وإنما ظنه بالسوء طابق غايته وطابق أهواء العباد المائلين عن الإيمان فتوضح المؤمن من

⁽¹⁾ - ينظر أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، دار التراث، القاهرة، تح: السيد أحمد صقر، ط2، 1393هـ-1973م، ص13.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكتا إلى

الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقى المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر-

المشرك وألحق الله تعالى العقاب بإبليس ومن تبعه من الغاوين⁽¹⁾.

فالملاحظ أن الآية فسرت بجانب تأويلي ذهني وليس بجانب لفظي سطحي فذهبت الألفاظ إلى التعمق في معنى الموضع المقامي فنجد الآية وردت في مقام نكران إبليس لفضل الله تعالى واستغلال العلم الذي منحه الله إياه في سوء فخره الله بعمله وخزي جميع من تبعه من عباده المشركين فقال تعالى في ذلك ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا يَعِدُهُمُ وَيُمَيِّنُهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ سورة النساء، الآية 119.

السبب الثاني: مشكل القراءة والإعراب

حاز مشكل القراءة والإعراب جدلاً واسعاً بين المفسرين والنحاة ولكل مجاله فنجد لغة المفسرين لغة قراءة وفقه ولغة النحاة لغة استعمال ومعياري، وهذا ما جعل القراء يعتبرون العلامات بموازاة اللفظ في ضبط المعنى واستقرار الاستعمال في النظم في موضع السياق، فاهتدى النحاة إلى أن القراءة هي أصل صحة الإعراب والابتعاد عن الغرابة فنجد محمد الطاهر بن عاشور في مقدمته علم القراءات قدم وصفاً دقيقاً لأثر القراءة وأوجهها المتعددة في الإعراب بين ثباته وتغييره فنجد من ذلك قراءة علي بن أبي طالب: >> (وطلع منضود) بإبدال العين حاء، وقرأ قارئ بين يديه وطلح منضود فقال: وما شأن الطلح؟ إنما هو ((طلع)) وقرأ ((لها طلع نضيد)) فقالوا أفلا نحولها؟ فقال إن أي القرآن لا تهاج اليوم ولا تحول، أي لا تغير حروفها ولا تحول عن مكانها فهو قد منع من تغيير

⁽¹⁾ - ينظر أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، دار التراث، القاهرة، تح: السيد أحمد صقر، ط2، 1393هـ-1973م، ص311.

المصحف⁽¹⁾، فرفض التغيير في قراءة الحروف أو استبدالها ذلك لأن الإعراب متعلق بالمعنى يتأثر بهذا التحويل ولا يجوز تحويل المعنى في القرآن لغير مقصوده فوجب الالتزام بوجه واحد في القراءة وهو مطابقة المصحف ويقصد به قراءة عثمان حيث كانت >قراءة أبي بكر وعمر وعثمان وزيد بن ثابت والمهاجرين والأنصار واحدة، وهي؛ قراءة العامة التي قرأ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبريل في العام الذي قبض فيه⁽²⁾، وعلى هذا نجد أنه لا بد من الالتزام بوجه القراءة المطردة قياساً على قواعد النحو التي تهتم به وعليه ينشد الكسائي قصيدة أوردتها السيوطي في كتابه (بغية الوعاة) في إعراب النحو في مخاطبة طالب الفقه في القراءة والعربية:

أيها الطالب علماً نافعاً اطلب النحو ودع عنك الطمع
إنما النحو قياس يتبع وبه كل علم ينتفع⁽³⁾

فحقيقة الطلب هي أصل الإدراك فمتى كان النحوي أو القارئ عالماً بمواضع الكلمات ومواقعها وبنائها الإعرابي وجدته قد نال صحة السمع والفهم ويظهر ذلك من خلال استعماله لقواعد النحو وتفسيرات وجوه القراءة ويواصل الكسائي قوله:

وإذا أبصر النحو فتى مرّ في المنطق مرّاً فاتسع

⁽¹⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص52-53.

⁽²⁾ - المرجع نفسه، ص52.

⁽³⁾ - برهان الدين ابراهيم بن محمد بن أبو بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية وزين الدين خالد بن عبد الله الأزهري: إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك (تمرين في صناعة الإعراب)، تح: محمود نصار، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ج1، (د، ر ط)، 1971م، ص92.

فاتقاه كل من جالسه

من جليس ناطق أو مستمع⁽¹⁾

ونرى مذهب الكسائي يوازي قراءة أئمة العربية للقرآن حيث يقول محمد الطاهر بن عاشور بأن: >>أئمة العربية لما قرأوا القرآن قرأوه بلهجات العرب الذين كانوا بين ظهرائهم في الأمصار التي وزعت عليها المصاحف: المدينة، ومكة، والكوفة، والبصرة، والشام، قيل واليمن والبحرين<<⁽²⁾، وقراءة أئمة العربية القرآن بلهجات العرب دليل على اتساع القرآن على الألفاظ العربية والمستعملة في العديد من الأمصار وتبيان موضعها الصحيح في السياق المناسب لأن وضع الحروف والتدوين كان جديدا وأن اللسان العربي آنذاك كان محاطا بالكثير من الأعاجم فنجد أئمة العربية قد كانوا في موقف صعب بين وضع النقاط على الحروف وبين اللحن الذي شاع في اللسان فوجب حماية العربية والقرآن الكريم من ناحيتين: ناحية الوضع الصحيح والذي يتعلق بالأداء المضبوط والذي يحدده القياس المتعلق بالموقع الإعرابي، وناحية الاستعمال والذي يتعلق بكيفيات الأداء واستقامة التركيب والذي يحدده المعيار والمتعلق بالقاعدة الإعرابية فيبين الموقع الإعرابي وقاعدته خصائص لا يفقهها إلا من كان فاهما للقراءة وأوجهها>> فيحتمل أن يكون القارئ الواحد قد قرأ بوجهين ليُرى صحتها في العربية قصدا لحفظ اللغة مع حفظ القرآن الذي أنزل بها، ولذلك يجوز أن يكون كثير من اختلاف القراء في هذه الناحية اختياراً<<⁽³⁾، والضابط المقيد بين القراءة والإعراب هو اختلاف الأمصار بدرجة أولى وهي اختلاف اللغة اللهجية عن اللغة الفصحى>> وكان في هذه الأمصار قراؤها من الصحابة قبل ورود مصحف عثمان إليهم فقرأ كل فريق بعربية قومه في وجوه

⁽¹⁾ - ارشاد السالك، مرجع سابق، ص 92.

⁽²⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، مج 1، (د، ر ط)، 1984م، ص 51-52.

⁽³⁾ - المرجع نفسه، ص 52.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكتا إلى

الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

الأداء، لافي زيادة الحروف ونقصها ولا في اختلاف الإعراب دون مخالفته مصحف عثمان⁽¹⁾، ولهذا يرى محمد الطاهر بن عاشور أن محور القراءة وجدل الإعراب أساسه القارئ الموازي لظروف النزول والوحي وأسلوب المعنى المكثّر في مختلف القراءات حيث يقرأ القراء بوجوه تكثّر بها المعاني فيها على عقل القارئ مما يصبح اللفظ نظيراً للمعنى في الدلالة ونظيراً للتضمنين في استعمال العرب ونظيراً للتورية والتوجيه في البديع ونظيراً لمستتبعات التراكيب في علم المعاني وهو من زيادة ملاءمة بلاغة القرآن⁽²⁾

السبب الثالث: اعتبار الفصاحة وصف للمعنى دون اللفظ: (الفصل بين قيمة المعنى واللفظ في معيار الفصاحة).

نجد من جدل الفصاحة ما تعلق الأمر بالمعنى أكثر من اللفظ وإذا رأينا اهتماماً باللفظ يكون في سياق المعنى فقضية المطرد والشاذ بين الاستعمال والمعيار يعد قياساً، لهذا فنجد اللغوي يختلف عن النحوي بين التعيد والتخصص والشمول والتوسع ونرى اللغة بين نحويها ووظيفتها المتداولة فرق في التفسير وهذا ما سعى إليه البصرة والكوفة حيث اهتم كل فريق بنموذجية اللغة على حسب مقاييس اجتماعية وغايات خاصة في المتكلم فنجد في المقدمة التاسعة لمحمد الطاهر بن عاشور⁽³⁾ في أن المعاني التي تتحملها جمل القرآن، تعتبر مراداً بها⁽³⁾، وهذه المعاني المطروحة هي صورة عميقة عن اللفظ الظاهر المتبينة في كلام المتكلم والموجهة للمتلقي فيقول محمد الطاهر بن عاشور أن "توفير المعاني وأداء ما في نفس المتكلم بأوضح عبارة وأخصرها ليسهل

⁽¹⁾ - التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 51-52.

⁽²⁾ - المرجع نفسه، ص 55.

⁽³⁾ - المرجع نفسه، ص 93.

اعتلاقتها بالأذهان يعود إلى موسوعية المتكلم والمتلقي وتمكنهم اللغوي⁽¹⁾، فنرى أن المعنى تمكن وأداء في آن واحد وأن موضعه العقل وهذا لأنه يحتاج إلى تفسيرات وتأويلات عميقة بخلاف اللفظ وأن حصول المعنى يعتمد على أداء المتكلم واستعماله للألفاظ وتوظيفها حسب غاياته أو مراده وكل معنى وجه إلى ذهن المتلقي شرطه الإيضاح. وأن فصل اللفظ عن المعنى في فهم اللغة وفقها يعد ضعفا استدلاليا فيقول محمد الطاهر بن عاشور: >> ويدل لتأصيلنا هذا ما وقع إلينا من تفسيرات مروية عن النبي صلى الله عليه وسلم لآيات، فنرى منها ما نوقن بأنه ليس هو المعنى الأسبق من التركيب، ولكننا بالتأمل نعلم أن الرسول عليه الصلاة والسلام ما أراد بتفسيره إلا إيقاظ الأذهان إلى أخذ المعاني من ألفاظ القرآن⁽²⁾، وهذا يعني أن التركيب يحمل اللفظ في ظاهره والمعنى في مضمرة وعلى المتلقي أن يتأمل المعاني المطروحة أمامه انطلاقاً من القرائن اللفظية الظاهرة، وهذا سر من أسرار الإعجاز القرآني حيث يضم اللفظ في المعنى في الوقت الذي كان في وجوب اللفظ الظهور لكنه أضمر لعله استمداد التفسير بشكل أوسع من القرآن الكريم حيث يحول المعنى في هذه الحالة إلى وحدة كلامية ويأخر اللفظ إلى تعددية لغوية، فمعجزة القرآن أن المعنى المستفهم من اللفظ المروي يحتاج في استدلاله وفهمه إلى ألفاظ أخرى أكثر توسع وتفصيل وهذه الألفاظ لابد أن يستقيها المتلقي أو المتكلم على حد سواء من القرآن الكريم وتبيان الألفاظ التي تحملها المعاني المروية، فنجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم ألقى حكمة مفادها أن الأصل في فهم المعنى هو مدى تعلقه بالتركيب اللفظي وأن تفسيره وفهمه لا بد من أخذه من القرآن الكريم وأن الأسبق في الكلام هو اللفظ وليس المعنى ودليل ذلك أن تفسير المرويات هو تفسير اللفظ للمعنى

⁽¹⁾ -التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 93.

⁽²⁾ - المرجع نفسه، ص 94.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكتا إلى

الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

الحاصل في الذهن نتيجة الاستماع المولد في نفس المتلقي المتأمل.

المطلب الثاني: البلاغة الجديدة لبرلمان ومحمد الطاهر بن عاشور

انطلق كل من برلمان وتكتا في الحجاج من أطروحة تجاوز الغامض والاهتمام بالصريح وإعطائه تفسير واقعي قريب من العقل على حسب استعمالاته اليومية الظاهرة، بحكم أن الكلام الواضح هو أقرب تفاعلاً مع العقل وقد اهتم كل منهما بالمتلقي من جانبين هما: أوله ما يصنعه الخطيب للمتلقي، وثانيه بحد الحجة في المتلقي، وهذا نجده يتجذر في البلاغة العقلية لمحمد الطاهر بن عاشور في قوله: >أن المعنى الظاهر هو الذي لا يمكن اختلاف الناس فيه لاستناده على اللغة الموضوعية من قبل. وأما الباطن فلا يقوم فهم أحد فيه حجة على غيره اللهم إلا إذا زعموا أنه لا يتلقى إلا من الإمام المعصوم<⁽¹⁾، ولعلّ هذا التوضيح الذي يستحسنه العامة في اللغة التواصلية هو أقرب للعقل والنفس حيث تجعل المتلقي على تواصل مستمر وفهم وتبادل في الحوار واقتناع ببعض القضايا المطروحة ويسهل عليه إبداء رأيه وإلقاء فهمه، فيقول برلمان في مستوى الحجة والتلقي المؤثرة على المتلقي >لكي يحدث حجاج، يجب أن تتحقق في لحظة معينة مجموعة من العقول. ويجب أن نكون متفقين قبل أي شيء<⁽²⁾، فنلاحظ أن برلمان أرسى ثلاث قواعد أساسية يجب توفرها في المتكلم والمتلقي معا وهذه القواعد هي:

القصد: وهو التركيز على صفة التواصل في مستوى حجاجي معين.

⁽¹⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، المطبعة التونسية، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص34.

⁽²⁾ - فيليب بروتون و جيل جوتييه: تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناحي الغامدي، مركز النشر العلمي، السعودية، ط1، 1432هـ - 2011م، ص44-45.

التوافق: وهو درجة الانسجام والتقبل بين الطرفين المتخاطبين أو المحتجين.

الزمن: وهو ضبط الفضاء الزمني الموافق لظرف التواصل وأغراضه وعقل الآخر. وهذه المعايير عدها مبادئ في التواصل الحجاجي وعليه نجد محمد الطاهر بن عاشور يعلق عن هذه المعايير تحت مبدأ ظرفية الاختيار حيث يقول: >> وقد اختار الله تعالى أن يكون اللسان العربي مظهرًا لوحيه ومستودعًا لمراده، وأن يكون العرب هم المتلقين أولاً لشرعه وإبلاغ مراده لحكمة علمها منها: كون لسانهم أفصح الألسن وأسهلها انتشاراً، وأكثرها تحملاً للمعاني مع إيجاز لفظه<<⁽¹⁾، فمن معايير ظرفية الاختيار عند محمد الطاهر بن عاشور هو السهولة والفصاحة والاختصار وكلها تجتمع في معنى الحجة الظاهرة لأن القرآن الكريم خاطب الأمة خطاباً ظاهراً في مجمله ومعجزاً ظاهراً في تفصيله، فالإعجاز لم يكن بلغة غير واضحة أو غريبة على اللسان والعقل بل كان ظاهر اللفظ يناسب ضامر المعنى وهذا ما ميز البلاغة العربية المجادلة للعقل والمصححة للسان والمحددة للمتلقي حسب طبقات تخاطبية فارضاً عليهم مسافات تواصلية تتعلق هذه المسافات بنمطية البنية الذهنية واللسانية في محورها التواصل الحجاجي فالقرآن بأكمله خطاب لغوي حجاجي فكل كلمة حجة على العقل واللسان معا حيث نجد: >>في قوله تعالى ((وعلى الأعراف رجال)) أن جبلاً يقال له الأعراف هو مقر أهل المعارف الذين يعرفون كلا بسيماهم<<⁽²⁾. فنجد الظاهر في اللفظ المطلق مناسب للمعنى المضمّر الموجز وذلك للإشارة أو المسمّاة بالقرينة اللغوية الدالة على ذلك وهو أداة التعريف في الاسم (الأعراف) وحرف الجر الموضوع للمجاوزة القصديّة. وعند العودة للحديث عن

⁽¹⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، المطبعة التونسية، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص39.

⁽²⁾ - المرجع نفسه، ص34.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتتك إلى

الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

المتلقي عند كل من برلمان وتتك ومحمد الطاهر بن عاشور نجد أن كلاهما ركزا عليه بصفة إنتاجية فانتمت البلاغة الحجاجية من بلاغة عقل إلى بلاغة إنتاج وترجيح ويتطلب في بلاغة الإنتاج أو الترجيح أمور عديدة نحصرها في أربع نقاط وهي:

أولاً: الفهم الذهني الصحيح

ويعرّف محمد بازي بلاغة الترجيح على أنها: >نتاج جهد ذهني وبحث عميق عن مرجحات وأدلة قوية لتأكيد هذا المعنى أو ذلك. وهي عمليات تراعى فيها اللغة ومواضعاتها، ومقاصد النص أو مقاصد صاحبه إذا كانت معروفة (وهي ليست معياراً نهائياً)، ومساق الكلام، وغيرها من المعايير.⁽¹⁾ فالترجيح هو التركيز على قوة الحجة الاستدلالية في ظاهر المعنى واستنباط المقصد من مضمير المعنى وهذا يتم حسب معايير خاصة تجعل من اللغة الاستدلالية تحمل قيمة حجاجية تواصلية واضحة.

ثانياً: اللغة ومواضعاتها

يعد حد اللغة ومواضعها وأحوالها وأسيقتها التعبيرية والاستعمالية حداً حجاجياً تأثيرياً في المتلقي، فاللغة عموماً تحمل صبغة اجتماعية تواصلية لها أغراض عديدة هذا من جانب معرفي، أما من جانب حجاجي فهي تعمل على محاورة العقل الجماعي ويقصد به الجمهور، فمُحَاوَرَةُ الجمهور الذي اعتبره برلمان وتتك المتلقي تتطلب جهداً لغوياً أسمى من الكلام في وضعه العادي، غير أن تطلّب برلمان وتتك لتوظيف الألفاظ والمعاني الظاهرة في التواصل الحجاجي غرضه هو

⁽¹⁾ -محمد بازي: التأويلية العربية نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة-الجزائر، ط1، 1431هـ-2010م، ص346.

تقريب صورة الفهم والمحاورة لاكتساب جمهور أكبر وتفاعل أوسع، وهذا كان من سر إعجاز القرآن الذي خاطب العقل العربي بشكل جماعي تحت راية اللغة الفصحى وهي اللغة المشتركة في كل المجتمع العربي ومفهومة لدى العامة والخاصة، وأن الحجاج اللغوي القرآني القائم في جدلية العقل كان منطلق وفق فنون اللغة العربية في زمانها وموضعها وأحوالها المنتشرة والمتداولة آنذاك في ذلك المجتمع العربي.

ولهذا نرى برلمان وتنتكا يصوران البلاغة في حلتها الجديدة كما سمياها "تتمحور على تقنيات الحجاج وعلاقاتها بمحورين وهما: محور الخطاب ذاته ويتم في هذا المحور دراسة الحجاج وتصنيفاتها، ومحور ثاني هو تأثير هذا الخطاب على المتلقي دون الخروج عن مقصدية منتج الخطاب ويتم في هذا المحور دراسة الموقف التواصلية الذي يمثل حدث الحجاج (acte d'argumenter)⁽¹⁾.

ومن ذلك ففي قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ سورة المجادلة، الآية 01، فيفسر محمد الطاهر بن عاشور الموضع اللغوي لـ(قد) بقوله: >أصله حرف تحقيق للخبر، فهو من حروف تأكيد الخبر ولكن الخطاب هنا موجه للنبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يخامر تردده في أن(التي) يعلم ما قالتها المرأة التي جادلت في زوجها. فتعين أن حرف(قد) هنا مستعمل في التوقع، أي الإشعار بحصول ما يتوقعه السامع. قال في الكشف لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجادلة كانا يتوقعان أن

⁽¹⁾ - ينظر فيليب بروتون و جيل جوتييه: تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناخي الغامدي، مركز النشر العلمي، السعودية، ط1، 1432هـ - 2011م، ص46.

يسمع الله لمجادلتها وشكواها وينزل في ذلك ما يفرج عنها⁽¹⁾. فنجد الخطاب يحمل حجة واقعية وهي لغة التوقع المفترضة بين المتكلم والمتلقي والمستمع متوفرة الشروط وهو حصول ما يتوقعه السامع وأن الموقف التواصلية هو استجابة الله تعالى لشكوى المجادلة وإنزال الله تعالى سورة المجادلة كحلا جذريا لحالة هذه المرأة التي تود الرجوع لزوجها ورفض الطلاق في حالة الغضب فرحمة بحالها استجاب الله تعالى لها من باب العدل والمؤانسة.

ويقول برلمان >>إن فكرة الوضوح، التي تعتبر صفة للعقل، هي التي يجب مناقشتها، إذا أردنا أن نقيم مكانا لنظرية الحجاج تقرر استخدام العقل من أجل التحكم في فعلنا، ومن أجل ممارسة التأثير على أفعال الآخرين⁽²⁾، فنجد أن خطاب المرأة المجادلة واضحا جدا في حوارها مع الرسول صلى الله عليه وسلم حيث صورت فيه وضعها الصعب وما يمكن أن تعاني منه من هذا الطلاق وفي محاولتها إيجاد حل لمشكلتها نجدها استخدمت عقلها من أجل أن لا تتطلق وفي رفع شكواها لله تعالى تأثيرا لموقفها، فاستجاب الله تعالى لدعائها وضبط هذه السورة المنزلة في ظرف قصتها لها ولجميع من يعاني من نفس مشكلتها فجعل الله من فعل الطلاق أثناء الغضب فيه حل وسط وذلك حتى لا تتفكك الأسرة ولتبقى حقوق المرأة محفوظة ومعززة في بيت زوجها.

ثالثا: المقصد

"هو من التوقع ويرتبط بمعنى الواقعية ونجد برلمان يرجح التوقع في اعتباره بأنه لا بد من

⁽¹⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، المطبعة التونسية، تونس، ج28، (د، ر ط)، 1984م، ص08.

⁽²⁾ - فيليب بروتون و جيل جوتييه: تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناحي الغامدي، مركز النشر العلمي، السعودية، ط1، 1432هـ - 2011م، ص44.

الحصول على استشعار مسبق بين المتلقي والمتكلم أثناء الخطاب، حيث يرى "أن معرفة الجمهور الذين ننوي إقناعهم شر مسبق لأي حجاج فعال"⁽¹⁾، ويفسر محمد الطاهر بن عاشور معنى التوقع في هذه الآية من سورة المجادلة فيقول: "ومعنى التوقع الذي يؤذن به حرف (قد) في مثل هذا يؤول إلى تنزيل الذي يتوقع حصول أمر لشدة استشرافه له منزلة المتردد الطالب لتحقيق الخبر من تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر لنكتة"⁽²⁾، فنجد محمد الطاهر بن عاشور قد يؤول في التوقع معنى من لفظه الظاهر فيتحقق ما يتوقع في ذهن المتكلم والمتلقي في آن واحد حيث "يعد المتكلم السائل والمتلقي هو السامع أو المطلوب من فعل التوقع"⁽³⁾ وقد برهنة هذه الآية على حقيقة الخطاب الحجاجي وشروط حصوله حيث ورد لفظ السماع في الآية وأعرب عنها محمد الطاهر بن عاشور بالتقدير في المعنى في تفسيره فقال: "والسماع في قوله <سمع> معناه الاستجابة للمطلوب وقبوله بقرينة دخول (قد) التوقعية عليه فإن المتوقع هو استجابة شكواها"⁽⁴⁾، وهذا صريح ما حصل في مجادلتها فقد أخذت بعد حجاجي مرتبط بالواقع يبرهنه الرابط الاستدلالي على قوله تعالى <يجادلونك في الحق بعد ما تبين> في سورة الأنفال⁽⁵⁾، فنجد برلمان يشير في التوقع الجدلي إلى نموذج الاستدلال المنطقي القائم على الربط بين الحجة والهدف حيث يقول: "إن الهدف العام

⁽¹⁾ - ينظر فيليب بروتون و جيل جوتييه: تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناحي الغامدي، مركز النشر العلمي، السعودية، ط1، 1432هـ - 2011م، ص45.

⁽²⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج28، ص08.

⁽³⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص08.

⁽⁴⁾ - المرجع نفسه، ص08.

⁽⁵⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص08.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكتا إلى

الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

للخطاب الحجاجي والبلاغي هو إفحام المتلقي وإقناعه⁽¹⁾.

رابعاً: مساق الكلام

اهتم كلا من محمد الطاهر بن عاشور وبرلمان بالاهتمام بأساسيات البلاغة ومنهجيات التلقي والمحااجة وترجمها بن عاشور في المقام أما برلمان فقد ترجمها في بالحجج الرابطة لمستبدلات الخطاب أو تحت مسمى تقنيات الخطاب، وهذه التقنيات أو الحجج تعمل بشكل داعم للخطاب أي في مقام التقوية والإفحام حيث قسم المساق الخطابي إلى قسمين: مساق ربط ومساق فصل وكل يتوزع على حسب درجة الحجة الواقعة في السابقة أو المفترضة أو المبتكرة أثناء الخطاب فنجد تصنيفه للحجج في المساق الكلامي يتوزع بالشكل التالي:

جدول رقم(16): يمثل الروابط التقنية للمتلقي الجديد في خطابه البلاغي المتوقع

الربط	الفصل
الحجج شبه المنطقية	الحجج القائمة على بنية
الحجج القائمة على بنية	الحجج المؤسسة لبنية
الواقع	الواقع
فصل المصطلحات	

⁽¹⁾ - ينظر فيليب بروتون و جيل جوتييه: تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناحي الغامدي، مركز النشر العلمي، السعودية، ط1، 1432هـ - 2011م، ص43.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكا إلى

الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

التنافر	روابط التتابع	المثال	الفصل ⁽¹⁾
الهوية	روابط التعايش	النموذج	
التعريف		المماثلة	
قواعد العدل		التوضيح	
التعدية		الكناية	
المقارنة			

ينظر فيليب بروتون و جيل جوتييه: تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناحي الغامدي،

مركز النشر العلمي، السعودية، ط1، 1432هـ - 2011م، ص47.

فنجذ برلمان حاول بأطروحته إحياء مضمير المنطق الأرسطي في البلاغة الغربية وأما محمد الطاهر بن عاشور فقد حاول إحياء مضمير المنطق الجرجاني في البلاغة العربية ودليل ذلك هو فصل المصطلحات الخاص بعلم اللغة والبلاغة والفلسفة والذي يجتمع تحت حقل بلاغي واحد وهو البلاغة العقلية.

المطلب الثالث: استراتيجية الإقناع للمتلقي الجديد في الخطاب البلاغي.

أولاً: مسوغات استعمال استراتيجية الإقناع عند المتلقي الجديد

تأسست استراتيجية الإقناع على معيار محدد وهدف خطابي حيث أن المرسل يحمل رسالة إقناعية قد تكون إيجابية أو سلبية وهذا التأثير يتحكم فيه هدف الخطاب من هذا الإقناع. فالمتلقي الجديد محتكم إلى حرية إنتاج جديد لمعنى الخطاب منطلقاً من نفس هدف

⁽¹⁾ - تاريخ نظريات الحجاج، مرجع سابق، ص47.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكا إلى

الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

الخطاب للمنتج الأول حتى يحافظ على نسق ونظم الكلام ولا يخرج عن دائرة التواصل البلاغية المبني عليها إنتاجية الثاني، >>فمن الأهداف التي يرمي المرسل إلى تحقيقها من خلال خطابه إقناع المرسل إليه بما يراه، أي إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي<<⁽¹⁾، فعنصر الهدف المتعلق بعنصر التغيير يعد إحداث تأثير في عقل المتلقي أو في نفسه من حيث الذوق والأسلوب والانسجام مع المتكلم، فنجد أن السلطة التواصلية التي يمتلكها المتكلم الأول تنتقل بصورة تدريجية إلى المتلقي أثناء انتظار التغيير المتوقع من المتلقي إحداثه >> فالمتكلم هو الذات المحورية في إنتاج الخطاب لأنه هو الذي يتلفظ به، من أجل التعبير عن مقاصد معينة، وبغرض تحقيق هدف فيه، ويجسد ذاته من خلال بناء خطابه، باعتماده استراتيجية خطابية تمتد من مرحلة تحليل السياق ذهنيا والاستعداد له<<⁽²⁾. فالمرسل أو المتكلم أو المحاجج هو من أنتج الخطاب لغايات تواصلية هذه الغايات لا بد أن تكون مرتبطة بالمتلقي المفترض له الاندماج مع إنتاجية المتكلم حيث يصبح المتلقي متكلماً أو محاججاً ثانياً ويحق للمتلقي الذي يعتبر مساهماً في حلقة الإبلاغ والذي يوجه إليه المتكلم الخطاب عمداً أن يبدي رأيه بالرفض أو بالقبول وذلك لأن >>المتكلم البليغ قد يكون في حاجة عدم امتلاك السلطة التي تخوله بأن يأمر<<⁽³⁾.

ونجد أن المتلقي المنتج الفعّال هو من يستطيع أن ينشئ علاقة تواصلية مع المتكلم تتناسب مع نوع الخطاب والهدف الأولي حيث >> تغدو العلاقة بين طرفي الخطاب من أبرز

⁽¹⁾ - عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت لبنان، ط1، 2004م، ص444.

⁽²⁾ - ينظر: استراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص46.

⁽³⁾ - المرجع نفسه، ص46.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكا إلى

الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

العناصر السياقية التي تؤثر في تحديد استراتيجية الخطاب المناسبة واختيارها⁽¹⁾، ويلعب السياق دوراً مهماً في الربط بين مقصدية المتكلم وحوارية المتلقي حيث نرى أنه >>إذا يراعيها المرسل دوماً عند إنتاج خطابه، فلا يغلفها، وذلك بوصفها محدداً سياقياً، له دوره في إنجاح عملية التواصل، وتحقيق هدف المرسل من عدمه<<⁽²⁾.

وتركيز المتلقي والمتكلم على الهدف في الخطاب ذلك لوجود العلاقة التواصلية بينهما، كما أن هذا الهدف المركزي لا يتحقق إلا إذا تعلق باستراتيجية تداولية تعرف باستراتيجية الإقناع⁽³⁾. ويتأسس الإقناع وتوجيهه دائماً على افتراضات سابقة متوقعة ويؤكد ذلك عناصر السياق بما فيها المتلقي فقد اعتبر ريبول وبرلمان الوظيفة الإقناعية من الوظائف البلاغية التأويلية الهادفة للمتلقي الجديد⁽⁴⁾.

واعتبار البلاغة الجديدة هي فن الإقناع بالخطاب فلا بد من تحديد أنواع الخطاب أولاً ومدى تعلقه بخطابات تواصلية سابقة لاعتبار الخطاب حدثاً متعلقاً بزمن ومتكلم ومخاطب وسياق معين وهذا التعلق قد يكون ظاهراً متمثلاً في مجموع الأفعال الكلامية أو قد يكون متضمناً في القول متمثلاً في مجموع الإشارات والافتراضات المسبقة والمضمرات والمستلزمات التخاطبية للمتلقي الخطابى المميز قواعد أساسية تشترطها البلاغة الجديدة وهي تتمثل في >>الخطيب الذي يخطب أو يكتب بهدف الإقناع -ليس ابداً وحيداً، إنه يعبر دائماً عن ذاته مع أو ضد خطباء

⁽¹⁾ -المرجع السابق، ص 48.

⁽²⁾ -المرجع نفسه، ص 48.

⁽³⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص 444.

⁽⁴⁾ - ينظر: استراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص 444-445.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكتا إلى

الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

آخرين أي أنّ هناك دائماً ارتباطاً بخطابات أخرى⁽¹⁾، وهذا التمكن في المتعلق التخاطبي كلما حافظ عليه المتكلم كان المتلقي أكثر إنتاجية وأكثر تطبيقاً للهدف المقصود، وتستعمل استراتيجية الإقناع لغايات حاجية عديدة أولها⁽²⁾:

- تحقيق أهداف المرسل النفعية وذلك بالتأثير على المرسل إليه بصورة أقوى حيث يخول له الانتقال إلى صفة الإنتاجية والديمومة التواصلية.

- حصول الإقناع عند المرسل إليه.

- التمايز التواصلية المتاح لفرض قبول القول أو ممارسة العمل على المرسل إليه دون حصول اندفاع داخلي أو اقتناع ذاتي.

- التماهي الخطابية بين الطرفين عن طريق استعمال الحجاج.

- ازدواجية التواصل الحاصلة بفضل اندماج أساليب الإقناع بأساليب الإمتاع فالتلاحم العقلي. المعبر عنه بالانساق النمطي والتذوق النفسي المعبر عنه بالانسجام هو من يحقق الغاية الحاجية في ذهن المتلقي وعلى المتكلم أو الخطيب أن يكون له كفاية إدراكية ولغوية تدمج هذا التلاحم في تحقيق شرط الإقناعية.

- إبداع السلطة حيث أن الإقناع سلطة جمالية في حد ذاته فمتى تمكن منها الملقى حصل القبول والاقتران لدى المتلقي.

- الجمع بين القول في حيز التنوير والتقويل والجدل والفعل في حيز الإنجاز والتأثير والحجة، فالحجاج هو سلطة الملقى على المتلقي وهو الأداة اللغوية التي يستعملها من أجل إقناع

⁽¹⁾ - ينظر: المرجع السابق، ص 445.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص 445.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكتا إلى

الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

-المتلقي ووضعه في إطار قولي تواصلية مناسب المقام ومسلم بالقضية أو الأطروحة أو الفرضية الدافعة للعمل.

-تعزيز الشمولية وانتماء استراتيجية الإقناع إلى الكفاءة التداولية عند الملقى والمتلقي في حد واحد وذلك لوصفها دليلا على المهارة الخطابية⁽¹⁾.

وهذه الغايات الحجاجية التي يهتم بها الملقى ويتأثر بها المتلقي -المصنوعة خصيصا له- تعد من أهم المسوغات التي ترجح استعمال الإقناع واعتبارها الاستراتيجية الأنسب للوضع الحجاجي بما فيها من سلطة شمولية خطابية. فنجد برلمان يقول: "لابد من توسيع البلاغة وإخراج الحجج من محور البرهنة والتجربة إلى محور الاستدلال والاستنباط والانفعال، فنجده يعطي للمتلقي حرية⁽²⁾؛ إبداء الرأي والرّد حيث فتح للحجاج؛ أبوابا جديدة وأخرجه من دائرة التقليد الصرف إلى دائرة الآراء والقيم والتفاعل بين الأفراد والجماعات وبين الأفكار والأطروحات"⁽³⁾.

وقد أدرج برلمان بلاغة جديدة حية ركز فيها على المتلقي المتفاعل المساهم في عملية التخاطب أثناء الحوار ودحض المتلقي الجامد أو الساكن الذي يستقبل ويتقبل سلطة الآخر دون ردة فعل فهو اعتبره بدون لغة تأثيرية وتأثرية فالتأثير لديه لابد أن يكون متبادلا حتى يحقق إنتاجية خطابية عالية وحتى يتولد عن السياق الواحد أسئلة تواصلية عديدة، ولهذا يعود الفضل لبرلمان في إعادة حركية المتلقي الذهنية واستحضاره كركن تفاعلي في البلاغة الجديدة فنجد حوّل لغة المتلقي

⁽¹⁾ - ينظر: استراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص 445.

⁽²⁾ - ينظر محمد طروس: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط 1، 1426هـ-2005م، ص 43-44.

⁽³⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص 43-44.

من حجة تراكمية إلى قدرة تحليلية تواصلية في الخطاب⁽¹⁾.

فاستحدث دور المتلقي في البلاغة يعد استحداث للعقل التحاوري والإبداع البلاغي.

يتعلق مفهوم المتلقي الجديد بالبلاغة الجديدة وهو يحمل معنى أن اتخاذ العقل نمطية جديدة في التفكير والاستنباط والاستقراء والتبليغ والمحاكاة، أي أن المتكلم يحمل منطق لغوي تعبيرى بلاغي مستحدث ومتطور عما عرّف في زمنه أو في زمن سابق له، "والجديد في اللغة هو: جديد عليه، لم يعرفه مسبقاً، ووجه جديد: يُرى لأول مرة، ظهر حديثاً"⁽²⁾. ويعد برلمان ومحمد الطاهر بن عاشور متلقيان جدد حيث تلقيا علم البلاغة من السابق وألبساها ثوب جديد مستحدث لم يكن معهوداً في وقتنا بمصطلحات وأطروحات مستحدثة، فالمتلقي الجديد هو من كان يمتلك كفايات وآليات وأدوات منسجمة مع وعيه الفكري وله طاقة توظيفية وكفاية تأويلية وتجميعية وتنسيقية متعمقة حيث يخرج المتلقي الجديد من طور التلقي المستهدف إلى طور التلقي المنتج، وعليه تصبح دائرة المتلقي أوسع حركة وأعلى سلطة من دائرة المتلقي العادي المستمع فنجد مثلاً في ذلك في سورة المجادلة في قوله تعالى ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ سورة المجادلة، الآية 01..

وهي نتيجة ظاهرة لمجموعة من الحجج الملقية من الله سبحانه وتعالى للناس عامة وللمرأة المشتكية خاصة، فنجد أن الله تعالى أعطى للنبي صلى الله عليه وسلم حجة للتحليل في وقع التحريم وألزمه بالعمل به ونشره للناس حتى لا يبقى ضرر في قلب مؤمن أو مؤمنة، وهذه الآية

⁽¹⁾ - ينظر: المرجع السابق، ص 44.

⁽²⁾ - معجم المعاني، مادة: (ج د د)، على الساعة 13:18 دقيقة، 2024/10/12م، صفحة:

تواردت بعدها مجموعة من الأدلة والحجج المرتبطة بنتيجة الاستجابة الفعلية وهي الآيات التالية:

﴿الَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنْكُمْ مَنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا الْبَنَاتُ وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ

مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ﴾ سورة المجادلة، الآية 02.

﴿وَالَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ

بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ سورة المجادلة، الآية 03.

فالحجة الأولى التي تحتوي على رابط الاستثناء بـ(إلا) تحمل معنى الاستثناء لبطلان

التحريم الواقع على الزوجة وهو أن الله تعالى أوضح للناس أن الظهارة لا تكون إلا للأمهات التي

أنجبهم وليس لنسائهم وقام بتحذيرهم من تلفظ هذا القول لأن فيه منكرا وفساد عظيم ويقول محمد

الطاهر بن عاشور تنتزل جملة <<الذين يظهرون منكم من نسائهم>> وما يتم أحكامها منزلة البيان

لجملة <<قد سمع الله قول التي تجادل في زوجها>> الآية لأن فيها مخرجا ممّا لحق بالمجادلة من

ضر بظهار زوجها، وإبطالا له، ولها أيضا موقع الاستثناء البياني لجملة <<قد سمع الله>> لأن

قوله <<قد سمع الله>> يثير سؤالا في النفس أن تقول: فماذا نشأ عن استجابة الله لشكوى المجادلة

فيجاب بما فيه المخرج لها منه⁽¹⁾. فنرى أن الحجة أثارت في قلب المستمع أسئلة هذه الأسئلة

هي في حد ذاتها تأثير في نفسه يدفعه للتتابع في الاستماع.

والحجة الثانية التي تحتوي على الرابط <<ثم>> تحمل معنى عطف جملة ((يعودون)) على

جملة ((يظهرون))، وهي للتراخي الرتبي تعريضا بالتخطئة لهم بأنهم عادوا إلى ما كانوا يفعلونه في

⁽¹⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، المطبعة التونسية، تونس، ج28، (د، ر ط)، 1984م،

الجاهلية بعد أن انقطع ذلك بالإسلام. ولذلك علق بفعل (يعودون) ما يدل على قولهم لفظ الظهار⁽¹⁾.

ولذلك جدد الله تعالى الألفاظ وربطها بالعمل المحقق والعمل المهمل، فالزم المؤمنين التخلي عن كل الألفاظ والنيات التي كان يعمل بها في عصر الجاهلية وأنه لا أساس لها في عصر التنوير وذلك لأن الفرد المسلم قد كرمه الله تعالى بالعقل فعليه توظيفه في مثل هذه المواقف ونهى عن إطلاق لفظ الظهارة على الزوجة ومشابهته للأُم لأن هذا القول فيه ضرر كبير.

ف نجد محمد الطاهر بن عاشور قد وظف في تفسيره الرابط الحجاجي وركز على جانبها اللغوي والبياني فعمل المعنى على انسجام الحجاج مع التأويل.

ونجد برلمان قد حاول في صناعة البلاغة الجديدة بتقسيم المتلقي إلى خاص وكوني فيقول: "إن الفلاسفة يدعون دوماً للتوجه إلى مثل هذا المستمع، ليس لأنهم يأملون تحقق التصديق المفترض بين المتخاطبين أو عامة الناس المتواصلة بل إن ربط الفهم بالحجة هو ما يحقق قولاً فعلياً"⁽²⁾، فنجد المستمع الخاص هو الله سبحانه وتعالى هو المخصوص بالشكوى والمرجو منه الاستجابة لأمر المرأة المجادلة، أما المستمع الكوني هو الرسول صلى الله عليه وسلم والمرأة والناس عامة، وهذا يعني أن موضع الخطاب الإقناعي يحتاج إلى قولاً فعلياً حقيقياً أي صادقاً⁽³⁾ وما يشكل قولاً حقيقياً، بل ضرورياً حتى، لذلك فهو يراهن على تصديق من يذعنون لمعطيات التجربة ولأنوار

⁽¹⁾ - المرجع السابق، ص 10.

⁽²⁾ - ينظر فيليب بروتون و جيل جوتييه: تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناحي الغامدي، مركز النشر العلمي، السعودية، ط1، 1432هـ - 2011م، ص 15.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكتا إلى

الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

العقل⁽¹⁾، وبفضل خوف المرأة ومجادلتها الحسنة عمل الله سبحانه وتعالى إلى إخراجها من أزمة الطلاق المحرّم ورفع عن العقول غيمة الجهل بالتلفظ أو القول لحظة الغضب في مثل هذه المواقف بهذا القول والتصرف بهذا الفعل وصحح لهم ما يجب قوله حتى لا يقعوا في المحذور.

واستمر برلمان بالتمييز الحجاجي بين المتلقي الخاص والمتلقي الكوني حيث يقول: >إن الخطاب الموجه إلى مستمع خاص يهدف إلى الإقناع في حين يرمي الخطاب الموجه إلى المستمع الكوني إلى التيقن⁽²⁾ فركز برلمان على الهدف من التلقي في نشأة الخطاب البلاغي الجديد الذي يمثل حركة امتداد وارتداد بين الإقناع والتيقن فالإقناع هو فعل لغوي تواصلية أما التيقن فهو فعل قلبي عقلي وعليه يمكن القول بأنه ميز بين "الإقناع والفعل من ناحية وبين التيقن والإدراك من ناحية ثانية"⁽³⁾.

ثانيا: أنواع المتلقي الجديد عند برلمان وضوابطه التداولية الحجاجية.

1- المتلقي اللغوي التواصلية:

اللغة والتواصل اعتلى محور التواصلية لغة الحجاج عند برلمان فامتثل إلى صناعة مجموعة من الروابط اللغوية في حيز التبادل والتحاور في حضور المتلقي وأعطى له قيمة الحوارية باعتباره هو المنتج الهدف والمستهدف فتمكّن المتكلم من إنشاء الخطاب هو فكرة أولية استبقها عن المتلقي ورسمها عليه ووجهها إلى فكره عن طريق إنشاء هدف وهو الإقناع والتأثير.

⁽¹⁾ - المرجع السابق، ص 15.

⁽²⁾ - المرجع نفسه، ص 17.

⁽³⁾ - تاريخ نظريات الحجاج، مرجع سابق، ص 17.

2- المتلقي الفلسفي العقلي:

يعتمد الإقناع على جدية العقل ومدى توافقه مع القضية المنطقية عند برلمان القائل ب: >> أن النظرة الديكارتية للكون نظرة ذرية وميكانيكية، تمنح تصورا لعلم، يتطور بطريقة كمية خالصة، ويضاعف عدد الحقائق البديهية، ولا يضع أي واحدة؛ منها موضع السؤال⁽¹⁾. فهو يركز على قيمة المتكلم المحاجج التواصلية وقوة الآليات الحجاجية التي يمتلكها في موضع إقناع المتلقي مما يجعل المتلقي مقتنعا تماما بما أراد أن يصل إليه عن طريقه ويخضعه له من قوانين وأفكار، حيث تجعل هذه القوة الحجاجية الممتلكة للذات المتكلمة سلطة على المتلقي، ولهذا يصرح بعنصر تطور نظرية التلقي من نظرية أمر حتمي مع بقاء الأسئلة والردود المنعكسة إلى نظرية إقناع واقتناع مع عدم وجود أي أثر للتردد أو للسؤال المنعكس في تخيلية العقل الباطني، فباختصار العبارة يرى أن تضاعف الحقائق البديهية يتعلق بتوليد المعنى الحقيقي المناسب لأسلوب الخطيب في نفس المتلقي.

ولا يقف هنا فحسب بل يرى أن مؤسسة العقل عند ديكارت تركز على الكمية في إنتاج الحقائق وتفسيرها ولم يركز على النوعية المحدثة للفرق الفعلي لمحور الإقناع والمثيرة للسؤال والجدل في ذهن المتلقي وذلك لأن حجاجية ديكارت كانت مجردة ومدمجة بين العقل والواقع أو بين النسق والسياق وهذا ما جعل برلمان يرى أن العملية الحجاجية هي عملية جدلية تعتمد على الإقناع وتعمل على تقوية الحجة وتحريكها داخل البنية التواصلية فيتعدد فيها المخاطب كما ويتنوع كيفما مما يحدث اختلاف الواقع لاعتباره ظرفا خارجيا وبين كونه بناء خطابيا فيتحقق في بنية تواصلية

⁽¹⁾ - محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1426هـ-2005م، ص50.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكتا إلى

الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقى المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

شرطها الأحادية ويقصد بأحاديه اللغة والفكر والموضوع المشترك من الخطيب إلى المتلقى⁽¹⁾.

فالإقناع الحاصل في موضوع واحد بين المتكلم والمتلقى يعود إلى طرح منطقي يساهم في تصعيد درجة الإقناع ونجاح التواصل⁽²⁾.

ويعطي برلمان الصيغة الحجاجية في الآلية الإقناعية تعتمد على تعديل الوظيفة التواصلية ومقاومة انحرافها التخاطبي في ذهن الخطيب والمتلقى الصادر من الفعل الحجاجي الذي يعتبر آلة خطابية منظمة لكن السؤال يكمن في كيف تشتغل الإقناعية في الحجاج وتنظم داخل العملية التواصلية وما مدى اجرائيتها وشموليتها؟ فكان جوابه هو أن برلمان سعى جاهداً إلى إثبات فعالية الآلية الحجاجية⁽³⁾.

ولا تعمل هذه الآلة الخطابية إلا إذا توفرت الصيغة الحجاجية التالية:

الخطيب+فعل+المتلقى	شرط	تأثير+قوة	سياق	هدف اقناع+مقبولية	=خطاب منظم
	ابلاغ		خارجي+حجة+		

وتنقسم الآليات الإقناعية إلى فرعين فرع العلامات والثاني الاستعمال اللغوي حيث الأول يشمل جانب الإشارات والأدلة المادية من تنغيمات وإشارات الجسد والإيماءات أما الاستعمال اللغوي فيشمل على مدى ممارسة الخطاب بتناسب العمل الذهني⁽⁴⁾.

3-المتلقى المنتج البلاغي:

⁽¹⁾ - ينظر: النظرية الحجاجية، مرجع سابق، ص55.

⁽²⁾ - محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1426هـ-2005م، ص56.

⁽³⁾ - ينظر: النظرية الحجاجية، مرجع سابق، ص56.

⁽⁴⁾ - ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت لبنان، ط1، 2004م، ص454.

وهو الحجة والسلطة وتقاس قوة الممارسة الخطابية على مدى علاقة المرسل بالمرسل إليه، والعلاقة هي الفعل السلوكي أثناء التواصل نفسه فهو من الآليات التي تسهم في إقناع المرسل إليه⁽¹⁾. فنجد أن السلوك هو المسؤول عن إصدار فعل عكس من طرف المتلقي وهو محور الاستجابة والتأثير، سواء بالقبول أو الرفض فالمتكلم هو المسؤول الأول عن مسار الخطاب والتوجه نحو الإقناع بصفة ناجحة أم فاشلة ذلك من خلال دراسة سلوكه الإيجابي أو السلبي أثناء محاوره المتلقي المقصود وعلى المتكلم أن يلتزم بمجموعة من المبادئ الخطابية أو الشروط الواجب مراعاتها حتى يكون متكلماً مقنعاً هذه الشروط هي: شرط الصدق والقبول والتكيف فهذه الشروط الثلاثة إذا توفرت في المتكلم المقنع لهذا المتلقي وتمكن من إقناعه وذلك لأنه >>عندما يكون المتكلم أهلاً أن يصدق ويقبل قوله والصالح هم المصدقون سريعاً بالأكثر في جميع الأمور الظاهرة<<⁽²⁾، وهذا يدل على مكان المتكلم القريب ومحققاً في نفسه ويعد من صفاته وسيجد المتلقي متقبلاً له ويحسن التكيف مع منظوره ويتوافق معه ويقتنع بسهولة.

لذلك على المرسل أن يعمل جاهداً على محور السلوك ويحاول الحفاظ عليه بشكل منتظم ومحقق للهدف المؤسس عليها الحجاج لأن المرسل إليه يركز على سلوك المتكلم ويقارنه مع قوله الحجاجي موافق أم منافراً كان⁽³⁾.

ليتخذ بذلك من سلوكه دليلاً على صدق دعواه وقوة حجاجه ولهذا فلا يجب أن يطلب المتكلم

⁽¹⁾ - ينظر: المرجع السابق، ص 455.

⁽²⁾ - عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت لبنان، ط 1، 2004م، ص 455.

⁽³⁾ - محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط 1، 1426هـ - 2005م، ص 45.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكا إلى

الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

من المرسل طلبا هو عاجز على فعله أو في قراره نفسه رافض له لأن علامة الرفض والعجز الضمني للمتلقي من ظاهر قوله مما يتولد عنه عند المرسل إليه عدم الاقتناع، بماذا إليه المرسل ويذهب إلى رفضه إلى غاية المخزون⁽¹⁾، فشرط المطابقة بين الكلام والواقع شيء ضروري وواجب توفره والعمل على إظهاره وبالنسبة لسلوك المتلقي نجده ينعكس على المرسل ليحفز به الإقناع عندما يأخذ المتلقي دور التأثير بعد أن كان متأثرا ويأخذ المتكلم دورا متأثر بعد أن كان مؤثرا وهذا التبادل السلوكي مصاحب لتبادل الخطاب وانتقاله من اعتقاد المتكلم إلى حجة انتقاد المتلقي بحكم العنصر المحيل والراد على دعوة المتكلم، سيكون انعكاس السلوك المتلقي المناسب لمعتقد المتكلم لا بد أن يوفر المتكلم قبل بناء المعنى وتوجيه خطابه للمتلقي المقصود مجموعة من النقاط الأساسية:

-مراعاة أحوال المتلقي المقصدي وظروفه التخاطبية.

-استحضار معرفة المتلقي وقدراته.

-تقييم المحيط الخارجي للمتلقي في بعده الاجتماعي وأحواله النفسية⁽²⁾.

فإذا راعى المتكلم هذه النقاط في المتلقي كان منتجا للخطاب وكان المتلقي المقصود عنصرا دائما لا ردا للإنتاج البلاغي ويظهر قيمة هذا الإنتاج عندما يشرع المتلقي في التوسع والتوليد للعديد من الأقوال والمقولات الحجاجية الداعمة الخطاب المتكلم الأول والموازية لهدف الإقناع كلما بلغ اقتناع المتلقي بحجة المتكلم فهو انعكاس لنجاح الملقى المتكلم في تطبيق آلية

⁽¹⁾ - عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت لبنان، ط1، 2004م، ص455.

⁽²⁾ - ينظر: استراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص455.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكا إلى

الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

الإقناع على المتلقي فيعرف طه عبد الرحمن الحجاج بقوله: >> كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها<<⁽¹⁾، وحتى يكون متلقي المقصدي في النسيج التواصلية الذي حدده المتكلم والمنتظر لتحقيق الهدف المؤطر له لا بد أن يكون المتكلم على درجة بلاغية حاجية عالية حتى يستطيع تغطيه فجوة الاعتراض ممكن وفرض السلطة المتكلمة على الخطاب التواصلية المنتج حاجية.

المطلب الرابع: إجراءات التحليل اللساني من التصور الوصفي إلى التداولي

1-التصور الوصفي:

يتلاءم المنهج اللساني الوصفي الذي اتخذه محمد الطاهر بن عاشور في تفسير النص اللغوي القرآني مع >>مقترح هاليداي ورقية حسن في كتابهما المعنون بـ(الاتساق في اللغة الإنجليزية، (COHESION ENGLISH) الصادر من بلندان عن دار لوتكمان سنة 1976م<<⁽²⁾، وهذا التقاطع في المنهج يعد اهتمام كل منهما بعلمية المادة اللغوية وأهميتها الوظيفية والسياقية داخل النص. ويعد كتاب محمد الطاهر بن عاشور وهاليداي ورقية حسن كتابين لغويين متناظرين قائمان على التركيز على أهم الحدود اللغوية والتركييبية والسياقية المشكلة للنص والمحدث للمعنى، وأساس هذه الحدود هي اللغة، والدلالة، والبلاغة، ولهذا نحتاج إلى وضع وصف وظيفي للكتاب يبرز أهميتهما في المباحث اللسانية النصية في مجال لسانيات الخطاب البلاغي فنجد:

جدول رقم(17): يميز الفرق بين إنتاج محمد الطاهر بن عاشور وهاليداي ورقية حسن وأثره في

⁽¹⁾ - طه عبد الرحمن: اللسان والميزان(التكوثر العقلي)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1998م، ص226.

⁽²⁾ - محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى إنسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991، ص11.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتتكا إلى

الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقى المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

الخطاب البلاغي.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكا إلى

الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

تفسير التحرير والتنوير (محمد الطاهر بن عاشور)	الاتساق في اللغة الإنجليزية (هاليداي ورقية حسن)
احتوى على 30 مجلدا ومقدمة توزعت في عشرة مقدمات وفي كل مجلد حوت مجموعة من السور القرآنية طبق عليها التحليل الوصفي إجرائيا مع وضع الأدوات أو الآليات الإجرائية وتحديدها. أما المقدمة فاحتوت على عشرة مقدمات مثل: علم التفسير والتأويل إلى غاية علم الإعجاز ⁽¹⁾ .	يتألف من مدخل وسبعة فصول، خصص المدخل لتحديد بعض المفاهيم مثل: النص والنصية والاتساق وخصصت ستة فصول لبحث مظاهر الاتساق التالية: الإحالة والاستبدال والحذف والوصل والاتساق المعجمي ومعنى الاتساق. أما الفصل السابع خاص بالجانب التحليلي لمجموعة نصوص متنوعة تطبيقيا ⁽²⁾ .

وهذا التقاطع المعرفي ينحط في كفة الميزان النقدي المنهجي لباب اللغة والبلاغة، فنجد في

فكر كل منهما حضور جزئي أو كلي لمظاهر ومبادئ النصية، ولأساليب التفسير وصور التأويل

وظروف التلقي وكلاهما ركزا على المعنى والسياق في بناء منهجهما الوصفي التحليلي كما أنه

اعتمدا على استظهار قيمة النحو والدلالة في التفسير النصي واعتبر كل منهما المعايير الدلالية

والنحوية والبلاغية مبادئ نصية أو آليات إجرائية يصح توظيفها واستبدالها أثناء التطبيق.

وهذا يعني أن الفرد المفكر أو الناهل لا بد أن يستمد معارفه وعلومه من علوم سابقة

فيحافظ عليها ويأتي بها في محطات استعمالية جديدة فتدعم النظرية اللغوية في جانبها الوصفي

بغية النظريات التواصلية الأخرى وذلك لتمييزها بالامتزاج اللغوي بين التخصص والتوسع والاشتمال

حسب السياق والحاجات التواصلية الإبلاغية.

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، (د، ر ط)، 1984م، ص 109-110.

⁽²⁾ - ينظر محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى إنسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991، ص 11.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكا إلى

الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقى المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

وعليه امتد الدرس الحديث في المنهج العلمي للمنظور الوصفي إلى التمييز بين اللسانيات التصنيفية واللسانيات النظرية، وهذا يعود إلى الفرق بين العلوم الإجرائية والعلوم النظرية وعرف هذا النوع من التمييز مع العالم الأمريكي تشو مسكي في الدرس الحديث.

فتركيز اللسانيات الوصفية على الوضع النظري والتصنيفي للغة دليل على التركيز على نصية الخطاب وعنصر المتلقي في شكله الضمني في شكله الصريح، فكيف ذلك؟

فبحكم أن هاليداي ورقية حسن ركزا على عنصر الاتساق في محور الكيفية التي يتماسك بها النص وهو الانتقال من المرمز إلى فك الترميز فنجد محمد الطاهر بن عاشور ركز على عنصر منشئ السؤال للمتلقى في محور الكيفية الضمنية التي يفسر بها النص المتماسك والبلوغ بطريقة جدلية، وعليه نجد أمر اللسانيات الوصفية دائما تقوم على مناقشة أشياء <<يعرفها>> متكلم اللغة الناشئ مسبقا، لكن دون علمه إنه يعرفها<<(1).

وهذا أساس التجديد أنه نركز على الأصل ونستحدث الإضافي فيخلق لدى الباحث ثورة معرفية تجعله ينساق بالبحث إلى فهم المجردات حتى يجد أولوياتها مترسخة في ذهنه فيستمد منها طاقته التفسيرية والتأويلية التقويلية حسب الحاجة أو الغرضية وهذه الطاقة هي من تفصل بين ما هو نصي مميز وما هو بعيد عن ذلك وخارج عن النصية انطلاقا من تحديد الخصائص المميزة للبنية النصية وأبعادها اللغوية والبلاغية فينشأ سبب التمييز الذي جوابه التعريف والتعيين للصنف اللغوي في التخصص المنهجي المحاكي للعلم الموضوع أو المضاف، فيسعى الباحث إلى محاولة

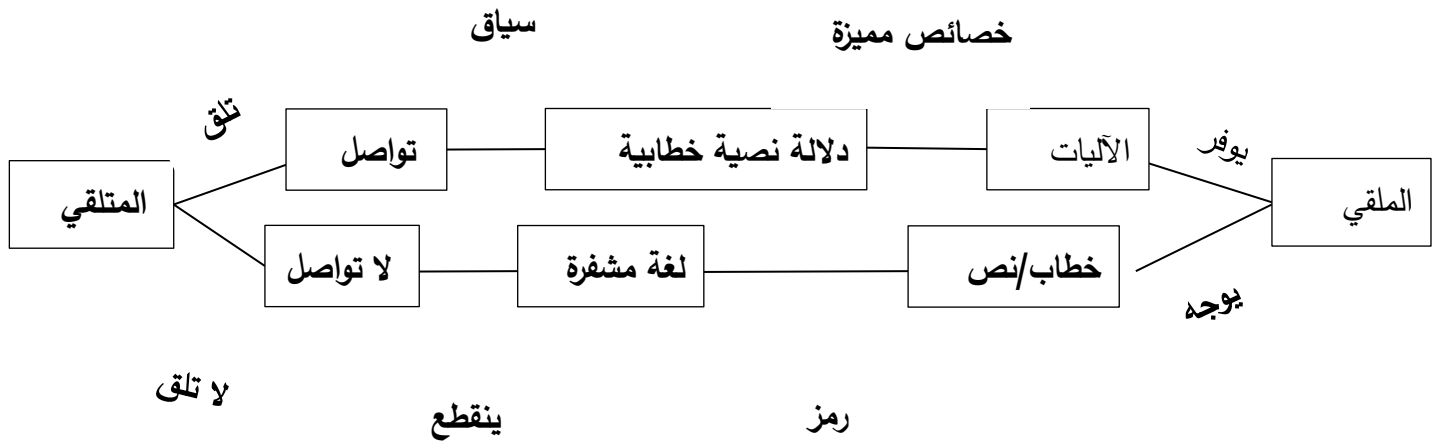
⁽¹⁾ - محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى إنسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991، ص12.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكتا إلى

الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقى المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر-

الكشف عن خصائص التصنيف اللغوي والنظريات النصية المراعية له فنجد من أهمها نظرية التلقي والإبداع وهذه النظرية تتقاطع مع إضافة محمد الطاهر بن عاشور لفكرة الابتكار اللغوي ويقصد به الإبداع البلاغي والاختراع الذي يسقط مع محور التوليدات المعنوية ولهذا نجد أن المتلقي لكي يصل إلى حوصلة التواصل لابد أن يركز الملقى على مجموعة من الوسائل حتى يضمن عدم انقطاع عنصر التواصل معه وهذا نوضحه في البيان التالي:

الشكل رقم (18): يمثل خصائص النص التواصلية في التحليل الوصفي بين المرسل والمتلقي.



المرجع: ينظر محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي

العربي، بيروت، ط1، 1991، ص12.

فعلى المرسل أن يتخير الآليات المتوفرة على مجموع الخصائص المميزة والرابطة بين النظري والتطبيقي والتي تحمل دلالة نصية أو خطابية تساهم في زيادة فرص التواصل وتدعم قناة التواصل حتى يتحقق شرط التبليغ المرسل إلى المتلقي عكس المرسل الموجه مباشرة للخطاب أو النص دون الاحتكام إلى ضرورة النظر في الخصائص المميزة والدعائم التي يجب توفيرها في المخاطبة والتي تزيد فرص الاتصال فعوض أن يوجه المرسل خطابه أو نصه إلى المتلقي يجد

نفسه قد عقد الصورة التواصلية في ذهن المتلقي وأعجز عنصر التواصل مما يؤدي إلى تعميم اللغة وضعفها فيحدث انقطاع للتواصل أو الإبلاغ بين المتلقي والمرسل ولهذا يرى محمد الطاهر بن عاشور أن المفسر للخطاب يحتاج إلى فهم الأغراض وفصل المقاصد على المعاني وتمييزها في محور الاستعمال البلاغي عن الاستعمال في الاستقامة النحوية، فالمؤول لابد من أن يتمثل إلى مراعاة القواعد النظرية المجردة في اللغة أثناء التطبيق كمستوى حرفي دلالي ويتقيد به في فرض توجيه الخطاب عمليا إلى المتلقي والتركيز على اللغويات المصنفة في العلوم الإجرائية وفصلها عن النظرية كما حدث في استقلال العلوم العربية والتزامها بحيز علمي خاص بها، فاستقل النحو عن علم اللغة وأصول النحو عن أصول الفقه واستقلال البلاغة عن علم العربية واستقلال الاستدلال عن المنطق واستقلال المنطق عن الفلسفة...الخ⁽¹⁾.

2-التصور البنيوي:

يعد فردنان دي سوسير هو الأب المؤسس لهذه المقاربة⁽²⁾، وارتكزت هذه المقاربة على البنية النصية الداخلية للغة من جميع مستوياتها اللسانية ولهذا نجد محمد الطاهر بن عاشور قد ركز على نظام النص والخطاب من اللفظة إلى الصيغة النهائية للخطاب بالتركيز كذلك على أهم المستويات اللغوية البنائية للمعنى، ونجد البنيوية ترى أن المعنى يتشكل من خلال العلاقات بين عناصر اللغة وهذه الأخيرة تعد في النظام اللغوي العربي هو معيارية القواعد أو القالب المعياري للقاعدة العربية

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، (د، ر ط)، 1984م، ص 109-110.

⁽²⁾ - أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية-بن عكنون-الجزائر، ط2، 2005م، ص 121-122.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكا إلى

الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

المميزة عن بقية اللغات الأخرى، وتستتبط هذه المعيارية من خلال خصائص اللغة العربية وطبيعة نمطها الخاص في التعبير والتركيب، وقد كان الجانب الصوتي هو المنطلق الأساس لمعيرة القواعد اللغوية وتلقيها وعلى هذا الأساس نجد الغرب قد تبنوا الإشارات والعلامات والأصوات في مجال السيميائيات اللغوية وخصوصاً بدراسة الخطاب في كيفية بناء المعاني من خلال الرموز، فنجد محمد الطاهر بن عاشور قد اهتم بذلك في الخطاب القرآني من خلال دراسة الرمزيات التي بدأت بها السور وتفسيرها على حسب السياق وبيان دورها في ترسل المعاني بين آيات الخطاب والعلاقات اللغوية الناشئة عليها.

وعليه نخصص الوضع التحليلي للبنية الصوتية والتركيبية في الخطاب القرآني على حسب متطلبات التصور النبوي الحديث بإسقاطه على فكر محمد الطاهر بن عاشور كما يلي:.

أ- المستوى الصوتي:

يقول محمد الطاهر بن عاشور في تفسير قوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم)⁽¹⁾، والصراط هو الطريق وهو بالصاد على حسب كلام جمهور العرب وبالصاد على حسب أهل الحجاز وسبب هذا الاستبدال هو قصد التخفيف في الانتقال من السين إلى الراء ثم إلى الطاء وقل نقل من لطائف الإشارات عن الجعبري إنهم يفعلون ذلك في كل سين بعدها غين أو خاء أو قاف أو طاء ويعود لسبب قلبها صاد في هذا الموضع لتطابق الطاء في الإطباق والاستعلاء والتفخيم⁽²⁾؛ مع الراء

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، المطبعة التونسية، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص190.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص190

استقالاتا للانتقال من سفل إلى علو⁽¹⁾. وهذه درجة حاجي لأن هذا الانتقال من الأسفل إلى الأعلى يعتبر سلم حاجي يجعل من سبب الانتقال حجة ويحاول من خلالها إقناع المتلقى بصحة ذلك كما نجد محمد الطاهر بن عاشور قد اعتمد على الاستعمال في تأصيل الصوت أو اللفظة والتي تعتبر أصغر جزء في الخطاب ويعلقه بالغرض من التغيير قصد "فلقنة"⁽²⁾ المتلقى وإبراز مظاهر اللسان العربي وبلاغته الصوتية في استحداث الأسباب وتعليلها. فعمد إلى ذكر صور نطقها عند عامة الجمهور مقابل صور نطقها عند أهل الحجاز، وفي هذا محاولة لتقريب بين الاستعمال الفصيح والاستعمال اللهجي قصد التضييق ومصاحبة العلة والخروج من التوسع قصد الإيضاح والتبيين.

وذهب في التوسع في الأمثلة على مستوى اللهجة تارة والرجوع إلى فصيح الاستعمال تارة أخرى من أجل التحجج بصور نطقها قصد ثبات تفسيره وتقويته، فيقول: >>قال القرطبي: وهي لغة عذرة وكلب وبني القين وهي مرجوحة ولم يُقرأ بها؛ وقد قرأ باللغة الفصحى(بالصاد) جمهور القراء وقرأ بالسين ابن كثير في رواية قبل، والقراءة بالصاد هي الراجعة لموافقتها رسم المصحف وكونها

⁽¹⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص190.

⁽²⁾ * الفلقنة استعمالها محمد الطاهر بن عاشور لإقناع متلقيه عن أهمية وعي المتكلم وفهمه لطرائق التلقي وموضع التخاطب، وهو أسلوب تعليمي عند المتقدمين والمتأخرين على حد سواء قائم على السؤال المشوق والجواب المحقق، مثل فنقات الزمخشري، وتكون بسبق كلام المعترض أو السائل بإحدى العبارات المتقدمة، ويؤتى بهذا الأسلوب التعليمي لأغراض منها، الحث على البحث والمحاورة والمناقشة مع المتلقى وإتمام هدف التواصل و توقع المتكلم غاية مستفهمه فيكون المتكلم ملما بحال المخاطب الذي قد يجيبه مسبقا على إشكاله المتولد عن أوجه تفصيل المسألة كما أن أسلوب الفلقنة يعمل على بيان الأوجه المتعددة للمسألة الواحدة مثل ما تناول محمد الطاهر بن عاشور في تفسير الصراط بالسين والصاد وتبيين أوجه الاختلاف وعللها. ينظر البنية الحجاجية لأسلوب الفنقات في تفسير محمد الطاهر بن عاشور، دراسة تحليلية، دنسيم بوغرزة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، (ملتقى درس العربية)، الساعة 11:52 صباحا، يوم: 2024/10/6م، على الرابط:

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكتا إلى

الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

اللغة الفصحى⁽¹⁾، فالمشهور من القراءة وأرجحها هي الصاد ويعود ذلك لموافقتها للرسم العثماني وهو يثبت صحة السند والأخذ، ولهذا نعلل من قرأ بالسين هي قراءة ضعيفة ناتجة عن استعمال لهجي وليس معيار لغوي ثابت.

ب- المستوى التركيبي:

اهتم محمد الطاهر بن عاشور بالنحو العربي ووظفه كأداة إجرائية في تفسير الخطاب القرآني حتى نعتمده كالأساس في صحة تحديد المعنى وذلك لعدة أسباب:

-النحو يحدد معنى البنية ويحدد وجهتها	-يعطي النحو الوظائف التداولية للمعنى أكثر من المستويات اللغوية الأخرى
-ويعطي الدور الرتبي للكلمة ويحدد وظيفتها داخل السياق الموضوعية فيه.	-النحو يشمل جميع العلوم العربية لكونه أول العلوم نشأة وأسبقها تطورا واتساعا
-ومن أساليب استعمال اللغة هي تحديد الموقع الإعرابي لفهم مجمل المعنى.	-ان القرآن جاء بنحو كلام العرب ولهذا فالنحو هو المنطق الأساس في تشكل المعنى وفهم معناه
-التفصيل في المعنى لا يتأتى حتى تضبط القاعدة النحوية هل هي شمولية أم معيارية	-حاجة المتكلم المتلقي لفرز المعنى وفهمه إلى النحو، ذلك من أجل القيمة التأثيرية والأهمية الوظيفية للنحو عامة وللمفسر خاصة.
-يعتمد النحو على الشكل الوصفي قبل البنيوي	-يعد النحو الميزان النقدي المشفر لكفاية المتلقي في جميع

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، المطبعة التونسية، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص190.

الباب الثاني: الفصل الأول: من البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الجديدة عند برلمان وتكا إلى

الكفايات التداولية الإجرائية للمتلقي المقصدي - مقارنة تأصيلية من خلال المقدمات العشر -

ولهذا نجده دائماً يعود إلى لهجات العرب وأساليب نطقهم.	العلوم الأخرى.
-يهتم النحو بالبناء الوظيفي واللغوي معا في حيز التواصل	-النحو ثقافة لغوية واسعة يعتمد عليها المتكلم والمتلقي معا في فهم المعنى لأن المعنى لا يتوسع ولا يضيق إلا بواسطة النحو وذلك للأدوات البنيوية التي يمتلكها النحو في نفسها والذي يكسبها لغيره من العلوم لهذا فهو المرجع الأساس لكل علم ⁽¹⁾ .

ففي تفسير القاعدة النحوية لمحمد الطاهر بن عاشور في باب الإسناد نجده يركز بشكل كبير على مجمل الخطاب بكونه مسند إلى متكلم توجيهي لتحقيق إفادة فعلية في متلقٍ مقصود ففي قوله تعالى: (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) ينبه محمد الطاهر بن عاشور بأن الكلام ابتدئ بمسند إليه خبره فعلي ولذلك لإفادة تقوية الخبر واهتمامه به. وأن اسم العلم جاء لتربية المهابة عند سماعه وأردفها بجملة (لا إله إلا الله) فهي جملة حالية ردّا على المشركين، والنصارى خاصة. واستتبع الوصفين بـ (الحي القيوم) دلالة على نفي اللبس عن مسمى هذا الاسم، والإيماء إلى وجه انفراده بالإلهية، وأن غيره لا يستأهلها، لأنه غير حي وغير قيوم، فالأصنام ليست لها حياة وعيسى في اعتقاد النصارى أميت، فما هو الآن بقيوم⁽²⁾.

وفي قوله تعالى (نزل عليك الكتاب) يعتبر خبر عن اسم الجلالة. والخبر هنا مستعمل في الامتتان،

⁽¹⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 190.

⁽²⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، المطبعة التونسية، تونس، ج 3، (د، ر ط)، 1984م، ص 147.

أو هو تعريض ونكاية بأهل الكتاب المنكرين لذلك، وجيء بالمسند فعلا لإفادة تقوية الخبر أو للدلالة-مع ذلك- على الاختصاص: أي الله لا غيره نَزَلَ عليك الكتاب. إبطالا لقول المشركين: إن القرآن من كلام الشيطان، أو من طريق الكهانة أو يعلمه بشر⁽¹⁾.

فكما نلاحظ أن التفسير النحوي للقرآن عند محمد الطاهر بن عاشور يذكر الموقع الأعرابي وينتقل مباشر إلى تحليل الأسباب والأحكام لضبط المعنى وتوجيهه للمتلقي. فالإعراب في هذه الناحية اعتمده بين لفظية الاقتصاد اللغوي والتوسع المعنوي بالاستناد إلى صور الدلالة والحيز البلاغي، وهذا يعني أن النحو تركيب يشمل علوم العربية ولا يفسر المعنى إلا بدقائق اللغة، رغم ضيق قاعدتها وخصوصية توجهها. فحاول محمد الطاهر بن عاشور الخروج من قيد القاعدة بطريقة التوسع في فهم المعنى والاكتفاء بذكر الموطن الإعرابي للفظة فقط وتحديد أهمها المشكلة للعامل المؤثر في المعنى.

3- التصور التلفظي-التداولي: يهتم التصور اللغوي الاستعمالي بالحجاج والتداولية فنجد

أوجه التداولية تتمحور في صور ثلاث وهي:

-القول المضمّر

-الإفترض المسبق

-أفعال الكلام⁽²⁾

وهذه الصور الثلاثة تتجلى في أهمية التداولية بالبلاغة وعليه نجد اهتمام محمد الطاهر بن عاشور

⁽¹⁾ -ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص147.

⁽²⁾ -ينظر حمو الحاج ذهبية: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل، تيزي وزو، (د، ر ط) 2012م، ص129-137.

في الدرس اللساني المعاصر من ناحية النظم والنظام فأخذ تصور عبد القاهر الجرجاني في باب التركيب اللغوي وطوره في البحث البلاغي بالاعتماد على الجانب البياني الذي يحتاجه المتلقي ويذهب من خلاله إلى التأويل العقلي، فسمى بحثه تحت عبارة التنوير العقلي⁽¹⁾، وبهذا يعطي للمتلقي حسن التصوير فيجعل من النظم نتاج عقلي منظم، يعتمد على الصور النمطية الثلاث في البعد الاستعمالي، وكأنه يشير إلى قيمة توظيف المنطق في فهم الأدلة العقلية والمعاني البعيدة للنص.

أما في الحجاج نجد مجموعة من الأبعاد الكلامية التي يجب على المتلقي إدراكها أثناء التحليل البلاغي فنجد منها:

-الصيغة والقوة اللاقولية

-التداولية المدمجة

-السلام الحجاجية⁽²⁾

فنجد هذه الثلاثية الحجاجية تجتمع في التداولية لتقيس درجة بلاغة المتلقي وأثره في استنتاج الخطاب وتقدير الفهم والبيان المنتج من عقل المتكلم، فكلما كان المتلقي على درجة عالية من الاتصال اللغوي الحجاجي كان على قدرة عالية بالإنتاج من خلال التفسير والاستنباط والاستدلال، وكلما كان على درجة عالية بالاتصال الاستعمالي التداولي كان على قدرة عالية بالتواصل من خلال التقويل والتأويل.

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، المطبعة التونسية، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص8-9.

⁽²⁾ - ينظر صابر الحباشة: لسانيات الخطاب (الأسلوبية والتلفظ والتداولية)، دار الحوار، سورية، ط1، 2010م ص225-246.

ملخص الفصل

ركزت البلاغة بشكل عام على عنصرين مهمين في الخطاب المقصدي وهما سطحية التخاطب وضمنيته وفرضت مجموعة من الشروط واللوازم الإجرائية حتى يضمن الخطاب البلاغي مساق التبليغ والتبيين في أحسن صورة وهذه اللوازم ترجمت في الآليات التخاطبية التي يحتاجها كل متلقي حتى يستطيع فك وفهم شفرات الخطاب التواصلية.

كما نجد هناك تقاطع معرفي وتجاذب لغوي بين البلاغة العربية عند محمد الطاهر بن عاشور والبلاغة الغربية عند برلمان وتكتا وخاصة في بابي الحجاج والمعرفة فلا يمكن للمتلقى أن يفسر الخطاب دون أن يكون معتمدا على مجموعة من الحجج والدلائل كصورة أولية ولا يمكن كذلك أن ينطلق في فهم تواصلية المتكلم دون ضبط الخلفية المعرفية للمتكلم وهذا لا يتوفر إلا في المتلقي الحاذق أو الواغل والمنتج والمبدع. وسنفصل هذا أكثر في الفصل الثاني إن شاء الله

كما إن الحاجة إلى ضبط نوع المتلقي تتزامن تلقائيا مع ضبط نوع الخطاب ومجاله فالخطاب القرآني بحكم أنه صادر من قوة إبداعية معجزة لكل الألسن والأذهان، فهو يعتبر هنا سند صحيح وقوي وثابت فالتعامل معه لابد أن يكون بصيغة تواصلية خاصة ودقيقة. ومن هنا نجد أن القرآن موجه إلى متلقي مقصود وهم كافة الناس في عمومهم وفي خصوصه إلى العرب منهم، واختار الله تعالى القرآن مخاطب عقل هذا المتلقي المقصود (العرب) مباشرة وذلك لسببين السبب الأول أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وميزه عن سائر الكائنات الأخرى بالعقل فلتحريك وظيفة العقل لابد أن يتوفر على لغة خاصة به ليحسن التدبر في الإبداع الكوني الإلهي وثانيها أن القرآن جاء بلسان عربي بليغ فصيح ومعجز وهو كان بموضع تحدي لأساطين البيان والبلاغة.

الفصل الثاني: من تداولية التحرير

والتنوير إلى تداولية التثوير والتقويل في

بلاغة محمد الطاهر بن عاشور:

—دراسة تداولية—

الفصل الثاني: من تداولية التحرير والتنوير إلى تداولية التثوير والتقويل

في بلاغة محمد الطاهر بن عاشور -رؤية تداولية-.

تمهيد: تداولية العنوان بين بناء المعنى وقراءة المتلقي

إن القارئ قبل أن يتطرق إلى قراءة نص الكتاب لابد من أن يتطرق أولاً إلى العنوان فهو أول رمز يتلقاه المتلقي وهو من يدفعه نحو الالتفات والتمييز والتنبيه إلى أهمية أو فائدة النص الذي يحتويه عنوان هذا الكتاب، فذهب محمد الطاهر بن عاشور إلى رمزية العنوان وذلك من أجل جعل عقل القارئ يبحث عن ما يخفيه الاقتصاد اللغوي الذي يطغى على العنوان وترك بعض المفاتيح النصية التي يمكن للقارئ التوسع والبحث فيها ومنه تحديد مقصده بسهولة وصحة.

ف نجد هذا الفصل يبحث في استراتيجيات الخطاب التداولي التي وظفها محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير، كما خصص نوع الخطاب في جانبه اللغوي الديني يعتمد على ثلاث علوم أساسية وهي علم اللغة وعلم التفسير والتأويل وعلم البلاغة، وهذه العلوم الثلاثة في اتحادها تعطي لنا علم النصية والتداولية والحجاجية المعاصرة، وتضمن أشكال الخطاب المتنوع ومقاصده المتعددة في ذهن متلق واحد في آن واحد، وذلك أن القرآن الكريم يمتاز بخصوصية التنوع التخاطبي فيشمل جل أنواع الخطاب في زمن واحد لذات المتلقي وهذه كلها مباحث أساسية في العلوم اللسانية والتواصلية المعاصرة.

ويمكن أن نحدد وجهة البحث من خلال مجموعة من الأفكار المستنبطة من العنوان باعتباره المسار التمريري ما قبل الولوج داخل النص، وهذا هو الباحث الناجح والقارئ المستهدف، وعليه نشأ هذا الإشكال الذي قام على أساسه هذا البحث ألا وهو: كيف يمكن للمتلقي أن يكون

مفسرا ومؤولا ومقولا، وإلى أي حد يمكن للمتلقي الواحد لذات الخطاب أن يميز بين الحدود الثلاثة تفسير وتأويل وتقويل- في آن واحد أثناء عملية التلقي والتحليل، أو بعبارة أخرى كيف يمكن أن يمتاز بالكفاءات التداولية والنصية والسياقية والدلالية أثناء تحليله للخطاب اللغوي الواحد وفي زمن واحد.

إن الدارس لعنوان الكتاب لمحمد الطاهر بن عاشور الذي يحمل إسم "تفسير التحرير والتنوير" هو في حقيقته له معنى آخر أو عنوان آخر أكثر تفصيلا وإيضاحا وأبين مقصودا ألا وهو >>تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد في تفسير الكتاب المجيد<<⁽¹⁾

ويقصد هنا بالتحرير هو الإطلاق والضبط أثناء الإنشاء وهو إطلاق اللفظ وضبط المعنى أثناء الكلام أو التعبير، أما التعبير فيقصد به عموما إزالة الغموض والشبهات ورفع الضباب عن العقل ونشر الوعي والفهم والتوسع في إدراك الحقائق وفك الانغلاق والتعتيم ورفع الجمود عليه. والعنوان الذي يحمله الكتاب له إيقاع خاص في النطق والعقل والفهم والإدراك وله نبرة مميزة تجعل كل ناظر متأمل وكل قارئاً محللاً وكل قاصداً مستقرباً ومستتبطاً.

وعليه قد عبر علي منصوري في هذا الخضب بمصطلح "الاقتصاد اللغوي"⁽²⁾ وهو عبارة عن الترميز المعنوي الذي يمكن استعماله لاستمالة المخاطب ودفعه نحو التأمل والإستقراء، وكذلك جاء عنوان كتاب التحرير والتنوير مقلصاً ومقتصداً موجزاً ومختصراً قصد الاستمالة والتأثير والالتفات وهذا فن يجعل من القارئ أكثر طلباً للاطلاع وأكثر حرصاً في فهم ما وراء العنوان

⁽¹⁾ - رانية جهاد إسماعيل الشويكي: الطاهر ابن عاشور وجهوده البلاغية في ضوء تفسيره التحرير والتنوير، نج:

محمد شعبان العيد علوان، الجامعة الإسلامية، رسالة ماجستير، غزة، ج1، 1430هـ - 2009م، ص14.

⁽²⁾ - علي منصوري: الاقتصاد اللغوي في العربية القديمة الفصحى اليومية رؤية تطبيقية وفق النظرية اللسانية الحديثة، دار ألفا للوثائق، ط1، 2020م، ص20.

الظاهر وعليه يعلق عن هذا الدكتور علي منصوري في دلالة العنوان بضبطه في قوله: "أن الكتاب (التأليف) يبلغ مقصده إذا عدل عن أي أنواع من الكتب المألوفة الأخرى فيخرج من إنشاء الطرق إلى حد الجد"⁽¹⁾، أي متى كان التأليف بليغا منظما مقصودا كان الخطاب أكثر ملائمة وتناسبا، فيخرج المتكلم المنشئ من حد التأليف إلى حد المخاطبة ويدخل المتلقي في مآرب البحث عن القصد والتأمل، فبلاغة الكتاب المقصدية هي المحور الأساس الذي يصنع لنا خطابا كاملا هادفا ومناسبا لمقام الخطاب.

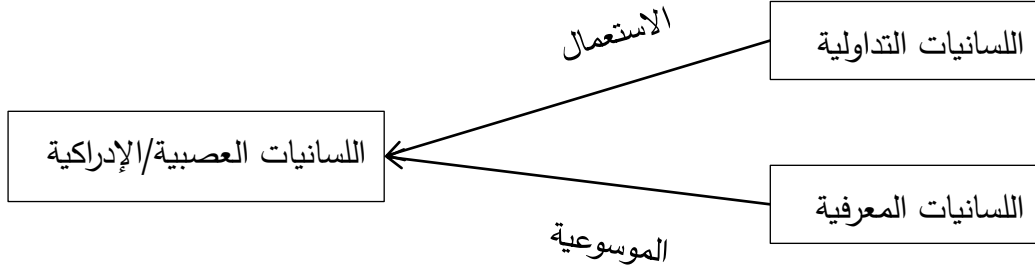
"ويخرج من حديث الأدبي إلى الفكر الديني والتدبر المأمول، حيث يجعل القارئ لا يستميل إلى المتعة أو إلى التذوق وإنما يسعى إلى التأمل وما وراء التأمل، فالقراءة تكون أكثر وقعا في العقول إذا كانت مفتاح العلم ومنبع المعارف ومركز الغايات وسبل المعاني وقليل العبارة وكثير الإشارة فذلك هو موطن البيان والإضمار في آن واحد"⁽²⁾

ومن هنا نجد أن كتاب محمد الطاهر بن عاشور يتقاطع حرفيا ودلاليا مع الأبحاث اللسانية الحديثة منها توضيحات الدكتور علي منصوري في كتابه الخطاب الصوفي كمثال حي معاصر والتي تستدعي إلى البحث الوظيفي للاستعمال اللغوي في المقصد التخاطبي ويمكن موازنة عنوان الكتاب وإسقاطه على اسم "تحرير المعنى في ذهن المتلقي (المتكلم الجديد) وحدوده في تفسير وتأويل الخطاب القرآني"، وهذا إن دل فإنه يدل على اجتماع ثلاثة حدود علمية في موسوعة لسانية واحدة تعبر عن المعنى الوظيفي في الاستعمال اللساني، وهذه الحدود العلمية اللسانية هي:

⁽¹⁾ -علي منصوري: تحليل الخطاب الصوفي في الإشارات الإلهية لأبي حيان التوحيدي دراسة في البنية الشكلية لأدب المناجاة الصوفي عند التوحيدي، دار ألفا للوثائق، ط2020، ص14.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص14.

الشكل رقم (19): يمثل الحدود العلمية اللسانية بين الوظيفية والتطبيقية



المرجع: ينظر علي منصوري: تحليل الخطاب الصوفي في الإشارات الإلهية لأبي حيان التوحيدي دراسة في البنية الشكلية لأدب المناجاة الصوفي عند التوحيدي، دار ألفا للوثائق، ط2020، م1، ص14.

إنّ هذا الاتصال الثلاثي للعلوم اللسانية الوظيفية الحديثة اليوم جعلت من بحث الأمس مستقبلا وآفاقا تأويليا يدخل في دائرة التحليل والجدل ويفرز لنا مباحث مقاصدية لذات المتكلم وسلطة المتلقي، وكأنّ الانقلاب الإنجازي للمضمون الخطابي قد انتقل من أهمية المتكلم إلى فرضية المتلقي، وهذا الشيء يجعل من البحوث اللسانية أكثر إبداعا وإضافة مثلما كان كتاب التحرير والتنوير حيث عاب محمد الطاهر بن عاشور على عدم اهتمام بعض القدامى والآخرين المجددين بالإضافة النوعية للبحوث العلمية أو التأليف الفنية الهادفة والمسطرة حيث وصف الفئتين بأنهما لم يحتكما للمنهج العلمي وإنما اعتمدا على النقل تارة والهدم تارة أخرى دون فائدة تذكر وهذا يعد في نظره محض خطر وتهديد حيث يقول: >> وهنالك حالة أخرى يجبر بها الجناح الكسير، وهي أن نعمل إلى ما أشاده الأقدمون، فنهذب ونزيده، وحاشا أن ننقضه أو نبيده، علما بأن غمص

الباب الثاني: الفصل الثاني: من تداولية التحرير والتنوير إلى تداولية التثوير والتقويل في بلاغة محمد الطاهر بن

عاشور - رؤية تداولية-.

فضلهم، كفران للنعمة، وجدد مزايا سلفها ليس من حميد خصال الأمة⁽¹⁾

ويمكن اظهار البعد التداولي عند محمد الطاهر بن عاشور بين كفايات الإنشاء والتأويل والتقويل

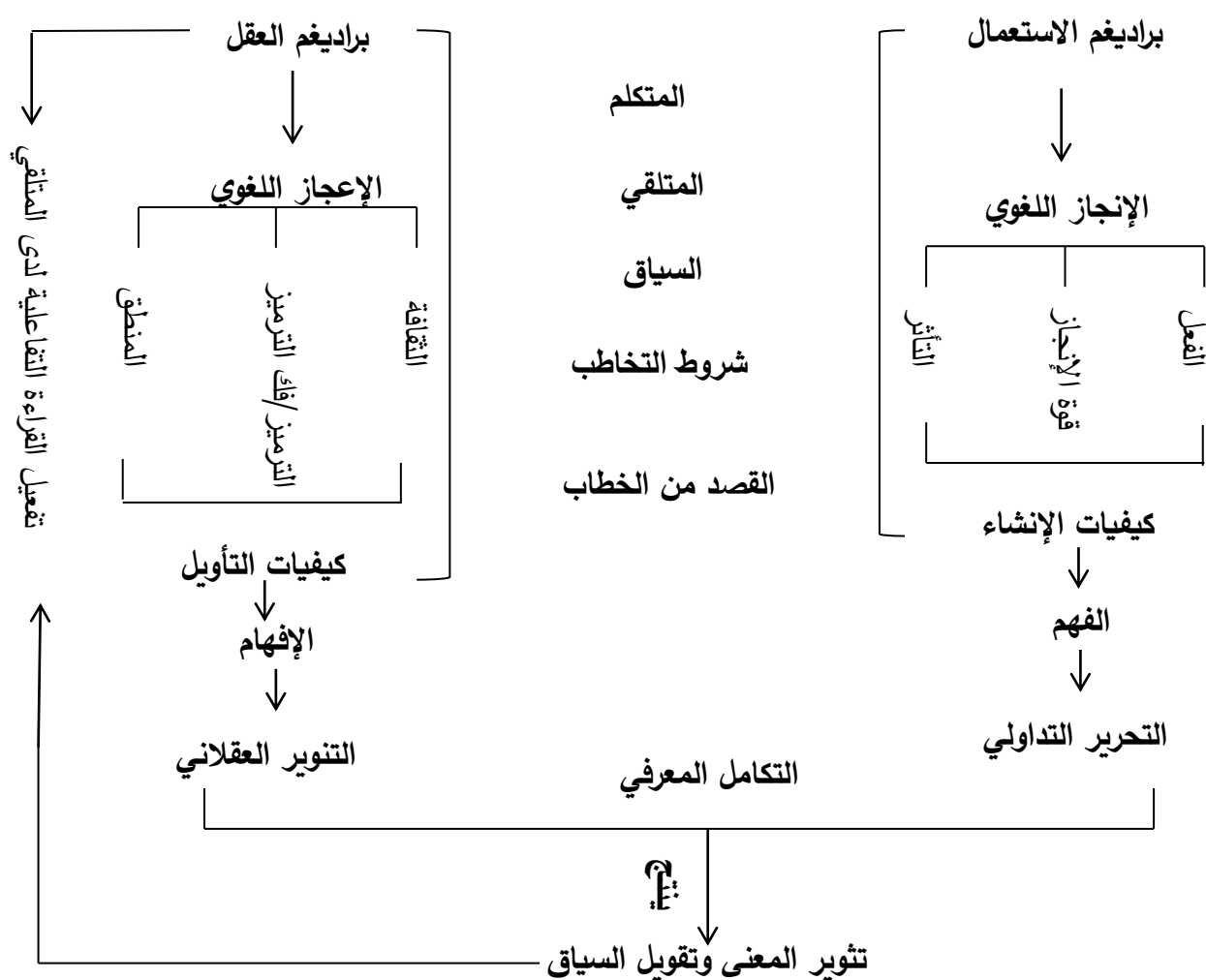
وضبط حدوده ومباحثه الأساسية في الشكل التالي:

الشكل رقم (20): يمثل تداولية التكامل المعرفي والقراءة التفاعلية في تفسير التحرير والتنوير

للمتلقي البلاغي في الخطاب القرآني

⁽¹⁾ - محمد الطاهر بن عاشور التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج 1، ص 6-7.

البعد التداولي عند محمد الطاهر بن عاور في تفسير التحرير والتنوير



المبحث الأول: المعنى والاستعمال

تمهيد:

تركز تداولية الإنشاء عند محمد الطاهر بن عاشور وجون أوستين وسيرل على القصدية وهو محور أساسي في علم النص واللغة وتحليل الخطاب، ولهذا نرى البعد الفلسفي التحليلي والعقلي حاضر في كل من النظرية العربية والغربية وهذا إن دل فإنما يدل على الحركة الديناميكية للذهن والاستعمال المتفق عليه للغة في الاصطلاح اللساني في عمومته، كما أنه يمكننا تحديد أوجه البعد الفلسفي العقلي في التداولية العربية والغربية حيث نجد عند العرب تميل إلى "درجة الإعجاز والنظم"⁽¹⁾ والتي هي قائمة على بلاغة التركيب والإبلاغ وقوة حضور المتكلم وتأثيره على المتلقي ويراها هدفا في تحقيق الغاية التواصلية، بينما عند الغرب نجدها تميل إلى فلسفة العقل والتي تترجمها فلسفة أرسطو وبلاغة الجمهور والمتكلم والخطاب⁽²⁾، غير أن الاختلاف في اهتمام كل منهما هو نتيجة الاعتقاد الموجهة للقصد والمؤثرة على المعنى والمنتجة للتفاعل، ولهذا نجد الفلسفي المتعمق في الدين والشرع والعقيدة ليس كالفلسفي المتعمق في أسباب حدوث الظواهر الكونية دون إرجاعها للقدرة الإلهية الخلاقة، وعليه فكما كان الخطاب أقرب إلى القرآن ومرجعه الدين كان أقوى وأمتن وأبلغ، وكما كان بعيدا كان أقرب إلى العادية وأقل إبلاغا وتأثيرا وإقناعا وكان معرضا للفشل وعدم الاكتمال في بعض الأبواب.

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص101.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص101.

المطلب الأول: نظرية الإنشاء والخبر في بلاغة محمد الطاهر بن عاشور مقابل

نظرية الأفعال الكلامية في تداولية جون أوستين وسيرل.

أولاً: نظرية الإنشاء والخبر

يقول محمد الطاهر بن عاشور: >>إن نظم القرآن مبني على وفرة الإفادة وتعدد الدلالة، فجمل القرآن لها دلالتها الوضعية التركيبية التي يشاركها فيها الكلام العربي كله، ولها دلالتها البلاغية التي يشاركها في مجملها كلام البلغاء ولا يصل شيء من كلامهم إلى مبلغ بلاغتها<<⁽¹⁾.

وعليه يحدد محمد الطاهر بن عاشور هنا خصائص التأليف اللغوي في القرآن، ويركز على طريقة النظم والتأليف ويوجه المعنى المطروح في الجملة نحو البلاغة ويربطه بشرط الإفادة وهذا حقل الاستقامة من الكلام في علم النحو وقد أعطى للدلالة النحوية والصرفية والبلاغية ملمح المشاركة والتداخل، وهذا الملمح هو حقل الإسناد اللغوي في الكلام العربي، كما ذهب في حديثه عن القصد وعبر عنه بمبلغ البلاغة وهو منتهى البلاغة أو منتهى القول وهو تحقيق القصد.

وأن التأليف اللغوي يعد فنا في محور البلاغة العربية يفسر به القرآن ويوضح معناه ويشرح ويصح فهم المتلقي للخطاب القرآني، وقد استعمل محمد الطاهر ابن عاشور مصطلح التأليف في البلاغة العربية في مقام الشمول والتعيين بقوله: >>ما العلوم إلا معاني التأليف<<⁽²⁾ فلا تستطيع فهم أو تفسير أي علم إلا إذا فهمت معاني التأليف ولا تستطيع فهم معاني التأليف إلا إذا كنت أهلاً

⁽¹⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص110.

⁽²⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: أليس الصبح بقريب التعليم العربي الإسلامي، دراسة تاريخية وآراء إصلاحية، دار السلام، تونس، ط1، 1427هـ-2006م، ص139.

لذلك وكفاء ولا تستطيع أن تكون أهلاً إلا إذا كان المتكلم الملقى للخطاب على علم بما في ضمير المتلقي ودارس لخصائصه وتوقعه لذلك فيحتاط ويوفر ما يجب توفيره فهنا يعتبر المتلقي متمكناً وذو كفاية لغوية تواصلية وفي المقابل لا بد أن تتوفر في المتلقي أغراض التواصل الأخرى ومن أساسها أن يسترسل في ذهن المتكلم الملقى فيفهم ما يريد أن يفصح به ويحدد معانيه ويختار منه المعنى المناسب له والمبحوث عنه في ذهنه ولهذا فالتأليف قد استعمله في موضع المنهج الصحيح في سبك الكلام الفصيح وفق خصائص التركيب للسان العربي وقواعده المتعارف عليها والمتفق بها، وأن التأليف شامل كل العلوم فهو معياره الشمولية وهو "أسلوب من أساليب العلم ومبدأ من المبادئ التي اتبعتها البلغاء والفقهاء والرواة واللغويين في تأليف الكتب العربية والإسلامية في القرن الثاني، وكان أول كتاب يكتب في ذلك الوقت كتاب الموطأ لمالك، واستمر نشاط التأليف إلى القرن الثالث حيث تطور أسلوب التأليف ومزج الرواية بالنظر من ذلك كتاب الأدلة في الحديث كصحيح البخاري، وكتب الفقه والأصول والجدل وكتب الفلسفة والكلام، وهنا مال الناس إلى الشرح والبسط وأخذوا يتداولون أسلوب التأليف وغلب عليه طريقة النظر والتفكير"⁽¹⁾، فقد كان التأليف أساس كل خطاب وتلقي لدى محمد الطاهر ابن عاشور فمتى التزم المتلقي بظروف المتكلم وفهمها وفهم مضمون الخطاب كان الشرح والتبسيط والتفسير والتدليل في موضعه السياقي وكان القصد محكماً والمعنى المبحوث عنه وارداً ومفسراً في ذاته وفي غيره ومطابقاً لأغراض المتلقي كما عبّر في مقدمته العاشرة بـ"أن المعنى البلاغي مهما كثرت أبحاثه وتفسيره في الخطاب القرآني وتسابقت الأقلام والعقول في فهم وتحديد معانيه إلا أنه لا يزال شاغل ذهن كل معلول وناهل ونديم وسائل

⁽¹⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 139.

وواغل وذلك يعود إلى درجة الإعجاز⁽¹⁾، لأن المتكلم كلما كان على درجة عالية من التخصص وادراك أهمية التلقي وتوقع الأشياء أو الردود التي يمكن تشغل بال وذهن المتلقي فيسعى إلى توفيرها واستدراكها أثناء تأليفه للخطاب فهنا سيضمن متابعة المتلقي واقتناعه وتأثره بمحتوى الخطاب، وأن التركيز سيكون أكثر على مقصد الخطاب وأغراضه المعمول بها وليس بالروابط الخارجية التي تعرقل من سيرورة الفهم والإفهام وفي نفس الوقت تبطل وظيفة التواصل.

ويربط محمد الطاهر بن عاشور النظم والتأليف بالإنشاء ويعرف الإنشاء على أنه: >>علم تُعرف به كيفية أداء المعاني التي تخطر بالذهن أو تُلقَى إليه، على وجه تتمكن به من نفوس المخاطبين، من حيث حسن ربط أجزاء الكلام، واشتماله على ما يستجد من الألفاظ ويحسن من الأساليب، مع بلاغته<<(2).

وعليه يرى محمد الطاهر بن عاشور أن الإنشاء علم وليس فن أو أسلوب وهو المسؤول عن نظم المعاني وأدائها واستعمالها وهو الوجه التواصلية بين المتكلمين الذي يضمن تحقيق الغاية التواصلية، كما أنه ربطه بالبنية النصية السطحية والعميقة حيث تحدث عن ظروف الخطاب ونسيج الخطاب وأحوال المتخاطبين ولمح إلى المعايير النصية في الخطاب وهي معيار الاتساق والانسجام والتقبلية والمقبولية ومعيار الشمولية ومبدأ التغريض. ويذهب إلى التأكيد على أهمية الإنشاء وعده نظرية خطابية مسؤولة عن بناء المعنى ويشرح في تعريفه الخاص بعلم الإنشاء في تشكيل النص فيوضح مقاصده في الشكل التالي:

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص101.

⁽²⁾ - محمد الطاهر ابن عاشور(1393هـ): أصول الإنشاء والخطابة ويليها الخطابة عند العرب، تح: ياسر بن حامد المطيري، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1433هـ، ص47.

الباب الثاني: الفصل الثاني: من تداولية التحرير والتنوير إلى تداولية التثوير والتقويل في بلاغة محمد الطاهر بن

عاشور - رؤية تداولية-.

الجدول رقم (18): يمثل حدود إنشاء المعنى في ذهن المتلقي أبعاده الاستعمالية في تفسير

الخطاب لمحمد الطاهر بن عاشور⁽¹⁾.

حد بناء المعنى	حد إدراك المعنى	حد انسجام واتساق المعنى
الأداء: ويقصد به التكيف	الأداء: قصد التعميم	الأداء: مناسبة كل مقال مقام، وكيفية
والتعامل مع مختلف علوم اللغة		ربط أجزاء الكلام بعضها ببعض مع
		تطبيق نصية الربط والارتباط اللغوي.
الاستعمال: التمكن من التعبير	الاستعمال: إدماج علوم اللغة	الاستعمال: اختيار أخف الألفاظ
وتوظيف الأساليب بالاعتماد	وإخراج علم البلاغة العنصر	استعمالاً وأحسنها رونقاً، وتحسين
على الذوق	العقلي المفسر للقضايا	أسلوب الخطاب.
	اللسانية	
نظام المعنى ومجاليه		
موضوعه	الكلام العربي الاستعمالي	
استمداده	كلام البلغاء وخطبهم ورسائلهم وأشعارهم وآداب العربي وعوائدهم	
	ومشهور أحوال الأمم المعروفة وأمثالها.	

المرجع: ينظر محمد الطاهر ابن عاشور (1393هـ): أصول الإنشاء والخطابة ويلييه

الخطابة عند العرب، تح: ياسر بن حامد المطيري، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض،

ط1، 1433هـ، ص47.

يجزم هنا محمد الطاهر بن عاشور بأن نظام إنشاء المعنى له أبعاد نصية تواصلية تتمثل في

⁽¹⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص47-49.

الباب الثاني: الفصل الثاني: من تداولية التحرير والتنوير إلى تداولية التثوير والتقويل في بلاغة محمد الطاهر بن

عاشور - رؤية تداولية -.

السطحية والعميقة أو الظاهرة والخفية، وهذه الأبعاد هي في الأساس نسيج بناء نصي، كما يدعوا إلى ضرورة الاهتمام بعلوم اللغة بجميع فروعها واستمداداتها في إنشاء الخطاب أو تفسير بناء الخطاب لأن البنية يعتمد في تفسيرها على قوة الإدراك الحاصل في الذهن أو العقل.

ثانيا: نظرية الأفعال الكلامية:

سعى كل من أوستين وتلميذه سيرل إلى إدماج التداولية في فلسفة الفعل، وركزا على القصديّة من الفعل وقسموه إلى فعل مباشر وفعل غير مباشر وأقترح كل منهما أسس ومبادئ وشروط خطابية له ويمكن التمييز بين مقترح أوستين وسيرل في النموذج التالي:

- اعتبر أوستين الأفعال الكلامية محتوية إنجازي وصفه على خمسة أصناف -.

جدول رقم (19): يوضح أصناف الأفعال الكلامية وأغراضها الإنجازية عند أوستين

غرضه الإنجازي	الفعل الكلامي
الوعد، الوصف، التحليل، التقدير، التصنيف، التقويم، التطبيق.	الحكمية (Verdictifs)
التمني، الالتزام، القسم، الاندماج.	التكليف (commissifs)
الأمر، التنبيه، الطلب، التأسف، الأمر، النصح.	التمرسية (exercitifs)
التأكيد، الإنكار، الجواب، الاعتراض، التفسير، النقل.	العرضية (expositifs)
الاعتذار، الشكر، التهنة، الترحيب، النقد، التعزية، المباركة ⁽¹⁾ .	السلوكيات (comportementaux)

المرجع: ينظر فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، مركز الأهاء القومي، تر: سعيد علوش، (د)،

(ط)، (د.ت)، ص 62-63.

⁽¹⁾ -ينظر فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، مركز الأهاء القومي، تر: سعيد علوش، (د، ر ط)، (د، ت)، ص 62-63.

أما بالنسبة لسيرل فقد وضع مقاييس خاصة بالأفعال الإنجازية على تصنيف أوستين ونلخصها كما يلي:

جدول رقم (20): يوضح إضافة سيرل لأصناف الأفعال الكلامية مقاييسها الإنجازية على

تصنيف أوستين

المقياس	جوابه
اختلافات بالنسبة لغاية الفعل	تجيب عن سؤال ((ما هي لوجهة؟))
اختلافات في توجيه الترتيب بين الكلمات والأشياء	تجيب عن سؤال ((ما مدى مطابقة الكلمات للواقع))
اختلافات سيكولوجية	تجيب عن سؤال ((ماهي الحالة التي يعبر عنها المتكلم والتي يحملها الفعل الإنجازي؟))
الاختلافات في حدة الاستثمار أو الالتزام في تقديم وجهة الإنجاز	يجيب عن سؤال ((ما مدى اختلاف القوة في نفس وجهة الإنجاز للفعل))
اختلاف وضعية المتخاطبين في حدود قوة الإنجاز	يجيب عن سؤال ((ما مدى تحكم المسافة الحوارية بين المتخاطبين في قوة الإنجاز))
اختلافات سياقية	يجيب على سؤال ((ما مدى تأثير السياق في القوة الإنجازية))
اختلاف بين الأفعال المباشرة وغير المباشرة	يجيب على سؤال ((ما هو الفرق بين الفعل والغرض)) ⁽¹⁾ .

المطلب الثاني: كيفية إنشاء المعاني

⁽¹⁾ -ينظر: المقاربة التداولية، مرجع سابق، ص 63-64.

تتعدد طرائق وكيفيات إنشاء المعنى عند محمد الطاهر بن عاشور وتجتمع في حيز خطابي واحد وهو حيز البلاغة، أما اختلاف طرائق إنشاء المعاني على حسبه يراه في ثلاثة أمور وهي:

الأمر الأول: المعنى الأساسي وهو المعنى الذي يقام في ذهن المتلقي لإقناعه، والذي يستدعي إلى استعمال البرهان والعقل والمنطق من خلال المتكلم أثناء إنشائه للمعنى، وأساس هذا هو إحداث نوعاً من أنواع التأثير الخطابي، فيعمل المتكلم على تفريغ قالب جزئي من المعاني وينظمه وينسقه من أجل تجاوبه مع خاطر المتلقي ونفسيته، مما يحقق إنشاء كاملاً وموافقاً للغرض المطلوب⁽¹⁾.

الأمر الثاني: تفصيل المعنى ويقصد به التمعن وإعادة بنائه >فهو التبصر في تقاسيمه وفروعه، وتقكيكه بإطالة النظر فيه، للتنبيه إلى ما ينحل إليه من الحقائق والأدلة والمرغبات أو المنفرات<<⁽²⁾، وعليه يرى محمد الطاهر بن عاشور أن التفصيل في المعنى من كيفيات إنشاء المعنى لأنه يقوم على عنصرين مهمين في النصية وهي التفكير الذي يقوم على تجزئة النص إلى عناصر صغيرة يقوم من خلالها المتلقي على تحرير المعنى وضبط مقاييس الإنشاء، أما العنصر الثاني بعد التفكير هو حسن القراءة وعمق الوعي وهذا العنصر إذا توفر في المتلقي وتمكن من استعماله وتوظيفه توظيفا صحيحا صار في الحقيقة على قدر كبير من الفطنة والتنبيه لمواضع الكلام والتبصر بمعانيه وضبط مقاصده.

الأمر الثالث: الإيضاح في المعنى يضمن المتكلم الشرح الصحيح والتفسير المناسب لأغراض المتلقي، بتوظيف الأدلة وحسن التعبير وتقريب التصوير للمعاني، حتى يطيب للمتلقي اختيار

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر ابن عاشور (1393هـ): أصول الإنشاء والخطابة ويليها الخطابة عند العرب، تح: ياسر بن حامد المطيري، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1433هـ، ص54.

⁽²⁾ - المرجع نفسه، ص54.

المعنى القريب من غرضه التواصل الموجه له من طرف المتكلم، >>فإذا حصل ذلك لم يبق إلا كسو تلك المعاني بالألفاظ فتسهل الإفاضة في إنشاء الموضوع المراد<<⁽¹⁾، فالبلاغة لا ان تقف على عتبات اللفظ وتتناسى المعنى ولا أن تغوص في المعنى متناسيا قيمة اللفظ، فثوب اللفظ يكسو جسم المعاني، وعليه يستدل محمد الطاهر بن عاشور بقول عبدالله بن المعتز بأن: >> البلاغة ثلاثة أمور: أن تغوص لحظة القلب في أعماق الفكر، وتجمع بين ما غاب وما حضر، ثم يعود القلب؛ على ما أعمل فيه الفكر فيحكم سياق المعاني، ويحسن تنزيدها ثم يبيدها بألفاظ رشيقة مع تزيين معارضها، واستكمال محاسنها<<⁽²⁾.

وعليه يحدد محمد الطاهر بن عاشور حيز المعاني وهو البلاغة وأن المؤلف أو المتلقي للخطاب لا يستطيع إنشاء المعنى أو إعادة إنشائه بعد تفكيكه وتمعنه وتقصيله بغية إيضاحه وتبيانها بعيدا عن العقل، فالعقل هو المحور الأساس الذي يدور عليه تفسير بناء بلاغة المعنى واللفظ، كما ان المتكلم لا يستطيع الخوض في خطاب كاملا من أوله إلى نهايته إلا إذا كان متمكنا وكفء ومهيا له، وإلا فسيكون قد أرغم عقله وأرهقه وأتعب قلمه دون بلوغ الغاية، كما أن الفكر هو من يحكم توجيه سياق المعنى ويحكم تحسين اللفظ ورونقته تبعا لصورة المعنى ومناسبتها⁽³⁾.

المطلب الثالث: أساليب المعنى

أولا: حد الخبر في بلاغة محمد الطاهر بن عاشور وتداولية أوستين وسيرل

⁽¹⁾ - أصول الإنشاء، مرجع سابق، ص54.

⁽²⁾ - محمد الطاهر ابن عاشور (1393هـ): أصول الإنشاء والخطابة ويليها الخطابة عند العرب، تح: ياسر بن حامد المطيري، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1433هـ، ص55.

⁽³⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص55.

يعرّف محمد الطاهر بن عاشور الكلام ويقول: >> الكلام كله إما خبر أو إنشاء<<⁽¹⁾، ويميز محمد الطاهر بن عاشور في البلاغة العربية بين الخبر والإنشاء من حيث عدة جوانب لغوية وخطابية، ركز من خلالها على المتلقي والمعنى ودائرة الاستعمال اللغوي، وقد اعتبر حقل المعنى فن في البلاغة العربية كما عهده عن ما قبله من البلغاء والعلماء، وشرط الفصاحة عنصرا أساسيا في التعبير سواء في الخبر أو الإنشاء، وأدمج الدرجات البلاغية في الأساليب البلاغية كوصف من أوصاف الكلام العربي حيث يقول: >> اعلم أن الفصاحة من أخص أوصاف كلام العرب وعدّها في علم المعاني من حيث أنها شرط في البلاغة<<⁽²⁾ وهذا دليل على أن أساس البلاغة هي الفصاحة وأساس المعاني هو الفصاحة ثم قال: >> وقد كان الشأن أن تعد الفصاحة من مسائل علم الإنشاء عكس ما عده المتقدمون بأنها من المحسنات البديعية لسبب الحسن اللفظي الذي تحتويه، بل كان من الأقوى أن تعد إنشاء لأن المعاني المفصحة أكثر عمقا وإضمّارا من المعاني المضمرة في بعض المواقف وذلك نجده بكثرة في أن المعنى الفصيح الظاهر يحمل أبعادا أخرى ويحمل معاني متعددة بعيدة عن المعنى الظاهر القريب، وهذا لا يقف على الحسن اللفظي وإنما يمتد إلى بلاغة المعنى<<⁽³⁾. وهنا يركز محمد الطاهر بن عاشور على مضمرات القول أو على المعنى العميق والسطحي وهذا يتوافق مع النظرة الشمولية الاستعمالية للمعنى في التداولية المعاصرة.

وهذا التمييز لم يأت من العدم بل مقصود لوضع هذه القواعد والالتزام بها في حقل البلاغة فقال: >> هو العلم بالقواعد التي بها يعرف أداء جميع المراد بكلام ذي أساليب خاصة واضحة مع ما

⁽¹⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: موجز البلاغة، المطبعة التونسية، نهج سوق البلاط- تونس، ط1، 1351هـ-1932م، ص22.

⁽²⁾ - المرجع نفسه، ص07.

⁽³⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص07.

يعين على قبوله. وذلك بتوفيته خواص التراكيب حقها، وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها، وإبداع المحسنات بلا كلفة، مع فصاحة الكلام⁽¹⁾.

وفصاحة الكلام يقصد بها التأليف الصحيح والمستقيم للنطق والفهم معا الخال من أي لحن أو عطب لساني أو عيب، ويذهب بمعاني التأليف إلى معنيين هما: إما تأليف ذو قصد إخباري وإما تأليف ذو قصد إنشائي وهذه هي الأساليب اللغوية البلاغية التي استعملتها البلاغة العربية في اللغة العربية التي زاد فيها تفصيلا وتحديدا وتوجيها وإضافة محمد الطاهر بن عاشور والتي تتطابق مع نظرية الأفعال الكلامية التي هي في التداولية المعاصرة حاليا لأوستين وسيرل.

ويعرف جون سيرل الأفعال الكلامية على أنها: >>الفعل المتضمن في القول وهو أدنى وحدة كاملة للتواصل اللغوي البشري<<⁽²⁾، غير أن طريقة توظيف كل واحد منهما تختلف وذلك لاختلاف نوع الخطاب وطرائق تفسير وتوجيه المعنى، واختلاف الزمان والمكان، والظروف السياقية المؤلفة للخطاب والقصد، واختلاف معيار الشمولية والاستعمال الموجه للقصد الخطابى، ومجال تخصص كل منهما-محمد الطاهر بن عاشور وأوستين وسيرل-. وقد سماها "جون سيرل ببنية الوعي الذاتي والمعرفة اللغوية"⁽³⁾.

وعليه يعرف محمد الطاهر بن عاشور أسلوب الخبر بقوله: >>الخبر هو الكلام الذي يحتمل الصدق والكذب بأن يكون للنسبة المعنوية التي تضمنها الكلام خارج أي وجود في نفس الأمر

⁽¹⁾ - موجز البلاغة، مرجع سابق، ص 05.

⁽²⁾ - جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، تر: صلاح إسماعيل، المركز القومي للترجمة، ط1، 2011م، ص 172.

⁽³⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص 110.

يوافقها تارة ولا يوافقها أخرى. فإن وافقها الخارج فهي صادقة وإن خالفها فهي كاذبة⁽¹⁾، وهنا يتحدث محمد الطاهر بن عاشور عن الخبر محددًا أبعاده المعنوية في الكلام بين مرحلة الاستعمال ومرحلة ثبوت المعنى، فإذا كان الكلام يوافق الوجود فهو صادق وإن كان يخالفه فهو كاذب وهذا هو شرط المطابقة الذي تحدث عنه سيرل في التداولية حيث يقول: "أن اتجاه المطابقة يقاس على حسب درجة الاعتقاد والاستيفاء إذا تحقق وجود العالم مع الاعتقاد الموجود في الذهن حصل الصدق وإذا لم يتحقق فهو لم يستوفي الشرط وعليه يحصل الكذب"⁽²⁾، وقد استفاد من بحثه بأن: "اتجاه المطابقة ينقسم إلى أربعة أقسام: اتجاه المطابقة من القول إلى العالم أو العكس أو هما معا أو اتجاه المطابقة الفارغ"⁽³⁾. وعليه فاتجاه المطابقة بين جون سيرل ومحمد الطاهر بن عاشور يقوم على ثلاث دأئم أساسية هي اللغة والعقل والمجتمع، فالسؤال كيف تعمل اللغة في الذهن جوابه مدى تطابق العقل مع المجتمع، فالمعرفة اللغوية تستوجب تطابق الكلمات مع العالم الخارجي خارج الذهن أولاً، وواقع العالم ثانياً، وموقعية الكلمة في المجتمع وتفسيراتها الذهنية ثالثاً.

ثم يذهب محمد الطاهر بن عاشور إلى تحديد القصد من الخبر بقوله: "والخبر يقصد منه حكاية ما في الوجود الخارجي فلا جرم لزم عرض نسبته على ما في الخارج. فإن نشأ عن ذلك؛ العرض علم بأنها مطابقة بل هي مخالفة للخارج فهي كاذبة"⁽⁴⁾، وهذا يعني أنه ليس كل ما تطابق في

⁽¹⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: موجز البلاغة، المطبعة التونسية، نهج سوق البلاط - تونس، ط1، 1351هـ - 1932م، ص22.

⁽²⁾ - ينظر جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، تر: صلاح إسماعيل، المركز القومي للترجمة، ط1، 2011م، ص136.

⁽³⁾ - ينظر مجدي عمار: مالمقصود بنظرية الأفعال الكلامية، مدونة الكترونية، 28 أبريل 2018م، ص <https://magdyomara.blogspot.com/2018/04/speech-acts.html>

⁽⁴⁾ - المرجع نفسه، ص22.

النطق تطابق في الواقع لأن النطق يحمل الخبر منه التركيب الصوتي والدلالي الصحيح للغة وفي الخارج يحمل الخبر منه عن تطابق الحدث مع المدلول الذهني فإن تواءم النطق اللغوي مع الصورة الذهنية في الخارج حدث التطابق وكان الصدق وإن اختلف حدث التعارض وثبت الكذب.

ثانيا: حد الإنشاء في بلاغة محمد الطاهر بن عاشور وتداولية أوستين وسيرل

ويعرف أسلوب الإنشاء بقوله: >> والإنشاء الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لأنه لم يقصد منه حكاية ما في الخارج بل هو كاسمه أحداث معنى بالكلام لم يكن حادثا من قبل في؛ قصد المتكلم⁽¹⁾، وهنا لا يصح الحكم بالصدق أو الكذب لأن الأساس الذي بني عليه القصد لم يكن مشروط بحكم ولا محددا بعله وإنما كان له أغراض لغوية في ذاتها ولأجل ذاتها وعليه يحدد أقسامه وسياقاتها اللغوية الوظيفية بقوله: >> ينقسم الإنشاء إلى قسمين طلبي وغير طلبي. فالطلبية هو الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والترجي، والنداء. وغير الطلبية. القسم، والتعجب، وإنشاء المدح والذم نحو نعم وبئس⁽²⁾، وقد تطابقت هذه الأغراض الطلبية وغير الطلبية مع الأفعال المباشرة وغير المباشرة لأوستين وسيرل في التداولية المعاصرة بدءا من الإخباريات والتوجيهيات والإلزاميات، والتعبيريات والإعلانيات⁽³⁾.

ويخرج عن الطلبية وغير الطلبية أنواع أخرى كذلك وهي: >> وإنشاء الوجدانيات كالتحسر والفرح والترحم. وصيغ العقود نحو أبيع وأشهد. والأجوبة الدالة على الامتثال كجواب النداء نحو

⁽¹⁾ - ما المقصود بنظرية الأفعال الكلامية، مرجع سابق، ص 22.

⁽²⁾ - المرجع نفسه، ص 22-23.

⁽³⁾ - ينظر جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، تر: صلاح إسماعيل، المركز القومي للترجمة، ط1، 2011م، ص 136.

لبيك وسمعا وطاعة. وصيغها وأدواتها وأحكامها مقررة في النحو.⁽¹⁾، ويحدد ما يهم البليغ من هذه الأساليب البلاغية في نقطتين أساسيتين الأولى: إذا جاء الإنشاء في صورة الخبر وهو الذي يعبرون عنه بالخبر المستعمل في الإنشاء مثل استعماله في الدعاء في نحو ((رحمه الله)). وفي الطلب نحو قول الظمئان إني عطشان، أو السؤال نحو: ((رب لما أنزلت إلي من خير فقير)). والتحسر نحو قول جعفر بن علبة الحارثي:

هواي مع الركب اليمانيين مصعد جنيب وجثماني بمكة موثق⁽²⁾

والثانية: أن يستعمل بعض صيغ الإنشاء في بعض فيجيء الأمر للتمني نحو قول امرئ القيس:

ألا أيها الليل الطويل ألا انجل أصبح وما الإصباح منك بأمثل⁽³⁾

المطلب الرابع: القوة الإنجازية في البلاغة العربية ومقاصدها التداولية

أولاً: أقسام الإنشاء ومقاصده

1 - القسم المعنوي

أ - المقصود بالمعنى في فكر محمد الطاهر بن عاشور:

لم يخرج تعريف محمد الطاهر بن عاشور للمعنى عن تعريف الجرجاني فهو: >> الصورة الذهنية من حيث تقصد من اللفظ فهما أو إفهاما، وفوائد القيود ظاهرة<<⁽⁴⁾. يظهر تركيز محمد الطاهر بن

⁽¹⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: موجز البلاغة، المطبعة التونسية، نهج سوق البلاط - تونس، ط1، 1351هـ - 1932م، ص23.

⁽²⁾ - المرجع نفسه، ص23.

⁽³⁾ - المرجع نفسه، ص23.

⁽⁴⁾ - محمد الطاهر ابن عاشور (1393هـ): أصول الإنشاء والخطابة ويلييه الخطابة عند العرب، تح: ياسر بن حامد المطيري، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1433هـ، ص65.

عاشور على البنية العميقة للخطاب من خلال بنية المعنى، وعلى معايير الاستعمال من خلال قيد القصد واللفظ والفهم والإفهام، وهذه القيود في ظاهرها أدوات تستعمل للتفسير وتجلي المعنى وإظهاره لكن في مضمورها مقياس تقام عليه البلاغة، فالمنشئ للخطاب يصنع من الإنشاء مادة فهذه الأخيرة تعمل من المعنى مركزا للخطاب وتجعل من اللفظ ظرفا لمعنى الخطاب، فمتى استطاع المؤلف-المتكلم- ابتكار أشرف المعاني أطاعته الألفاظ وجاء إنشاؤه متينا واضحا ومناسبا لما بلغ البلغاء والشعراء من العرب في الإجابة، فالتفاوت أو بلوغ الغاية من الابتكار للمعنى يوحي إلى درجة النباهة وحسن القراءة وقوة التوظيف أثناء السبك والتأليف، وأن التعبير عن المعنى يعتمد على اللغة واللغة عقل فلا يستطيع المتكلم أن يلقي معنى للمتلقي وأن يتقبله المتلقي إذا خالف نمطية تفكيره لحال منطوقه، والمنطوق هنا يعني به المنطق واللفظ في آن واحد، فشرط إنشاء المعاني اختيار المتلقي المناسب والمتموضع في نفس درجة تلك المعاني لأن فهمها أو إفهامها تختلف على حسب طبقات عقول المتخاطبين فمنهم العام ومنهم الخاص ومنهم الأخص ومنهم الهام والأهم والمهم، ولهذا ضرورة إنشاء الرسالة وحسن اختيار فئة متلقيها سيكون أكثر قصدا وأوضح شرفا⁽¹⁾ للمعاني إذا التزم المتكلم بقواعد توجيه المعنى للمتلقي وعلم ظروفه وأحوال تلقيه وتمكن منها في نفسه وعقله واستعملها في لغته الإبداعية، فبنشأ الكلام من خلال اللفظ ليتحول إلى معنى في الذهن هذا في ظاهره لكن في بعده العميق نجد المعنى يتشكل من عمق نفس وذهن المتكلم ليترجم إلى لفظ ظاهر يلقي إلى متلقي مقصود ثم يتحول بذلك إلى معنى ذهني في نفس وعقل المتلقي المقصود ليعيد هو بدوره تفسيره وفهمه وإعادة إرساله مرة أخرى بنفس الطريقة التي

⁽¹⁾ - ينظر: أصول الإنشاء، مرجع سابق، ص 62.

التزم بها المتكلم المرسل للكلام الأول مع الحفاظ على القصد الأولي من الرسالة ومحط ألفاظها ودرجة مناسبتها للمعاني وترتيبها في النفس والعقل والظاهر من الكلام، فيقول الجرجاني في دلائل الإعجاز: >إن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وإنما الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها<>⁽¹⁾، ففي الأصل أن شرف المعاني ليس في اللفظ أو جزء الكلام المفرد وإنما في تركيب الكلام ومجاورة اللفظ للفظ ومطابقته للمعنى فذلك سر البيان.

ب- أنواع المعنى:

ينقسم المعنى باعتبار مكونات أجزاء بنية الخطاب وحذق المتكلم وتأثر المتلقي فنجد المعنى البسيط وهو المعنى الملاءم للبنية الظاهرة من الكلام المرسل والمعنى المكيف وهو المعنى الأكثر إجهادا وعمقا للبنية الكلامية وهي التي يقصد إليها المتلقي ويلزم على فهمها وتفسيرها ويربط محمد الطاهر بن عاشور في أقسام المعنى بدرجة التحسين والتذوق في الكلام والسمع وعليه نفصل في الأقسام المعنى في الشكل التالي:

* المعنى البسيط: >>هو الخالي عن التحسين، ويسمى (الخاطر)، سواء كان مستعملا مشهورا نحو: العلم نافع، أو كان عزيزا لا يفقهه إلا المتلقي الذي يملك درجة عالية من الحكمة والفهم، نحو: الصمت حكمة، والجدة عون على المروءة<>⁽²⁾، فاختلاف المثال الأول عن الثاني في المعنى اختلاف توجيهي للقصد. ويعتمد خاطر الخالي عن التحسين بالحقيقة المجردة فالكلام البسيط يرجع إلى حقل الاستعمال وكثرة التداول بين الألسن والأذهان.

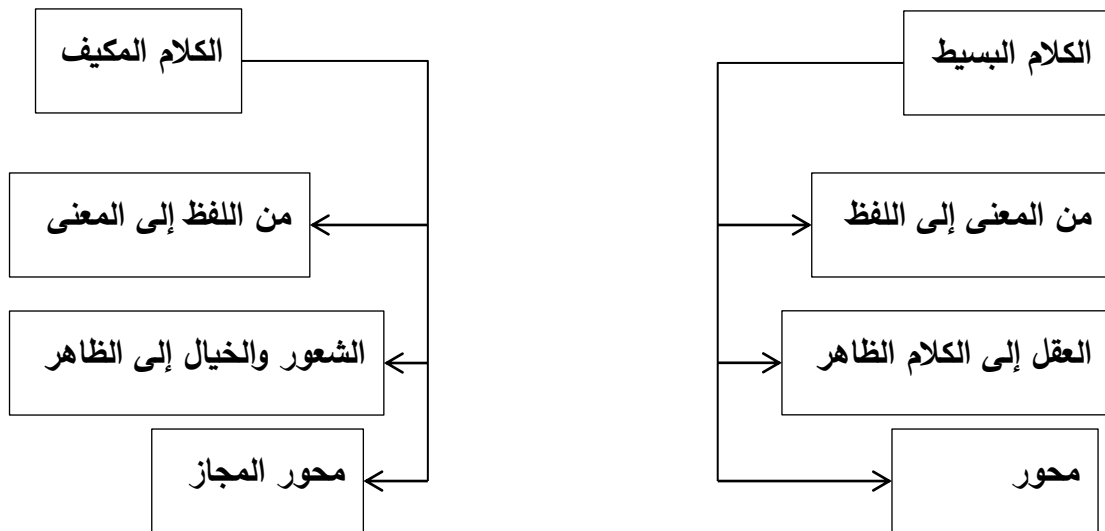
⁽¹⁾ - أصول الإنشاء، مرجع سابق، ص 62.

⁽²⁾ - المرجع نفسه، ص 65.

***المعنى المُكَيَّف**: هو الذي يحتوي على تنميق من خصوصيات الكلام، لإفادة محاسن للمعنى وتقرير له، كالاستعارة والتقديم والحصر والشعور كالمعاني الشعرية⁽¹⁾. وهنا يتضح أن درجات المعنى تختلف من البسيط إلى المعقد ومن العادي إلى المنمق، فكلما كان الكلام بسيطاً خالياً من مظاهر التحسين كان المعنى أكثر قوة أثراً لاعتماده على العقل والموضوعية العلمية، وكلما كان الكلام مكيفاً يميل إلى الصنعة والتحسين كثر فيه الزيف وبعد عن الحقيقة وصار أضعف بدرجة من الكلام البسيط حتى وإن أظهر بلاغة فهي في أغلبها تميل إلى التوضيح والتبيين لا يوجد فيها إضافة عميقة كالكلام الذي يبني على العقل والمنطق ويمكن توضيح هذا الفرق في الصورة التالية:

الشكل رقم (21): يمثل درجات إنشاء المعاني ومواقعها بين البسيط والمعقد في محوري الحقيقة

والمجاز عند محمد الطاهر بن عاشور



المرجع: ينظر محمد الطاهر ابن عاشور (1393هـ): أصول الإنشاء والخطابة ويليها الخطابة عند

⁽¹⁾ - أصول الإنشاء، مرجع سابق، ص 65.

العرب، تح: ياسر بن حامد المطيري، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط1،

1433هـ، ص65.

ج- **صفات المعنى:** تتعلق صفات المعنى بصفات الكلام ونظمه في الخطاب اللغوي، فيذهب محمد الطاهر بن عاشور إلى تحديد صفات المعنى في ثلاث نقاط أساسية⁽¹⁾، هي في الحقيقة صفات للكلام التي وضعها علماء اللغة وتحدث عنها سيبويه في كتابه في نظرية النحو الاستعمالي، وتطرق لها عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم ويتطرق لها الآن محمد الطاهر بن عاشور في نظرية التفسير، وهذه الصفات هي كالآتي:

***الوضوح:** فهو الخلو من التعقيد المعنوي واللبس اللفظي من الكلام والابتعاد عن الكنايات الخفية الكثيرة، ولا بد أن يميل المعنى إلى الظهور أكثر من الخفاء ومن ذلك قول المتنبي في كافور:

وما طربي لما رأيته بدعة لقد كنت أرجو أن أراك فأطرب⁽²⁾

فالطرب خفة تلحق الإنسان فتكشف ما بنفسه من الفرح والحزن وهي في الفرح أشهر، ومعنى قوله تعبيره عن شدة فرحه لرؤيته أمامه، وأن إفراطه في سروره وسعادته ما هو إلا عز له واستحياء منه بما لقيه منه من إكرام وفضل⁽³⁾

***السداد:** وهو ما تعلق بالموافقة للواقع والمطابقة لمقتضى الحال من غير زيادة كقول لبيد:

⁽¹⁾ - محمد الطاهر ابن عاشور (1393هـ): أصول الإنشاء والخطابة ويليها الخطابة عند العرب، تح: ياسر بن حامد المطيري، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1433هـ، ص66.

⁽²⁾ - المرجع نفسه، ص66.

⁽³⁾ - ينظر إبراهيم بن محمد بن زكريا الزهري، من بني سعد بن أبي وقاص، أبو القاسم ابن الإفيلي (ت441هـ): شرح شعر المتنبي، تح: مصطفى عليان، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ج2، ط1، 1412هـ-1992م، ص29.

ألا كل شيء ما خلا الله باطلٌ وكلُّ نعيمٍ لا محالة زائلٌ⁽¹⁾

فقد وافق قول المتنبي الواقع وكما نجد المبالغة بكثرة في تعبيره إلا أن معنى ذلك يعود إلى درجة مطابقة القصد لمقتضى الحال.

*الشرف: وهو الاتزان في اللفظ والقوة في المعنى، وشرطه أن لا يكون المعنى سخيًا، ولا مشتملاً على فضول، سواء كان سابقاً للذهن أم مبتكراً، وكلاهما يجتنب إذا كان سخيًا مبتذلاً⁽²⁾، وعليه فدرجة قوة المعنى تتعلق بنوعية المقام الكلامي فمنه للفخر ومنه للشكاية ومنه للوصف وغيرها من المقامات التعبيرية، ومناسبة المقام للكلام يتعلق بالمجاز المحقق على طريقة التلميح⁽³⁾.

2- القسم اللفظي

أ- أحوال الألفاظ المفردة:

تعتبر أحوال الألفاظ المفردة مقيدات المعنى أثناء مواضع الاستعمال المختلفة، وتتعدد مواضع الاستعمال في أربعة مستويات مسؤولة عن صنع المعنى:

*الفصاحة: وهذا المستوى يعتمد على معيار الوصف وحده الكلمة وشرطه السلامة والاستقامة وجماله الذوق، فيقول محمد الطاهر بن عاشور: >فهو وصف الكلمة، وهي خلوصها مما يكدرها ويثقلها في السمع ويبعدها عن سلامة الذوق العربي، وقد تكفل ببيانها أئمة علم المعاني<<⁽⁴⁾، ويوضح محمد الطاهر بن عاشور أهمية علم المعاني في تفسير اللفظ وأن الفصاحة مرادفة للبيان عند

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر ابن عاشور (1393هـ): أصول الإنشاء والخطابة ويليها الخطابة عند العرب، تح: ياسر بن حامد المطيري، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1433هـ، ص68.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص68.

⁽³⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص68.

⁽⁴⁾ - المرجع نفسه، ص93.

ابن سنان الخفاجي (ت466هـ)⁽¹⁾، وهو ما طابق زاوية نظر عبد القاهر الجرجاني لمعيار الفصاحة في الكلام حيث يجعل البيان مرادفا لها وتعني عنده وصف الكلام بحسن الدلالة⁽²⁾، وتعد قيمة اللفظ للمعنى كصورة عن مضمونه وصورة من صوره وتعبير عن أحواله وسياقاته، ويلزم للمتلقي أن يعي أهمية مناسبة اللفظ للمعنى وأن لا يخرج عن سياقها اللفظي وأن ينظر فيه قبل التطرق إلى المعنى لأن التوجيه اللفظي يختلف عن التوجيه المعنوي وخاصة في اللفظة المفردة لأنه يوحي في اللفظ الواحدة إلى عدة استعمالات دلالية وتعرف بالاشتراك اللفظي ولولا هذه الدلالة لما استطاع اللفظ أن يكون مرنا وموسعا ومقيد بسياق معين يتحكم فيه المتكلم ويفسره المتلقي وفق أغراضه التواصلية المختارة لمطلوبه الإدراكي، ولهذا جمع محمد الطاهر بن عاشور وابن سنان الخفاجي وعبد القاهر الجرجاني معيار الفصاحة للفظ في درجة بلاغة المعنى، وما أفصح عنه الضمير تمكن منه العقل والتفسير، وإن لم يصاحب الإفصاح سيرورة التمكن نعرف بأن اللفظة المفردة فاقدة. لأهم شروط التلقي والتفسير وهو عجز المتكلم عن توجيه اللفظ المفردة في غرضها التواصلية المفروض للمتلقي المنتج، وأن إدراك حاجيات المتلقي التفسيرية أفقدها إياه نوعية التوجيه اللفظي في الاستعمال اللغوي المسؤول عنها الملقى للخطاب أو الكلمة.

***الصراحة:** وصريح الكلام ظاهره، والظاهر في الكلام لفظه قبل معناه، فحمل المعنى على اللفظ الظاهر أولى في الضمير كونه يعبر عما أراده المتكلم وعما فهمه المتكلم من صريح اللفظ،

⁽¹⁾ - ينظر عبد الله خضر حمد: موسوعة علوم اللغة العربية (علوم البلاغة: المعاني والبيان والبدیع) (علم العروض والقافية)، دار القلم للطباعة والنشر، ط1، 2003م، ص326.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص326.

ويعرفها محمد الطاهر بن عاشور: >> توخّي الألفاظ الموضوعية للمقيّدات <<(1)؛ ويقصد بالتوخي هو الاحتراز من الوقوع في اللبس أثناء ضبط اللفظ وتوجيهه للمعنى المقصود، والموضوعية للمقيّدات يقصد بها المستعملة في ضوابط خاصة بشروط أو تعميمها في مواضع استعمالية أخرى في معنى الإطلاق، وشرط التخصيص في الاستعمال كقيد هو القرينة، وعليه لابد من >>تجنب استعمال المشترك بدون قرينة، مثل كلمة (مُسْرَج) في قول رؤية بن العجاج:

وفاحمًا ومرسئًا مُسْرَجًا <<(2)

فالسراج هنا له معاني مشتركة فالسراج يوحي إلى الضوء أو السيف السريجي لمشابهة بين السراج والضوء في الدقة في الإشعاع، ولمشابهة السيف السريجي في الاستواء والاستقامة للسيف(3).

* العزة: >>فهي سلامة الكلمة من الابتذال. والابتذال يقع على وجوه <<(4):

- استعمال الكلمة في غير موضعها المقصود أو المخصص له: فقد يأخذ العامة الكلمة من معنى، واستعمالها في معنى غير حسن، والحسن هنا يقصد الاستقامة والإجادة استقامة اللفظ وإجادة المعنى، فكلمة (البهلول) تعنى السيّد الجامع لصفات الكمال، فأخرجه عامتنا من موضع الحسن إلى موضع غير حسن فخصصته للمغفل، وذلك لأسباب منها:

- استعمال كلمة غير متداولة في العامة أو منسية من قاموس اللغة الفصحى، مثل اللقالق جمع (لقلق).

(1) - محمد الطاهر ابن عاشور (1393هـ): أصول الإنشاء والخطابة ويليها الخطابة عند العرب، تح: ياسر بن حامد المطيري، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1433هـ، ص93.

(2) - محمد الطاهر ابن عاشور (1393هـ): أصول الإنشاء والخطابة ويليها الخطابة عند العرب، تح: ياسر بن حامد المطيري، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1433هـ، ص93.

(3) - ينظر: المرجع نفسه، ص93-94.

(4) - المرجع نفسه، ص95-96.

- استعمال بعض الصيغ الاشتقاقية في ما يوهم معنى مستتبعا مثل في كلمة (هَمَّةُ الأَمْرِ) جاء على وزن فاعلة، فيقال: (عرضت له نازلة هامة)، القصد هنا مهمة لكن قد يتوهم البعض معنى آخر لها وهو الداهية التي تثقل الإنسان كرهاً وهماً.

- قد يستعمل اللفظ في موضع سخيّف مبتذل لكون معنى الكلمة سخيّفاً، مما يزلّم المتكلم الخروج عنها للكناية من أجل تحسينها في الاستعمال تنزيهاً للسان⁽¹⁾.

*الرشاقة: وهو المناسبة والاتساق والانسجام في الكلام، وكل لفظ ناسب مقام الكلام كان رشيقاً، وتنقسم صور الرشاقة إلى قسمين على حسب أنواع المقامات وحدتها:

-الجزل من الكلام: وهو ما استعمل في مقام الحماسة والحروب والتوبيخ.

-السهل من الكلام: وهو ما كان في مقام المديح والغزل والملاطفة⁽²⁾.

ب-أحوال الألفاظ المركبة:

تختلف أحوال اللفظة من مفرداتها إلى تركيبها، >حوالاً لفظاً في حال تركيبها أحوالاً غير أحوالها مفردة، وهي تُجمع في: فصاحة الكلام، ونزاهته، وانسجامه، والاقتصاد من الفضول فيه، واتصال جملة، ومناسبته للغرض<<⁽³⁾، وعليه فاللفظ متى توفر فيه مقاييس التركيب كان المعنى على استقامة واعتدال، ومتى كانت اللفظة أقرب إلى الفصحى كان الكلام أقوى في المعنى، ومتى كان نزيهاً خالصاً خالياً من أي استهجان أو عيب كان أقرب للعقل والإدراك ومتى كان منسجماً كان سهلاً على اللسان وأقرب إلى القلب والسمع>>فالمعنى إذا اكتسب لفظاً حسناً، وأعاره البليغ مخرجاً

⁽¹⁾ - ينظر: أصول الإنشاء، مرجع سابق، ص 96.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص 96.

⁽³⁾ - المرجع نفسه، ص 98.

سهلا، صار في القلب أحلى، وللمسمع أملا⁽¹⁾، والإعارة يقصد بها الكناية والمحسنات البديعية البعيدة عن التكلف والتصنع، فالصنعة الخفيفة تسمى مصنوعا فالأصل في ذلك أن تكون الألفاظ توابع للمعاني فهذا هو أصل الحسن والمناسبة⁽²⁾.

والاقتصاد في الكلام هو أن يطرح اللفظ المطول ويحذف المكرر منه، والاكتفاء بما كان مقصودا من الكلام وغرضه⁽³⁾.

وأما في اتصال جمل الكلام فاعتبرها محمد الطاهر بن عاشور بأنها فسطاط علم الإنشاء، وحلبة استباق همم المتضلعين فيه، وتعتبر ضوابط اتصال جمل الكلام ببعضها البعض أربعة شروط حددها محمد الطاهر بن عاشور كما يلي⁽⁴⁾:

التناسب الفصل والوصل في البلاغة

الربط قوة الاتصال بالمقام الخطابي للمتكلم يتعلق بنظرية النظم في النحو الوظيفي.

الانتقال وهو ما ناسب الالتفات واللطافة بين زينة الكلام للمتكلم وغرض الإطار واللطافة لسامع

المتلقي وهو ما يتعلق بنظرية التلقي في البلاغة⁽⁵⁾.

الحسن الحسن في الكلام والإجادة في المعنى وهو أول ما يوجه إليه السامع وأول ما يبتدئ به

المتكلم، ويرتبط بنظرية اللفظ والمعنى في الدلالة البلاغية

الارتباط التركيز على الغرض والبراعة وفضل الألفاظ على المعاني، ودرجة مناسبة الكلام للغرض،

⁽¹⁾ - ينظر: أصول الإنشاء، مرجع سابق، ص 98-99.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص 99.

⁽³⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص 99-100.

⁽⁴⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص 101.

⁽⁵⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص 101-104.

ويجتمع في تسع صور:

الركة والجزالة، كيفية الانتظام والنظم، من سجع وترسل، الإيجاز والإطناب، البساطة والصنعة، وهذا أهم شيء في الإنشاء وأصعبه، وهذا ما تقره اللسانيات النصية والتداولية المعاصرة التي تهتم بمبدأ التغريض والاتساق والانسجام ومظاهر التأليف والإنتاج البلاغي للمتلقي⁽¹⁾.

ثانيا: القوة الإنجازية ومقاصدها في الخبر والإنشاء

1- تقوية الكلام في الخبر والإنشاء

يقول محمد الطاهر بن عاشور: >>وللكلام في قوة الإثبات والنفي مراتب وضروب بحسب قد الحاجة في إقناع المخاطب، فإن كان المخاطب خالي الذهن من الحكم ولا تردد له فيه فلا حاجة إلى تقوية الكلام، ويسمى هذا الضرب ابتدائي<<⁽²⁾، لأنه يبتدأ به الخبر ومعلومه ضعيف عند المخاطب فلا يملك تصورا واسعا عن احتمالية الشك في الخبر الرسل له ولهذا لن نجد في إقناعه حاجة إلى تقوية الإقناع لديه لأنه مقتنع مبدئيا بالكلام الملقى له، >>وإن كان المخاطب متردداً في الحكم فالحسن أن يقوى له الكلام بمؤكد لئلا يصير تردده إنكاراً كما قال الله تعالى: ((فقالوا إنا إليكم مرسلون)) لأنهم كذبوا الرسلين الأولين فلما عززا بثالث كان القوم بحيث يترددون في صدقه ويسمى بالضرب الطلبي<<⁽³⁾ وهنا استدعاء الحاجة إلى تأكيد وتقوية الكلام وإقناع المخاطب

⁽¹⁾ - ينظر: أصول الإنشاء، مرجع سابق، ص 104-105.

⁽²⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: موجز البلاغة، المطبعة التونسية، نهج سوق البلاط - تونس، ط 1، 1351هـ - 1932م، ص 12.

⁽³⁾ - المرجع نفسه، ص 12.

بالخبر المرسل له فالمخاطب في موقف شك والتباس وعلى المتكلم تقوية الكلام بمؤكد واحد تلبية لطلب المخاطب فاندماج الطلب في الخبر باستعمال الأداة ليس خروجاً عن مجال الخبر وإنما هو في المعنى يحمل موقف طلب التوضيح لتحقيق الإقناع، وفي حالة ثالثة من التقوية وهي >>إن المخاطب منكراً وجب تأكيد الخبر على قدر الإنكار نحو ((إني لكم نذير مبين)) ونحو ((إنا إليكم مرسلون)) ونحو ((ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون)) ويسمى هذا الضرب إنكارياً⁽¹⁾. وهذه أقوى درجة في القوى الكلامية التي يجهد من خلالها المتكلم في إقناع المخاطب وإبلاغه، لأن المخاطب في هذه المرحلة يكون لديه حس موسوعي عن المعلومات الملقاة إليه فلا يمتثل إلى الخبر البسيط أو الخبر الطلبي لأنه يتجاوز مرحلة الطلب إلى الإقناع برأيه وبمعلوماته التي يمتلكها فليس في تقوية الكلام التي يتعرض لها المتكلم في المرحلة الأولى أو الثانية نظيراً بالمرحلة الثالثة ولهذا سميت بالإنكارية لقوة الإنكار والتكذيب وعدم الإقناع، وعلى المتكلم أن يلزم المخاطب الإقناع وتقبل الخبر أو المعلومة الملقاة له بأي ظرف وأن يحسن التأثير عليه ولذلك يستعمل المتكلم مجموعة من التأكيدات لبلوغ درجة الإقناع ويصبح هو من يمتلك عقل المخاطب ويأثر فيه وليس المعلومة هي التي يمتلكها، فالمعلومة تتغير على حسب درجة حضور وقوة ذكاء المتكلم أثناء التبليغ في الإقناع والتأثير، فبلاغة الخبر والإنشاء وقوتها لدى محمد الطاهر بن عاشور تعتمد على حس التأثير الذهني والقولي للمخاطب، فلا يكون إثبات الكلام إلا إذا كان خبراً مؤكداً سواء باللفظ أو بالأداة، ولا يكون الكلام منفياً إلا إذا كان على درجة عالية من الإنشاء، وعليه تُفسر التقوية الكلامية عند محمد الطاهر بن عاشور على درجة البلاغة وتقف على قوة إقناع المخاطب وإبعاد الشك عليه وذكاء

⁽¹⁾ - أصول الإنشاء، مرجع سابق، ص 12.

المتكلم البليغ في الإخبار.

>> وأدوات التوكيد إن وأن ولام الابتداء، ولام القسم، والقسم، والحروف الزائدة، وحروف التنبيه، وضمير الفصل ولن النافية هذه في الأسماء وقد وإما الشرطية ونون التوكيد في الأفعال وقد ينزل المخاطب المستحق لأحد هذه الأضراب منزلة صاحب غيره منها لنكتة فيسمى ذلك إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر⁽¹⁾ وجل هذه الأدوات المستعملة في الخبر هي في الحقيقة تتعلق بأسلوب الإنشاء ففي القسم والشرط والنفي والنداء والتوكيد كلها أغراض طلبية، يقوم المتكلم باستعمالها على درجة التقوية فنجد التوكيد بأن وإن ولام الابتداء يحمل قوة حقيقة الخبر على حسب تنوع أغراض الخبر: >> وقد يجيء التوكيد بإن لمجرد الاهتمام بالخبر دون إنكار كقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحر)) ومن ذلك أن يكون في الخبر غرابة كالمثل ((إن البغاث بأرضنا يستنسر)) أو تهويل نحو ((ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون)) لأن شأن هذين النوعين أن ينكرهما السامع فيؤكد له من قبل حصول الإنكار احتياطاً تنزيلاً له منزلة المنكر⁽²⁾، وفي لام القسم والقسم يحمل قوة الثبات بالإيجاب واليقين، والحروف الزائدة تحمل قوة الزيادة في التفصيل والتوضيح >> وأما لقصد الزيادة من الفعل نحو ((يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله)) فطلب منهم الإيمان بعد أن وصفهم به لقصد الزيادة والتعلي منه⁽³⁾، وحروف التنبيه تحمل قوة التذكير والالتفات، وضمير الفصل تحمل قوة الإشارة والتخصيص، ولن النافية تحمل قوة النفي بالسلب، وقد تحمل قوة التحقيق والتدقيق في الخبر، وإما الشرطية تحمل قوة

⁽¹⁾ - أصول الإنشاء، مرجع سابق، ص 12.

⁽²⁾ - المرجع نفسه، ص 12-13.

⁽³⁾ - المرجع نفسه، ص 12.

الاستثناء في فعل الشرط، ونون التوكيد تحمل قوة التعيين بالخبر وهو الإسناد" وهو نوعان منه حقيقة عقلية وآخر مجاز عقلي، فالحقيقة العقلية إسناد الشيء إلى شيء متعارف عليه لدى الناس ومستعمل إثباتاً أو نفياً، أما المجاز العقلي فهو إسناد الشيء إلى شيء آخر غير متعارف أو متداول بين الناس إثباتاً أو نفياً⁽¹⁾ فالحقيقة والمجاز بين معياري الإثبات والنفي في محور الإسناد تعتمد على قوة الاستعمال ودرجة المعرفة بالخبر أو فحوى الكلام في أذهان المتخاطبين.

وعليه فمن هذه الأدوات العاملة في الأسماء كما رأينا من حروف وضمائر ومنها العاملة في الفعل كالشرط والتوكيد>>وأما لاختلال الفعل حتى كان غير مجد لفاعله مثل قوله صلى الله عليه وسلم للذي رآه يصلي ينقر نقر الديك ((صل فإنك لم تصل))، وهذا كثير في كلامهم، وقد تتعلق النكتة بالمتكلم ليريك أنه عالم بالخبر كقولك لصاحبك سهرت البارحة بالنادي، وقول عنترة: إن كنت أزمعت الفراق فإنما... زُمت ركاكم بليل مظلم<<⁽²⁾

وقال طرفة:

لعمرك إن الموت ما اخطأ الفتى... كالطول المرخى وثنياه باليد⁽³⁾

فأتى بثلاث مؤكدات القسم وأن ولام الابتداء لقصد الرد على من كان حاله في لومه إياه على الكرم وتناول الذات حال من ينكر إدراك الموت إياه مع أن مجيء الموت ولو بعد طول العمر أمر معلوم لكل أحد⁽⁴⁾.

وعلاوة هذا أن يكون الكلام دالاً على أن المخاطب لا يجهل الخبر فإنك إذا حدثته

⁽¹⁾ - أصول الإنشاء، مرجع سابق، ص 13.

⁽²⁾ - المرجع نفسه، ص 12.

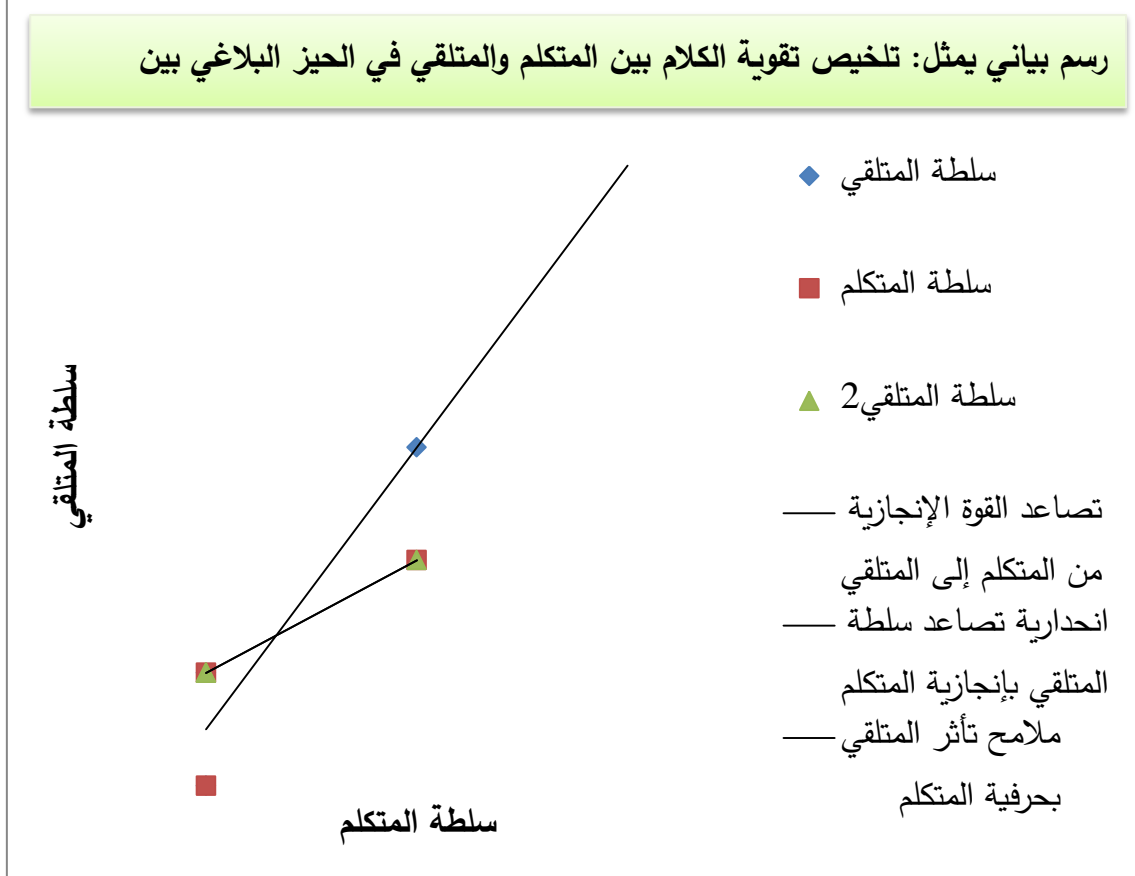
⁽³⁾ - المرجع نفسه، ص 12.

⁽⁴⁾ - المرجع نفسه، ص 13.

عن أحواله لا تقصد أن تعلمه بما هو معلوم لديه، وعليه فعلى المتكلم أن يكون على درجة عالية من الوعي في قياس درجة علم المخاطب بالخبر الذي يود نقله إليه حتى يحدد أهم الأدوات التي يحتاجها المتلقي في الإبلاغ، وحتى يستحسن للمتكلم سهولة النقل والإخبار ففرق كبير بين أن يكون المتكلم عالماً بأحوال المخاطب المعرفية أثناء الكلام وبين أن يكون جاهلاً لأحواله، وعليه قد قدم محمد الطاهر بن عاشور مقتضى الحال الظاهر وربطه بتقوية الكلام البلاغي في ضبط قوة الإقناع والتأثير لتصبح في يد المتكلم أو البليغ حتى لا يعرقل المتلقي تواصلية الخطاب أو أن يعجز المتكلم المسؤول عن نقل الكلام وتقويته، وعليه يرى محمد الطاهر بن عاشور من المهم أن يكون المتكلم على قدر واسع من الإدراك الذهني والعلمي أثناء بناء الخطاب وتشكيل المعنى وأن يكون النسيج النصي بظروفه ومتلقيه بساعديه ويتحكم بتوجيهه حسب الغاية المسطرة له وليس على حسب غاية المتلقي المنتجة عن موسوعيته فالموضوع الأساس متى تمكن منه المتكلم وأرسله إلى المخاطب وحق درجة عالية من الثبات والصدق كانت القوة الإنجازية محققة وكان التوجيه مقصوداً والمرجع المعنوي قوياً، وإذا تعرض الموضوع المنسوج من المتكلم ومقاصده الخطابية إلى تغيير أو اضطراب كانت القوة الإنجازية ضعيفة نتيجة السلطة النصية انتقلت للمتلقي وتمكن منها بحيث أضعف - قلل درجة الصدق لدى المتكلم - من سلطة المتكلم المؤسس للخطاب وفي هذه الحالة ينتقل الدور للمتلقي ويصبح هو المنتج البلاغي للخطاب ويمكن توضيح سلم التقوية البلاغية في الشكل التالي:

الشكل رقم (22): رسم بياني يمثل تلخيص تقوية الكلام بين المتكلم والمتلقي في الحيز البلاغي

بين السلطة والشباب.



2- مقاصد التقوية في الخبر والإنشاء

أ- الإسناد في الخبر والإنشاء:

يعرّف محمد الطاهر بن عاشور الإسناد بأنه: >>ضم كلمة إلى أخرى ضما يفيد ثبوت مفهوم

أحدهما لمفهوم الأخرى نحو حاتم كريم وأكرم حاتماً، أو انتقاءه عنه نحو ما خالد جباناً ولا تقاقل

خالداً سواء كان بالتعيين أم بالترديد⁽¹⁾، ولكن يخصص تعريفاً خاصاً للإسناد منقحاً ومعدلاً

⁽¹⁾ - أصول الإنشاء، مرجع سابق، ص 10.

ومضيفاً عليه أسس البلاغة التي يحتاجها الكلام البليغ والمتكلم والمتلقي في آن واحد فيقول: >>أعلم أنني نقحت تعريفهم للإسناد فأُتيت بتعريف ينطبق على الخبر وعلى الإنشاء ولذلك لم أذكر في التعريف لفظ الحكم بل قلت يفيد ثبوت مفهوم الآخر لأن في الإنشاء ثبوتاً وانتفاءً لكن بلا حكم، إذ لا يقصد المتكلم من كلامه مجرد النطق به كالسعال والأنين وأما قول الحطيئة:

أبت شفتاي اليوم إلا تكلماً بسوء فما أدري لمن أنا قائله

فذلك ضرب من التمليح إذ جعل نفسه لا يستطيع البقاء بلا هجاء⁽¹⁾، فهو يريد بالمتكلم إثبات قصده من استعمال الإنشاء أو الخبر وأن في استعماله ليس إصدار لصوت فقط كما يُسمع وإنما هو يحاول من خلاله المتكلم إثبات دليل أو توضيح علة أو بيان سبب أو إرسال معنى، فبلاغة الكلمة ليست في صوتها على أنها تتابع حروف وإنما في تعيين لفظها >>وحكم ما يجري مجرى الكلمة نحو الضمير المستتر والجملة الواقعة خبراً حكم الكلمة، فالكلمة الدالة على المحكوم عليه ما تسمى مسنداً إليه والكلمة الدالة على المحكوم به تسمى مسنداً والحكم الحاصل من ذلك يسمى الإسناد⁽²⁾، فالحكم لدى محمد الطاهر بن عاشور في الكلمة هو القصد وهو يتطابق مع الفعل الحملي الذي يختص بالإسناد ومع مفهوم القصدية في القول في تداولية سيرل، والمحتوى الحملي في اللغة الوظيفية التداولية يعد بؤرة أساسية من البؤر النصية أين نجد القصد يكون مركزاً في هذه البؤر النصية وتداولها يعد إسناداً في حد ذاته، لأن البؤر المسندة للقصد توجه المعنى إلى مفهوم أعمق من الظاهر حسب أسلوب خبرٍ أو تواصلٍ محدد. ويعرّف جون سيرل القصدية

⁽¹⁾ - أصول الإنشاء، مرجع سابق، ص 11.

⁽²⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: موجز البلاغة، المطبعة التونسية، نهج سوق البلاط - تونس، ط 1، 1351هـ - 1932م، ص 11.

بقوله: "هو عمل عقلي تنتقل فيه اللغة من حالة عقلية داخلية إلى حالة واقعية خارجية بطريقة مناسبة ومطابقة إلى العالم، فليس شرط أن تكون الأفعال موجودة حرفياً في العالم، ولكن يكفي أن تمثله عقولنا بطريقة واعية، وليس كل الحالات القصدية واعية وليس كل الحالات الواعية قصدية، فبعض الأفعال لا تحتل أو تسند إلى وعي رغم أنها مقصودة، والبعض الآخر لا تسند إلى قصد بالرغم من أنها واعية، فالسؤال مثلاً لا توجد له إجابة وذلك خاصة إذا تعلق الأمر أحياناً بأفعال الشعور والابتهاج والخوف والحزن وغيرها"⁽¹⁾، >حول كل من المسند إليه والمسند والإسناد عوارض بلاغية تختص به<⁽²⁾، وحدّد الاختصاص شرط بلاغي يحدد من خلاله توجيه القصد وتحديد المعنى من المسند والمسند إليه ومن أحوالهما كحدوث التقديم والتأخير أو الحذف والذكر، فكلما كان الاختصاص ذاتياً كانت العوارض البلاغية على درجة عالية من القصدية وكلما انخفض الاختصاص قل القصد، ويقول سيرل هنا: >على الرغم من أنه ليست كل الحالات الواعية قصدية، وليست كل الحالات القصدية واعية، فإن هناك علاقة جوهرية، وهي أننا لانفهم القصدية إلا في حدود الوعي<⁽³⁾، وعليه يضع الوعي أعلى درجة من القصدية وهذا إن دل فهو يدل على وجود أهمية بنية العقل في الكلام اللغوي في كلتا الحالتين سواء كان قصد أو لم يكن فالوعي موجود، وأن العلاقة الجوهرية عند سيرل تتطابق مع علاقة التخصيص لدى محمد الطاهر بن عاشور، ولهذا نجد بنية العقل واللغة لها حضور منهجي في أبحاث كل من سيرل ومحمد الطاهر بن عاشور سواء في

⁽¹⁾ - ينظر جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، تر: صلاح إسماعيل، المركز القومي للترجمة، ط1، 2011م، ص104.

⁽²⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: موجز البلاغة، المطبعة التونسية، نهج سوق البلاط - تونس، ط1، 1351هـ - 1932م، ص11.

⁽³⁾ - جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، تر: صلاح إسماعيل، المركز القومي للترجمة، ط1، 2011م، ص104.

فلسفة البلاغة العربية أو فلسفة التداولية المعاصرة.

ألزم محمد الطاهر بن عاشور التثبت من وضع مصطلح الإسناد وتوجيهه الوظيفي في الأساليب البلاغية وقد نبه إلى أن العرب البلاغيين قد ألصقوا الإسناد بالخبر فقط ولم يخصص به الإنشاء شيئاً، ولكن في نظرتة البلاغية التفسيرية يرى أن من غايات التأليف والخبر هو الإنشاء وأن الإنشاء كونه أسلوباً يحمل الخبر فهو كذلك يحمل الإسناد ألا نجد في الإنشاء فعلاً وفاعلاً ومبتدأً وخبراً فهذا الشيء لا يعزل الإنشاء عن حمل الإسناد بل يختص به كذلك وعليه يقول: >>شاع أن الإسناد من خصائص الخبر فلذلك كثر أن يصفوه بالخبري بناء على أن الإنشاء كالأمر والنهي والاستفهام لا إسناد فيه والتحقيق أن الإسناد يثبت للخبر والإنشاء فإن في الجمل الإنشائية مسنداً ومسنداً إليه فالفعل في قولك أكرم صديقك مسند والضمير المستتر فيه مسند إليه<<(1). فعّدل محمد الطاهر بن عاشور تصنيف البلاغيين وأعاد الترتيب للإسناد وتوسيع دائرة اشتماله التي مدّها إلى الإنشاء.

وحدد محمد الطاهر بن عاشور بعض المقاصد البلاغية وبين الجملة الخبرية والجملة الإنشائية بقوله: >>واعلم أن القصد الأول للمخبر من خبره هو إفادته المخاطب الحكم وقصد المتكلم بالجملة الإنشائية إيجاد مدلول الإنشاء ففي الأمر يقصد إيجاد المأمور به ويسمى الامتثال وفي النهي يقصد عدم إيجاد الفعل ويسمى الانكفاف وفي الاستفهام يقصد الجواب بالإفهام وهكذا<<(2). ويقابل هذا توصيف المقاصد التداولية للأفعال الكلامية عند جون سيرل: >> فالغاية

⁽¹⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: موجز البلاغة، المطبعة التونسية، نهج سوق البلاط - تونس، ط1، 1351هـ - 1932م، ص11.

⁽²⁾ - المرجع نفسه، ص11.

المتضمنة في القول (illocutionnaire point) للفعل الكلامي سوف تكون غايته أو غرضه بمقتضى كونه فعلا من هذا النمط وهكذا⁽¹⁾، وعليه نجد كل من محمد الطاهر بن عاشور وجون سيرل يتوافقان مع النمط الكلامي للأسلوب البلاغي التداولي، ويفسرانه على أنه بنية عقلية قبل أن تكون قولية فعلية، وأن المتلقي هو الشفرة المحللة لهذا النمط التعبيري وهو الهدف المتوقع من الإخبار أو الإنشاء، وتعدد الأغراض البلاغية لدى محمد الطاهر بن عاشور توازي تعدد أنماط الأفعال المتضمنة في القول لدى جون سيرل غير أن نظرة كل منهما وحدود تفسيرهما للغة تختلف عن بعضهما البعض وذلك يعود إلى طبيعة اللغة لكل منهما ونوع الخطاب ويظهر ذلك في قول سيرل أثناء طرحه للسؤال: >>كم عدد أنماط القول؟ ويبدو أننا نستطيع أن نبدأ الإجابة عن طريق النظر إلى الأفعال (verbs) المختلفة التي تسمى الأفعال المتضمنة في القول في الإنجليزية، أفعال من قبيل يقرر (state) ويحذر (warn) ويأمر (command) ويعد (promise) ويدافع (plead) ويتوسل (pray) ويتعاقد (contract) ويضمن (guarantee) ويعتذر (apologize) ويشكو (complain)⁽²⁾، وهذه الأنماط الفعلية التي قدمها جون سيرل هي ذاتها الجملة الإنشائية في البلاغة العربية، فبلاغة الجملة العربية يحمل مجموعة من المقاصد في آن واحد وهذا ما لا تتميز به اللغات الأخرى حيث أن الدارس لنظام البلاغة والأفعال المتضمنة في القول سيجد خط اتصال بينهما يحدد من خلاله الشفرة اللغوية والقوة الإنجازية وما يراه سيرل أن اللغة تحتوي على مجموعة ضخمة من الاستعمالات هي درجة الإعجاز البلاغي في العربية، غير أنهم لا يستوعبون استيفاء الخطاب

⁽¹⁾ - جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، تر: صلاح إسماعيل، المركز القومي للترجمة، ط1، 2011م، ص181-182.

⁽²⁾ - جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، تر: صلاح إسماعيل، المركز القومي للترجمة، ط1، 2011م، ص181.

القرآني لجل أنواع الأفعال الكلامية والأنماط الفعلية المتضمنة في القول ويقول سيرل هنا: >>ولكن إذا فعلنا ذلك، فإننا نجد مجموعة متنوعة مذهلة تعطى انطبعا بعدد ضخم من أنماط الأفعال المتضمنة في القول<<(1).

فالغربة اللغوية الاستعمالية الحاصلة في ذهن سيرل هي واضحة وجلية ومتداولة لدى محمد الطاهر بن عاشور ويفسرها بقوله: >> أما الغربة فهي قلة استعمال الكلمة في متعارف أهل اللغة أو تناسيها<<(2)، واندعاش جون سيرل عن عدد الأنماط الفعلية الضخمة التي تحتويها اللغة الاستعمالية ومؤشرات القصد التي تحملها دلالة على قلة استعمال مثل هذه الأنماط بكثرة في لغته، وعدم تداولها مع أهل اللغة التي ينتمي إليها ولهذا يراها غريبة عجيبة، وما يراه الغرب عجيبا في اللغة ويعدونه إبداعا نراه البلاغيين العرب إعجازا ويعدونه علما هذا يعود إلى فضل القرآن في تثبيت بلاغة وقواعد ومقاصد اللغة العربية وحفظها. وعليه فمهما اعتبرت التداولية المعاصرة في الأذهان الغربية على أنها أكثر علم لساني شمولي فإن اللغة العربية تغطي وتصدر صوتا منهجيا وعلميا وفكريا ولغويا بقولها أن البلاغة العربية ومقاصديتها هي أشمل العلوم اللغوية على مر العصور والأزمان والأماكن وعلى جميع الأصعدة اللسانية والفلسفية والعقلية والمنطقية والاجتماعية.

ويواصل محمد الطاهر بن عاشور في موضوع الإسناد الخبري فيقول: >>وقد يخاطب بالخبر من يعلم مدلوله ويخاطب بالإنشاء من حصل منه الفعل المطلوب فيعلم أن المتكلم قصد تنزيل

⁽¹⁾ - ينظر: العقل واللغة والمجتمع، مرجع سابق، ص 181.

⁽²⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: موجز البلاغة، المطبعة التونسية، نهج سوق البلاط - تونس، ط1، 1351هـ - 1932م، ص 07.

الموجود منزلة المعلوم لنكتة قد تتعلق بالمخاطب أما لعدم جري العالم على موجب علمه⁽¹⁾، ويقصد بموجب علمه أي بمقدار علمه ومعرفته وموسوعيته فلا يصح أن يقال خبر أو أن يصنع إنشاء دون تحديد القصد المرسل من المتكلم إلى المتلقي، ولا يمكن للمتلقي فك شفرة الفعل سواء حمل على علمه أو حمل على مطلوب ينتظر منه إنجازه، إلا إذا كان على درجة معتبرة من المعرفة حتى يستطيع المتكلم إرسال الخبر أو صنع الإنشاء ويستطيع المتلقي بدوره فك شفرة الخبر والإنشاء.

كقول عبد بني الحساس:

كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً⁽²⁾*

فالمقصود من هنا التذكير، كقولك للتلميذ يا فتى عند رؤيته بدء يغيب ذهنياً عن الحضور وهو في القسم بغرض التنبيه على الانتباه وتذكيره بأنه في الدرس وأنه حاضر وليس غائباً⁽³⁾. فالتكلم يقصد من كلامه التذكير والمتلقي بدوره فهم المعنى من التذكير وهذا هو أساس البلاغة التداولية.

ب-التقابل في الخبر والإنشاء:

وهو شكل تعبير في الخطابات يصنف في التقابلات الصغرى في النص الخطابي، ويتمثل في تقابل الأسلوب الخبري في أحد أنواعه مع الأسلوب الإنشائي في أحد من أنواعه في جملة واحدة من الكلام⁽⁴⁾ ويرد ذلك بكثرة في القرآن الكريم ومنها:

⁽¹⁾ - اللغة والعقل والمجتمع، مرجع سابق، ص 11.

⁽²⁾ - المرجع نفسه، ص 07.

⁽³⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص 11.

⁽⁴⁾ - ينظر محمد بازي: التأويلية العربية نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات، منشورات ضفاف، بيروت، ط1، 1436هـ-2015م، ص 280.

*تقابل الخبر مع الاستفهام: ويوردها محمد الطاهر بن عاشور في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ سورة يوسف، الآية 25، فقد اجتمع في هذه الآية عدة أساليب بلاغية تتقابل فيما بينها لإتمام معنى محدد وهذه الأساليب هي الأسلوب الخبري (الخبر الابتدائي) مع الأسلوب الإنشائي (السؤال والجواب) بنية الشرط والجزاء، وهو تقابل بين حالة الإخبار ووصف حالة زليخة وسيدنا يوسف عليه السلام، وبين إنشاء يضمن ذنب زليخة وتذنب سيدنا يوسف بفعلها للنفاذ من غضب زوجها، حيث أدخلته السجن بالكذب وأخذ جزاء بالظلم، فألقت السوء الذي في داخلها وانفعالها نتيجة عدم الرضوخ لمطلبها على سيدنا يوسف عليه السلام ظلما وبهتاناً، وقد قابل سوءها بالصبر والتحمل بدل الضعف والخضوع لها. وعليه يفسرها محمد الطاهر بن عاشور على أنه: >> إسراع يوسف ليقطع عليها ما توّسمه فيها من المكر به لثري سيدها أنه أراد بها سوءاً، وإسراعها هي لصد ذلك لتكون البائدة بالحكاية فتقطع على يوسف ما توّسمته فيه من شكاية⁽¹⁾، فالحق بين الإسراع يختلف مقصده بين الطرفين المتحاورين، فالإسراع للتستر عن الأمر وإلقاء الغير في الوجه بالتهمة الباطلة نفاذا بنفسها كان لزليخة والإسراع لفتح الباب بغرض التوقف عن التماذي ونصب الأذى كان لسيدنا يوسف، غير أن البدء بقص القصة يلغي على الآخر حق الدفاع عن نفسه ويثبت عليه التهمة وهذا ما حصل مع سيدنا يوسف عليه السلام، فهذا التقابل بين الخبر والإنشاء زاد من درجة القصد إيضاحاً ومعنى فهو "أسلوب بديع يأخذ الكلام ويحافظ عليه في مساقه المنسوب إليه كما أنه يحافظ

⁽¹⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج 1، (د، ر ط)، 1984م، ص 65.

على غرضه الأصلي في التبليغ⁽¹⁾.

*تقابل الخبر مع الأمر: في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَىٰكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ سورة النساء، الآية 104-105. ، حيث ورد في الآية 104 من السورة القرآنية الخبر الإنكاري في قوله تعالى: ((إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس)) وذلك دليل على الغاية من التنزيل وهو العدل في الحكم ويظهر النهي بصيغة الأمر في قوله تعالى: ((ولا تكن للخائنين خصيماً)) وهو لزومية الاستبعاد عن دناءة التصرف بعد الاهتداء، ويظهر الأمر التقابلي مع الخبر في الآية الأولى هي في قوله تعالى: ((واستغفر الله)) وهو قصده التنبيه والتذكير، فالتقابل الواقع بين الخبر والأمر في مقصد الآية يفسره محمد الطاهر بن عاشور بالكلية والجزئية فالكلية تكون في الغالب وهو أن القرآن الكريم أغلبه جمع على معنى الخبر والأمر التي تحمل أغراض عديدة كالعدل والمساواة والعبادة والطاعة، وأما الجزئية فتكمن في المهم من الأمور الغالبة أو الكليات فقابل تفسير هذه الآية بإخبار المسلمين بقوله تعالى ﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ سورة المائدة، الآية 04، فإكمال الدين هو إكمال الكليات منها الأمر بالاستتباط والقياس.

ويتعدد الأسلوب التقابلي في البلاغة العربية في الخطاب القرآني بين الصور الخبرية والإنشائية الأخرى، وسنفصل في هذا أثناء التحليل المنهجي للإجراء التداولي لهذا النوع من الخطاب اللغوي فيما يأتي من الكلام المخصص له إن شاء الله.

ج- الإخبار عن أحوال الفعل:

⁽¹⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 65.

***بالتقديم والتأخير في الفعل:** تندمج البلاغة مع علم النحو في حيز الخبر والإنشاء في محور التقديم والتأخير وقد التزم محمد الطاهر بن عاشور⁽¹⁾ بالوظائف النحوية والأسس البلاغية في تفسير القرآن وحل المعنى وتحريره بثلاث طرائق أساسية وهي: إما بالاختصار على الظاهر والتركيز على المعنى الأصلي وبيانها، وإما باستنباط معان جديدة تتحكم فيها دلالة اللفظ أو المقام ولا يعارضها الاستعمال ولا مقاصد القرآن، وإما عن طريق مستتبعات التركيب كالتأكيد والإنكار والتناسب والزيادة أو التوسع وهذه من أغراض التقديم والتأخير الذي يمكن من خلاله تفسير المعنى من خلال التوفيق بينه وبين مقصد القرآن⁽²⁾، وحاول تحديد قواعد الاستعمال لوظيفة التقديم والتأخير، ولهذا على محلل الخطاب التفسيري أن يتقيد بضروب التقديم والتأخير وأن يعلم مواضعه وأسراره، ويميز بين أهمية الموضع البلاغي كذلك إما من ناحية الاختصاص في حالة التقديم وإما من ناحية الإفادة أو الاحتراز من اختلال المعنى في حالة التأخير⁽³⁾، والأكثر أهمية من ذلك أن يعرف المتلقي ضروب التقديم وتفرعاته وضروب التأخير وأوجهه، وعليه نجد من ضروب التقديم ما يلي:

- تقديم المفعول على الفعل

- تقديم المبتدأ على الخبر

- تقديم الظرف أو الحال أو الاستثناء على العامل⁽⁴⁾.

وعليه يقول السكاكي في أغراض التقديم: >«وإما لأن كونه متصفا بالخبر يكون هو

⁽¹⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص42.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص 42.

⁽³⁾ - ينظر ضياء الدين نصر بن الأثير الجزري: الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، تح: مصطفى جواد وجميل سعيد، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ط1، 1375هـ-1956م، ص109.

⁽⁴⁾ - المرجع نفسه، ص109.

المطلوب لا نفس الخبر؛ كما إذا قيل لك: كيف الزاهد؟ فنقول: الزهد يشرب ويضطرب. وإما لأنه يفيد زيادة تخصيص⁽¹⁾، ويقول عبد القاهر الجرجاني: >> وقد يقدم المسند إليه ليفيد تخصيصه بالخبر الفعلي⁽²⁾، ومن الأغراض الأخرى نجد إما أن يكون في المبتدأ تشويقاً وإما يتضمن تعجيلاً لمسرة أو مساءة أو لإيهام أنه لا يزول عن خاطر وكثير الذكر والوجود⁽³⁾.

أما ضروب التأخير ما يلي:

- أن يكون يفعل لفعل موجود

- التعلق الزمني للاسم بالفعل الماضي لعلاقة التشابه بينهما

- في حالتي الإقرار أو الإنكار يكون المتأخر هو الفاعل⁽⁴⁾

د - بالتقدير والتعيين في الفعل:

جاء في قوله تعالى: ﴿قالوا ءانت فعلت هذا بالهتنا يا إبراهيم، قال بل فعله كبيرهم هذا

فسئلوهم إن كانوا ينطقون﴾ سورة الأنبياء، الآية 62-63.

وقع التعيين في هذه الجملة بوضع تقديري حيث قدر الفعل بدلالة الاقتضاء حيث يقول محمد

الطاهر بن عاشور: >> وقع هنا حذف جملة تقتضيها دلالة الاقتضاء. والتقدير: فأتوا به فقالوا أنت

⁽¹⁾ - عبد المتعال الصعيدي: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، الناشر مكتبة الآداب، ج1، ط1، 1420هـ-1999م، ص90.

⁽²⁾ - المرجع نفسه، ص90-91.

⁽³⁾ - المرجع نفسه، ص90.

⁽⁴⁾ - ينظر ضياء الدين نصر بن الأثير الجزري: الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، تح: مصطفى جواد وجميل سعيد، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ط1، 1375هـ-1956م، ص117.

فعلت هذا بالهتتا⁽¹⁾، فتناسب الإتيان للخبر المنقول هو تعيين للقصد من النقل في حد ذاته ولولا هذا التناسب ل بقي الاستفهام والاتهام موجها لسيدنا إبراهيم، غير أن استدلال سيدنا إبراهيم وثباته جعلت من رده أكثر تعيينا وتوجيها لمن قام بالفعل في قوله: >>((بل فعله كبيرهم))، فعلمت(بل) الإبطال لأن يكون هو الفاعل لذلك ونفى عن نفسه لأن يكون فعل ذلك، لأن(بل) تقتضي نفي ما دل على كلامهم من استفهامه⁽²⁾، ولم يبق إبراهيم على نفي الفعل عن نفسه بل وجه المتلقي نحو الفاعل الحقيقي وفي ذلك غرض منه إلى التدرج إلى الوجدانية وتقديم دليل الإبطال مقابل الإثبات واليقين فأدخل في نفوس قومه التشكيك والظنية بقوله "فعله كبيرهم هذا فالخبر استعمل في معنى التشكيك...وفي تجويز هذا الذي حطمهم إخطار دليل انتفاء تعدد الآلهة لأنه أوههم أن كبيرهم غضب من مشاركة تلك الأصنام له في العبودية، وذلك تدرج إلى دليل؛ الوجدانية⁽³⁾ وهذا ذكاء وكفاءة تخاطبية حيث يعترض من القول مصلحة ليقوي حجته ويتملك عقل المتلقي حتى يقتنع ويستترسل معه دون اعتراض أو تفنيد وذلك لأن المقام الذي حوّل المتلقي إليه مقام تشكيك فهو ملزم بالاستماع والتأمل لاستبعاد الشك وامتلاك الدليل>>فإبراهيم في إنكاره أن يكون هو الفاعل أراد إلزامهم الحجة على انتفاء ألوهية الصنم العظيم، وانتفاء ألوهية الأصنام المحطمة بطريق الأولى على نية أن يكر على ذلك كله بالإبطال ويوقنهم بأنه الذي حطم الأصنام ولو كانت آلهة لدافعت عن أنفسها ولو كان كبيرهم كبير الآلهة لدافع عن حاشيته وحلفائه⁽⁴⁾، فعمل سيدنا

⁽¹⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، (د، ر ط)، 1984م، ج 17، ص 100.

⁽²⁾ - المرجع نفسه، ص 100.

⁽³⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص 100-101.

⁽⁴⁾ - المرجع نفسه، ص 101.

إبراهيم على إثبات الحجة والزامها بتيقن المتلقي وفي ذلك قال (فأسألهم إن كانوا ينطقون)) باستعمال أسلوب التهكم والتعريض بأن ما لا ينطق ولا يعرب عن نفسه غير أهل للإلهية⁽¹⁾، وبذلك أثبت وحدانية الله تعالى وأن هذه الآلهة المصنوعة ماهي إلا حجارة لا تنفع ولا تغني من جوع.

هـ - بالحذف والذكر في الفعل: يعتبر الذكر والحذف فن من الفنون البلاغية تتدرج ضمن حسن التأليف والتعيين، ويبقى المتلقي المفسر الذي يريد بتحرير المعنى وفك التعقيد اللفظي واستبيان مكامن القصد وإيضاحه ملزماً بمراعاة مواضع الحذف والذكر في تفسير التعبير القرآني، والتعبير القرآني تعبير فني مقصود، كل كلمة، بل كل حرف إنما وضع لقصد، وأن القرآن يحذف من الكلمة لغرض أو دلالة يقتضيها السياق أو المقام المناسب، فقد يحذف من الفعل حرف مثل: استطاعوا واسطاعوا للدلالة على أن الحدث قصير من الناحية الزمنية أو أنه أقل في درجة الإخبار مما لم يحذف منه، وقد يحذف منه في مقام الإيجاز والاختصار بخلاف مقام الإطالة والتفصيل، مثل في لم يكن ولم يك فالواقع في الحدث هو الاقتطاع وهذا يعود إلى الإيجاز في الذكر عكس الفعل الكامل الغير مقتطع منه الذي يدل على مقام التفصيل، وهكذا⁽²⁾، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوِيَهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ سورة النساء، الآية 96، وقوله تعالى كذلك: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا أَلْسَلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلِ إِنَّ اللَّهَ

⁽¹⁾ - التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 101.

⁽²⁾ - ينظر فاضل صالح السامرائي: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، العاتك للطباعة والنشر، القاهرة، ط2، 1427هـ-2006م، ص 09.

عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ سورة النحل، الآية 28. ، فأخذت كلمة (توفاهم) المحذوفة التاء في ظاهرها معنى القبض والموت نتيجة فتنهم وظلمهم أنفسهم وحذف التاء دلالة على التخفيف وإمكانية الاعتاض والرجوع عن الظلم والفتنة لأنها جاء بعدها المقام في سياق الضعف والذل ولكن ميز الله تعالى من بينهم الذين يمكرون ثم يدعون الاستضعاف فأولئك لهم عذاب من ربهم أما المستضعفين حقاً والذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون يمكن أن يغفر الله لهم والحذف دلالة على القبض والموت والعذاب الأليم لهؤلاء الناس الذين يظلمون أنفسهم بأفعالهم⁽¹⁾، بينما أخذت كلمة (تتوفاهم) في سورة النحل المذكورة التاء معنى التخصيص والتأكيد على الجزاء والعقاب في الآخرة فيقول محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره أن الأصل في الحذف هو في الإحالة إلى التقدير فجملة (الذين تتوفاهم الملائكة) خبر لمبتدأ محذوف تقديره هم ويشير إلى الكفار والأصل في الذكر هو التصريح بحقيقة الموت وأن هذا التوفي محكي في حال حصوله وهم يوم القيامة مضت وفاتهم ولا فائدة في ذلك يومئذ، وأن القرينة الظاهرة في قوله ظالمي أنفسهم دلالة على التخصيص أن المقصود منهم هم الكافرون ومعلوم مصيرهم يوم القيامة وصيغة المضارع دلالة على حقيقة المصير المؤجل ليوم القيامة⁽²⁾. وعليه فوقع الحذف في كلمة دون أخرى في نفس الكلمة دلالة على الكثرة في الحدث أو قلته فإذا كان الحدث كثير الوقوع يثبت الحرف في الكلمة ولا حذف دلالة على ثقل ذلك الحدث دون مراجعة مثل في قوله (تتوفاهم) وتعود على الكفار والمشركين والمعاندين فكثرة الحدث يتبعه كثرة حصول التابع والمتبوع من الكلام، وأما إذا كان الحدث قليل الوقوع يحذف الحرف في الكلمة

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج5، (د، ر ط)، 1984م، ص173.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ج14، ص138.

الباب الثاني: الفصل الثاني: من تداولية التحرير والتنوير إلى تداولية التثوير والتقويل في بلاغة محمد الطاهر بن

عاشور - رؤية تداولية -.

لإشارة على الضعف والخفة مثل في (توفاهم) يوجد الحذف بالتخفيف ودلالة على القلة والتبعيض

من هذه الفئة وخصهم بالمستضعفين حقا في الأرض من الكافرين⁽¹⁾.

⁽¹⁾ -ينظر فاضل صالح السامرائي: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، العاتك للطباعة والنشر، القاهرة، ط2،

1427هـ-2006م، ص11.

المبحث الثاني: تداولية تحرير المعنى وتضييق الاستعمال في تفسير سورة البقرة

لمحمد الطاهر بن عاشور-آيات مختارات-

تمهيد: من خطاب الوصف إلى خطاب التفسير -في أسباب تسمية ونزول سورة

البقرة ومضمون خطابها-

يتحدث محمد الطاهر بن عاشور في كتابه عن أسباب تسمية سورة البقرة وأسباب نزولها ويضبط مضمون خطابها قبل الدخول إلى عالم التفسير، وهذا يعد كفاية من كفايات المفسر التداولي حيث يقوم من خلالها بضبط الظروف الداخلية والخارجية المسببة لظهور هذه السورة، ويحدد مسارها السياقي والنسقي أثناء عملية التلقي حتى يستطيع المتلقي المفسر مطابقة القصد في الموضع اللساني والتواصل المحدد وتحقيق الاسترسال اللغوي والذهني في إدراك المعنى بإظهاره أو شرحه أو تفصيله حسب السياق المطلوب، وحتى لا يخرج المتلقي المفسر عن مضمون الخطاب، فتحدد الأطر الزمنية والمكانية والأغراض المعنوية واللفظية والظروف الداخلية والخارجية المأثرة على المعنى والنطق والتلقي يعد شيئا أساسيا في الحقل البلاغي التداولي، وهو ما يسمى اليوم في التداولية المعاصرة بالدرجات التداولية وهذه الدرجات هي مجموعة من القياسات اللغوية الإدراكية التي يستدل بها عن المعنى في حيز مضبوط من المعنى الذي يقابل الاستعمال اللغوي. ويقول محمد الطاهر بن عاشور في هذا الموضع: >>وجه تسميتها أنها ذكرت فيها قصة البقرة التي أمر الله بني إسرائيل بذبحها لتكون آية ووصف سوء فهمهم لذلك، وهي ما انفردت به هذه السورة

بذكره⁽¹⁾، كما أن محمد الطاهر بن عاشور يرجح سبب تسميتها في نظره تمييزاً لها عن بقية السور الأخرى التي تبتدئ بالحروف المقطعة لأنه يحتمل أنهم كانوا يجعلون من تلك الحروف المقطعة أسماء للسور الواقعة هي فيها وعرفوها بها نحو: طه، ويس، وص، وفي الاتفاق عن المستدرك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ((إنها سنام القرآن))، وهذا لمرتبتها العالية ودرجتها البليغة عند الله تعالى وهذا وصف تشريف، وسميت كذلك على لسان خالد بن معدان أنها فسطاط القرآن والفسطاط ما يحيط بالمكان لإحاطتها بأحكام كثيرة. وهذا الحيز المكاني في تحديد سبب التسمية تعاقبه حيز زمني في زمن تسميتها بين قول النبي صلى الله عليه وسلم وخالد بن معدان⁽²⁾.

ويستمر القول إلى تحديد أسباب نزولها من خلال تحديد إطارها الزمني والمكاني ومضمون خطابها من التنزيل في الجدول التالي:

إطار نزولها		أسباب نزولها	مضمون خطابها من التنزيل
الزمني	المكاني	سبب نزولها فرض الصيام، ففيها فرض صوم عاشوراء ثم فرض صيام رمضان.	الغرض الأول: ثبات هذا الدين وعلو هديه عما سبقه
السنة الأولى من الهجرة في أواخرها أو في الثانية.	المدينة فهي سورة مدنية		الغرض الثاني: تبين شرائع هذا الدين لأتباعه وإصلاح مجتمعهم ⁽³⁾ .

⁽¹⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص201.

⁽²⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص201.

⁽³⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص201-203.

ويختلف عدد آياتها بين أهل العدد وجمع اللغة وهذا يعود إلى اختلاف ظروف التلقي وزمن التلقي ومكانه، وعليه يقول محمد الطاهر بن عاشور أن >>عدد آياتها مائتين وخمس وثمانون آية عند أهل المدينة ومكة والشام، وست وثمانون عند أهل الكوفة، وسبع وثمانون عند أهل البصرة<<⁽¹⁾. ولعل الناظر إلى اللغة واستعمالاتها ومعانيها التي تحتلها سيضع على عاتق محلل الخطاب اللغوي للقرآن ومفسره مدى تطبيقه لقوانين الخطاب وأولها مراعاة سبب التسمية للسورة وأسباب نزولها ومحتوى خطابها⁽²⁾، وتعتبر هذه الأساسيات قبل أي عملية تحليل أو تفسير أو توضيح ضرورية جدا لكونها العتبة المهمة لفهم مضمون الخطاب العام بشكله الكامل قبل الدخول إلى جزئياته وحتى يضمن المتلقي المفسر قناة تعبيرية منسجمة ومتسقة ومناسبة يسترسل من خلالها المعنى في ذهنه ويتطابق مع علة مبحوثه، ومنها يضمن التواصل والفهم السليم لمواضع التعبير اللغوي القرآني ولو تنوعت الأساليب والأغراض البلاغية فيه فمحور السياق ومضمون الخطاب العام هو الحلقة الثابتة التي ترجع كل متلقي مفسر إلى مضمون النص عند الخروج إلى الهامش دون وعي أو قصد وحتى لا يضعف فهمه ولا يتعثر تلقيه يجب أن يهتم بما ينص عليه النص الأصلي.

ففي مضمون الخطاب القرآني لسورة البقرة وفكر محمد الطاهر بن عاشور ينتقل محمد الطاهر بن عاشور من تحديد الأغراض التي تشكل المعنى الكلي للسورة إلى الأغراض التي تربط المعنى

⁽¹⁾ - التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 202.

⁽²⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج 1، (د، ر ط)، 1984م، ص 201.

الكلي بالمعنى الجزئي وتوجهه نحو القصد التداولي للفعل الكلامي الملفوظ والمستعمل⁽¹⁾، ويشترط بين الانتقال والتوجيه شرط التقييد والتضييق فلا يمكن تحرير المعنى في القرآن دون ضبط منهجي أو أسلوب بلاغي نصي يجعل من الكلام المفسر دليل وحجة، وإلا فإنه سيعتبر التحرير بدون شرط التضييق زيادة ونقصان أو تحريفا ولحنا وهذا محظور في القرآن الكريم لعظمته وثباته وإعجازيته، وعليه فقد تناول محمد الطاهر بن عاشور تحرير المعنى من باب التقرير أو الإخبار أو التفسير بالشرح والإيضاح والتبيين بغية التفسير والتفصيل، فهذه قيود التحرير المعنى وأن التضييق الواقع في الاستعمال ما هو إلا قصد بلاغي فما يقابل التضييق في البلاغة العربية هو التقييد حيث يقول محمد الطاهر بن عاشور عن أسباب تحرير المعنى وتضييق الاستعمال: «ثم أصبح تفسير القرآن تسجيلا يقيد به فهم القرآن، ويضيق به معناه الذي كان السلف يقولون فيه» ((إنه لا تتقضي عجائبه ولا تنفذ معانيه))⁽²⁾، مطابقة وتأكيدا لقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ سورة الكهف، الآية 104، ففي شمول المعنى وتضييق الاستعمال لهذا المعنى نجد أسباب جرّت إلى هذا التضييق منها:

السبب الأول: الولع بالتوقيف والنقل

يصور محمد الطاهر بن عاشور ظاهرة الغلط والحن التي استعملها المفسرون أثناء تفسير القرآن وهو أمر عظيم وحدّ حد للعامة من الخوض في التفسير واقتصاره على الخاصة فقط وذلك تقاديا للتفسير الخاطي والاستشهاد الضعيف والذي يكون غالبا في غير موضعه حيث يقول محمد الطاهر

⁽¹⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 201-202.

⁽²⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: أليس الصبح بقريب التعليم العربي الإسلامي دراسة تاريخية وآراء اصلاحية، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1427هـ-2006م، ص 161.

بن عاشور: "أن منع النقل عن العامة لكونهم غير مأهلين لذلك أثر على الخاصة حيث توهمها الخاصة أصلاً... لأنهم توهموا أن ما خالف النقل عن السابقين إخراج للقرآن عما أراد الله منه"⁽¹⁾ وهذا التوهم والتأثير دلالة على الاحتراز عن الخطأ في التفسير ومخافة من العدول عن المعنى الأصلي الذي يغير كلام الله تعالى فيقع المفسر المختص رغم تأهله في المحذور، وقد كان أهل الاختصاص يضيقون الاستعمال على العامة في التفسير لعدم تأهلهم ولم يكونوا يقصدون بذلك الخاصة من المفسرين المأهلين للتفسير غير أن الخوف أصاب قلب الخاصة قبل العامة وهذا دليل على المسؤولية وفنية العمل وصدقه في نفوسهم.

السبب الثاني: الضعف في اللغة والبلاغة

إن القدرة التفسيرية باستعمال اللغة والبلاغة معا لا يتوفر لدى العامة بل مخصص لبعض المبرزين في هذا العلم أمثال الزجاج والزمخشري وابن عطية وأبي علي الفارسي⁽²⁾، والمتخصص في التلقي والتفسير هو من كان مليئاً بالعلوم وفتياً بها ولا يكتفي أن يكون بارعاً في اللغة دون البلاغة والعكس، فيقول الزمخشري: "إن أملاً العلوم بما يغمر القرائح، وأنهضها بما يبهر الألباب القوارح، من غرائب نكت يلطف مسلكها ومستودعات أسرار يدق مسلكها علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم"⁽³⁾، فركز نقل محمد الطاهر بن عاشور من كلام الزمخشري على أهمية العلوم في ذهن ونفس المتلقي والمفسر للعلم، وأن غرائب الكلام واستعمالاتها له مستودع خاص في الفكر والعلم معا ويظهر ذلك في علم التفسير الذي يتطلب رصيد لغوي كبير وواسع في

⁽¹⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: أليس الصبح بقريب التعليم العربي الإسلامي دراسة تاريخية وآراء اصلاحية، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1427هـ-2006م، ص161-162.

⁽²⁾ - المرجع نفسه، ص163.

⁽³⁾ - المرجع نفسه، ص163-164.

تفسير القصد والمعنى وقدرة لغوية وبلاغية في تقييد الاستعمال وجعله خاصا بالعلم المستعمل والمفسر فقط، حتى لا يتوسع المعنى ويضطرب الاستعمال ويفقد المتلقي المفسر السيطرة على توجيه المعاني وتحديد المقاصد والأغراض بشكل سليم.

فالتعامل مع الخطاب القرآني يختلف تماما عن التعامل مع الخطاب اللغوي العام هذا من جهة ومن جهة أخرى أن تحرير المعنى وتقييده في الاستعمال له مناحي وظيفية وبلاغية ودلالية وتركيبية خاصة يجب العلم بها وإتقانها قبل دخول علم التفسير حيث يحذر السكاكي من الجهل بالعلوم الأساسية في التفسير: >> ما ينبه على أن الواقف على تمام مراد الحكيم - تعالى وتقدس - من كلامه مفتقر إلى هذين العلمين (المعاني والبيان) أشد افتقار، فالويل كل الويل لمن تعاطى التفسير وهو فيهما راجل <<(1). وهذا التحذير أو التنبيه هو قصد احترام قدسية القرآن وعظمة كلام الله تعالى والحفاظ عليه ولا يتم ذلك إلا بفرض التقييد أثناء تحرير المعنى وتفسيره، وهو إشارة إلى لزومية العلم بالبلاغة والنحو واللغة وقواعدها ومحاور استعمالها ووضعها قبل الشروع في تفسير أو حل معنى لأي سورة أو آية من الخطاب القرآني.

وجل هذه القيود والشروط التي تبينها محمد الطاهر بن عاشور ومن سبقوه من علماء البلاغة واللغة والتفاسير تعد إجراءات تحليلية للمتلقي التداولي.

سيتناول هذا المبحث التحليلي أهم الركائز التداولية في البلاغة العربية على حسب ما فسر به محمد الطاهر بن عاشور في سورة البقرة وعلى حسب ما ألزم به العلم المعاصر الباحث والمستنبط للقواعد اللغوية والتداولية. فما هي الأفعال الكلامية المقصودة في الإجراء التحليلي؟ وما علاقتها

(1) - أليس الصبح بقريب، مرجع سابق، ص 164.

بالأغراض البلاغية التداولية والقواعد النحوية والدلالية؟

المطلب الأول: التقريريات

وهو من الأفعال التقريرية (assertives): فكل تقرير تعبير عن الاعتقاد ويتحدد التقرير وفق تساؤل مطروح وهو إلى أي حد يمكن أن يكون المنطوق صادقا أو كاذبا بصورة حرفية، ولكل فعل تقرير ي توفر على الغرض الإنجازي وشرط المطابقة وشرط الإخلاص⁽¹⁾، وهو يقابل الخبر في البلاغة العربية وهو كل قول حمل معنى الخبر وتضمن صدق القضية أو كذبها صنف ضمن تقرير المعنى والذي يعنى بـ: «إثبات المعنى النصي بشكل حيادي تام، دون إضافة أبعاد جديدة أو توسع أو تفصيل»⁽²⁾ وتسمى بالإخباريات كذلك في التداولية المعاصرة، كما يتطابق مع وجهة نظر محمد الطاهر بن عاشور فيما سبق تقديمه من قبل في البحث وكذلك في محور الاعتقاد.

ففي قوله تعالى: ﴿الْم﴾ سورة البقرة، الآية 01

يقول محمد الطاهر بن عاشور في تفسير معنى الآية الكريمة: «تحير المفسرون في محل هاته الحروف الواقعة في أول هاته السور»⁽³⁾، ففعل الحيرة والاندھاش هو فعل مقصود من الله تعالى في سبك هذه الحروف مع بعضها البعض، حيث يجدها المتلقي أو السامع بأنها حروف لا تحمل معنى في ظاهرها لكن في عمقها لها معنى يقيد بها حد الاستعمال، فالاستعمال المتداول هو

⁽¹⁾ - جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، تر: صلاح إسماعيل، المركز القومي للترجمة، ط1، 2011م، ص183.

⁽²⁾ - محمد بازي: التأويلية العربية نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات، منشورات ضفاف، بيروت، ط1، 1436هـ-2015م، ص388.

⁽³⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص206.

أن الحروف هذه هي المؤلفة للتركيب الكلامي ولا تسمى الكلمة كلمة إلا إذا كانت لها قصد لفظي ومعنوي معاً، ولا يمكن أن تنفرد اللفظة عن معناها، لكن الحد الاستعمالي للإعجاز القرآني حافظ على اللفظ والمعنى للملفوظ بشكل مغاير عما اعتاده العرب من كلامهم، وهذا له مغزى واضح وهو تحدي الله تعالى للمعاندين بالقرآن الكريم وقوة نظمه وسبكه وبلاغته إلى درجة الإعجاز وتعقيد اللفظ عليهم حتى لا يحرفون الكلام في غير معناه، "وَأَخْلَقَ بِهَا لَتُكُونَ مِثَارَ حَبِيرَةٍ وَمَصْدَرُ أَقْوَالٍ مُتَعَدَّةٍ وَأَبْحَاثُ كَثِيرَةٍ، وَجَلَّ مَا كَانَ مِنَ الْهَجَاءِ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ هِيَ نَفْسُهَا الْحُرُوفُ الْمُتَدَاوِلَةُ وَالْمُسْتَعْمَلَةُ فِي الْكَلَامِ الْيَوْمِيِّ الْعَادِيِّ"⁽¹⁾، وما ميزها أكثر "أنها رسمت في المصاحف بصور الحروف التي يتهجى القارئ بها في الكلام بمقام المنطوق وليس بدَوَالٍ ما يقرءونها به في القرآن لأن المقصود من التهجى بها هو التعلم وحروف التهجى تكتب بصورها لا بأسمائها"⁽²⁾، وعليه فقد استعملت هذه الحروف الهجائية المتداولة على المسامع والأذنان كمغلاق أو مفتاح خصه الله تعالى لتعجيزهم وإقامة حد لهم وكفهم عن التحريف واللحن. ويندرج تحت كل فعل لغوي ثلاثة أنماط تقريرية وهي:

أ- **فعل الإنجاز:** هو فعل الثبات واليقين في الإقرار والتعظيم والإعجاز وقوة التحدي لعقول المستهترين بدين الله تعالى وخطابه، فيقول محمد الطاهر بن عاشور بأنه هذه الحروف هي شعب الإيمان، ولا يكمل لأحد أسرار الإيمان حتى يعلم حقائق هذه الحروف في سورها. وكيف يزعم زاعم أنها واردة في معان غير معروفة مع ثبوت السامعين لها بالتسليم من مؤمن ومعاند⁽³⁾، وعليه

⁽¹⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 206.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص 206-208.

⁽³⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج 1، (د، ر ط)، 1984م، ص 210.

نرى أن من إقرار فعل الإنجاز في هذه الآية هو التمييز بين فعل المؤمنين وفعل المعاندين، وأن الله سبحانه وتعالى قد وجه معان متساوية الإدراك والاستعمال وفي ذلك غايات وأغراض، وقد أستعمل أسلوب التقرير لإخبار السامعين جميعاً أن قوة التوجيه إعجاز في حد ذاتها وأن اللفظ المستعمل في صور المعاني الإنجازية سر بلاغي لا يفقهه إلا متمكن في اللغة والعقيدة معاً. واستفهامه في قوله: كيف يمكن أن يزعم زاعم أنها واردة في معان غير معروفة وهي ثابتة معروفة في مسامع المتلقي، إقرار بأن الله تعالى قد جاء بالخبر اليقين على مسامع المتلقين باللفظ المألوف عليهم ومن نفس حروف خطابهم اليومي وبنفس نسق نطقهم وتركيب لسانهم الحرفي والضماني حجة عليهم ولهم، ورغم هذا كله يبقى السر في أسلوب التوظيف للإقرار عن المعنى بعد تداولية اللفظ المنطوق لسر إعجازي بلاغي أقره الله على الناس أجمعين لتحديدهم والاتخاذ من قوة اللفظ معنى مضمر بعيداً عن المعاني التي تداولوها وتناطقوها في استعمالاتهم اللسانية التخاطبية.

ب- فعل التأثير:

وهو الفعل الذي أحدث أثراً في عقل ونفس المتلقي وهو فعل (الحيرة والاندھاش) والفعل الذي أحدث أثراً في لغة وبلاغة المتلقي وهو فعل (التعجيز والتبكيث) وانعكاس هذا التأثير اللغوي البلاغي له بعد عقلي إدراكي، وهذا هو مبحث التداولية، فيفسر ذلك محمد الطاهر بن عاشور بأن كل سورة مقصودة بالإعجاز لأن الله تعالى يقول ((فأتوا بسورة من مثله))، فناسب افتتاح ما به الإعجاز بالتمهيد لمحاولته ويؤيد هذا القول أن التهجي ظاهر في هذا المقصد⁽¹⁾، ويرتبط فعل التأثير الذي تضمنته هذه الآية بالمدلول والمطلوب نظراً لاحتوائها على معاني الوصف والحال وتعتبر

⁽¹⁾ - ينظر التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 212-213.

هذه المعاني علل من علل الوجود. كما أن معياري المناسبة والقصد الإعجازي في التقرير له أغراض تفسيرية تقوم على الإبانة والشرح والتفصيل.

ج- الغرض الإنجازي: أغراض التقرير كثيرة منها ما كان للتنبيه ومنها ما كان للتذكير ومنها ما كان للإخبار ومنها ما كان للاختبار والاختيار غير أن هذه الآلية في رمزياتها قد دمجت مجموع الأغراض في آن واحد، وقد فسرهما محمد الطاهر بن عاشور في نقله لكلام القاضي أبو بكر بن العربي بقوله: > لولا أن العرب كانوا يعرفون لها مدلولاً متداولاً بينهم لكانوا أول من أنكر ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم بل تلا عليهم (حم فصلت وص) وغيرهما لم ينكروا ذلك مع تشوفهم إلى عثرة وحرصهم على زلة⁽¹⁾، وهذا يعود إلى درجة تعجزهم وحتى ولو افترضوا أن يجدوا من ذلك زلة أو لحنا فلن يجدوا لأن الله تعالى يعرف ما يؤولون له وما يريدونه فرمز الله تعالى عليهم اللفظ الظاهر وأضمر المعنى معنى آخر بعيد كلياً عن ملامسة مداركهم المعتادة وبلاغتهم المتداولة بينهم آنذاك، وهذا الارتقاء في اللفظ والمعنى هو ارتقاء في التفكير وتصعيد لمضمرات القول بغرض إثبات قوة الله تعالى وقدرته وسيطرته وربوبيته ووحدانيته في كونه، ولعل الإتيان بألفاظ معتادة على مسامعهم غير أن المدلول التداولي غيب عن عقولهم ومداركهم فوققوا حيرة واندعاشاً حول الأمر وحقيقته متسائلين كيف يمكن أن يغمض المعنى في مجموعة حروف هجائية عادية رُصِفَ بعضها جوار بعض ليس لها معنى في ذاتها؟ لكن هي أثقل في المعنى البعيد حسب تناسب المقام الذي قيلت فيه، وهذا ما زاد من درجة تبكيثهم وإعجازهم والله تعالى اختار أسلوب التقرير بالتهجي مغلاقاً لكلامه حتى يعجزهم عن التحريف والتبديل والتغيير لقول الله تعالى

⁽¹⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص210.

وأوضح لهم أن البيان والبلاغة حكمة من الله يؤتيها لمن يشاء وينزعها عن من يشاء وليس قدرة شخصية كما كانوا يعتقدون وإنما هي ربانية.

فاختبار الله تعالى لقدرتهم المختلفة من أنفسهم أمام أنفسهم كبت في حد ذاته وردا قاسيا وتنبيهها لتماديهم وتذكيرهم بقدرة الله تعالى وحده، وإخبارهم أنهم مازالوا في مرحلة التعلم وعدم التمكن ولابد من البحث والتأمل والتدبر، فسيقّت هذه الحروف المفاتيح "مساق التهجي بنمط سردي قصد التوعية وإيقاظ نظر المعاندين للكتاب المتلو عليهم- القرآن الكريم- وقد تُحدوا بالإتيان بسورة مثله هو كلام مؤلف من نفس حروف كلامهم... وإنهم عوملوا معاملة المتعلم لأن حالهم كحاله في العجز بالإتيان بكلام بليغ"⁽¹⁾. وهذا كله أغراض إنجازية في نفس المتلقي خصصت بحد التوقيف عن الادعاء والتحريف والتكذيب لكلام الله تعالى.

المطلب الثاني: الطلبات

وهو من الأفعال الغرضية يدخل تحتها ثلاثة أصناف منها:

أولا: الأموريات ومقيداته البلاغية في الاستعمال

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ

وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ سورة البقرة، الآية 13.

-فعل التلفظ:

تحدد فعل الأمر في هذه الآية في كلمة (ءامنوا) وهذا الأمر وجهه الله تعالى إلى المشركين بغية اهتدائهم وخروجهم من الضلال مثل الناس الذين التزموا بالإيمان والنصح. فقيد اللفظ أثناء

⁽¹⁾ - ينظر: محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص212-213.

الاستعمال بالعطف على الاستدراك بغرض التمييز بين المؤمنين والسفهاء وتحدت في كلمة (لا يعلمون) الدالة على غياب الفهم وحضور الحيلة لدى المشركين، لأنهم لو كانوا على علم لكانوا مؤمنين حقا ولا يتمثلون بالإيمان.

-**شرط الإخلاص:** الرغبة الحاصلة في فعل التوجيه قابلهما السامع (المنافق) بالرفض والعتو ويظهر ذلك في قوله تعالى (أنؤمن كما ءامن السفهاء)

-**الغرض الإنجازي:** اشتمل الغرض الإنجازي في حث المنافقين على الإقلاع عن النفاق والاختلاق والخلط والحيل والابتكار.

-**شرط المطابقة:** توفر اتجاه المطابقة من العالم إلى القول وحمل عصيان وعدم طاعة كما أنهم استنكروا لفعل الأمر وحطوه في كفة السفه وهذا أمر عظيم عند الله عز وجل.

-**فعل التأثير:**

ترجم فعل الأمر حدود فكر المنافقين وسوء نيتهم اتجاه المؤمنين الخالصين للطاعة والمهتدين بأمر الله تعالى، وأن كلمة الناس على قوله كما ءامن الناس الواقعة بالتشبيه المفيدة لمعنى التعليل توافق مقام الإغراء والتسلية في الاستعمال عند العرب وقد وظفها القرآن الكريم في إغراء المنافقين ومحاولة تحسيسهم بحسن الإيمان والطاعة غير أنهم اختاروا البقاء على عصيانهم، وقد كان جوابهم (قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء) دليلا على التبرؤ من الإيمان ووضع الناس موضع السفهاء⁽¹⁾.

﴿فَقَالَ أَنْبِؤْنِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ سورة البقرة، الآية 30.

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، مج 1، (د، ر ط)، 1958، ص 286.

-فعل التلفظ:

تمثل فعل التلفظ في كلمة (أنبؤني) في موضع رد شك الملائكة في الله تعالى وإثبات قدرة الله ومقدار علمه وقيد الاستعمال في هذا اللفظ بالشرط دلالة على توجيه الكلام لمن يعقل ويفهم كلام الله تعالى وحمل على اختبار الصدق ودليله كلمة (إن كنتم صادقين) أنبؤني بشرط الصدق الذي في عقولكم وأنفسكم وحسن ظنكم بالله تعالى وهذا الفعل شمل على:

-شرط الإخلاص: وتمثلت الرغبة الحاصلة هو حرص السامعون على اكتساب الخبر وصحته وتصديقه ويظهر ذلك في موافقتهم لأمر الله تعالى وأن الله تعالى هو أعلم بالأمور ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ سورة البقرة، الآية 31.

-الغرض الإنجازي: استعمال صيغة الأمر في مقام التعجيز بالمجاز فالمعنى المجازي يستلزم علم الأمر بعجز الأمور وذلك يستلزم علم الأمر بالأمور به.

-شرط المطابقة: شمل معنى الإنباء معنى الإخبار بالنبأ وهو الخبر ذو الفائدة العظيمة والأهمية القصوى.

-فعل التأثير:

تضمن الإنباء معنى الإعلام لأن المخبر به يعد مما يعلم ويعتقد بوجه أخص من اعتقاد مطلق الخبر فهو أخص من الخبر⁽¹⁾.

﴿أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ سورة البقرة، الآية 20.

-فعل التلفظ:

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، مج1، (د، ر ط)، 1958م، ص412.

تمثل فعل التلفظ في كلمة (اعبدوا) التي تحمل أمر عال إلى المستمع المشروط عليه بالتنفيذ والتقيد به وقيد الفعل بالاسم الموصول العائد على الله تعالى تقاديا للتكرار وتشخيصا أكثر بالإحالة البعدية بغرض العطف على سبب تنفيذ أمر العبادة، ويشتمل فعل التلفظ على:

شرط الإخلاص: شرط التصديق والإيمان والتوحيد، فالمخاطب بالأمر بالعبادة هم المشركون من العرب والدهريون منهم وأهل الكتاب والمؤمنون كل بما عليه من واجب العبادة من إثبات الخالق ومن توحيده ومن الإيمان بالرسول⁽¹⁾.

- الغرض الإنجازي: يقول محمد الطاهر بن عاشور العبادة في الأصل هي التذلل والخضوع، وقد وجه فعل الأمر (اعبدوا) إلى المخاطب قصد الامتثال بالدين وقد شمل سياق المأمورية غرض حصول صدق اليقين والثبات على مبدأ العبادة والإيمان.

- شرط المطابقة: طابق فعل الأمر قصد التوجيه للمخاطب فلزم معنى المأمورية سياق المواظبة والدوام، كما لزم فعل الأمر لاسم الجلالة الله والذي يحمل معنى الربوبية المطلقة ففي الإتيان بلفظ الرب إيذانا بأحقية الأمر بعبادته وأن الله تعالى هو المدبر لأمر الخلق وهو جدير بالعبادة⁽²⁾.

- فعل التأثير:

يحمل فعل التأثير لفعل الأمر معنى الشكر والاحتياج، فشكر العبد لربه يوازي احتياجه لربه، ولذلك الله تعالى اطلق للمخاطب أمر العبادة رحمة ورأفة به وأن الله تعالى عطف فعل العبادة على الآيات التي قبلها في قوله تعالى (إياك نعبد) والتي تحمل معنى الإخلاص والتوحيد، وقد

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، مج1، (د، ر ط)، 1958م، ص326.

⁽²⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص326.

الباب الثاني: الفصل الثاني: من تداولية التحرير والتنوير إلى تداولية التثوير والتقويل في بلاغة محمد الطاهر بن

عاشور - رؤية تداولية -.

جاءت في سياق معادل لأمر الله تعالى (اعبدوا الله الذي خلقكم) وهو انتقال بين العبادة وسبب الخلق وقياس الله تعالى لعبده درجة التوحيد والإخلاص ولذلك اتخذ الله الآية حجة لخطاب الكفار وتعليمهم لفروع الدين والشرع وأمر العبادة إثباتاً لذلك⁽¹⁾.

ونقيس القوة الإنجازية لبقية أفعال الأمر في سورة البقرة على المستوى الصرفي والغرض البلاغي وصحة الدلالة، ونسرد هذا في الجدول التالي:

جدول رقم (21): يمثل الأمر وأغراضه البلاغية في الخطاب القرآني - آيات مختارة -

⁽¹⁾ - ينظر: المرجع السابق، ص 326.

وزن الفعل	الغرض البلاغي	دلالاته	فعل الأمر
القوة الإنجازية في أفْعَلْ	حقيقي غرضه النصح والتوجيه ⁽¹⁾ .	تفضيل الإيمان على الكفر	ءامنوا
	مجازي غرضه العرض والتعليم ⁽²⁾ .	الإشعار بالإنباء على الأسماء دلالة على أن	أنبئوني
		المعروض مدلولات الأسماء وتكون إما ذات	
		أو ماهية أو لفظ يدل عليها.	
	حقيقي غرضه تلطف الأمر (الله تعالى) مع المخاطب (آدم) ⁽³⁾ .	دلالة على حسن السمعة لآدم التي كرمه الله	أنبئهم
		تعالى بها.	
	مجازي غرضه تحقيق الإيفاء في العهد الأول الخاص بالدنيا	دلالة على المبالغة بغية الإلتقان في العهد	أوفوا

¹ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، مج1، (د، ر ط)، 1984م، ص286-287.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص411-412.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص416-417.

والالتزام بالوفاء. تجاه الله تعالى يضمن العهد الثاني الخاص بالآخرة الذي يحمل

الثواب والأجر والنصر من الله تعالى لعبده⁽¹⁾.

أرنا دلالة على الإظهار والإرشاد وردت في مقام مجازي جعل العلم اليقيني شبيها برؤية البصر غرضه السؤال
الدعاء. لإرشادهم لكيفية الحج⁽²⁾.

أقتلوهم - دلالة على تعميم الأماكن ليكون المسلمون حقيقي غرضه تهديد للمشركين ووعد بفتح مكة وتهدة نفوس
أخرجوهم مأذونين بذلك فكل مكان يحل فيه العدو فهو المؤمنون ووعد الله تعالى لهم بالنصر⁽³⁾.
موضع قتال وطرد.

⁽¹⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 447-448.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص 721.

⁽³⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، مج 2، (د، ر ط)، 1984م، ص 201-202.

اعبدوا	دلالة على الزيادة في بيان موجب العبادة.	حقيقي غرضه التصريح في الدعوة إلى توحيد الله تعالى ⁽¹⁾ .
فأتوا	دلالة جواب الشرط تكريرا للتحدي.	حقيقي غرضه التجاوب للتحدي ⁽²⁾ .
اسجدوا	تدل على التعظيم	غرضه اختبار الطاعة وإظهار مزية الله تعالى على الملائكة ⁽³⁾ .
اسكن	دلالة على الامتتان بالتمكين والتحويل	حقيقي غرضه الإكرام بالعيش الهنيء ⁽⁴⁾ .
اهبطوا	دلالة على تحجير دخول الجنة والعقاب	حقيقي غرضه العقاب والمعاقبة لآدم نتيجة غرور الشيطان له، فجمع الضمير قيل لأن هبوط آدم وحواء اقتضى إهباط نسلهما لاتباع وسوسة الشيطان.

القوة الإنجازية في فَعَلْ

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، مج 1، (د، ر ط)، 1984م، ص 326.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص 338-339.

⁽³⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص 420-421.

⁽⁴⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص 428.

فلا يوجد نسلهما في الجنة ⁽¹⁾ .			
خذوا	دلالة على القوة والعزيمة	مجازي غرضه التفهم وإتقان التلقي ⁽²⁾ .	القوة الإنجازية في فَعَلَ
بَشِّرْ	دلالة التذكير والترغيب	حقيقي غرضه التصديق ⁽³⁾ .	
طَهِّرَا	دلالة الإقبال على العبادة والتخلص من	مجازي غرضه تعريض بأن المشركين ليسوا أهلاً لعمارة	
	الأصنام والأوثان	المسجد الحرام لأنهم لم يُطَهَّرُوهُ مما يجب تطهيره منه ⁽⁴⁾ .	
فَوَلِّ	دلالة على حصول الوعد	مجازي غرضه اللطف والإحسان ⁽⁵⁾ .	

¹ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 434.² - ينظر: المرجع نفسه، ص 541-542.³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 350-351.⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص 707-708.⁵ - ينظر: المرجع نفسه، ص 27.

قَدِّمُوا	دلالة على الحرص على الأعمال الصالحة. مجازي غرضه التوبة والتطهير ⁽¹⁾ .
لَا تَمْسُكُوهُمْ -	دلالة على التخيير
سَرِّحُوهُمْ	مجازي غرضه الإشارة إلى رغبة الشريعة في الإمساك، وفي التسريح ترغيب في الإحسان ⁽²⁾ .
مَتَّعُوهُمْ	دلالة على الوجوب
ثَبَّتْ	دلالة على الثبات
رَاعَا	دلالة على الشتم
	مجازي في ظاهرها معنى التحرج والرفق وفي مضمونها السب والشتم ولقد نهى الله سبحانه المسلمين التلفظ بها لأن اليهود

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، مج2، (د، ر ط)، 1984م، ص375.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص421-422.

⁽³⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص457-458.

⁽⁴⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص499-500.

	كانوا يستعملونها في مقام الشتم لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ⁽¹⁾ .
القوة الإنجازية في فاعل	قاتلوا - قاتلوهم وهو قتال متوقع لقصد الدفاع حقيقي غرضه تحقيق الغاية من التوبة ووضع حد للفتنة ⁽²⁾ .
	حافظوا على المبالغة لغير حقيقتها مجازي غرضه التمسك بالوقت المخصص للصلاة وعدم التفریط فيه لكونه حق عظيم على كل مسلم ⁽³⁾ .
	اتقوا على إيجاز بديع حل موقع الجواب. حقيقي وهو الخوف من الله تعالى، وأما الغرض الخاص فكان تذكير للمؤمن وجوابه في آن واحد ⁽⁴⁾ .

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص 650-651.

⁽²⁾ - ينظر المرجع نفسه، ج2، ص 199-201.

⁽³⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص 465-466.

⁽⁴⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص 650-651.

اتخذوا	دلالة على اختبار الطاعة	حقيقي الغرض الخاص أمر موجه لإبراهيم ومتبعيه والغرض العام هو أمر لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ⁽¹⁾ .
استبقوا	دلالة على الترتيب في الاستباق	مجازي الغرض العام معنى التعليل والغرض الخاص بمعنى التنافس في كسب الطاعة وثبات الإيمان ⁽²⁾ .
اتبعوا	دلالة على التقريب في الاتباع في الحق حقيقي الغرض العام المقصود بالخطاب فيها المشركين المنزل عليهم والابتعاد عن اتباع الباطل والمسلمين والغرض الخاص دعوة المشركين في الالتفات إلى المنهي عنه. تصحيح طريقهم وإبطال إعراضهم الذي هو مخالف وبدون حجة في اتباع ما ألقوا عليه آبائهم ⁽³⁾ .	القوة الإنجازية في افْتَعَلَ

القوة الإنجازية في اُفْتَعَلَ

⁽¹⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج 1، ص 710-711.⁽²⁾ - ينظر المرجع نفسه، ج 2، ص 43.⁽³⁾ - ينظر المرجع نفسه، ص 106-107.

ثانيا: الاستفهام ومقيداته البلاغية في الاستعمال

يعطي محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره "التحرير والتنوير" نبراس الفهم والتأويل ومفاد التلقي والقراءة في التفسير، أهمية كبيرة في أسلوب الاستفهام في تفسيره لسورة البقرة، حيث يهدف من خلالها للكشف عن بلاغته ودلالاته البعيدة، ويتموضع الاستفهام من ضمن أهم الأساليب البلاغية التي وظفها القرآن الكريم في هذه السورة المباركة لغرض تحقيق المعنى تواصلية التخاطبية.

قبل تطرق المفسر إلى تفسير القول يجب عليه مراعاة أهم النقاط الأساسية التي تعد مركزا أو محورا بلاغيا يقوم عليه المعنى ويثبت فيه وهذين الأمرين هما: دراسة خصائص الاستفهام ودلالاته السياقية وأغراضه البلاغية، وتحديد معاني أدوات الاستفهام ووظائفها التركيبية والتداولية في الخطاب القرآني.

1- أسلوب الاستفهام في الخطاب القرآني:

ففي قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضَ وَلَا بُكْرَ

عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ فافْعَلُوا مَا تؤمرون﴾ سورة البقرة الآية 68.

فيحذر محمد الطاهر بن عاشور معنى الاستفهام في قوله: >> القول في ماهي كالقول في نظيره فإن كان الله تعالى حكى مرادف كلامهم بلغة العرب فالجواب لهم بأنها ((بقرة لا ذلول))¹، فالمراد بقوله القول في لفظة ((ماهي)) كالقول في نظيره ويقصد بالنظير الجواب الذي ينتظره بني إسرائيل من سؤالهم لسيدنا موسى، وأن معنى الاستفهام في الاستعمال يختلف عن معنى الاستفهام

¹ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص554.

في الوضع، وذلك لاختلاف الغرض، فالاستعمال الفصيح غرضه الاستمرار في التراسل على حسب درجة الفهم المعتادة والمتطابقة في الخطاب وأما الوضع اللغوي يغترض منه توضيح كيفية التماطل في أسلوب بني إسرائيل بالاعتراض الضمني عن الاستجابة لقول سيدنا موسى عليه السلام لأمر الله تعالى، "فأله تعالى قد علم مرادهم ونبه عن نياتهم كما أن جملة ((البقرة تشابه علينا)) مستأنفة استئنفاً بيانياً لأنهم علموا أن إعادتهم السؤال توقع في نفس موسى عن سبب التكرار في السؤال الواقع في قولهم، واستبدال هذه الجملة لتغطية التكرار لأنهم رأوا فيه سامة وملل... فجاء الخبر بالتأكيد بحرف التأكيد لأن موسى لا يشك في صدقه، وقد أدت "إن" مفاد التفرع والتعليل⁽¹⁾، ولمعرفة أحوال الفعل في الاستفهام واستخراج غرضه التداولي يتم وفق ثلاث حالات مألوفة في التحليل اللغوي الإنجازي وهي:

-**الفعل الكلامي المؤسس على الاستفهام:** ورد الفعل الكلامي بصيغة الاستفهام المبني على السؤال في النوع، وتضمن النوع نوع البقرة ومرادهم في بيان تمييزها عن غيرها من البقر بحجة التقارب الحاصل بينهم بقولهم ((إن البقرة تشابه علينا)) وهذا تأكيد على أنفسهم بالتحجج والتكرار في السؤال، فالفعل الكلامي له دلالات عدة بين لفظة البقرة وصورتها في الذهن وبين تقبل قصة ذبح البقرة واستقباله بأنه أمر من الله تعالى كفعل إنجازي للملفوظ الكلامي، لذلك تكرر السؤال في استفهام بني إسرائيل وتكرر التأكيد في كل مرة بأداتين في جواب موسى عليه السلام فيقول محمد الطاهر بن عاشور في هذا: "أن سؤالهم فيه غاية الاعتذار عن التكرار وظهر ذلك في سؤالهم للمرة الثالثة وأن في المرة الأولى والثانية لم يورد فيهما لأن الوقع في النفس أعمق من الوقع في العقل

⁽¹⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج 1، 554.

فحقيقة تلقي موسى عليه السلام لكلام بني إسرائيل جعلت في نفسه تساؤلاً عن سبب التكرار الوارد وعن سبب الإنكار الذي جعله في موضع تأكيد لما يقوله ويخبرهم به وإبطال لما يفكرون به، وقد حدد الغرض البلاغي من هذا النوع الكلامي بمعنى التفريع والتعليل، وقد نوه إليه وتكلم فيه عبد القاهر الجرجاني لأنه تحدث عن توخي مواقع الكلام في النفس... كما أن في قولهم ((إننا إن شاء الله لمهتدون)) فيه تنشيط لموسى ووعده بالامتثال لينشط إلى دعاء ربه بالبيان ولتبتعد عنه سامة وملل كثرة السؤال⁽¹⁾، وهذا التنشيط لغرض طرف حقيقة السؤال دلالة على مكرهم وإعناتهم، وكما حملت لفظة ((إن شاء الله)) في تأكيد كلامهم دلالة التأدب مع الله تعالى وإرجاع الأمر له لحصول الخير⁽²⁾، المرغوب في نفوسهم، ولكن يعد اشتراط الجواب للإقتناع والإنجاز بواسطة الاستفهام الواقع في الكلام بطريقة غير مباشرة دلالة على عدم التيقن من كلام موسى عليه السلام وأمر الله تعالى وذلك رغبة منهم في التماطل لتعطيل الاستجابة؛ ولكن الله تعالى كان أقوى وأقدر على تعجيزهم وإرسال معنى التكرار في عقل موسى والتفطن له جعلتهم يخفضون درجة العناد المباشر والاستمرار في طلب الفهم بتتابع بين كل جواب وجواب وبعناد ولكن بطريقة غير مباشرة.

-الغرض الإنجازي للاستفهام: الغرض هو المكر والتحايل والإطالة في تحقيق الاستجابة المأمورين بها من الله تعالى، وإجهااد موسى عليه السلام واختباره في درجة اقتناعه بما يقول وينقل لهم على مسامعهم، ويرجح محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره حلقة الإطالة في السؤال والتكرار الواقعة بين خطاب موسى وبني إسرائيل بأن بني إسرائيل "ضعيفة العلم بالشرائع وبعيدة التفقه فيه وأن أمر الذبح الصادر من الله تعالى في كلام موسى عليه السلام يظنونونه أمراً لا يستكمل إلا

⁽¹⁾ - التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج1، ص554.

⁽²⁾ - المرجع نفسه، ج1، ص554.

بصفات معينة لهذا توهموا أن الأمر في ذبح بقرة بدون بيان صفاتها تقصيرا... وسألوا موسى عن أهم الصفات التي تختلف بها أغراض الناس في الكسب للبقر، فأجابهم بالفرق على التمييز وبعد البيان والتوضيح قالوا ((الآن جئت بالحق)) والحق بغرض الصواب والحقيقة، فالفرق بين الوصف الطردي والوصف الوضعي مختلف في فهم الدين⁽¹⁾، فالطردي هو الكثير الاستعمال والوقوع في الذهن واللسان، أما الوضع فهو المطابق للموصوف والموضوع له بالتخصيص، فالاستعمال واسع أما الوضع ضيق ومخصص. ويدخل التخصيص في غرض التوجيه ويدخل الاستعمال في غرض الاشتغال، وعليه نجد أن تداولية الخبر الوصفة للكلام المستفهم بين المتخاطبين في الآية الكريمة >>تحمل معنى ما عبر عنه اليهود لموسى بلفظ هو في لغتهم محتمل للوجهين<<⁽²⁾، ويقصد بالاحتمال المناسبة في الوضع والاستعمال، فنجد في الوضع المخصص أن موسى عليه السلام >>تكلم بالفصحى وما يرادفه من العربية ونجد في الاستعمال المطرد(المطلق) يشتمل في كلام موسى عليه السلام على توجيه تأديبي حاملا لصورة تنبيههم على قلة اهتمامهم بانتقاء الألفاظ النزيهة في مخاطبة أنبيائهم وكبرائهم⁽³⁾، وهذا النمط التأديبي غرضه الاهتداء والإصلاح، ولهذا كثيرا ما نجد في الوضع توجيه مخصص من أجل ضبط الحدود وفرض التعريفات وإرسال المعنى في قالب منهجي معين، أما الاستعمال فهو توجيه عام ينشأ بين المتخاطبين من أجل ضبط المعاملة الاجتماعية وتأثير العقل في قانون التعاون أثناء نظم الخطاب والمحاورة وذلك لملازمة الاستفهام نمط السرد بغرض الإخبار والأمر والنداء والتعجب والحيرة وغيرها من الأغراض البلاغية

⁽¹⁾ - ينظر التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج1، ص556.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص556.

⁽³⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص556.

والمقاصد النوعية والكمية الملزمة بأطراف الخطاب.

-الفعل التأثري في الاستفهام:

تقر دلالة الاستفهام في فعل التأثير على تقييس إيجاب التلقي وقوة الإنجاز فالكلام التخاطبي في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوْنُ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ سورة البقرة، طلب الدعاء ليس بمعنى الدعاء الحرفي وإنما بنية الجواب الذي يعترضه الاستفهام الإنكاري، فحصول الجواب لم يكف بني إسرائيل على السؤال بل أكثروا من إلحاح الطلب في الدعاء وكثرة تأكيد القول عن طريق التكرار الواضح في قال ويقول العائدة بين موسى وحوار الله تعالى له، وأن امر التطبيق فيه تعزيز وكف عن الاعتراض، لكن بني إسرائيل لم يضعوا لذلك اهتمام، فيقول محمد الطاهر بن عاشور في هذا: "في معنى الدعاء طلب بخضوع وحرص على إجابة المطلوب، فيشترط في حصول المنفعة وجوب الرغبة في حصول البيان"⁽¹⁾

وفي قوله تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾⁽²⁾، تشاكل بين نيتين نية الإخبار والنقل الصحيح ومثله موسى عليه السلام في الامتثال لقوله تعالى، ونية الاعتراض والبحث عن السبب بدل سرعة الاستجابة بالتنفيذ مثله بني إسرائيل، فالقوة الإنجازية في ((ماهي)) تدل على صفة وهو ما تم تداول استعماله في كلام العرب، فالسؤال عن الصفة له بعدين تأثريين:

البعد الأول: هو القياس ففي معنى الصفة قياساً على كلام العرب، في الاستفهام عن الصفة كما وقع في مسامع الناس في قولهم ما حاتم؟ أو ما الأحنف؟ فيقال كريم أو حليم وذلك لكون الناس

⁽¹⁾ - التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج1، ص548.

⁽²⁾ - المرجع نفسه، ج1، ص556.

تعلم في مساق الحديث أنهما رجلا ن ولم يعلم صفتيهما فتوضع ما للجنس مقترنة؛ بالنوع إنه اسم علم لعاقل كما وضعت ما الجنس المقترنة بـهي لأنها اسم حيوان لغير عاقل، لكن الذهن يبحث عن صفة كليهما فللعاقل اصطلاح عليه صفة الكرم والحلم فكان جوابا للمستفهم عن صفة الرجلان، ولغير العاقل اطلق عليه مصطلح ((لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك)) فوقع الجواب موقع الصفة للبقرة وألصق بها حرف ((لا النافية)) لعلتين الأولى للوصف الظاهر، والعلة الثانية لإثبات معنى الصفة بين الوصفين المنفيين، فيأتي القياس على وصف بغرض الإثبات في قول حويرثة بن بدر الرامي:

وقد أدركتني والحوادث جمة أسنة قوم لا ضعاف ولا عَزَل⁽¹⁾

فصرّح محمد الطاهر بن عاشور بأن لام النافية لا عمل لها فتبقى الجملة على وظيفتها قبل دخول النفي عليها ومن ذلك الموضع في قوله تعالى ((لا فارض ولا بكر عوان)) قياسا على كلام العرب واستعمالاتهم في قول الشاعر (لا ضعاف ولا عزل) وفي قوله تعالى ((زيتونة لا شرقية ولا غربية))⁽²⁾.

ويمكن أن يكون القياس في تعبير الحال ويخرج عن الصفة وبين هذا وذاك علة حيث نجد أن الصفة تبني على النكرة وهو ما يناسب صفة الإنكار والضعف والحيرة، وفي الحال يبني على التعريف وهو ما يناسب حالة الخبر ووضع الجواب في الاستفهام الصريح والضمني مثل قول الشاعر:

⁽¹⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 549.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص 549.

قهزت العدا لا مستعينا بعصبة ولكن بأنواع الخدائع والمكر⁽¹⁾

ففي حالة الخبر ينقل لنا الشاعر موضع قهره ودرجته للعدو وأن في فعله استعمل أسلوب العدو ذاته وحاربه به وهو أصناف المكر والخداع، وفي قوله لا مستعينا وهو حالته التي كان فيها وقت القضاء على العدا، وجاء معرف بالتتوين للتأكيد على حالة القوة في المواجهة والرد.

البعد الثاني: اللغة التواصلية

كثيرا ما يذهب محمد الطاهر بن عاشور في تفسير اللفظ والمعنى بواسطة القواعد اللغوية فيقر بأن اللغة ظاهرة استعمالية لأغراض تعبيرية وجدانية وعقلية ذهنية ونفسية اجتماعية، وحالة التفسير في الكلام واستعمالاته له أثر كبير في حقيقة التعلق، فالتعلق ظاهرة عقلية لغوية ترتبط بمعيار التقبل والمقبولية وأساسها التواصلية الفصيحة، ولكل قاعدة أو ظاهرة نحوية لغة تحدد وتوجه إليها، فيحدد اللفظ ويوجه نحو المعنى المفترض والملازم له، ففي فكر محمد الطاهر بن عاشور "لقوله تعالى: ((فأفعلوا ما تؤمرون))" الفاء لفظ فصيح وموقعه قطع العذر مع الحث على الامتثال، فيقول عباس بن الأجنف:

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ثم الققول فقد جئنا خراسانا⁽²⁾

ففي اللفظ تكرار لمفردة "خراسان" تحديد لحصول العلة المطلوبة وهي السفر أما في توجيه المعنى يلقي على عناء السفر⁽³⁾. وفي الظاهرة النحوية حدد اللفظ بـ (افعلوا) ووجه المعنى الإنجازي إلى ((ما تؤمرون)) فحمل الفعل على درجة أكثر تأثيرا في الإنجاز وهو الأمر، وتعدية الفعل للفظ

⁽¹⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 550.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص 551.

⁽³⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص 551.

إلى معنى الأمر فيه المبادرة بعد التكليف، وهذا دليل على أنهم مأمورون بذبح بقرة ما غير مراد منها صفة مقيدة، لكن بحكم حالة عصيانهم وتماطلهم أضاف الله تعالى لهم هذه الصفات من (صفراء فاقعة وأن تكون سالمة) نتيجة أفعالهم وليس من إرادة الله تعالى لهم في تكليفهم ببداية الأمر بذبح البقرة وإنما هذه الصفات هي طردية وليس لها أثر في حكمة الأمر، فأمرهم بهذه الصفات هو أمر طارئ قصد منه تأديبهم على سؤالهم⁽¹⁾، وشمل هذا التأديب نوعين من السؤال تبعاً لأغراضهما:

السؤال الإنكاري: غرضه التأديب الخلقي ويكون في حالة التماطل والتتصل فطلب تلك الصفات المشقة عليهم تأديب على سوء الخلق والتذرع للعصيان⁽²⁾.

السؤال الإعلامي: غرضه التأديب العلمي ويكون في حالة الفهم وطلب العلم فإن نشأ عن ظنهم أن هذه البقرة يقتضي أن يراد منها صفات نادرة كما هو بيّن في قولهم ((إنا إن شاء الله لمهتدون)) فكان التكليف العسير هنا مناسباً لحالة سوء فهمهم للتشريع فوجب تأديبهم لحتى يليقون بمقام التلقي وإرجاعهم إلى رتبة الإدراك والتدبر في الأمر⁽³⁾.

2- أدوات الاستفهام معانيها ووظائفها التداولية في فكر محمد الطاهر بن عاشور

في سورة البقرة

أظهر محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره لأسلوب الاستفهام جانبين مميزين في تحديد المعنى وذهب في ذلك بالتركيز على الجانب التركيبي ثم استظهار الجانب الوظيفي في الاستعمال اللغوي،

⁽¹⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 551-552.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص 552.

⁽³⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص 552.

ففي تفسيره لقوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ ءَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٥﴾ سورة البقرة، الآية 05.

فسر محمد الطاهر بن عاشور هذه الآية من جانب وظيفي تداولي بالشكل التالي:

الصورة الأولى: قوة الفاعل

وقد كان هذا في كلمة (سواء) التي سبقت أداة الاستفهام المتمثلة في الهمزة والتي تحمل معنى المبتدأ الرافع لفاعل سد مسد الخبر لأن (سواء) في معنى مستوٍ فهو في قوة اسم الفاعل وهو يؤثر على الفاعل الذي يسد مسد خبر المبتدأ وجواب هذا الاستفهام يتضمن في أمرين متساويين نقلا إلى المخبر وحامل لمعنى الخبر.

وقد ربط محمد الطاهر بن عاشور قوة الفاعل بالضمير في معنى التساوي وهو على حد استعمال النحاة أنهم كانوا يأتون بسواء على أصل وضعه من الدلالة على معنى التساوي في وصف بين متعدد وهذا التعدد هو بين الإنذار أو عدمه بقوله تعالى (فهم لا يؤمنون)، فضمير الجمع ربط بين متعددين نحو قضية واحدة وهو حصول الإيمان والتصديق⁽¹⁾.

الصورة الثانية: علاقة اللزوم

بعد أن فسر محمد الطاهر بن عاشور محور الاستعمال في الاستفهام على حسب منطق النحاة في ظاهر القاعدة ذهب في علاقة اللزوم إلى مضمحل الاستعمال وتعلق الأمر بمجاز الاستفهام حسب الغرض البلاغي لتفسيرات البلاغيين وقد قدر معنى الاستفهام المسبوق بكلمة (سواء) بغرض التسوية وهو التسوية بين معنى الإنذار والعدم والفائدة في هذا أن الجواب في

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ج1، (د، ر ط)،

علم المخاطب لهذين المستويين يستقر في عدم النفع وهذا ما قالت عنه التداولية بموضوع التأثير بالسلب وأن في تكرار همزة الاستفهام فالأولى حملت معنى تعجب الناس لأمر الكفار والثانية حملت معنى الجواب لحالة الكفار ودوامهم على كفرهم مع ما جاءهم من الآيات بحيث يسأل السائلون لو تم إنذارهم لكان حالهم متغير فأجاب الله عن افتراضهم المسبق فقال في حالة إنذارهم أو عدمهم فهم فئة من الناس لا يؤمنون لأنهم اعتادوا على الفساد وقد تملكهم الشيطان وأعماهم قلوبهم وعقولهم عن الحق واتباعه⁽¹⁾.

كما أن حرف(على) الملازم لكلمة سواء فهو للاستعلاء المجازي والمراد به التمكن أي أن هذا الاستواء متمكن منهم لا يزول عن نفوسهم وقد قاس الظرف(على) مع كلمة(سواء) على بعض الظروف الأخرى مثل(عند، لدى)⁽²⁾. وعادة ما نجد المعاني البلاغية التي تحملها الأدوات الاستفهامية تتعلق بالدرجة الأولى والثانية من الدرجات التداولية المتخصصة في الإشارات والمعنى الحقيقي والمجازي بالرغم من أن الفعل الاستفهامي يتعلق بالدرجة الثالثة من الدرجات التداولية المسماة بالأفعال الكلامية، غير أن الحقل التداولي في بعده البلاغي واسع جدا ويشمل على مجموعة من المعاني التي لا بد أن تقيد وفق وجهة القصد من إرسال المعنى، كما أن نوعية الحرف أو الأداة الاستفهامية تعد إشارة مرجعية لحقيقة المعنى. وعليه نستخرج بعض الأدوات الاستفهامية من سورة البقرة في الجدول التالي مع تبيان الغرض البلاغي منها والوظيفة التداولية لها:

⁽¹⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص250.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص251.

أداة الاستفهام	الجملة الاستفهامية	نوعها	الغرض البلاغي	التفسير التداولي
	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ ءَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ سورة البقرة، الآية 05.	حرفية	التسوية	ثبات النتيجة وهو عدم الإيمان سواء في الإنذار أو في عدمه
	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ سورة البقرة، الآية 12.	حرفية	الإنكار	وهو الاعتراض عن فعل الجاهل.
الهمزة	﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ سورة البقرة، الآية 29.	حرفية	التعجب	من أمر الاستخلاف لهؤلاء المفسدين في الأرض طلبا للاستعلام وبحثا عن الغرض من هذا الأمر.
	﴿أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ سورة البقرة، الآية 33.	حرفية	التقرير	تأكيد بالتكرار لفظي ومعنوي في آن واحد، من الله تعالى للملائكة الذين تعجبوا من أمر الاستخلاف في الأرض

وبين الله لهم علة ذلك وحكمته من هذا الأمر.

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ سورة البقرة، الآية 44. حرفية التوبيخ/ الإنكار مخاطبة الله الكافرون المدعون البر والتقوى وهم يفعلون عكس ذلك، استنكارا لما جاء في الكتاب وتحريفا لأمر الله تعالى، انعدام الصدق للكافرين واتصافهم بالنفاق.

هل ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ اللَّغَمِ وَالْمَلَائِكَةُ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ حرفية النفى دلالة على عدم النظر ويقصد به بعدم التمعن والتعقل، حتى يأتيهم الله يوم القيامة للفصل في الأمر وانقضائه.

﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ سورة البقرة،

صادرة بعد فعل القول ومفادها تشخيص النبي لحالة المجاهدين في حالة فرض

الآية 244.

القتال وهل سيقاتلون أم يتراجعوا فكان
جوابهم بالموافقة على المواجهة والقتال،
فلما فرض عليهم القتال أدبروا إلا فئة
قليلة بقيت.

﴿ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ سورة سببية تنبيه/إشارة

البقرة، الآية 25.

ظاهر وهو السؤال في قيمة الحيرة
ومعنى ضمني وهو توجيه لقدرة
المخاطب الإدراكية لمراد الله تعالى وقد
اختص هذا المخاطب بصفة الفسق لأن
المؤمنون يعلمون مراد الله تعالى فهي لا
تتطابق معهم هذه الصفة وإنما هي
موجهة إلى الكافرين، وقد أكد مجرى

ماذا

الاستفهام حيز الجواب في قوله

تعالى: <<وما يضل به إلا الفاسقين>>

مطابقة الجواب السؤال فجاء ببيان

مصارف الإنفاق الحق، فالإنفاق حقيقة

معروفة لدى البشر.

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ حَالِيَةً

وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ سورة البقرة، الآية 213.

ترتب الأدلة وتصدر السؤال جملة الكلام

جعلت من المتلقي في مقام الإمعان

لحالة الانتقال والارتداد بين الحياة

والموت والحساب.

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ سورة البقرة،

الآية 27.

التعجب

انتقالية

تعلق السؤال المبني على التعجب في

نفس المتلقي بالجواب المبني على

الإبانة بعد أن أظهر الله تعالى له العلة

﴿كَيْفَ نُنشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ سورة

التعجب

حالية

البقرة، الآية 258.

كيف

وجعله سبحانه وتعالى يَقَرّ بأن الله تعالى

عالم بكل شيء ورفع عنه بذلك الإبهام.

كم ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ سورة البقرة، الآية 258. تقديرية التعجيز

عددية الجوابي حصول الجواب على جملة التعجب

الذي أشتكلها المخاطب في نفسه ومن

ذلك حكمة الله تعالى في طرح التجربة

عليه شخصيا حتى يتثبت في نفسه

الإيمان، فاختار الله تعالى الجواب

بالتطبيق فأماته ثم أعاد إحياءه.

﴿يَسْأَلُكُمْ حَرْثَ لَكُمْ فَاتُوا حَرْثَكُمْ أَنِّي شَيْئٌ قَدِيمٌ وَاقْتُوا لِلنَّفْسِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوَةٌ وَبَشِّرِ

الْمُؤْمِنِينَ﴾ سورة البقرة، الآية 221. ذاتية بمعنى

أين/كيفما قرينة الإطلاق وهي(شئتم)

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ سورة البقرة، الآية 245.

تعلق الجواب بعد القول بالكيفية الزمنية
الدالة على حالة التغير والسلطة، فكان
الفضاء الزماني محصورا في الحاضر
بمعنى كيف
الدال على الاستمرارية في الآنية
الزمنية.

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ﴾ سورة البقرة، الآية 258.

ارتبط بأسلوب الخلق والبعث وقدرة الله
تعالى الهائلة التي حيرت نفوس وذهن
كل متلقٍ قريب أو بعيد كان، وارتبط
بعنصرين بالرغم الدلالة الحالية وهو
عنصر الزمان المربوط بالجواب بعد
الموت وهو في حدود(العام) وقد اعتبره
المتلقي يوم أو جزء منه. وعنصر

المكان الذي كان سابقا للجواب وهو
أساس استثارة المتلقي علة الخلق
والإنشاء وهو القرية الخاوية التي
استدعت السؤال وقد أجابه الله تعالى
بإعجاز مقنع.

﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ سورة البقرة، الآية 245.

تخصيص الشفاعة وربطها بإذن الله
تعالى فمن سمح الله تعالى له بالشفاعة
يستطيع أما إذا لم يسمح فلا يتم.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَزْوَاجًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ شَرْطِيَّةٌ﴾

من
تُرْجَعُونَ ﴿ سورة البقرة، الآية 243.

التشويق
والترغيب

إرسال المتلقي إلى عنصر التشويق لفعل
الخير والجهاد في سبيل الله تعالى
لحصول رغبته في مضاعفة الأجر
والثواب.

ما

﴿ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأَبْنَاءَنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ غرضية تحفيز/ إنكار عدم مطابقة الفعل للقول الذي وعدوا به
تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ سورة البقرة، الآية 244.

عليه النبي الجهاد.

فلم

﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ سورة البقرة، الآية 90. سببية الذم/ الاستعظام ذم الله تعالى المكذبين الذين يدعون الإيمان وهم يفعلون ما نهى الله عنه ويقتلون الأنبياء بغير حق وهو سؤال
موجه لهذه الفئة بغرض استعظام فعل القتل الذي يقدمون عليه.

متى

﴿ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ سورة البقرة، زمنية تقريرية تقرير فعل النصر الحتمي الذي وعد الله به النبيء ومن معه من المؤمنين.

الآية 212

ثالثا: النداء ومقيداته البلاغية في الاستعمال

1-نداء الذوات العامة:

في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ سورة

البقرة، الآية 21.

فالمقصود بالنداء في هذه الآية الكريمة الإقبال على الموعظة ونبذ الشرك وهذا دليل على رحمة الله تعالى بالعباد حيث يقول محمد الطاهر بن عاشور أن هذه الآية جاءت خطابا للناس عموما من أجل إرشادهم والإقبال عليهم حيث احتوى الخطاب على تأنيس لأنفسهم لما فيه من عتاب ولوم تارة وجبرا لخواطرتهم تارة أخرى وهذا إن دل فهو يدل على رحمة الله تعالى الواسعة لأن الغاية من العتاب هو الاستصلاح وحب الخير لعباده⁽¹⁾ فكلما كان العتاب قويا كان الأثر أكثر إيجابية لأن الله تعالى حاول الوقوف أمامهم من جانبيين جانب صلاحهم وذلك من أجل نشر الخير والبركة والرضا بين الناس ولا يكون إلا بإخراجهم من الضلال إلى النور، وجانب مصالحتهم تضمن رحمته لخلقه حتى في حالة عتوهم وكفرهم الشديد⁽²⁾، وعليه فافتتاح الخطاب بـ(يا) لكونه أكثر الحروف استعمالا والتي تطلق على القريب أو البعيد ويرى محمد الطاهر بن عاشور كما يرى الزمخشري أن حرف النداء يوضع للبعيد من أجل تقريبه وللقريب الغافل أو الساهي من أجل إعادة تنبيهه واستعادة حضوره العقلي والفعلي من جديد⁽³⁾ أما في (أي) فهي نكرة تدل على فرد من جنس اسم يتصل بها

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص324.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص324.

⁽³⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص325.

عن طريق الإضافة أما الناس فهم الذات المخاطبة والذي قصد بهم تخصيص النداء أو الخطاب عموماً⁽¹⁾. وقيد النداء بالأمر بغرض المطاوعة والالتفات والتنبيه للمتلقي والتأثير فيه للاستجابة لموضوع النداء.

في قوله تعالى: ﴿يَقُومُ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ سورة البقرة،

الآية 53.

تذكير موسى لبني إسرائيل بالتوبة والنصح لهم من باب الرحمة والاعتاظ⁽²⁾، كما أن التوبة إلى الله طلبهم فيها موسى عليه السلام وبأمر من الله تعالى من خلال قتل أنفسهم ماثبة لله تعالى وتطهيراً لهم مما فعلوا من ظلم لأنفسهم فجاء خطاب النداء بالجمع يا قوم ولم يأتي ببني إسرائيل لأن الله تعالى أراد من هذا تعميم النصح على سائر القوم وليس على قبيلة محددة منهم⁽³⁾. وقيد النداء بالناسخ بغرض الأمر الذي يحمل المعنى في (إنكم) على وجه القوة الإنجازية التي تفيد التوكيد والتوجيه والتخصيص في الضمير الحال محل الاسم للمعنى أثناء الخطاب ويكمّله (الخبر ظلمتم أنفسكم) في تبيان أثر القيد بالناسخ وما يحمله من غرض إنجازي في الجملة.

في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رُعَا وَقُولُوا بِحَقِّكُمْ وَأَسْمِعُوا لِكُفْرَيْنَ عَذَابُ الْيَمِ﴾

سورة البقرة، الآية 104.

وجه هذا الخطاب إلى المؤمنين المسلمين فركز القرآن على تهذيب ألفاظهم وتطهير

⁽¹⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج 1، ص 325.

⁽²⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج 1، (د، ر ط)، 1984م، ص 502.

⁽³⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج 1، (د، ر ط)، 1984م، ص 503.

معانيها في النفس واللسان أثناء التواصل في الكلام، فلازم النداء التخصيص كما لازم النهي عن بعض الأقوال التي تبدي سيئة في اللفظ أو المضمون فكلمة راعنا قد كان الكفار يستعملونها في إيذاء الرسول صلى الله عليه وسلم وهي شتم وسب فعند الإيمان لا بد من التخلص من كل ما يشوب الدين والنية وما يؤدي رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام، فألزم الله تعالى المؤمنين بالنتحي عن هذه الألفاظ وأشباهها وعدم استعمالها وقد انهى الله تعالى عنها المسلمين وهي رسالة غير مباشرة للمنافقين من الله تعالى ليعلمهم بأن الله تعالى كشفهم وأبطل آذاهم عن المؤمنين عموماً وعن الرسول صلى الله عليه وسلم خصوصاً وأن الله تعالى قد أطلع نبيه عن سرهم⁽¹⁾. وقيد مفاد النداء بأن لا تقولوا راعنا فالأمر بالنهي الذي قيد النداء سبقه الاسم الموصول في الإحالة القبلية العائد على المؤمنين، فالأمر موجه إلى المؤمنين بالتنازل على قول كلمة راعنا عامة وإلى الرسول الذي يعد فرداً من الذين آمنوا أن يتتبع عن هذه الكلمة ولا يستعملها في خطابه مع الناس خاصة لأن فيه نفس الاقتداء وعلى المؤمنين اتباع ما أمر الله تعالى به الرسول واتباعه.

2-نداء الذوات الخاصة:

في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَادُمْ أَنْبِيَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ سورة البقرة، الآية 32.

وقد فسر محمد الطاهر بن عاشور النداء الوارد في هذه الآية الكريمة والمخصصة بسيدنا آدم عليه السلام بقوله أن الخطاب الموجه للمخاطبين احتوى على سببين: أولهما اظهار فضل الله

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص650.

تعالى على آدم وثانيها إظهار قدرة الله وسعة علمه⁽¹⁾، كما أن أسلوب تفسيره لهذه الآية ركز فيها على جانبين: جانب إبلاغي لغوي وجانب نحوي لغوي ولكل جانب مظهره الخاص به فنجد في الإبلاغ استعمال أداة النداء الملاصقة لاسم آدم والمعنية بخطابه بالرغم من أن آدم عليه السلام كان من السامعين ولم يكن بعيدا غير أن العلة في ذلك إرادة الله تعالى إذاعة اسم آدم في الملأ الأعلى والتعريف به حتى ينال حسن السمعة، أما في الجانب النحوي اللغوي يكمن في الفرق بين النداء الجاف ونداء التلطف فتلطف الله تعالى جعل من اسم آدم ظاهرا في النداء ولم يقتصر على الضمير في خطابه وهذا لأن الاسم أقوى حضورا وأثرا من الضمير وكذلك مناسب لمقام الإظهار الذي يريده الله تعالى لآدم وتمييزه عن غيره من الخطابات الأخرى⁽²⁾. كما قيد النداء بمقول القول لأن آدم عليه السلام قد ميزه الله ومكنه من العلم وعلمه ما أراد الله أن يعلمه إياه، فأمر آدم بعد ندائه رغم أن قريب من سماعه إلا أنه استعمل الأداة لإسماع الملأ بأن الأمر بالله تعالى وأن الله هو من منح العلم لآدم عليه السلام.

في قوله تعالى: ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ

وَإِنِّي فَازَهُبُونَ﴾ سورة البقرة، الآية 40.

وهذا خطاب موجه لبني إسرائيل المقصود منهم ذرية يعقوب والمنحصرة في سائر الأمة اليهودية، فمخاطبة الله تعالى بهذا الوصف لتمييزهم عن القبيلة التي تسمى باليهود وتخصيصهم بيهودية الديانة واسم النحلة، وقد كان هذا الخطاب هو خطاب تذكير حيث ذكر الله تعالى بني

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج 1، (د، ر ط)، 1984م، ص 416.

⁽²⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج 1، ص 417.

إسرائيل بنعم أنعمها عليهم وعلى أسلافهم وقد جمع الله في خطابه لهذه الفئة العام (الأتباع) والخاص (العلماء)⁽¹⁾. وقيد الاستعمال في النداء بالأمر بغرض التذكير بفضل الله تعالى وإلزام العبد بشكر ربه على النعم التي منحها له.

في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ سورة البقرة، الآية 54.

وهي تذكير لنعمة أخرى نشأت بعد عقاب على جفاء الطبع، كما أن موسى هو السائل المخصوص بالسؤال في المقام المباشر، كما ورد القول المخاطب به هؤلاء الفئة من بني إسرائيل موسى صريح في ظاهره وخفي في باطنه حيث يرى للوهلة الأولى بأن صراحة العبارة صراحة الفكر وهذا مختلف حيث نرى في قولهم شريطة تلبية نداء موسى لهم يكمن في شريطة تحقيق مطلبهم أولاً وهو رؤية الله تعالى حتى يحصل الإيمان وأما المعنى الخفي هو استمرارهم وتمسكهم بالكفر والطغيان⁽²⁾ فالضمير المختفي وراء العبارة الصريحة لضمير الجمع (نحن) دلالة على الشرك والاتباع والتقليد وأنهم مجمعون على رأي واحد وهو البقاء على كفرهم دون زحزة ولا اعتبار لخطاب التذكير الوارد إليهم فأرادوا من كلامهم إدراج حجة وتعليقها على موسى فأتى الله تعالى بأقوى حجة على وجوده وبذلك نالوا بها الخسران لمحاولة إضعاف موسى وتعجيزه ولكن نصره الله تعالى وعجز القوم الظالمين. وقيد النداء بالشرط بغرض التضعيف والتكذيب وإرادة التأثير في موسى بالباطل فاستحقوا العقاب من الله تعالى وأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون.

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص499.

⁽²⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص505-506.

المبحث الثالث: تداولية تنوير المعنى وتوسيع الاستعمال في خطاب يوسف عليه

السلام في فكر محمد الطاهر بن عاشور -آيات مختارات-.

تمهيد: من خطاب التفسير إلى خطاب التأويل

يعرّف محمد الطاهر بن عاشور الإشكال الواقع بين التفسير والتأويل لدى المفسرين في بيان معنى التأويل، وطرح الإشكال العقلي الذي جعل هذه الفئة من العلم في تجاذب وتنافر حيث قال هل نجد التفسير مساوٍ للتأويل والعكس ومن منهم أخص من الثاني وأبين؟ وقد أظهر حد التأويل في مقدمته الأولى بقوله: اختلف الكثير من العلماء في اصطلاح أصل التأويل وقد وردت عدة آراء غير متوافقة حيث اعتبر البعض أن التأويل ما هو إلا صرف لفظ عن معناه الظاهر إلى معنى آخر محتمل لوجود دليل يحيل المعنى المحتمل إلى المعنى الظاهر، وقد رجح هذا التعريف بفئة الأصوليين⁽¹⁾، لأن في شرط الاحتمال ربط بالدليل والدليل عقلي هو أداة أصولية لإظهار المعنى، كما أن المعنى وموضعه يختلف بين اللغوي والفقهي فنجد في أصول النحو تختلف عن أصول الفقه في بعض القضايا فأصول النحو يعتمد على اللغة في الإظهار وعلى العقل في التقييس والاستنباط، أما أصول الفقه يعتمد أوله على العقل في الحكم على القضايا وعلى اللغة في استخراج العلة المصطلحية على الحكم وتقييسها، فاختلف الأبنية هو اختلاف الاستعمال والتوظيف ومنه اختلاف المعنى فالمعنى بناءه قائم على العقل عكس اللفظ الذي يقوم على اللسان، فكل عاقل متكلم وليس كل متكلم عاقل، وفرغ الكلام من العقل ضعف في المعنى. وفي قوله

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، المطبعة التونسية، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص16.

تعالى: >> يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي << فيذهب محمد الطاهر بن عاشور إلى تفسير المعنى الظاهر بأن الله تعالى أراد إخراج الطير من البيضة فهذا حد التفسير، وأن بإخراج المسلم من الكافر فهذا المعنى حد التأويل⁽¹⁾.

ويعرف بن عاشور التأويل فيقول: >> أن التأويل مصدر أوله إذا أرجعه إلى الغاية المقصودة، والغاية من اللفظ هو معناه وما أراده منه المتكلم به من المعاني، فساوى التفسير <<⁽²⁾، لأنهما يشتركان في اللغة ويعتمدان على العقل، وعليه >>فالتأويل لا يطلق إلا على ما فيه تفصيل معنى خفي معقول <<⁽³⁾، فشرط الإطلاق هو الغموض في العقل على حد قول الأعشى:

على أنها كانت تأوّل حُبّها تأوّل ربّعيّ السقاب فأصحابا

فحد التفسير في هذا البيت هو تبين تفسير حبها أنه كان صغيرا في قلبه، فلم يزل يشب حتى صار كبيرا كهذا السقب أي ولد الناقة بغرض التسوية والتعيين⁽⁴⁾.

أما حد التأويل حمل اللفظ للمعنى الظاهر على معنى آخر حيث وظف الشاعر السقب بغرض التشبيه لكيان الابن وعلاقته بأمه في صغره وألصق السقب بالربع تشبيها على مصاحبة ابنه له عندما أصبح كبيرا بغرض التوسع في معنى عبارة تأوّل ربّعيّ السقاب فأصبحا⁽⁵⁾. وركز محمد الطاهر بن عاشور في التأويل في كلمة تأوّل المتكررة في صدر البيت وعجزه وفسرها باستدلالة

⁽¹⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج 1، ص 16.

⁽²⁾ - المرجع نفسه، ج 1، ص 16.

⁽³⁾ - المرجع نفسه، ج 1، ص 16.

⁽⁴⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ج 1، ص 16. 2

⁽⁵⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ج 1، ص 16.

بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في معنى الاتساع في البيان والتعمق في الفهم. ويختلف الفهم والإفهام لاختلاف أنماط القراءة والتعمق لكل نمط صياغة موجه لمتلقي معين، فالفهم غير الإفهام حيث يكون الأول موجه لمتلقي عادي أما الثانية تكون موجهة لمتلقي متمكن وكفاء، فما هي أنواع القراءة التأويلية المندمجة في الفهم والإفهام؟ وما تأثيرها على بلاغة المؤول؟ ويمكن الإجابة على هذه الإشكالية في باقي الصفحات القادمة إن شاء الله.

المطلب الأول: التعاقد التأويلي وبلاغة المؤول المعرفية في تفسير الخطاب

القرآني في فكر محمد الطاهر بن عاشور -أسباب نزول سورة يوسف عليه السلام-

سخرَ الله تعالى للإنسان العقل لإدراك جل أسرار الكون وإشغاله في التدبر والتفقه في أمور الدين والعلم والمجتمع، فنجد محمد الطاهر بن عاشور قد اهتم بالقراءة التأويلية في أصول العلم واللغة وإصلاح المجتمع وقوامه والتعمق في الدين وقضايا ومقاصده التشريعية ويظهر ذلك في المقدمة الثانية من تفسيره للتحرير والتنوير المعنونة في استمداد علم التفسير⁽¹⁾، حيث أصل العلم في منطقية التفسير وضبط مرجعياته المعرفية حيث يقول إن: >> استمداد العلم يراد به توقفه على معلومات سابق وجودها على وجود ذلك العلم عند مدونه لتكون عوناً لهم على إتقان تدوين ذلك العلم<<⁽²⁾، فلا يستطيع أي مؤلف للخطاب أو النص أن ينشئ موضوعاً دون أن تكون له خلفية معرفية بذلك الموضوع الذي يريد تقديمه للمتلقي، فاستمداد علم التفسير مثلاً يقوم على >> العدة النقلية للمؤول ومفتاحه المرجعي، وهو مجموع العلوم المرتبطة بنزول الآيات وسورها وأقاصيصها،

⁽¹⁾ - التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج1، ص18.

⁽²⁾ - المرجع نفسه، ص18.

وترتيب المكي والمدني والمطلق والمقيد، والحلال والحرام، وغيرها⁽¹⁾، ويقصد بالعدة هي الركائز التي يعتمد عليها المتلقي المؤول في التلقي النقلي للنص القرآني اللغوي والمتمثلة في مجموع الظروف السياقية والأبنية النصية والمواضع الخطابية التي تحملها القصة القرآنية، وأن في دراسة المطلق والمقيد وانشغاله بالمعنى أكثر يجعل من مرجعية العلم يستمد مفاهيمه من العلوم العقلية أكثر وذلك "لاحتياج العلم لتلك المعلومات بطلب المدد... وليس كل ما يذكر في العلم ممدودا من مدده أي أطاله وتعمق فيه أو أعطاه ومنحه بل إن في مدده تعني الأسس التي يتوقف عليها وتقومه وتقوم به، ولكل علم مقومات خاصة تقيد وتطلق على حسب الغاية منه"⁽²⁾.

فمثلا في مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي يعتبر إفاضة في العلم لأنه لا ينحصر أو ينضبط بقواعد البيان فقط بل يتفاوت ذلك وهذا التفاوت ينقاس على حسب مقادير التوسع في القراءة والاستطراد في القياس و التوليد في المعنى"⁽³⁾.

وإن علاقة اللغة العربية بالقرآن علاقة علم ومنهج وحياة وفي هذه الحدود الثلاثة -الظروف السياقية ورسائل الخطابية وركيزة المعنى وبناءه- وجهة لها لتعديل أو إضافة أو فهم وتدبر في مضمون الرسالة، فنجد "محمد يونس علي قد اقترح أنموذج التخاطب عند الجمهور وخصه بالقصد والاستعمال بين الإطلاق والتقييد وأظهر أن مجال التخاطب واسع في قضاياها ومتعدد الصياغة

⁽¹⁾ - محمد بازي: التأويلية العربية نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات، منشورات ضفاف، بيروت، ط1، 1436هـ-2015م، ص384.

⁽²⁾ -ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص18.

⁽³⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص18.

والظروف ومتخصص الوضع والدلالة⁽¹⁾، فأدرج لكل عنصر مقوما خطابيا يتمثل في قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ سورة البقرة، الآية 43، فعندما نذهب إلى تحديد نموذج التخاطب في هذه الآية واستخراج آياتها التساندية والمرجعية في التأويل نجد ما يلي:

جدول رقم(22): يوضح أغراض الواضع بين المعنى والاستعمال عند محمد الطاهر بن عاشور

الواضع	الوضع	الدلالة	المخاطب	الاستعمال	الخطاب	الحمل	المخاطب
الله تعالى	القلب اللغوي العربي	التناقض والإثبات	الرسول صلى الله عليه وسلم	مقام التوبيخ	اجتماعي	مراجعة الذات وإصلاحها	الكافرون عامة والمنافقون خاصة
السياق: سياق اجتماعي يحمل معنى ضرورة التفقه والعلم والشعور وعقل الأمور الكونية بمنافعها ومضارها.							

وهنا أثبت الله تعالى أهمية اللغة العربية في تفسير القرآن الكريم وفهمه وهذا الإثبات شمل ثلاث حدود حد اللسان وحد الشعور وحد العقل حيث نجد في الآية المدرج شرحها في الجدول أن الله تعالى بإرسال المعنى في مقام توبيخ للكافرين الذين لا يستعملون عقولهم بشكل صحيح وخاصة وهم على علم بوجود الكتاب-التوراة- ويقرءونه ولا يعملون به، وأن في جمعه عز وجل لحد القلب والعقل له معاني فتخصيص القلب في تصوير المعنى لحالة الكافرين الذين سرعان ما ينقلبون أثناء التلقي وأثناء الحوار فنجد منهم من يصغي ويجاوب بالاعتراض ومنهم من يصغي ويتلو الكتاب

⁽¹⁾ - ينظر ثروت مرسى: في التداوليات الاستدلالية قراءة تأصيلية في المفاهيم والسيرورات التأويلية، دار كنوز المعرفة، عمان-الأردن، ص67.

ويتصرف بكفر وشرك وإصرار على المعصية، وأن العقل فيه معنى التدبر والتأمل الذاتي القلبي فلهذا أدمجت الآية بين اللغة والشعور والعقل لأغراض استعمالية ومقاصد كونية يريد بها الله تعالى أن تثبت في عباده منها:

- ضرورة استعمال العقل والقلب وإعمالهما على التأمل والتعمق في مظاهر الكون وأسرار الوجود.
- مراجعة التصرفات والاهتداء وراء ما يأمر الله تعالى عباده به وما ينهاهم عنه خوفاً وطمعا في رضا الله تعالى.

● الابتعاد عن اللغو وجعل الكلام ذو معنى وإفادة وبلاغة ولهذا لابد من التركيز على نظم لغة القرآن الكريم وتعديل اللسان والفكر ومنه يتعدل المجتمع.

وفي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونْ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ سورة الحج، الآية 44، فالتوبيخ الحاصل في هذه الآية موجه للمكذابين والمشركين لعصيانهم وانعدام شعورهم.

والفهم شرطه العلم والعقل فإذا تواجدت هذه الشروط كان الفهم في أعلى درجات من الحكمة والبيان فيقول تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمًا وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعَلَّمْنَا دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ سورة الأنبياء، الآية 78، خص الله تعالى سيدنا سليمان بالفهم والحكمة والبيان وسخر لداود الجبال والطير وقصد من هذا إثبات حكمته وبيانه وأن الفهم رزق من الله تعالى وتسخير لعباده رحمة من عنده يؤتيها لمن يشاء.

فيظهر الفهم والإفهام بأنه شكل من أشكال التحديق القرائي الملازم لحس المتلقي وقدرته الذهنية على التنبؤ والتحليل والملاحظة والتفسير والتأويل، وهذا النمط النظري للقراءة يتطلب مجموعة من المبادئ والإجراءات التطبيقية لجعل من الفهم والإفهام غاية وعدم الاقتصار على أنه

فعل، فيخرج الفهم من الفعل العادي إلى غاية التفاعل ومن فعل التلقي إلى غاية الإنتاج والانسجام، وعليه "فكيمياء التأويل الحاصلة لحظة الفهم نتيجة التفاعل بين التلقي والإنتاج يركز على البنية النصية الظاهرة والخفية في حد التأويل"⁽¹⁾.

المطلب الثاني: بلاغة المؤول وانسجام التأويل (النظم والانسجام)

يقول محمد الطاهر بن عاشور في بلاغة المؤول: >>إن العرب أمة قد جبلت على ذكاء القرائح وفطنة الأفهام، فعلى دعامة فطنتهم وذكائهم أقيمت أساليب كلامهم، وبخاصة كلام بلغائهم، ولذلك كان الإيجاز عمود بلاغتهم لاعتماد المتكلمين على أفهام السامعين<<⁽²⁾، فنجد البليغ من أوجز الكلام وحافظ على قيمة الإخبار وأن المؤول السامع من كان متفهماً وعموداً يرتكز عليه في أوضاع التلقي المختلفة وسياقاتها المتعددة ومن كان يستقطب مقصد الكلام من العبارة ويلتقط بلاغة اللفظ من أذهان المتكلمين، وعمق قوة بلاغة المؤول ترتكز على الدهاء في التلقي وذكائه وهي ما سماها محمد الطاهر بن عاشور بـ"اللمحة الدالة"⁽³⁾ ويقصد بها ملكة المعاني البلاغية من "مجاز وإيجاز وتشبيه واستعارة واشتراك وتمثيل وكناية واستطراد وأمثال وتلميح وتصريح واستعمال للأساليب الخبرية والاستفهامية والتقريبية... إلخ"⁽⁴⁾ من أبواب البيان والمعاني.

وتعتبر العبارة هي ملك المتكلم يصنعها حسب الغاية التي يريد التعبير بها وعلى حسب حاجته التواصلية للمتلقي، فنجد القرآن الكريم ثبت وحيه من العلام سبحانه قصداً منه لمجموعة من

⁽¹⁾ - محمد بازي: التأويلية العربية نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات، منشورات ضفاف، بيروت، ط1، 1436هـ-2015م، ص390.

⁽²⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص93.

⁽³⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص93.

⁽⁴⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص93.

الأسباب التواصلية:

أولها صدق النبي صلى الله عليه: فلا إثبات صدق النبي صلى الله عليه وسلم خصه بالرسالة وهيئ له الطرائق والظروف والأسباب والآليات التخاطبية البلاغية منها واللغوية والدلالية والحجاجية التي يجب أن تتوفر في كل متلقي خطاب حتى يكون محور التواصل قائم على قنوات التعبير المطلوبة. ثانيها تحدي العرب بلغة لسانهم: واختار الله سبحانه وتعالى بلغاء العرب لأنهم على عقولهم مهية على درجة عالية من الفهم والأفهام وأساليب التبليغ وأسباب البيان، فألزمهم بأقصر منه.

ثالثها تعاقد النظم: على النسيج البليغ الملتئم الأجزاء والغايات والظروف، فجاء القرآن الكريم بأفضل نسيج بالغا لمنتهى ما تحتويه اللغة العربية من دقائق ولطائف تعبيرية لفظا ومعنى ومطابقا لخصائصها لفظا ومعنى وملزما لمعنى البلاغة المخصصة للمرسل إليه⁽¹⁾.

فإن القرآن الكريم راعى درجة المعرفة العقلية للمتلقي وأعطاه إشارات لإدراك حصول المقصود من الخطاب اللغوي، واعتمد على نقلية الرسول صلى الله عليه وسلم مع ضمان صدقه في النقل واعتبار درجة الوعي والاستيعاب للعرب المطلوب منه إرسال النور في عقولهم، وهذا على يقول محمد الطاهر بن عاشور: >> فمعتاد البلغاء إيداع المتكلم معنى يدعوه إليه غرض كلامه وترك غيره <<⁽²⁾

وهذا الأسلوب في الإيداع هو باعتباره تعاقدًا بين المؤول والنص وبين المتكلم والسامع ومحور التعاقد لا ينجح إلا إذا توحدت الأساليب التعبيرية والمقاصد البلاغية على مستوى النص أو الخطاب، ووقوفها بين قصدية المتكلم وتأويلية المتلقي ولهذا يسمى هذا النوع من الإيداع بالتعاقد التأويلي ويكمن مفهومه النصي على أنه: "مجموعة من التصورات والمبادئ والمعايير والنسق

⁽¹⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج 1، ص 93.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ج 1، ص 93.

الثقافي الداخلة في سلطة التأويل والملزمة على كل من المتلقي والمتكلم العلم بها بحيث لا يشترط فيها تحديدها بين المتخاطبين والنص وذلك للتباعد الزماني والمكاني الواقع بين الأطراف المتخاطبة⁽¹⁾.

وتخرج البلاغة عند المؤول من شرط الإيجاز وتنتقل إلى الانسجام في درجة الإعجاز فيقول محمد الطاهر بن عاشور في هذا: >> إذ قد كان تفصيل وجوه الإعجاز لا يحصره المتأمل كان علينا أن نضبط معاقدها التي هي ملاكها⁽²⁾ ونرى محمد الطاهر بن عاشور قد حدد خطوط الطول والعرض في التأويل النصي وأعطى صفة التعاقد في شرط التفصيل بعد الإيجاز حتى يستطيع المتلقي المؤول تفسير النظم وبلاغته وفك شفرات النص ومقاصد القول بآليات عقلية تعتمد على درجة فهم العقدة النصية ودليل ذلك قوله (كان علينا ضبط معاقدها التي هي ملاكها) ومن هذه المعاهد هي النظم بين الاتساق والانسجام الذي يملكه التدنوق النفسي والتأمل العقلي في توجيه المعنى وقدرته على تفسيره.

ومن شروط معاهد المعنى وانسجامه مع وجهة تأويل الخطاب لدى المؤول حددها محمد الطاهر بن عاشور ثلاث جهات نطبقها على مقاصد سورة يوسف عليه السلام:

أولاً حد بلوغ الغاية القصوى: ويتعلق هذا الحد لدى المؤول بعنصر الفهم لمواضع النظم وكيفيات انسجامه وتعلقه به وطرائق انتقاله من درجة البلاغة إلى درجة التبليغ⁽³⁾، ومن درجة التبليغ إلى

⁽¹⁾ - ينظر محمد بازي: التأويلية العربية نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات، منشورات ضفاف، بيروت، ط1، 1436هـ-2015م، ص159.

⁽²⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص104.

⁽³⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج1، ص104.

درجة كيفية فهم الإعجاز وفك شفراته، وباختصار يتضمن قدرة المؤول التحليلية للقصد واستخراج الغاية من أعمق درجات بلاغتها.

ف نجد محمد الطاهر بن عاشور يستظهر بلوغ الغاية القصوى من مقاصد نزول سورة يوسف عليه السلام حيث يقول: > أنزل القرآن فتلاه رسول الله- صلى الله عليه وسلم- على أصحابه زمانا، فقالوا(أي المسلمون بمكة): يا رسول الله لو قصصت علينا، فأنزل الله(الْأَرْثُ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ⁽¹⁾)، فأول ما نزل من سورة يوسف عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآيات الثلاثة. ومن أغراضها إثباتا على أن المسلمون متواجدون في كل زمان ومكان.

وحد الغاية القصوى من قصة يوسف تتعلق بالأغراض التي احتوتها بحكم >تعبير الرؤيا علم يهبه الله لمن يشاء من صالح عباد<⁽²⁾، فأبلغ الكلام ما كان منظوما من الله تعالى موجها إلى عقل عبده المؤمن ليتدبر فيه ويتأمل وأرقى العلوم ما كانت في تنوير الأفهام واجتهاد من العقل البشري في فهم بلاغة كلام الله تعالى، كما أن الله تعالى حدد الفئة المتلقية لهذا النوع من الارتقاء العلمي والعقلي وخصه بحيز النبوة والتأويل والتي فيها >إثبات أن بعض المرائي قد يكون إنباء بأمر مغيب، وذلك من أصول النبوءات وهو من أصول الحكمة المشرقية<⁽³⁾ ويعنى بأصول الحكمة المشرقية أصول المنطق والمعرفة والتي هي عبارة عن امتزاج بين حكمتين: حكمة الإشراف التي تقوم على ربط سياق التعبير بضرورة معرفة حوادث الدهر، ومعنى بلاغة الكلام ومدى

⁽¹⁾ - المرجع السابق، ج2، ص198.

⁽²⁾ - المرجع نفسه، ج2، ص198.

⁽³⁾ - المرجع نفسه، ج2، ص198.

رمزياته، ويشترط في المتلقي درجة الإدراك والتذوق، وبين الحكمة الفارسية التي تعتمد على درجة البيان والبرهان ويشترط هذا الاعتماد على المزج بين القدرة العقلية والتمكن العلمي ويكون توظيفه بأسلوب التحوير للمعرفة القائمة المناسب لمنطقية التأويل والقائم على شريطة التناسق في الذهن والانسجام في الاستعمال⁽¹⁾.

ويعد الانتقال البلاغي في حد بلاغة الغاية القصوى درجة من الدرجات التداولية والتي يتم فيها الانتقال من المستوى الحرفي الصريح إلى المستوى التلمحي الضمني وقد تمكن منها المؤول محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سُجْدِينَ﴾ سورة يوسف، الآية 04. ، وقد حدد فيها المعنى الحرفي الصريح لـ(إذ قال) بأنها بدل اشتمال أو بعض من أحسن القصص وأن أحسن القصص يشتمل على قصص كثير ومنه قصص زمان يوسف وما أكده هو التصاق القول بيوسف ومضمون كلامه لأبيه وذلك فيه تخصيص بظرف الحوادث وأن اسم يوسف هو اسم عبراني خصص له توجيه القول⁽²⁾، والمعنى التلمحي الضمني قد كان في تأويل المتلقي محمد الطاهر بن عاشور لمضامين الآية ومقصودها البعيد يحمل أبعاد تأويلية عديدة تتدرج على حسب قواعد بلاغة المعنى وتوسع الاستعمال وهي:

قاعدة التخيير: معنى لطف الله تعالى واصطفاه ليوسف واختياره له من الأنبياء وتخييره بين ارتكاب الذنب أو التصدي له والامتنال بأخلاق الأنبياء وصفاتهم التي جبلهم الله تعالى عليها

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر الميساوي: جمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ج1، ط1، 1436هـ-2015م، ص285-286.

⁽²⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج12، (د، ر ط)، 1984م، ص205.

ويظهر ذلك في اختيار يوسف السجن على الضعف والرضوخ ومطاوعة النساء أو التمكن منه وإغوائه بطريق الشر ودعاء ربه أن يبعده عن الخطأ والزلل ويظهر ذلك في قوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ سورة يوسف، الآية 33-34.

قاعدة الطريقة: معنى حسن أسلوب إرسال العبرة من الكلام والتي تضمنها حسن العواقب والوفاء والأمانة والصدق والتوبة في خطاب الملك مع يوسف في سؤاله عن تأويل الحلم من قوله تعالى ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾ سورة يوسف، الآية 46، إلى غاية ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَيُّتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ إَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَالَ الْغِشْوَةِ الَّتِي قَطَّعْتَ أِيدَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ سورة يوسف، الآية 50.

قاعدة التودد: تصوير معنى درجة تحاسد القرابة بينهم والتنبيه لأسبابها ومكايدها.

ثانيا حد الإبداع في القول: ويتعلق هذا الحد بأفانين القول وأساليب التعبير حيث وازى القرآن الكريم بين شيئين هو مخالفة نظم الكلام المعتاد في كلام العرب واستعمالهم، والمحافظة على خصائص اللغة وما تسمح به من تعابير ونظم⁽¹⁾، فكان إبداع القرآن من محاسن التصرف في التأليف وفي أبلغ درجات إبهار العقول وتعجيزهم.

يعد الأسلوب الإبلاغي إبداعاً لأنه يحمل التعبير في صورة كلامية متعددة الأوجه والمعاني والاحتمالات، كما أن للأسلوب قدرة على حمل عقل المتلقي ووضعه في الحيز البلاغي المناسب له وذلك يعود إلى درجة فطنة وذكاء العقل للمتلقي، فكلما كان دافع التأمل قويا في ذهن المتلقي

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج 1، (د، ر ط)، 1984م، ص 104.

كان حد الإبداع في القول جلبا في تأويلاته وتفسيراته ومن هذا أجبر الله العقل الإنساني في التأمل والتدبر في الكون وذلك من أجل إدراك حجم الإبداع الرباني الذي أودعه منه الله تعالى في عقل الإنسان فميزه عن بعضهم البعض به.

ثالثا حد الإبداع العقلي للمعنى:

وهذا الحد يتعلق بالحد الزمني والإدراكي للغة فكان القرآن الكريم مكنوز فكري ولغوي مرسل إلى عقل بشري متقبل إلى إدراك وفهم وفرز المظاهر الكونية والحجج التعجيزية ولهذا يقول محمد الطاهر بن عاشور في هذه الجهة هي >> ما أودع فيه من المعاني الحكيمة والإشارات إلى الحقائق العقلية؛ والعلمية مما لم تبلغ إليه عقول البشر في عصر نزول القرآن وفي عصور بعده متفاوتة⁽¹⁾، أي أن القرآن الكريم هو مكنوز معرفي خالص صالح لكل الأزمان والأماكن ولكل الظروف ومستساغ على حكمة وهي حياة اللغة العربية فبها تثبتت حياتها وأصبحت لغة غير قابلة للزوال وكما أن الرصيد اللغوي المودع في القرآن الكريم متمثل في مجموع اللهجات واللغات العربية التي كانت تعرف بها القبائل العربية آنذاك ودليل ذلك أن تفسير الكلام في القرآن الكريم يعتمد بدرجة ثالثة على ديوان العرب لأنه يعبر عن فكر وحياة ونمط المجتمع العربي خاصة لأن القرآن وجه إلى العرب تمييزا عن الأمم الأخرى وقصدهم بالخطاب، فنجد التجديد الفكري الذي فرضه القرآن على العقل البشري تجديد حياة والتجديد اللغوي تجديد تهذيب والتجديد التواصلية تجديد تعامل واهتداء والتجديد الزمني تجديد امتداد واجتماع والتجديد المكاني تجديد تفضيل واقتداء، وأن في اللغة والعقل موطنين موطن مكنوز وموطن رصيد والفرق بينهما شاسع فمالا تتحمله اللغة

⁽¹⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 104.

يستنبطه العقل ويحوره ويعيد استقرائه باللغة فيطووع التحمل بعد إعادة إصلاح، فالرصيد استعماله مؤقت أما المكنوز فاستعماله دائم ولهذا فنجد الرصيد في اللغة متجذر لأنها تتلون وتتغير حسب أسباب وظروف وأنماط وغايات تواصلية خاصة أما المكنوز فمحله العقل فلهذا نجده مكتسب وثابت لا يتغير وإنما يزداد في التطور والإضافة وصالح لكل زمان ومكان ونستدعيه في العقل وقت الحاجة إليه، فكان القرآن لغة عقل فهو مكنوز وهذا ما ميزه ثبت اللغة العربية عليه. ولهذا فضل القرآن على اللغة العربية فضل كبير جدا.

المطلب الثالث: سلطة المعايير الثقافية للمتلقي البلاغي في التعاقد التأويلي

المعرفي لمحمد الطاهر بن عاشور.

حدّد محمد الطاهر بن عاشور سلطة المعايير الثقافية للمتلقي البلاغي في عشرة نقاط أساسية

نعددها كما جاءت في مقدماته العشر كما يلي:

*تعاهد الغرض مع المفسر

*تعاهد التفسير مع التأويل.

*تعاهد العقل مع النقل

*تعاهد المرجع مع الدليل

*تعاهد الاسم مع الآية والسورة

*تعاهد المعنى مع القول

* القصد مع المعاني

*تعاهد القصة مع سبب النزول

*تعاهد النظم مع البلاغة والإعجاز⁽¹⁾

*تعاهد القراءة مع النحو

فلا بد على المفسر أن يكون محاط علما ومعرفة بهذه العلوم وأسبابها حتى يصح له الخوض

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: ملخص مقدمة تفسير التحرير والتنوير-مرجع سابق-، ج1، ص102-101.

في تصاريفها وتفسيرها⁽¹⁾ ومجمل التعاهد التأويلي المعرفي يصب في تعاهد عام يجمل كل العلوم في سياق واحد وهو التعاقد الثقافي.

ويفسر محمد الطاهر بن عاشور تعاهد النظم والبلاغة والظروف الخارجية لا يأتي من العدم وإنما له أبعاد ثقافية ومعرفية ترجع إليها التقديرات العقلية والتعبيرات اللغوية حتى يضبط وجهة المعنى ويخرج من دائرة النقل إلى العقل فكلما ارتبط الكلام بعقلية المتلقي كلما كان المعنى دقيقاً والتأويل منظماً وصحيحاً.

كما أن الأبعاد الثقافية والمعرفية أنواع منها التاريخية والدينية والاجتماعية وهذه الصفة النوعية موجهة إلى عقل المتلقي المنتج ويتحكم فيها التعبير القرآني بكونه الخطاب الملقى بعقل المتلقي وهذا الخطاب الديني لا يحسن تأويله ولا تفك شفراته حتى يبرم تعاقدًا بين الثقافة والمعرفة ويعتلي حيز التأويل العقلي للمتلقي سلطة ثقافته التي تنعكس على عمق الإنتاج التأويلي في الخطاب القرآني، وأن الأبعاد البلاغية متصلة بالسلطة الأسلوبية للخطاب من جهة والسلطة التخاطبية السببية من جهة أخرى، وهذا الاتصال القائم على السلطة يزيد من متانة الخطاب والإدراك للمتلقي التداولي، وعليه تنعكس هذه القوة التواصلية على درجة الإعجاز فإذا كان جمال الأسلوب هو الإعجاز فإن مدارك العقل في التأويل يكمن في بنية الإعجاز.

ولتحديد المعايير الثقافية المتواجدة في سورة يوسف عليه السلام والتي حددها محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره فلا بد أن نعود إلى محور أسباب النزول ومضمون السورة⁽²⁾، فنجد محمد الطاهر بن عاشور قد حدد هذه المعايير في أربعة نقاط أساسية نذكرها بالشكل التالي:

⁽¹⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج 1، ص 18-19.

⁽²⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج 1، (د، ر ط)، 1984م، ص 46.

أولاً: معيار الاستمداد المرجعي (البعد المعرفي والثقافي) للخطاب:

1- الاستمداد المعرفي:

استعمل محمد الطاهر بن عاشور المقاربة التفسيرية في تحرير مؤلفه المسمى بالتحرير والتنوير معتمداً على نسج نسق الترميز اللغوي القرآني الذي يميل إلى الترميز والاستدلال العقلي، وهذه المقارنة هي: >> معطى هيكلي تواصلية اعتمده كل من ويلسن وسبربر يقوم على نموذجين: نموذج الشفرة السيميوطيقي، وثانيها نموذج التواصل الاستدلالي الإظهارية <<(1)، فنجد النموذج الأول يعتمد على الذهن وكيفية إدراكه للمعاني أثناء التواصل والمتمثل في تنوير العقل وحده التأويل في سورة يوسف عليه السلام حيث قال: >> وفي هذا الاسم تميز لها من بين السور المفتحة بحروف ألر <<(2) فنجد أن ألر ترميز لسورة يوسف وتمييزها عن غيرها من السور الأخرى المفتحة بالترميز وأن تأويل هذا النوع من الترميز يحتاج إلى مجموعة من الروابط العقلية والمعرفية المسؤولة عن تشكل انسجام الخطاب، وأما في الثاني يختص بالوضع التواصلية ودور العمليات الاستدلالية في فهم المقام وطرائق تراكيبيها مع المعطيات الذهنية وأيهما أكثر مسؤولية بين فهم المقصود وبناء الرسالة التبليغية؟ وما علاقة النموذجين بنظرية الملاءمة في البعد المعرفي؟(3) فنجد أن النموذج الثاني يتعلق بالنموذج الأول من الناحية الاستدلالية للمعنى الظاهر القائم على مجموعة من القرائن

⁽¹⁾ - مزايط مولود هيدالله: قضايا في التداوليات المعرفية (التواصل-المعرفية-الاستدلال-الروابط-التهكم-الاستعارة-الترجمة)، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن-عمان، ط1، 1443هـ-2022م، ص71.

⁽²⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج12، (د، ر ط)، 1984م، ص197.

⁽³⁾ - ينظر مزايط مولود هيدالله: قضايا في التداوليات المعرفية (التواصل-المعرفية-الاستدلال-الروابط-التهكم-الاستعارة-الترجمة)، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن-عمان، ط1، 1443هـ-2022م، ص71.

المعرفية المناسبة في ضبط الفهم لإنجاح عملية التواصل بينما نجد النموذج الأول يتعلق بالثاني من الناحية الرمزية التي تستدعي العقل للبحث عن العمليات الاستدلالية المساعدة في فك شفرة التواصل وإجلاءها من محور العلامة إلى محور التركيب وكل ذلك لا يتم إلا إذا تمت مراعات الملاءمة المعرفية والتي تعرف >>بكونها نظرية تداولية معرفية تتميز عن باقي النظريات التداولية الحديثة بطابعها المعرفي<<(1).

فالمعرفة هي استمداد مرجعي لا بد على المتكلم والمتلقي ضبط حده في العقل الإدراكي حتى يبلغ الفهم مرحلة التواصل >>فالمفسر المتوسع محتاجا إلى الإلمام بكل العلوم<<(2). وهذا التوسع لا يأتي عشوائيا وإنما مع طول التمرس والتطبيق فينتقل فيه المتلقي المتوسع من نقطة البحث عن الفهم إلى نقطة التمكن من المعرفة.

ويتضح أن (نيسر) قد ربط المعرفة بمختلف السيرورات المعرفية والأنشطة الإدراكية والوظائف النفسية المعرفية التي تسهم في اختيار وتنظيم المعلومات الواردة من المحيط الخارجي عبر المدخلات الحسية، ثم إدماجها وإعادة استعمالها في بلورة سلوكيات ملائمة كالتأليف والإدراك والتفكير والاستدلال والذكاء وغيره(3).

كما تميز محمد الطاهر بن عاشور بالكفاءة المعرفية ويظهر ذلك في تفسيره لمعاني سورة يوسف عليه السلام كما أن سيدنا يوسف قد كان على درجة عالية من الصدق والذكاء فأمتاز بالتأويل واستغلال علم التأويل وفق ما أمره الله تعالى به فكانت الرؤية تنبأ لما سيأتي من الزمان مثل

(1) - المرجع السابق، ج12، ص71.

(2) - المرجع نفسه، ج1، ص26.

(3) - ينظر مزايط مولود هيدالله: قضايا في التداوليات المعرفية(التواصل-المعرفية-الاستدلال-الروابط-التهكم-الاستعارة-الترجمة)، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن-عمان، ط1، 1443هـ-2022م، ص73.

تفسيره لحلم آمون حيث عجز جميع الكهنة في تفسيره غير أنه تمكن من ذلك بتوفيق من الله تعالى ولإثبات صدقه على الملك ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ...يعصرون﴾ سورة يوسف، الآية 46-49، فأشار يوسف عليه السلام أنه سيأتي عليهم زمن شديد، فعلى الملك بحسن التصرف والبدء في الادخار والاقتصاد في وقت الشدة⁽¹⁾

وتحمل المعرفة ثلاث زمر دلالية تتعلق كل زمرة بعملية تواصلية معينة:

جدول رقم(23): يشرح السيرة المعرفية في العملية التواصلية وأوضاعها التعبيرية

ودلالاتها

الوضع التعبيري	الزمرة الدلالية	العملية التواصلية	المصطلح
ألر تلك آيات الكتاب المبين	المشترك اللفظي	عملية بشرية تواصلية	Cognition
وكذلك مكنا ليوسف في الأرض	التمثيل الذهني	عملية إنتاجية تواصلية	Cognition
وكذلك كدنا ليوسف	السلوك العاطفي	عملية شعورية تواصلية	Cognition- Conatif

المرجع: ينظر مزايط مولود هيد الله: قضايا في التداوليات المعرفية(التواصل-المعرفية-

الاستدلال-الروابط-التهكم-الاستعارة-الترجمة)، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن -

عمان، ط1 1443هـ-2022م، ص72-73.

2-الاستمداد الثقافي:

اعتمد محمد الطاهر بن عاشور على أسباب النزول في تفسيره لكل سورة قرآنية من باب لغوي

⁽¹⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج12، (د، ر ط)، 1984م، ص286-287.

بلاغي قصد الإمام بالظروف السياقية ومقتضيات الحال الخطابي لفهم النص وتوجيه القصد نحو المعنى الملازم له.

ونجد الظروف السياقية التي راعاها محمد الطاهر بن عاشور بكونه المتلقي للخطاب والفسر له هي: الطرف الإحالي والزمكاني والإضافي الضمني أي بين الطرف الأساسي والطرف الثانوي، فلا نستطيع صياغة تأويل بلا ضبط الإطار الزمكاني له لأننا سنكون بعيدا عن الحدث وموقعه، ولا يمكن أن نتجاهل الإحالات الواردة فيه لأن النص سيكون سطحيا مليئا بالتكرار، حيث يولد فتور في الإدراك وفقدان ذوق المتعة في القراءة والتمتع في المعنى، ولا يمكن أن نصد عن الطرف الإضافي وهو ما فوق محوري لأن البنية في جمالياتها كلما قربت من المنطقية العقلية كلما امتازت بالضبط النظمي الصالح للتأويل.

ولهذا نرى البعد الثقافي لدى محمد الطاهر بن عاشور تم استمداده من مجموع العلوم الأخرى علاوة على علوم العربية والقرآن الكريم نجده استمد موسوعيته الثقافية من العلوم الفلسفية الخاصة بفلسفة الأديان وفلسفة العقل والنقل والعلوم الاجتماعية الخاصة بالوضع اللغوي الاجتماعي⁽¹⁾، والعلوم النفسية الخاصة بمحور السلوكيات والدافعية العاطفية والعلوم المعرفية الإدراكية الخاصة بالعلوم المعاصرة الذهنية المدرجة في محور التواصل بدرجة أولى وكل هذه العلوم تعد بنيات ثقافية يلجأ إليها المتلقي المفسر أثناء تفسيره للخطاب والبحث فيها كما يضمن له غرضه التفسيري ويشفي له المعنى التأويل المناسب لهذا الخطاب التواصل.

ثانيا معيار القصد (المعنى المتولد) في الخطاب:

⁽¹⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص7-8.

نجد الاستمداد الثقافي في المنحى التداولي للمتلقي المؤول يعتمد على ثلاث كفايات تواصلية خطابية وهي:

-الكفاية التواصلية: وتعمل هذه الكفاية في نقل الخبر للخبر في حد ذاته وذلك حسب رجة أهميته وتكون عن طريق مجموعة من الوسائل الحجاجية المشجعة للمعنى والموضحة له.

-الكفاية الإيصالية: وتعمل هذه الكفاءة في نقل الخبر مع إعطاء أهمية للمتكلم.

-الكفاية الاتصالية: وتعمل هذه الكفاءة في نقل الخبر مع إعطاء أهمية للمتكلم والسامع معا⁽¹⁾.

وهذه الكفايات تعمل في قطاعات معرفية مختلفة كما أنه لها علاقه بالتكوثر العقلي الوارد في تداولية التنوير عند محمد الطاهر بن عاشور فنجد تمازج ثقافي بين فلسفه العقل عند طه عبد الرحمن ومحمد الطاهر بن عاشور حيث علق محمد الطاهر بن عاشور في تداولية التنوير في الفلسفة العقلية ودليل ذلك في شرحه للعنوان المختصر وتبيان مقصوده من التنوير في قوله تنوير العقل الجديد⁽²⁾، ويقصد بها البلاغة الجديدة التي أصبحت محور جدل ونقاش في الدراسات اللسانية المعاصرة وخاصة في المنحى الحجاجي التداولي فنجد تناول أسس البلاغة الجديدة القائمة على بلاغة الحجاج في تفسيره للإنتاج الخطابي البلاغي.

وقد كانت سوره يوسف عليه السلام زاخرة بالبعد الثقافي المعرفي التأويلي وتظهر في بلاغة النظم والإعجاز ونجد محمد الطاهر بن عاشور الثقافية المسؤولة على تركيب الخطاب في ثلاث أسس تقنية حجاجية بلاغية معتمدا فيها على البعد التأويلي وهي:

⁽¹⁾ -ينظر عبد الرحمن طه: التواصل والحجاج، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، (د، ر ط)، 1993-1994م، ص05.

⁽²⁾ -ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص08.

*بلاغة الآية: تعتبر الآية جزء من تركيب الخطاب القرآني وهي في حدود الجملة في اللغة وغايتها التواصلية، وتؤول الآية بكيفيتين⁽¹⁾:

- التقدير مثل في <قوله تعالى> (فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابت الجب وأوحينا إليه لتنبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون) فجملة لا يشعرون تقديرا على الحال أي وهم لا يشعرون أننا أوحينا إليه بذلك⁽²⁾، وعليه كان التقدير تقدير إيصالي حيث نقل الخبر من المتكلم وأوله والجمع الوارد هو جمع يربط بين الأمر الذي تلقاه جبريل والرسول صلى الله عليه وسلم من الله تعالى والطاعة تمثل في إيصال الرسالة أو الخبر المضمن من الرسالة كما هو من جبريل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ومن النبيء محمد عليه الصلاة والسلام إلى كافة الناس في الأمة العربية.

-الإلحاق من ذلك إلحاق(الر) إلى مسرد الآية الأولى من سورة يوسف-عليه السلام- وعليه نجد الإلحاق في هذه الحالة اعتمده محمد الطاهر بن عاشور على دلالة الوصلة البلاغية، وهذه الأجزاء من الآيات تسمى بمبتكرات القرآن⁽³⁾.

وتتفاوت مقادير الآيات على حسب الطول والقصر وتسمى الآيات فواصل خطابية بها يتم تعيين المعنى والوقوف عليها يؤثر بالسامع في عقله ونفسه، وهذا التفاوت في الطول يرتبط بما يقتضي مقام البلاغة من مواقع كلمات الفواصل على حسب ما قبلها من الكلام، ويرى محمد الطاهر بن عاشور أن الغرض من الكلام قد لا يحدده مقدار الآية الواحدة في بعض الحالات ولهذا تتغير بنية الكلام من كمية القلة إلى كمية الكثرة ويخرج الكلام من حد الآية إلى حد السورة وذلك لأن منتهى

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص74.

⁽²⁾ - المرجع نفسه، ج12، ص235.

⁽³⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج1، ص74.

الباب الثاني: الفصل الثاني: من تداولية التحرير والتنوير إلى تداولية التثوير والتقويل في بلاغة محمد الطاهر بن

عاشور - رؤية تداولية-.

الآيات لا ينتهي إليه الغرض المقصود من الكلام⁽¹⁾، فنجد محمد الطاهر بن عاشور هنا اعتمد على معيار الكم كمبدأ خطابي.

وبلاغة الآية ومراجع تأويلها حددها محمد الطاهر بن عاشور في خمسة مواضع وهي: الأول: تأويل الجملة من ناحية الغرض البلاغي.

الثاني: تأويل معجمي بتبيان معنى الكلمة أو المفردة في المعجم اللغوي.

الثالث: تأويل نصي باعتماد شرح المفردة المعجمية ونقلها إلى محور المعنى النصي لها من ناحية الإحالة والعائد.

الرابع: تأويل تقديري يتضمن المعنى النحوي للجملة ومعنى الرابط اللغوي ومفاده في عملية الاتصال النصي.

الخامس: تأويل استدلالي ويتعلق بمعنى الاسم ومناسبته لمضمون الخطاب في الموضوع التعبيري⁽²⁾.

* بلاغه السورة: يتوسع الكلام من دائرة الفاصلة المحددة في الآية إلى دائرة المناسبة والانسجام

المعنوي بين الغرض المنشئ والغرض المحقق، وتتمام الغرض يتعلق بالمعاني الجزئية للآيات

المشكلة للسورة والمرتكزة على ثلاث نقاط أساسية وهي:

- سبب النزول

-آلية الاستقراء للمعاني

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص74-77.

⁽²⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج30، (د، ر ط)، 1984م، ص470.

- مناسبة المعنى لمقتضى الحال

ف نجد سورة يوسف عليه السلام سورة مكية وهي السورة الثالثة والخمسون في ترتيب نزول السور، وما ميزها أنه لا توجد سورة سردت قصة نبيء في القرآن كقصة يوسف عليه السلام لما فيها من إطناب وتفصيل⁽¹⁾ لحيثيات القصة وظروف الخطاب ونشأته وأسبابه.

ومن مقاصد هذه الآية ثلاث جوانب يمكن استنباطها من فكر محمد الطاهر بن عاشور وهي:

-الجانب الأسري: علاقة الأخوة ببعضهم البعض وعلاقة الأبناء بأبيهم.

-الجانب الاجتماعي: علاقة يوسف عليه السلام بالملك وزوجته وبأصحابه في السجن ومع عامة الناس من الشعب.

-الجانب الاقتصادي: علاقة يوسف عليه السلام بتتية الملك على الوضع الاقتصادي الذي يمكن أن يتعرض إليه هو وشعبه وأنه عليه بأخذ الاعتبار من كلامه وبداية الاقتصاد في الأكل وتخزين المؤونة احترازا من الوقوع في الضيق الشديد في الزمن الآتي وكان ذلك بعد استجابة يوسف عليه السلام لأمر الملك بتأويل رؤيته⁽²⁾.

*بلاغة الخطاب: نجد اللغويين العرب القدامى لم يلقوا في دراستهم بلفظ المقيد في حد الجملة بل تجاوزوها إلى ما يفوقها بحكم أن غايتهم كانت تكمن في فهم القرآن الكريم باعتباره نصا كاملا⁽³⁾ كما حددوا في الخطاب ثلاثة نقاط أساسية وهي:

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ج12، (د، ر ط)، 1984م، ص197.

⁽²⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج12، ص198.

⁽³⁾ - ينظر أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والإمتداد، مكتبة دار الأمان، الرباط، ط1، 1427هـ-2006م، ص199.

الباب الثاني: الفصل الثاني: من تداولية التحرير والتنوير إلى تداولية التثوير والتقويل في بلاغة محمد الطاهر بن

عاشور - رؤية تداولية-.

-القدرة: لابد من التمييز بين القدرة اللغوية(نظم الكلام) والقدرة الخطابية(مناسبة التفسير اللغوي للتأويل).

- التتميط: يكون التتميط بمراعاة معايير معينة من الخطاب منها:

- معيار الغرض: يميز هذا المعيار بين الخبر والإنشاء ويعتمد على مبدأ الصدق.

- معيار الفحوى: وقسم هذا المعيار إلى قسمين قسم وجوه الدلالة وينقسم إلى صريح وضمني

وقسم وضوح الدلالة وينقسم إلى ظاهر وملتبس، وأدرج سلمية للمعنى الدلالي الإحالي ترتب فيه

الخطابات على حسب قصوها ودونها من حدي الظهور والخفاء.

- معيار المجال: وهنا يقع في صنف الخطاب ونوعه بين الخطاب الديني(القرآن الكريم خاص)

والخطاب العلمي والخطاب الحجاجي والخطاب الشعري⁽¹⁾.

- الخاصية: ونجد لكل نمط خاصية تختلف عن الخاصية الأخرى المجاورة لها وبهذا ميز الخطاب

القرآني فقسم إلى حلقتين: حلقة نصية كبرى يعنى بها نوعية السورة بين المكي والمدني، وحلقة

نصية صغرى يعنى بها تخفيض حجم الخطاب من سورة إلى آيات، كما أن تقسيم القرآن يقوم على

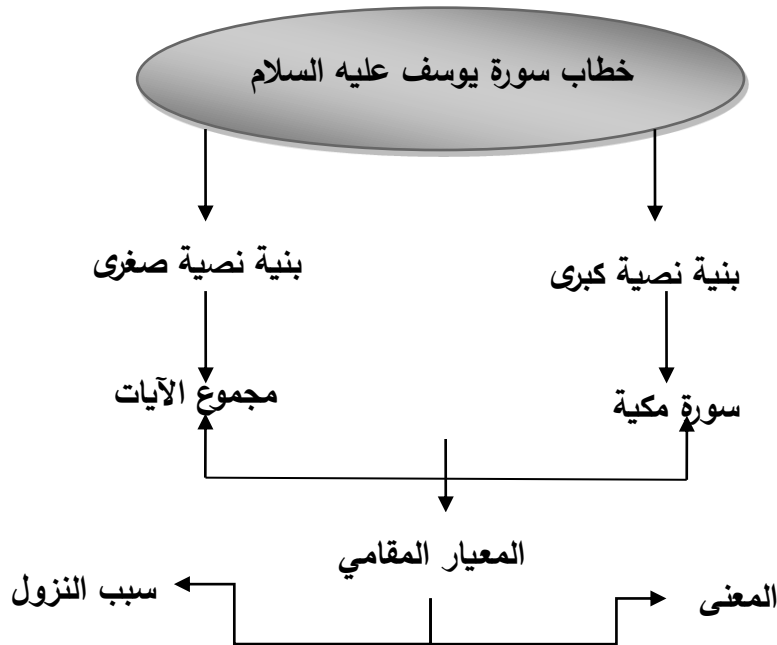
معياريين معيار المعنى ومعيار سبب النزول⁽²⁾. ويمكن تحديد قاعدة تقسيم الخطاب من حيث

المكونات في سورة يوسف عليه السلام بالشكل التالي:

الشكل رقم(23): يمثل البنية النصية للخطاب اللغوي القرآني في سورة يوسف عليه السلام.

⁽¹⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص200.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص202.



سبب خاص: العبرة بصبر الأنبياء مثل يعقوب ويوسف عليهما السلام.

سبب عام: العبرة بهجرة قوم النبي صلى الله عليه وسلم، وفيها من عبر تاريخ الأمم والحضارة القديمة وقوانينها ونظام حكوماتها وعقوباتها وتجاريتها، واسترقاق الصبي

تعبير الرؤيا علم يهبه الله لمن يشاء من صالح عباد.

تحاسد القرابة بينهم.

لطف الله بمن يصطفيه من عباد.

العبرة بحسن العواقب، الوفاء الأمانة،

الصدق، التوبة.

المرجع: ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس،

المساجين، ومراقبة المكابيل.

ج12، (د، ط)، 1984م، ص197.

ثالثاً: معيار الزمن (الظرفية الزمنية) من الخطاب.

ينقسم إلى الزمن الحداثي والزمن الإشاري نوضحه في النحو الموالي:

***الزمن الحداثي**

هو خاص بمجموع الأحاديث والأخبار الحاصلة في زمن ما ويحدد الزمن الحداثي من خلال الوقائع التي وثقت ودونت في ذلك الوقت، وفي مجال تأويل الخطاب يحتاج هذا النوع من الزمن إلى تحليل الحوادث وإدراك حقائقها فيقول محمد الطاهر بن عاشور: >>تأويل الأحاديث إرجاع الحوادث إلى عللها وأسبابها وإدراك حقائقها على التمام وهو المعنى بالحكمة وذلك بالاستدلال بأصناف الموجودات على قدرة الله وحكمته<<⁽¹⁾. والفضاء الزماني المتعلق بالمرويات القصصية ومن ضمنها قصة يوسف عليه السلام التي هي محل دراستنا الآن يدخل في الإطار التداولي المدرج في معايير الخطاب وتبيان مقاصده فتأويل تفسير الرؤية في قوله تعالى ﴿يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل﴾ سورة يوسف، الآية 100. فالظرف "قبل" هو زمن حداثي يدل على معنيين: أوله وقوع تأويل تابع لخبر سبق زمن الإخبار الحاصل بين يوسف وأبيه فكان الكلام في محوره الاستعمالي مطابق للمعنى أو أنه في محور الاختيار نجده قد كان كلام سيدنا يعقوب عليه السلام طويل فاختر اللفظ من قبل إيجازا معجزا في الزمنية حيث عبر به عن جميع المعاني المحتملة من الخطاب⁽²⁾.

***الزمن الإشاري:**

ويتمثل في مجموع الروابط الظرفية التي تحمل معنى الإشارات والمتعلقة بالجملة الخبرية فنجد في ذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لَيُؤْسَفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا أُبَيِّنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ آبَانَا لَفِي ضَلَالٍ

⁽¹⁾ - التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج12، ص216.

⁽²⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ج12، (د، ر ط)، 1984م، ص216.

مُبينٌ ﴿سورة يوسف، الآية 08، فإذا ظرف زماني يحمل إشارة الفجأة متعلق بكان الماضية من الزمن من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٍ لِّلَّسَّائِلِينَ﴾ سورة يوسف، الآية 07⁽¹⁾، والزمان المشار إليه يحمل نماذج من العبر الخاصة بالأخلاق والعلاقات الأخوية كما ينوه إلى أنواع المكاييد الذي يمكن أن يضمها الأخ من أخيه فكثيرا ما نجد قصص الحسد والكره والذي سببه التفرقة في المعاملة فما كان يجب أن يظهر الأب ما في قلبه من حجم الحب لابنه حتى لا يحصل مثل هذه الأفعال والمجازفات فنجد في غرور الأبناء وغفلة ميل الأب إلى بعض أبنائه التي تحكي عن ذلك الزمن تضمن قول مضمّر أخفاه الأبناء عن أبيهم لغرض خاص بهم وبالرغم من أن الأب أحس بالخوف من محبتهم المفاجأة لأخيهم غير أنهم اصرروا على استغفاله وأخذ موافقته للنيل منه وهذا القول المحكي عنهم قول تأمر وتجاوز⁽²⁾.

رابعا: معيار الوظيفة في الخطاب

أسلوب الإطلاق بغية التخصيص وأسلوب التقييد بغية التعميم وتقييد الحرف في تعميم المعنى وإطلاق اللفظ قصد تخصيص المعنى وتعيينه. تعمل الوظيفة العكسية في الخطاب على تبيان المعنى والتركيز على لفظه وقد ذكرها محمد الطاهر بن عاشور في مقدمته التاسعة⁽³⁾. حيث يقول: >> ففي قوله تعالى: (وماقتلوه يقينا) أي ما تيقنوا قتله ولكن توهموه... فقد تكثر المعاني بإنزال لفظ الآية على وجهين أو أكثر تكثر المعاني مع إيجاز اللفظ وهذا من وجوه الإعجاز⁽⁴⁾، ولهذا يعتبر محمد

⁽¹⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ج12، (د، ر ط)، 1984م، ص220.

⁽²⁾ - ينظر المرجع نفسه، ص220.

⁽³⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص93.

⁽⁴⁾ - التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص94.

الطاهر بن عاشور أن إطلاق القتل قصد تخصيص المعنى واستكانته على بقاء يقين النصارى في شك وضعف أمام مسألة قتل عيسى فأختلفوا في قتل عيسى ذلك يقينا بل فهموه خطأ⁽¹⁾، فكلما قصرت العبارة كلما قل اللفظ وأصبح موجزا وكثر المعنى وأصبح معجزا وبليغا، وكلما وصل إلى حد البليغ دخل باب التأويل وعليه فالمفسر يقيد المعنى البليغ في اللفظ المطلق في حالة التعميم للمعنى ويطلق اللفظ في المعنى المقيد في حالة التخصيص، فيتعين المعنى ويتحدد مراده من خلال تركيز البليغ على أغراض اللفظ ووظيفته العكسية أثناء إفهام وتفسير الخطاب.

المطلب الرابع: القراءة النصية والدوائر التأويلية في عينة من خطاب يوسف

عليه السلام في فكر محمد الطاهر بن عاشور -آليات المؤول في البنية التأويلية-

تبرز حدود القراءة وآلياتها التأويلية من خلال الخطاب القرآني لسورة يوسف عليه السلام في ذهنية محمد الطاهر بن عاشور في تقسيم البنية النصية إلى دائرتين هما الدائرة الكبرى والدائرة الصغرى وهذه الدوائر هي الموسوعة المعرفية للمتلقي فإذا كان المؤول غير متمكن وليس لديه رصيد في هذه الموسوعة كانت قراءته ضعيفة وتأويلاته بعيدة عن المقصود ولإظهار درجة تمكن محمد الطاهر بن عاشور وقوة قراءته اللغوية في الخطاب القرآني يجب أن نحدد أهم الآليات المستعملة في تفسيره، وعليه ماهي أهم الآليات التأويلية المعتمدة في فهم وقراءة النصوص عند محمد الطاهر بن عاشور في سورة يوسف عليه السلام.

أولاً: الآليات التأويلية النصية في الدوائر الصغرى

1- المدخل الصرفي:

⁽¹⁾ - المرجع السابق، ص 94.

تفرد محمد الطاهر بن عاشور في البناء الصرفي، وتوظيفه له في تفسيره يعد عدة لغوية صائبة أثناء تأويله للمعنى وتحديد بلاغته، فركز على بنية الكلمة ووحداتها وصيغها في الميزان الصرفي.

ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ سورة يوسف، الآية 02

فلفظة أنزل من نزل جاءت على وزن (أفعل-فعل) من المجرد الثلاثي المزيد بحرف وهي همزة القطع في أوله للتعدية⁽¹⁾، ودلالاته على التكرار لحدث النزول على غيره من الأنبياء، فإله سبحانه وتعالى هو القادر على التنزيل والمحدث له بإرادته، ولذلك قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَيَّ عَبْدِهِ ءَاتِيَتْ بِبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ سورة الحديد، الآية 09، ويقول محمد الطاهر بن عاشور أن مجيء لفظة أنزل بالتقوية لاقتنائها بإثر الثقلية للتوكيد على بيان قوة التحدي وتوجيه الخبر للمعارضين والمنكرين، واقتتان فعل التنزيل بالاسم (قرآنا عربيا) لتأكيد لغة الخطاب ووجهتها التخاطبية⁽²⁾.

ويقول محمد الطاهر بن عاشور وكونه عربيا يفيد الإبانة من جهتي لفظه ومعناه، وكونه قرآنا يدل على إبانة المعاني لأنه ما جعل مقروءا إلا لما في تراكيبه من المعاني المفيدة للقارئ⁽³⁾، فكانت الإبانة على نوعين من التوجيه توجيه اللفظ للمعنى المناسب وإقراره في النفس استعمالا في اللسان، وتوجيه المعنى للقارئ وتمكينه في ذهنه.

وفي قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ

⁽¹⁾ - ينظر علي بهاء الدين بوخودود: المدخل الصرفي تطبيق وتدريب في الصرف العربي، المؤسسة الجامعية للدراسات، ط1، 1408م-1988م، ص29.

⁽²⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج12، (د، ر ط)، 1984م، ص202.

⁽³⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج12، ص201.

قَبْلَهُ لَمَنِ الْغُفْلِينَ ﴿٥٣﴾ سورة يوسف، الآية 03.

ويقول محمد الطاهر بن عاشور بأن (أحسن) من صيغة التفضيل وتحمل معنى اختيار أفضل أسلوب الإخبار هو القصص، ومعنى نقص نخبر بالأخبار السالفة والإدغام الحاصل في نقص للتأكيد والتتويج في السرد، حيث جاءت القصة على هيئة السيرة⁽¹⁾، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَارْتَدَّا عَلَيَّ آثَارَهُمَا قَصَصًا﴾ سورة الكهف، الآية 63. حمل المعنى البلاغي على فك الإدغام لكلمة (قصصا) لوقوع القصة موقع الحكاية التي تحمل أخبار الماضيين وتشبه أسلوب سيرهم ومضيهم في الأرض، وهو معنى مجازي لدلالة التخصيص المعبر عنه بالمصدر المفكك ومُيز عن المصدر المدغم الغير مفكك في كلمة (قصص) على اعتبار أن المدغم جاء في معناه الحقيقي لدلالة ظرفية تصور حقيقة الحكاية وزمن السرد ومكان القصة⁽²⁾.

وارتبطت دلالة أحسن من الناحية البلاغية بالمعنى النفسي الذي يبعثه التعبير لعقل المتلقي فالقصص ربطها بأحسن لأن بعض القصص لا يخلوا عن حسن يرتاح له النفوس، وقصص القرآن أحسن وأجمل إيقاعا وبناءا في النفس عن غيره من القصص، وذلك باعتبار حسن النظم وإعجاز اللغة وجمال الأسلوب ومجموع العبر والحكم، التي يحتويها القرآن الكريم⁽³⁾.

وقد اعتبر القرآن الكريم الجانب الجمالي يعلي من درجة السبك والنظم ويظهر أثر التذوق في التعبير بما يحققه من اتساق وانسجام في النص، وهذه الدرجة تعطي للمتلقي المنتج كفاية صرفية يعتمد عليها في التأويل للبنى النصية.

⁽¹⁾ - ينظر: المرجع السابق، ج12، ص203.

⁽²⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج12، (د، ر ط)، 1984م، ص203.

⁽³⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج12، ص203-204.

فكل قصة في القرآن تعتبر أحسن القصص في الواقع ولهذا لا يمكن تفضيل بعضها عن بعض لأن جميعها من عند الله تعالى وأن الله قد شحنها بالعبر والحكم والمواعظ ولكل منها غاية لمتلقي على حسب حالة الاتعاظ⁽¹⁾

2- المدخل البنائي النحوي: القاعدة النحوية الموسعة في خطاب يوسف عليه السلام

اعتمد محمد الطاهر بن عاشور على جوهر اللغة وهو البناء النحوي في النظم والتأليف والتأويل فلم يخلو أي تحليل من القضايا النحوية ومواضع الاستعمال ودلالاتها النصية الموازية للبنية التخاطبية في سورة يوسف عليه السلام.

أ- تأويلية الخبر:

في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلِّسَّائِلِينَ﴾ سورة يوسف، الآية 07.

يقول محمد الطاهر بن عاشور في تأويله لهذه الآية: "وفي بلاغة نظمها وفصاحتها من الإعجاز دليل على أن الكلام من صنع الله تعالى ألقاه على رسوله -صلى الله عليه وسلم- معجزة له على قومه أهل الفصاحة والبلاغة والبيان تضعيفا لهم وإخضاعا من الله تعالى لهم لاتباع رسوله الكريم باستظهار الإسلام عليهم"⁽²⁾.

حملت الجملة معنى الخبر في الماضي وفق تأويلية الارتداد ليفهم المتلقي أنه من هنا مبدأ القصص المقصود وأن ما قبله كان كالمقدمة والتنبيه له لعلو شأنه عند الله تعالى، وتحمل (في) معنى الظرفية المجازية تفيد العبر والموعظة المحققة من القصة بين الأخ وأخيه والتعريف بعظيم

⁽¹⁾ - ينظر: المرجع السابق، ص 204.

⁽²⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج 12، (د، ر ط)، 1984م، ص 219.

صنع الله وتقديره و(الآيات) هي حجج صادقة وأدلة دقيقة وتحمل فيها معاني عديدة للخبر منها معاني الصبر وكيفياته وحسن العواقب والتي لها دلالات النصر والخير، ومعاني الحسد والكره والبغضاء والعداء والضرر بالغير والتي هي من دلالات الانحدار والهبوط التي نهى الله تعالى عنها عباده⁽¹⁾. و(السائلين) يعنى بها من يتوقع منهم السؤال عن الخبر من المواعظ والحكم، وقد كان استعماله كثير في كلام العرب بغاية التشويق والحث عن تطلب الخبر والقصة ونجد أن الضمير في السائلين عند العرب قديما كان موجه إلى ضمير الأنثى بكثرة وذلك لأن النساء كان يعنين بالسؤال عن الأخبار التي يتحدث بها الناس، وعند مجيء القرآن رد الاستعمال في الضمير المحقق في السائلين إلى الذكور وذلك لتغير وظيفة الخبر حيث أصبحت أخبار علم وحكمة لأن الذكور أكثر تمكنا في العلم والبحث والتفكير لاستمالتهم إلى استعمال العقل في التفكير والكلام وقد أخص الله النبوة والوحي والإرسال بالذكر⁽²⁾، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿سَأَلُ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ سورة المعارج، الآية 01، فمعظم الخطابات القرآنية تعود على ضمير المفرد المذكر بالتخصيص وضمير الجمع المذكر بالتوجيه والأمر.

وفي قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ غَضَبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ

مُبينٍ﴾ سورة يوسف، الآية 08.

يتحدد البناء النحوي للخبر في هذه الآية بأن (إذ) ظرفية متعلقة ب(كان) في الماضي وأن وافتتاح القول بلام الابتداء المفيدة للتوكيد لقصد تحقيق الخبر، وهذا التحقيق للخبر مراده إلزام جميع الأخوة الاقتناع بأمر يوسف وأنه أحب إلى أبيه منهم حتى يتمالؤوا على الكيد ليوسف عليه

⁽¹⁾ - ينظر: المرجع السابق، ج12، ص218.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ج12، ص219.

السلام وأخيه، فالعطف الحاصل في الجملة يعود على الجمع والتسوية في الشعور والمرتبة وذلك لأن التبويض لليوسف وأخيه من دائرة الأخوة الكبيرة لبقية الأخوة يعود إلى اشتغال النسب بحكم أن يوسف وشقيقه من أم واحدة عكس الأخوة البقية لهما اللائي من الأب فقط، وأن في (أحب) فعل تفضيل تعدى إلى المفضل بـ (إلى) قصد إثبات قوة التعلق بين يوسف وأخوه وأبيه وجملة (ونحن عصبه) جملة واقعة موقع الحال معطوفة على جملة ابتدائية (ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا) وهذا تدرج عقلي غرضه التجرؤ على الفعل دون خوف لتحقيق التأثير بلازم الخبر الملحق لأمر (واقتلوا يوسف)، وقولهم عصبه بأن العمل الجماعي أثره في النفس يهون بحكم المشابهة في الصفة والاشتراك في الفعل والتقسيم في شعور الذنب فهو يهون عليهم الفعل العظيم الذي لا يستطيع العدد القليل فعله وكان نتيجة هذا الإجتراء تخطيهم للخبر الذي يريدون نقله لأبيهم وإقناعهم له بعد غياب يوسف عنهم وقتله⁽¹⁾ ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الدَّيْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لُخُسِرُونَ﴾ سورة يوسف، الآية 14.

ب- تأويلية الذات:

قال الله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْعِنَا فَاكَلَهُ الدَّيْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ سورة يوسف، الآية 17.

تحمل الآية مجموعة من الفاعلين والمفعولين في المعنى النحوي فنجد:

*يوسف عليه السلام: وهو الذات المستهدفة في كل القصة والذي جرت عليه الأحداث ونقلت عنه الأخبار والتأويلات ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ

⁽¹⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج 12، ص 220-222.

لي سُجْدِينَ ﴿ سورة يوسف، الآية 04، فمفاد الرؤية في الذات هو التخصيص بالعلو والرفعة والنبوة والوحي والتأويل وجيء بها على الاستعمال في حكاية المرآئي الحلمية وأن في إعادتها على مسامع الآخر من الرائي تعد تأكيدا أو استئنفا ببيانها أو يطلب الرائي من سامع الرؤيا الاستزادة في الإخبار عما رأى⁽¹⁾.

*الأب: وهو ذات محورية تدور عليه القصة وسبب حبه الشديد لأبنه على بقية إخوته قرر الأخوة الإيقاع بأبنه ونفيه وإبعاده عنه، وهيئة مجيئهم في حالة بكاء على أخيه كشف أبيهم مكن ضميرهم وأحس بنقص صدقهم فاستدركوا استعمال الخبر وحوروه في مفاد التعريض عن درجة صدقهم وتبريرهم الذي لم يتطابق مع حالتهم المعتادة، فعلم المتكلم بمضمون الخبر جعلهم يستعرضون الصدق وهم يعلمون أن أباهم لن يصدقهم ودليل ذلك في قولهم (وما أنت بمومن لنا ولو كنا صادقين) فالنفي للتصديق ألزم عنه نفي لصدق الخبر المنقول على لسان المتكلم (الأبناء) وتأكيدا لخبر (الكيد) الذي سولت لهم أنفسهم فيه وصدق إحساس الأب بأن الخبر كاذب وأن الذئب بريء مما يصفون⁽²⁾ ودليله رد أبيهم بقوله: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبِّرْ جَمِيلًا وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَيَّ مَا تَصِفُونَ ﴾ سورة يوسف، الآية 18.

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج12، (د، ر ط)، 1984م، ص207.

⁽²⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج12، ص237.

***الذئب:** وهو الذات البريئة المتهمة بالباطل للتستر عن نية البغض والجرم الذي ألحقه الأخوة به. ويأول محمد الطاهر بن عاشور في معنى (فأكله الذئب) أي قتله وأكل منه، والأكل يتعلق باسم الشيء والمراد بعضه⁽¹⁾.

***الأخوة:** وهي ذوات فاعلة لأمر القتل ومخططة ومستهدفة لقتل يوسف عليه السلام ودليله في قوله تعالى: ﴿قَالَ يُبْنِي لَكَ تَقْصُصَ رُءُوكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ سورة يوسف، الآية 05. حمل النداء مصاحبة التصغير بإضافة يا المتكلم إلى اسم الابن والأصل فيها يا بنيوي أو بنيي حيث أدغمت ياء التصغير بعد قلب الواو لتقارب الواو والياء (بنيوي) أو لتماثلهما في (بنيي) فصارت ثلاث ياءات فالزم حذف واحدة منها فحذفت ياء المتكلم لزوما وألقيت الكسرة التي اجتلبت لأجلها على ياء التصغير للدلالة على الياء المحذوفة وحذف ياء المتكلم من المنادى المضاف شائع، وهي كناية عن تحبيب وشفقة وكناية عن النصيح والتنبيه⁽²⁾، وتحذير يعقوب عليه السلام ليوسف من كيد إخوته لأنه يعلم نزع الشيطان في نفوس إخوته التي تجلب المضرة له⁽³⁾.

***امرأة العزيز:**

قال تعالى: ﴿وَرُوْدَتْهُ أَلْتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ۖ وَعَلَّقَتْ لِإِبْطَابٍ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ سورة يوسف، الآية 23.

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج12، (د، ر ط)، 1984م، ص237.

⁽²⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج12، (د، ر ط)، 1984م، ص212.

⁽³⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ج12، ص214.

فالمرادة المقتضية تكرير المحاولة بصيغة المفاعلة، والمفاعلة مستعملة في التكرير وقيل المفاعلة تقديرية في تمكن العمل من جانب وممانعته من جانب آخر... والتعبير عن امرأة العزيز بطريق الموصولية في قوله تعالى ﴿الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾ سورة يوسف، الآية 23 لقصد ما تؤذن له الصلة من تقرير عصمة يوسف عليه السلام لأن كونه في بيتها من شأنه أن يطوّعه لمرادها⁽¹⁾. والبيت هو السكن وهو قصر العزيز وفي الغلق تضعيف منها وإيحاء لشدة الفعل وقوته وهيت بمعنى بادر وفي قوله (معاذ الله) فيه امتناع واعتصام من الضعف الذي يجز الذنب والخطأ والاعتماد على الله في التخلص ومنحه القوة والعقل في التصرف والخروج من دائرة البلاء بلطف⁽²⁾.

3-مدخل البنيات البلاغية: اتساع المعنى وتذوق الإنتاج للمؤول البلاغي

يعتبر المدخل البلاغي عند محمد الطاهر بن عاشور ترجمة للتفسير التداولي للقرآن الكريم، فنجده اعتمد في تأليفه للموجز البلاغي⁽³⁾، على ضبط المفاهيم النظرية لعلم البلاغة وانتقل إلى تفسير التحرير والتنوير في ضبط الآليات الإجرائية للتفسير والتأويل البلاغي، فكان منظر ومطبق في آن واحد فلهذا نجده قد مال إلى الاشتمال والتوسع في تأويل الخطاب وفق مباحث البيان والمعاني والبدیع، ويعد المدخل البلاغي في تأويله مبحثاً عقلياً يعتمد على آليات الاستقراء والاستنباط ويعطي فعل القراءة غاية إنتاجية فتسمى بالبلاغة الإنتاجية وفي حال وصول المتلقي إلى هذه الدرجة من التأويل تجعل منه مؤولاً للخطاب ومحط ثقة والتفاتة واستطلاع لكفاءته الموسوعية واستراتيجيته التخاطبية في فرز المعنى وتحويره، وذكاء توظيفه المعرفي الذي يتم عن

⁽¹⁾ -ينظر: محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج12، (د، ر ط)، 1984م، ص250.

⁽²⁾ -ينظر: المرجع نفسه، ج12، ص250-251.

⁽³⁾ -ينظر محمد الطاهر بن عاشور: موجز البلاغة، المطبعة التونسية، تونس، (د، ر ط)، (د، ت)، ص05.

طريق أسلوب الاختيار والاختصاص الذي في اجتماعهما يولد لنا حقلا علميا متكاملًا ومتساندا بين المعرفة العقلية الذاتية والمعرفة العلمية الموضوعية فتجعل المتلقي في حالة تعاقد منهجي في مباحث علم المعنى ودلالاته⁽¹⁾.

وتتعدد القراءة التأويلية وتتنوع وفقا لأحوال المتخاطبين والسياق ومضمون الخطاب ومقاصده، فمناسبة المعنى للقصد يتوجب عليه مناسبة التوجيه للاستعمال ويكون التوجيه أسلوب والاستعمال معيار يقوم عليه هذا الأسلوب في محور الكيف والاشتمال. فإن اتساع المعنى الاستعمالي يتحكم فيه عمق القصد ومسافته التعبيرية و الاعتراضية بين المتخاطبين.

ويستمر التعدد القرائي للنص التأويلي كلما زاد الانفتاح على النص وشمل دوائر سياقية ظرفية بدوائر سياقية نسقية تسهم في زيادة الإيضاح ورفع الإبهام عن المعنى، وخاصة إذا كان هذا التعدد القرائي يشمل بنية الخطاب القرآني فنجد محمد الطاهر بن عاشور سردها في مقدماته العشر وفق مباحث التفسير البياني والإعجاز اللغوي والتأويلي النصي والسياق المقامي والإبداع والابتكار اللغوي والمناسبة القصدية وهذه المباحث نسقها على ثلاثة أنواع من القراءة التأويلية: القراءة التفاعلية والقراءة الجمالية والقراءة التقابلية الموسعة والتي تجتمع جميعها في معنى القراءة الإنتاجية والقراءة الإنتاجية هي القراءة الداعمة لأفكار المتلقي المؤول والذي تقوم بلاغته على حرية الفهم وتقييد الاستعمال وبين ثقافة المؤول وقصدية الخطاب فتعلى سلطة المتلقي المؤول سلطة الخطاب فينتقل في هذه الحالة من محور التلقي إلى محور التفاعل، ولا يرتقي المتلقي المؤول إلى درجة التفاعل إلا إذا كان كفتا في التأويل البليغ و²² هو نتاج تفاعل شامل بين حركة الارتداد نحو المرجع

⁽¹⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج12، (د، ر ط)، 1984م، ص201-210.

الأصلي ومنطلق المعنى، وهو رجوع وأول مرفق بالتمحيص، وبين حركة الامتداد نحو الغاية والمقصد من منتهى المعنى ومبلغ كماله⁽¹⁾، ويجد محمد الطاهر بن عاشور محور التفاعل في القراءة الإنتاجية في معنى الترجيح لأحد المعاني القائمة من الآية في ذهن المتلقي المنتج، فتذكر القراءة كشاهد من كلام العرب إذا كانت مشهورة فهي تعد حجة لغوية، وإذا كانت شاذة فحجيتها تكون استنادا على نوعية القراءة التي قرأ بها المتلقي لأن القارئ اعتمدها من حيث صحة استعمالها في الكلام العربي وعلى حسب ما تم تداوله عليها، وليس كل متلقي قارئ حتى يثبت اعتماده في العربية، والقراءة لاتعد تفسيرا من حيث ظاهرها وأنها أسلوب في أداء ألفاظ القرآن، بل من حيث إنها شاهد لغوي فرجعت إلى علم اللغة⁽²⁾، وهذا الرجوع يعد سببا في الإنتاج لأن الرجوع إلى علم اللغة يشمل الرجوع إلى أساليب العلم والتلقي عند العرب والتي تساعد المتلقي على حصول المعرفة بالتركيز "على قواعد العربية التي تعتبر تشمل: متن اللغة والتصريف، والنحو، والمعاني والبيان"⁽³⁾، وبالإضافة ركز على أخبار العرب في الاستناد عليها أثناء القراءة وأنها من مظاهر التفاعل في فهم الخطاب حيث يقول: >> وأما أخبار العرب فهي من جملة أدبهم وإنما خصصتها بالذكر تنبيها لمن يتوهم أن الاشتغال بها من اللغو فهي يستعان بها على فهم ما أوجزه القرآن في سوقها⁽⁴⁾، وهنا يؤكد على أهمية الاستعانة بأخبار العرب في فهم القرآن وأن القراءة اللغوية للخطاب تعتمد على السياق الخارجي الذي تشكل بسببه الخطاب، فعامل السببية بين القراءة والسياق يحققها أخبار

⁽¹⁾ - محمد بازي: التأويلية العربية نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات، منشورات ضفاف، بيروت، ط1، 1436هـ-2015م، ص382

⁽²⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص25.

⁽³⁾ ينظر: المرجع نفسه، ص18.

⁽⁴⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص25.

العرب، فإذا كانت أخبار العرب تصنف ضمن الشعر والأدب فالشعر بلاغة والأدب نقد فإن لغة العرب ككل علم والعلم عقل والقرآن قد خاطب العقل العربي وفي اجتماعهما يتحقق نوعا من أنواع الإعجاز في الكلام لاتصافه بالغموض والخروج عن المعنى الأصلي، >>لأن القرآن إنما يذكر القصص والأخبار للموعظة والاعتبار، لا لأن يتحدث بها الناس في الأسفار، فبمعرفة الأخبار يعرف ما أشارت له الآيات من دقائق المعاني<<(1).

ففي قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ

قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَفْلِينَ﴾ سورة يوسف، الآية 03.

فيأول محمد الطاهر بن عاشور أن هذه الآية نزلت تابعة لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ سورة يوسف، الآية 02، منزلة بدل الاشتمال لأن أحسن القصص مما يشتمل عليه إنزال القرآن، وأن القصص من عند الله التي تنتزل بهذه المنزلة من جملة التأكيد إنزاله من عند الله تعالى، وتقدم الضمير على خبر القصص للاختصاص بمعنى نحن الذي نقص لا غيرنا(2).

واتخذت لفظة الوحي معنى الكناية على الموصوف بتخصيصه بالنبوة ودليل ذلك رابط التوجيه في معنى "إليك" التي تعود على سيدنا يوسف عليه السلام، و"الباء في أوحينا إليك" تتعلق بالسبب الذي حدث به فعل القص والسرد، فالقصص الذي ورد في القرآن كان أحسن لأنه وارد من الله عز وجل وهو عليم بجميع الأحوال والأخبار وحكيم في جميع الأمور، ففي وحيه يوحى بما يحتاجه السامع وينفعه بأحسن الصيغ والإبداع والتأليف وأجمل الألفاظ والتراكيب، فيكون غذاء العقل والروح

⁽¹⁾ - التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج1، ص25

⁽²⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج12، (د، ر ط)، 1984م، ص202-203.

وابتهاج النفس والذوق مما لا تأتي بمثله عقول البشر⁽¹⁾.

فينبه محمد الطاهر بن عاشور في تأويل القرآن إلى ضرورة إلزام البليغ من معرفة انسجام التأويل الذي يجمع قنوات التأويل اللغوية والصرفية والبلاغية بقوانين الاستنباط أو الاستقراء الأكثر فعالية، ويوفر القدرة الإنتاجية على الترجيح والاستدلال على إكمال الغاية وإيفاء المقصد بغرض الفهم والإفهام⁽²⁾.

وفي قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ سورة يوسف، الآية 06. فالبلاغة الإنتاجية هنا التي وظفها محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره وتأويله لهذه الآية الكريمة تمتزج بين تأويلية الارتداد والاعتدال والامتداد، حيث تركز الأولى على تشكل المعنى ومرجعية إنتاجه النصية والسياقية والمعرفية، والثانية تقوم بالالتزام بمعايير المهارات المعرفية والمنهجية والتحقيقية المستندة على علوم مضبوطة، والثالثة التي تركز على غايات الفهم والإفهام، وهي مقيدة بأدوات العمل اللغوي وموجهات المعنى⁽³⁾.

حيث أول محمد الطاهر بن عاشور المعنى في هذه الآية بقوله أن في: >>عطف الكلام على تحذيره من قص الرؤيا على إخوته إعلاما له بعلو قدره ومستقبل كماله، ولكي يزيد تمليا في سمو

⁽¹⁾ - ينظر: المرجع السابق، ج 12، ص 204.

⁽²⁾ - محمد بازي: التأويلية العربية نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات، منشورات ضفاف، بيروت، ط 1، 1436هـ-2015م، ص 381.

⁽³⁾ - ينظر محمد بازي: التأويلية العربية نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات، منشورات ضفاف، بيروت، ط 1، 1436هـ-2015م، ص 383.

الأخلاق فينتسعه صدره لاحتمال أذى إخوته⁽¹⁾، ويعد أسلوب التحذير مما سيقع والإعلام في النفس قبل الوقوع والتأمل الإيجابي في سلوكه وآدابه دليل على الحدس البلاغي الذي يتعلق بالتداوليات التأويلية الثلاثة فوق الارتداد في المعنى انطلاقاً من السياق المقامي لوضع الحسد والكره الذي يلاحظه الأب باديا من عيون أبنائه على أخيه يوسف عليه السلام ولانتقاء المفسدة المسببة للبغضاء كان من حكمة الله تعالى إنشاء سيدنا يعقوب عليه السلام ببذرتة الطيبة والعمل على توجيهها نحو اكتمال النبوة ومن صفة الأنبياء التسامح والصفح ولهذا حتى يحمي قلب ابنه يوسف من مظاهر القهر والتظلم والإحساس بالكره تجاه إخوته نهاه عن سرد ما رآه لإخوته، وهذا يعد حكمة نبوية عظيمة وطبا روحيا ناجعا⁽²⁾، ولم يقف على تحديد السياق المقامي فقط بل ذهب إلى ربطه بالوحدة المعجمية لمعنى الاختيار والاصطفاء ولما كان الاختيار من دلالة التفضيل والتخصيص وجب أن يكون كذلك كما لا نفسيا وعقليا مقترنا بالعلم والتأويل ففي معنى⁽³⁾ التأويل يكون إرجاع الشيء إلى حقيقته ودليله وتأويل الأحاديث يعني إرجاع الحوادث إلى عللها وأسبابها وإدراك حقائقها بالتمام وهو المعنى بالحكمة وذلك هو الاستدلال⁽⁴⁾.

بينما نجد الاعتدال في مظهر العلمية أو المنهجية بين نمطية العقل وأدوات المعرفة ومهارة التدليل. فعبر محمد الطاهر بن عاشور عليها بقوله أن: الإشارة في قوله (كذلك) فيه تتابع وعطف لبيان حالة اختيار واصطفاء الله تعالى له من بني يعقوب ويدل على أن الرؤيا من العناية الربانية

⁽¹⁾ - ينظر: محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج12، (د، ر ط)، 1984م، ص215.

⁽²⁾ - التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج12، ص 215.

⁽³⁾ - المرجع نفسه، ج12، ص215.

⁽⁴⁾ - المرجع نفسه، ج12، ص216.

به، هذا من ناحية نمطية العقل، أما من ناحية أدوات المعرفة أن الاجتباء سيكون سببا لما يحمله له المستقبل لذلك استعمل أداة التشبيه وحرف الياء من حروف المضارعة لأنيت، وهذا التشبيه هو تشبيه تعليل لأنه فيه تشبيه أحد المعلولين بالآخر لاتحاد العلة، وأما من ناحية المهارة التدليلية فقد ركز على موقع حروف الجر وسبب كثرتها في الإشارة والكلام وقال أن موقع الجار والمجرور موقع المفعول المطلق لكلمة ((يجتبيك)) المبينة لنوع الاجتباء ووجهه⁽¹⁾.

أما في تأويلية الامتداد نجده في معنى الارتقاء النفساني الوارد من الإرادة الربانية نجد غاية البلوغ بصاحب الرؤيا يوسف عليه السلام إلى درجة النبوة والحكمة وأن يعقوب عليه السلام قد فهم من كلام يوسف ابنه أن الله تعالى سيعلمه من تأويل الأحاديث، فامتد غاية الفهم إلى محاولة يعقوب في إفهام يوسف عليه السلام بحفظ الرؤيا وعدم نقلها لأخوته، فتقييد الرؤيا بالتأويل دلالة على أن الله تعالى أودع في نفس يوسف عليه السلام التمكن من فهم التعبير⁽²⁾.

وقد تقيد التشبيه بالسابق من الكلام بقوله ((كما أتمها على أبويك من قبل)) حيث أوله بمعنيين معنى الارتداد في تذكير يوسف بنعم سابقة له، ومعنى الامتداد فحمل ثلاث مقاصد وغايات فوجه التشبيه في معنى إتمام النعمة إلى النبوة فجاء التشبيه تاما، ووجه التشبيه في المعنى الثاني المحتمل لإتمام النعمة إلى الملك فجاء التشبيه في هذا المعنى على الإطلاق وشمل الاعتدال في علم التأويل المشترك بين الأب وابنه التي أوحى إلى إعطاء الملك وإتمامها على آل يعقوب⁽³⁾.

ثانيا: الآليات الخارجية العاملة في خطاب التأويل(انفتاح التأويل النصي على

⁽¹⁾ - التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج12، ص215.

⁽²⁾ - التحرير والتنوير مرجع سابق، ج12، ص216.

⁽³⁾ - المرجع نفسه، ج12، ص217.

الدوائر الكبرى

يعد السياق والمساق من أساسيات ضبط المعنى وتوجيه القصد الذي يعتمد عليه في تحليل النص ويتجسد السياق ومساقه في نظر محمد الطاهر بن عاشور المستعمل في تفسير الخطاب القرآني والمحدد في سورة يوسف عليه السلام في محور أسباب النزول التي يجب على المتلقي مراعاتها والإحاطة بها علما وعملا قبل الشروع في تأويل أو تفسير الخطاب بحيث يعد السياق المقامي العنصر المحيل و الذي يتحكم في ظروف نشأة الخطاب وبناء المعنى وتراكيبه، كما أن جميع من يتصدى لحقل التأليف ويشرع في مشروع بناء المعنى وإنتاج خطاب جديد في موضوع من المواضيع التي تحتاج البحث والتدوين فيها لعلة عدم تشبع ذلك الموضوع بالدراسة والاهتمام فيبقى ناقصا يحتاج التأمل فيه ويستدعي التوسع والاستزادة والإذكاء والإمداد، حيث يمتلك المؤول الولع فيذهب في الإسهاب والتوسع والإطالة دون التنبيه لمواطن القوة والضعف، حتى يوهم المتلقي أن القرآن لا ينزل إلا على حوادث خاصة تدعوا إليه⁽¹⁾، وهذا أمر بعيد عن القصد إذ أن السياق الدافع لنشأة الخطاب لدى محمد الطاهر بن عاشور هو "سياق اجتماعي هدفه الإصلاح للأمة و لا يتوقف نزوله على حدوث الحوادث الداعية إلى التشريع والأحكام فقط، فالخلط الذي وقع فيه العلماء بين العموم والخصوص في أسباب النزول جاء فيه رد أئمة الأصول لضبط وجهة الخصوص والعموم في الخطاب القرآني وسياقه بقولهم أن العبرة في الكلام هي بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فالسبب هو عَرَضٌ فقط أما اللفظ هو الأساس الذي يقيس عليه المعنى ويحتمل دلالة التعدد

⁽¹⁾ - التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج 1، ص 46.

أو الاشتراك أو التفرّد⁽¹⁾، وعليه نجد السياق في تأويل القرآن وتفسيره يخضع إلى مجموعة من الآليات النصية نردها في النقاط التالية:

أ - آلية المناسبة والمقام:

قال تعالى: ﴿قَالَ هَلْ آمَنْتُمْ عَلَيَّ إِلَّا كَمَا آمَنْتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَبِيرٌ بِحَفْظَا وَهُوَ أَرْحَمُ

الرَّحِمِينَ﴾ سورة يوسف، الآية 64.

* مناسبة الفعل الماضي للقول الحاضر: تحتوي هذه الآية على تناسق الحدث الماضي وتناسبه في الكيف مع القول الحاضر فتنبه يعقوب عليه السلام في طلب أبناءه لاصطحاب يوسف في المرة الأولى والإيقاع به كان صادقا، فلهذا رفض عن طريق التذكير عما وقع لأخيه من قبل وقوله بالهاء الفاصلة بين معنى الأخوة العائدة على يوسف والمنقطعة عن عصبية الأخوة الآخرين دلالة على التمييز الذي أوقع يوسف عليه السلام في شباك العدا وألزم يعقوب عليه السلام بعدم الائتمان بالأخوة في مصاحبتهم أبناءه الذين هم من زوجته الثانية. فيقول محمد الطاهر بن عاشور في مقام مناسبة الفعل للقول أن جواب أبيهم كلام موجه يحتمل أن يكون معناه: إني آمنكم عليه كما آمنتم على أخيه، وأن معنى التوجيه ماذا أفاد ائتمانكم على أخيه من قبل حتى آمنكم عليه الآن، وناسب الاستفهام مقام الإنكار لاحتوائه على معنى النفي، وكان الاستفهام على قولهم (إنا له لحافظون) فأجابهم بأن الله خير حفظا منكم فيه وغرضه السلامة في الصحة والبقاء عكس ائتمانهم في يوسف الذي لم يحافظوا عليه. فخوف الأب على ابنه الثاني من بقية أبنائه خوف طبيعي لكل أب فقد ابنه فردت فعله ناسبت حقيقة شعوره.

⁽¹⁾ - المرجع السابق، ج 1، ص 46.

*مناسبة الصفة:

في قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ

سُنْبُلَتٍ خُضَرٍ وَأَخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ سورة يوسف، الآية 46.

مطابقة الصفة للاسم بسبب مناسبة السلوك للفعل والصدیق أصله صفة مشنقة من الصدق، حيث غلب استعمال وصف الصدیق استعمال اللقب الجامع لمعاني الاستقامة والأخلاق والأدب وتلك المعاني تطلق على من كان وفاءه قويا بعهد الدين فجمع الوصف مع صفة النبوة والتأويل⁽¹⁾. فاتصلت الصفة بالمقام الثقافي لأن في الفطنة والذكاء وأسلوب السمع والأخذ والرد يتحكم فيه المجال الثقافي ودرجة العلم في نفس المتلقي المؤول فنجد سيدنا يوسف عليه السلام قد خصه الله بعلم التأويل والأحاديث ودليل ذلك ﴿ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ سورة يوسف 37. وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ سورة يوسف، الآية 68.

*مناسبة المكان:

قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي

أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ سورة يوسف، الآية

36.

وقد خصص السجن بالمكان لأن فعل الدخول المصاحب للظرف لا يناسب إلا المكان،

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج12، (د، ر ط)، 1984م، ص284.

الباب الثاني: الفصل الثاني: من تداولية التحرير والتنوير إلى تداولية التثوير والتقويل في بلاغة محمد الطاهر بن

عاشور - رؤية تداولية-.

وقد قرأ الجمهور (السجن) بكسر السين⁽¹⁾ المناسب لوضع التقييد والانكسار والشعور الذي يحسه المسجون الذي يدخل ظلما إلى هذا المكان.

قال تعالى: ﴿وَرُودَتْهُ أَلْتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ۖ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ سورة يوسف، الآية 23.

والبيت هو السكن والمكان الذي حدثت فيه قصة المراودة ومناسبة العائد للفعل والاسم لامرأة العزيز صاحبة البيت وأن الأبواب خاصة بهذا البيت وهي التي وقع عليها فعل الغلق من طرف صاحبة الدار⁽²⁾ وهذه المناسبة التي بين الحدث وبين سبب وجود يوسف مع صاحبة الدار في نفس المكان في مقام إضعاف وتقوية في آن واحد فالفضاء المكاني الذي تدور حوله القصة فضاء مغلق ولهذا نجد التهمة قد ثبتت عليه وأدخل بسببها السجن فمناسبة وضع الانغلاق لوضع حالة الأبواب يشرح حالة الابتلاء التي اختبر الله تعالى بها سيدنا يوسف عليه السلام وحالة الكيد التي يمكن أن يوقع بها الإنسان أخيه الإنسان محاولة منه تطويعه لمراده ومصالحه التي يشغل عليها.

وكان تعبير الرؤيا يعد فنا وقد خص الله تعالى به يوسف عليه السلام⁽³⁾.

*مناسبة الضمير الإحالي للفظ المطلق

قال تعالى: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقُنِيهِ ۖ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ ۚ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ سورة يوسف، الآية 37.

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج12، (د، ر ط)، 1984م، ص268.

⁽²⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج12، (د، ر ط)، 1984م، ص250.

⁽³⁾ - ينظر المرجع نفسه، ج12، ص269.

ناسب الضمير للألفاظ المعبرة في (ياتيكما - ترزقنه - نبأتكما - ياتيكما - ذالكما) ضمير المخاطب المثني وتعود على الفتيين اللذين دخلا معه السجن وهما ساقى الملك وخبازة بتهمة تسميم الملك في الشراب والطعام⁽¹⁾. بينما ناسب الضمير للألفاظ المعبرة في (علمني - ربي - إني - تركت - نبأتكما - بتأويله) ضمير المتكلم المفرد العائد على سيدنا يوسف عليه السلام، وفي الألفاظ المعبرة مناسبة ضمير الغائب (قال - ياتيكما طعام ترزقنه - بتأويله - وهم) العائد على يوسف في (قال) والعائد على طعام في (ياتيكما) وهي إحالة قبلية وفي (ترزقنه) وهي إحالة بعدية والعائد على الكلام المرئي في (بتأويله) والعائد على الكافرون في (هم).

* مناسبة الغرض للحال

قال تعالى: ﴿إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ سورة يوسف، الآية 37.

وقع الاستثناء من أحوال الأنباء وطرائق التلقي والتأويل في مناسبة الغرض المشروط بالتأويل، حيث يعبر عنه محمد الطاهر بن عاشور بقوله: >> وهي حالة الإنباء بتأويل الرؤيا وحال عدمه، أي لا يأتي الطعام المعتاد إلا في حال أني قد نبأتكما بتأويل رؤياكما، أي لا في حال عدمه <<⁽²⁾، فحالة الحضور تشترط مناسبة الغرض هو الاقتناع بأن يوسف عليه السلام متمكن في تعبير الرؤيا وأنه هو المناسب في الاعتماد على التأويل والفتوة" وأن القصر هنا استثناء إضافي"⁽³⁾ وأن هذا الحال هو حال حصول العلم الذي مكنه الله فيه.

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج12، (د، ر ط)، 1984م، ص268.

⁽²⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص271.

⁽³⁾ - ينظر المرجع نفسه، ج12، ص271.

ب- آلية الأشباه والنظائر:

على المؤول أن يكون على درجة عالية من التمكن في قراءة النصوص وتحليله وفق آلية التنظير والتشبيه وذلك يعود لطبيعة الموضوع والكتابات السابقة والأغراض التي يحتويها السياق المقامي وكل هذا يحتاجه المؤول في ضبط المعنى وتقصيد التوجيه وجودة العبارة ونسق التعبير وبدون هذا الاعتبار يبقى التأويل ناقصا ويحتاج إلى تشبيع ويكثر حوله الإثارة والجدل و التخرجات الثانية لقصديات النص فكلما كان التأويل مفتوحا كان التلقي فيه واسعا وغير محدد الوجهة ولا الغرض فتقييد التأويل في توسع البنية النصية تقييد توجيهيا فقط وأما التوسع فهو يعتمد بعضه على جزء من آلية الأشباه والنظائر وما تسمى في دراسة الخطاب أو النص بتقابل النظائر النصية وهذه النظائر تتوسع في "مفهوم التناص و التوازي وتجاوز النصوص"⁽¹⁾.

وقد استعمل محمد الطاهر بن عاشور آلية التنظير والمقارنة فيما يقع من النص بتوازي مع نصوص خطابية أخرى ويعد القرآن الكريم خطابا لغويا زاهرا وموفورا على هذا النوع من التوازي.

ج- آلية المقارنة:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٍ لِّلْسَاءِلِينَ﴾ سورة يوسف، الآية 07.

كانت هذه الآية مبدأ القصة لمقارنة حب الأب الواقع بين يوسف وأخوه وأخوته الآخرين وهنا بدأت المشاحنة والتمالؤا والكيد في نصبه على يوسف وأخوه. ودليل ذلك تقديم التنبيه في مبدأ القصة كان بسبب نتيجة القول الذي حملته قلب الأخوة على يوسف ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ سورة يوسف، الآية 08، لتتوازي هذه الآية

⁽¹⁾ - ينظر محمد بازي: التأويلية العربية نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات، منشورات ضفاف، ط1، 1436هـ-2015م، ص303.

مع قوله تعالى: ﴿إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خُلِقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ سورة يوسف، الآية 69-70، في اشتمالها على أسلوب القصص⁽¹⁾.

وأن الظرفية المقصودة من (في) هي ظرفية مجازية تقوم على عنصر التشبيه لمقارنة الدليل (القول) بالمدلول (الأب) -الذي سببه تمييز الأب في المعاملة بين الأبناء- بمقارنة المظروف (الضلال) للظرف (الغيرة) -الذي سببه لحظة الغيرة مما أرسل الأب إلى عدم موازنة سلوك أبنائه ونتاجه على أخيهام-⁽²⁾.

د- آلية التقابل:

وتتفق هذه الآلية مع ما يمثله التضاد والمفارقة فاجتماع هذه الآليات في صورة تقابلية واحدة تمدد المعنى وتوسعه فيأخذ العقل التأويل حجة للفهم والتوصل إلى القصد واستظهاره في هذا النوع من الفن البلاغي⁽³⁾.

فالتقابل الموضوع في القصة القرآنية في سورة يوسف ينبع من طبيعة الأحداث المتناقضة والمواقف المتخالفة... فينتقل فيها التقابل من مستوى اللفظ الظاهر إلى مستوى حقيقة المواقف وخلفية الشخصيات وتحركاتها⁽⁴⁾، فينتقل التطابق بالتضاد من الكلمات إلى الواقع ويعود إلى نفسه بطريقة عكسية أو ما سمي في البلاغة الإنتاجية بالارتداد والامتداد.

وللقصة القرآنية في وضعها التقابلي أغراض بلاغية وغايات تأويلية مختلفة فنذكر منها ما جاء

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج12، (د، ر ط)، 1984م، ص218.

⁽²⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج12، ص218.

⁽³⁾ - ينظر زيتونة مسعود، التقابل في سورة ((يوسف)) -عليه السلام- مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة الوادي، م12، ع15، 2020/09/2، ص1401.

⁽⁴⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص1405.

في:

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرِي سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ قَالُوا أَضْغُتْ أَحْلُمَ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلُمِ بِعَلَمِينَ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ سورة يوسف، الآية 43.

فيعد التقابل الزمني الواقع بين زمن موسى عليه السلام وزمن سيدنا يوسف عليه السلام في الملك، يعود إلى زمنية اللغة الموظفة آنذاك في مصر ففي زمن موسى عليه السلام كانت اللغة كنعانية قريبة من الآرامية والعربية، أما في زمن يوسف عليه السلام كانت قبطية، وأن آخر أزمان حكم ملوك الرعاة على شديد في ذلك⁽¹⁾. ويحمل التقابل الزمني غرضين: أولهما تجديد الملك وأسلوب الحكم فكان الملك في زمن يوسف عليه السلام أرحم من فرعون في زمن موسى عليه السلام، ثانيا الموازنة بين العدل والظلم في الأرض.

وتوارد تقابل في القصة بين العجز والتمكن فعجز الكافرين لتحليل رؤيا الملك قابله تمكن سيدنا يوسف الصديق عليه السلام بفضل من الله في تأويل رؤياه، وهذا علم التأويل الذي خصه الله تعالى به ومنعه عن الجاحدين⁽²⁾.

ونستنتج من هذا كله أن الآليات التأويلية للمتلقي المؤول التي تجعل من النص في محور القصد واجب الأخذ بها قبل تحليل أي نص فمعرفتها والتمكن فيها يجعل النص في مقام التأويل

⁽¹⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج12، (د، ر ط)، 1984م، ص280.

⁽²⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج12، (د، ر ط)، 1984م، ص280-281.

الصحيح ويجعل القارئ في لحظة اتباع و انسجام تام مع الموضوع أو الخطاب ويسمى هذا النوع من الانسجام بالانسجام التأويلي فهو يجمع بين مبادئ علم النص وقواعد البلاغة ويتخذها المؤول والمفسر أداة أو آلية يضبط بها المعنى ويحدد بها القصد. واختلاف المعنى عن القصد يعود لاختلاف الغرض الاستعمالي لكل منهما فكل لفظ يحمل معنى وليس كل لفظ يكون مقصودا وذلك لأن حياة الألفاظ في المعاني فإذا اشتمل اللفظ على معنى توجيهي أو تلمحي أو تضامني كان اللفظ مقصودا وإذا خلا اللفظ من هذا فإن اللفظ غير مقصودا فهو يكتسي معنى عام فقط دون قصد محدد، وهذا ما سعت إليه التداوليات المعاصرة في التداولية والحجاج حيث اعتبرا المعنى مقصودا في اللفظ ولكن بشرطية توفر استراتيجية من استراتيجيات الخطاب حتى يكون ملمح القصدية حاضرا ومميزا للمعاني المقصودة والغير مقصودة.

المبحث الرابع: تداولية تثوير المعنى وتقويل الاستعمال في خطاب موسى عليه

السلام من سورة القصص عند محمد الطاهر بن عاشور-آيات مختارات-

تمهيد: من حد التأويل إلى حد التقويل

يتعلق كل من التأويل والتقويل ببعضهما البعض من ناحية الاستنباط العقلي والاستدلال المنطقي فكلما كان التأويل متوسعا كان استنتاج النصوص ممكنا كما نعلم أن في استنتاج النصوص يُعتمد على المعنى وتقريبه نحو المبحث المرغوب فيه ويشترط بين استنتاج النصوص وتقريب المعنى توفر انسجام التأويل مع التقويل ويعود الى انسجام الاستدلال مع الاستنباط حيث يكون كلاهما متعلقان بالعقل في درجه الإقناع وإثبات الحجة.

ونجد محمد الطاهر بن عاشور قد تبنى نوع من أنواع القراءة التأصيلية الاستنباطية أثناء استنتاجه لمجموعة من المفاهيم السيرورات التأويلية في التداولية الاستدلالية التي مرجعها البنية العقلية الحجاجية فنجده يدعم المؤول ويحدد له آليات تفسيرية خاصة بمجاله البلاغي التداولي ويشترط فيه المعرفة والموسوعية⁽¹⁾، لأنه يرى فيها نتائج خطابية ناجحة فمتى كانت المعرفة حاضرة كان العقل متجدد وداعم لمجموعة من الأفكار ورابط لمباحث عديدة من العلوم وهذا ما يستدعي أن «يوظف المؤولة آليات المفسر في مرحلة قاعدية ثم يتجاوزها إلى آليات أخرى استنباطية أو استدلالية ومعرفة موسوعية وبلاغية وتداولية»⁽²⁾.

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص38.

⁽²⁾ - ثروت مرسي: في التداوليات الاستدلالية (قراءة تأصيلية في المفاهيم والسيرورات التأويلية)، دار كنوز المعرفة، عمان-الأردن، ط1، 1439هـ-2018م، ص173.

الأمر الذي يجعل المتلقي تقويلي بالدرجة الأولى فيسعى إلى البحث عن أشكال القول الواردة في النص والمنبئة من الإنشاء إلى التأويل برغبة استنتاج معنى مولد مستلزم عن المعنى الأصلي ففي هذه المرحلة يعاد إنتاج المعنى وبناءه وتأويله وفن الغاية الإدراكية الموازية لمرحلة التثوير ويذهب التأويل من باب الإنشاء والتأويل إلى باب الاستنباط والمحاكاة القائمة على تثوير المعنى وتقويله... فتعلو فيه سلطة المؤول سلطة النص⁽¹⁾ وتسمى بسلطة تأويل القول وذلك لسببين: السبب الأول أن السلطة تعود إلى الذات المتكلمة المنتجة و المتمثل في المتلقي والسبب الثاني أن عملية التأويل ترتبط بالقول فما يؤوله المتلقي هو القول ولهذا متى أعتلت سلطة التأويل القول كان المتلقي في صدارة العملية التواصلية وكان أكثر إنتاجية وتأثيرا من المراحل التواصلية وبهذا يقاس نجاح المتكلم في إيصال الرسالة التبليغية وتركز هذه السلطة على القول بين مقاصد المنتج وتأويل المتلقي حيث تقول نواردة بوعياذ في معنى القول بأنه >حينى على الافتراض عكس الجملة التي تتميز بالتجريد والثبات وتتغير بتغير مقامات التخاطب (situations discursives) فما يميز كل قول هو قبوله لقراءات متعددة وغير متناهية<>⁽²⁾.

وقبول القراءة يتحدد بشرط علو درجة الفهم والإفهام المتعلقة بالمتلقي المقول لأن عملية التواصل المحكمة لديه تقوم على درجة تثوير المعنى وتكثيفه في الذهن وكيفية إعادة تشظيه وإنتاجه من جديد فعملية الفهم تقوم أساسا على المنتج والمتلقي والقول الجامع بينهما⁽³⁾ فالقول يجمع بين التفسير والتأويل في محور التثوير لعدة أسباب أهمها:

⁽¹⁾ - ينظر محمد بازي: التأويلية العربية نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات، منشورات الضفاف، بيروت، ط1، 1436هـ-2015م، ص383.

⁽²⁾ - عبد السلام عيساوي: أشكال القول من الإنشاء إلى التأويل، الدار التونسية للكتاب، منوبة-تونس، ط1، 2019م، ص350.

⁽³⁾ - ينظر المرجع نفسه، ص352.

الباب الثاني: الفصل الثاني: من تداولية التحرير والتنوير إلى تداولية التثوير والتقويل في بلاغة محمد الطاهر بن

عاشور - رؤية تداولية-.

أولا نقطه التباين: إن التباين الواقع في طبيعة الأقوال صالحة أن تكون موضوعا للتفسير والتأويل في آن واحد.

ثانيا درجة العمق: أن درجة عمق المعنى تجعل من عمليتي التفسير والتأويل تتميز بالاشتراك الدلالي.

ثالثا محور التفاوت: تتفاوت درجات اليقين بين المفسر والمؤول وتطرح جدلية البيان والتبيين وأيهما أقرب للمعنى الإقناعي من الآخر؟ وأيهما أكثر التوسع وأكثر تجاوز عن الآخر؟ وهل المعنى يحتاج إلى مثل هذه التجاوزات؟ وما هي الأبواب التي يجب على المفسر أن يطرقها ولا يشاركه فيها المؤول؟ وما هي الأبواب التي يستلزم المؤول بها وأن يستقيها من المفسر كقاعدة إجرائية أولية لينطلق بعدها في تأويل عدة معاني؟ وكيف يستطيع المؤول أن يميز المعنى وينتقيه عن باقي المعاني الأخرى وأن يعرف أن هذا هو المعنى الذي يبحث عنه المتلقي المتوقع؟ ولهذا نعدد مجموعة من درجات التفاوت التي يمكن أن يتطرق لها المفسر والمؤول في آن واحد وأثناء عملية تحليل المعنى والتي نجدها تعود إلى:

-التفسير هو عملية نقلية يختص به المؤول المفسر .

-والتأويل هو عملية عقلية استنباطية فنجد المؤول يخاطب العقل أكثر من مخاطبة السمع-يتخذ السمع كأداة أو وسيلة للوصول إلى مدارك المتلقي- التي تكون في التفسير ولكن هذا لا يمنع أن ينطلق المؤول من المرحلة النقلية للوصول إلى المرحلة العقلية وذلك يعود إلى أن العربية والقرآن الكريم قد كان خطابا شفويا قبل أن ينتقل إلى الخطاب المكتوب فلذلك نجد أن السمع أسبق من العقل وهذا دليله أن مجموع المدخلات الحسية هي من تؤثر في المعنى أو تنقله من مجرد لفظ إلى جوهر عقلي.

-المفسر آلياته لغوية لها طابع المواضعة واليقين فنجد كثيرا ما يعتمد على النحو والصرف والدلالة والمعجم والصوت بحجة أن اللغة لها طابعها الخاص وأن المعنى له حس تفسيري يجعل من الحجة

مؤكدة متى كانت أقرب إلى اليقين والمنطق⁽¹⁾.

-المؤول آلياته استنباطية حجاجية لها طابع البرهنة والإقناع والاستدلال حيث يستمد المؤول في هذه المرحلة عملية الاستنتاج من المفسر فيستعير منه المنطق لتشغيل الآليات الاستنباطية والمضي نحو تحليل الخطاب عن طريقها للوصول الى درجة الإقناع والاقتران وهذا لا يعني أن المفسر لا يستفيد من المؤول بل بالعكس نجد أن المفسر يحدد له المؤول حدوده يقف المؤول موقف المانع الراد حيث يرد المفسر إلى حد التفسير دون تجاوز المعنى إلى حد التأويل حتى لا تختلط المفاهيم والآليات فما يحتاجه النقل هو الحد المعجمي والنحو أكثر من العقل لأن التفسير ليس في موضع محاجة وليس في موضع إقناع وإنما هو في موضع اظهار معنى سطحي بسيط أو رفع إبهام لغة بلغة أخرى قريبه لها.

أما التأويل فهو عكسه تماما فهو ينفر التضيق أو التقييد إلى التوسع فنجد المعنى يحتمل عدة أوجه وتصبح الحجة الأساس تعمل في صالح كل حجة مدعمة على حسب درجات أهميتها وقربها من ذلك اللفظ فلذلك نجد المعنى يحتاج إلى برهنة واستدلال ونجد محمد الطاهر بن عاشور قد اعتمد على آليات استنباطية من أجل إثبات حجة تأويلية خاصة بموقف من مواقف أفكاره التأويلية فنجد مثلا يشرح السورة القرآنية ثم لا يكتفي بذلك سرعان ما ينتقل إلى قياسها بلفظة أخرى واردة في ديوان العرب من أشعار أحدهم برهنة على توجيهه أو سبب توجيه المعنى الى ذلك الحقل التأويل⁽²⁾.

وتتعدد أشكال القول بين القصد التقويلي الحجاجي وتفسير الاستعمال حسب تنوع الطبقات الخطابية ونموذجية المتلقي التفاعلي للمعنى فنجد بين متلقي ومتلقي أو متكلم ومتلقي طبقة خطابية خاصة وأخرى أكثر خصوصية تأتي المفردات أكثر توجيهية من غيرها فمخاطبة يوسف عليه السلام لأبيه

⁽¹⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص362.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص362-363.

الباب الثاني: الفصل الثاني: من تداولية التحرير والتنوير إلى تداولية التثوير والتقويل في بلاغة محمد الطاهر بن

عاشور - رؤية تداولية-.

تختلف عن مخاطبة أخوته لأبيهم وذلك حسب طبقة المقام الخطابي فمكانة يوسف عليه السلام عند أبيه تختلف عن مكانة إخوته كما نجد أن مخاطبة يوسف عليه السلام بأصحابهم في السجن تختلف عن مخاطبة يوسف عليه السلام لبقية الناس خارج السجن ومخاطبة الملك آمون ليوسف عليه السلام تختلف عن مخاطبته للكهنة المحاطين به ومخاطبة زليخة امرأة العزيز ليوسف عليه السلام تختلف عن مخاطبتها كذلك لزوجها وبقية الرعية في المملكة، وهذه المقامية الخطابية تمثل المسافة التخاطبية التي فرضتها التداولية كمعيار من معايير انسجام النص وتأويل الخطاب.

ويعتمد المتلقي في عملية التأويل على مجموعة من القرائن التي تكمل بعضها البعض وهي:

جدول رقم(24): يمثل مجموع القرائن النصية للمتلقي التأويلي الموسع في تفسيره للخطاب

اللغوي القرآني.

قرائن خارجية			قرائن داخلية	
المعرفة المشتركة	قرائن ذاتية للمتخاطبين	قرائن مقامية	قرائن شبه لغوية	قرائن لغوية
الموضوع-الخلفية الثقافية	المتكلم-المخاطب	الاتساق-الانسجام- الظروف السياقية	النبر - التنعيم	صوتية-معجمية- تركيبية-صرفية
الكفاية الموسوعية				

المرجع: ينظر عبد السلام عيساوي: أشكال القول من الإنشاء إلى التأويل، الدار التونسية

للكتاب، منوبة-تونس، ط1، 2019م، ص364.

المطلب الأول: الاستلزام التخاطبي - كيف نعني أكثر مما نقول -

يخص هذا المطلب حدود مستلزمات المتلقي التقويلي-المحاجج- في أسلوب القول وكيفية أخذه ببعد عمق ظاهره، حيث نرى أن البلاغة العربية قديماً وحديثاً أولت أهمية للمتكلم والسامع وقدّمت السامع المتلقي على المتكلم المنشئ وذلك يعود إلى معيار التأثير والتأثير الذي يحققه قول المنشئ في ذهن متلقيه والدور التواصلي الذي يتبناه المتلقي المركزي في الخطاب وكيفية توظيفه في مستخلصات استنباطاته وقراءته المركزية، ولهذا نرى أن قاعدة الاستلزام التخاطبي التي تركز على مؤسسة القول القائلة-بكيف نعني أكثر مما نقول- هو في حقيقته ليس سؤال من أجل جواب فقط وإنما هو سؤال يمتد ظاهره من أجل التنبيه إلى القيود والضوابط الملزمة على المتلقي التقويلي الالتزام بها وقد حددها علماء اللغة والفقه والأصول والبلاغة العرب في محاور ثلاث تعتبر هي مقاصد امتداد القول وتجاوزه إلى معاني أخرى أكثر من المرادة وأهم ما جاء في هذه المحاور ما يلي:

-العلوم الواجب توفرها في المفسر: إن اتفاق العلماء على ضرورة التبحر في العلوم لكل مفسر هي في الحقيقة غاية كل متلقي تقويلي في ارتكازية الخطاب والفهم، وأن المعنى كلما امتد خارج حروف القول الظاهرة إرتكن القصد إلى الزيادة والإضافة والتوسع بشرط توفر الحجة والدليل⁽¹⁾.

-المنهج التفسيري للمتلقي التقويلي: فهو المنهج الذي يجب على المفسر نهجه ويحتسب عنده اجتهاد منصوص أو استنباط لقواعد كلية تشتمل على تفسير القواعد الجزئية من أجل غرض استنتاج النص بالحجة والدليل ورفع من قيمة القراءة وشروطها⁽¹⁾.

⁽¹⁾ - ينظر خالد عبد الرحمن العك: أصول التفسير وقواعده، دار النفائس، بيروت - ط2، 1406هـ-1986م، ص94.

-شروط المفسر وآدابه في تفسير القرآن: إن معرفة شروط المتلقي التقويلي تعد معرفة لأهم صفاته وافتراضات تُوارد تلقيه وذلك لنوعية الخطاب التفسيري في البعد التقويلي وأن الاحتكام لهذه الآداب في تفسير القرآن تضمن المقصد الصحيح من الخطاب، ويصل الفهم الإرتكازي المصاحب للقول الممتد إلى معنى أوسع وأعمق يجمع بين آليتي التأويل والتقويل فيصبح الأول في مقابل الثاني عنصر سطحي ويصل التقويل بخلاف التأويل إلى باب الاجتهاد والاستنتاج وفق شروط محددة تعود إلى الجمع بين خصوصية المتلقي التقويلي وما يتوفر فيه وإلى خصوصية الخطاب ومحتواه النوعي والكمي و مدى مناسبه لأسلوب تلقي المتلقي التقويلي للقول. وكذلك لا ننسى خصوصية القراءة وأوجهها المتعددة التي تختلف من جمهور إلى آخر وهو ما يفرض اختلاف المعنى أو القصد المراد إليه.

-قواعد التفسير الملزم على المتلقي التقويلي مراعاتها: تتنوع قواعد التفسير للمتلقي التقويلي وتتخصص في الفهم والدلالة والبيان والتبيين ودليل ذلك أن القاعدة التي يعتد بها المتلقي التقويلي في حد التفسير بغية التفسير تختلف عن القاعدة التي يتبناها المتلقي التقويلي في حد التفسير بغية الاستنتاج والاجتهاد ولك يعود إلى سببين سبب الأول: أن التفسير في حد الاستنتاج لا يتاح لأي كان بل هو متخصص في متلقي نوعي مقول للمعنى ومجادل للعقل ومستدل بدليل ثابت يؤكد الحجة ويرفع الجدل ويقنع الآخر ويحيي علوم وقضايا مساق أهميتها في نوعية تحرير المسألة الشرعية بتوظيف الأدوات اللغوية اللازمة في حدود تقويلها وإثبات حجيتها أما السبب الثاني: فنرى أن تبني المتلقي التقويلي حد التفسير بغية الاجتهاد مراد منه إثبات تفرده وقوته العلمية وسلطته

¹ - ينظر خالد عبد الرحمن العك: أصول التفسير وقواعده، دار النفائس، بيروت - ط2، 1406هـ-1986م، ص94-95.

الباب الثاني: الفصل الثاني: من تداولية التحرير والتنوير إلى تداولية التثوير والتقويل في بلاغة محمد الطاهر بن

عاشور - رؤية تداولية-.

المعرفية والثقافية بالنظر إلى باق المفسرين وذلك يتم من خلال استدراك ثغرات وهفوات من سبقوه ومن هم من معاصريه حيث نراه يحافظ على الأصل في محاولته لمواكبة قضايا العصر والفكر التجديدي وهذا ما ميز محمد الطاهر بن عاشور في مقدمته حيث شمل جوانب تفرده وتحريره للمسائل وفق المعنى المقصود قواعد أهمها:

-قواعد التفسير في المنهج النقلي والعقلي: ويهتم في هذه القاعدة بمراعاة أسباب النزول وقيمة التفسير النقلي والعقلي ومصادره ولغوية المنهج التفسيري وأهمية النحو والإعراب وعددها ضوابط لغوية وعقلية يجب على المتلقي التقويلي مراعاتها.

-قواعد التفسير في بيان دلالات النظم القرآني وبيان المبهم وحجته: وتعتني هذه القاعدة بالتركيب والدلالة والبلاغة والتي في مجموعها تحمل معاني اللسانيات التداولية المعاصرة في الخطاب القرآني وفهم الإعجاز وفك شفراته في بعده الحجاجي أمر مخصوص في المتلقي. ويحمل معنى الاستلزام في جانبه الحجاجي التقويلي معنى الضبط والتقييد للقصد الموجه أو المراد من الخطاب.

أولاً: مقارنة غرايس (H P. Grice) ومحمد الطاهر بن عاشور

1- معنى المتكلم وموقع الاستلزام التخاطبي

أ- في معنى المتكلم في خطاب موسى عليه السلام:

في قوله تعالى: ﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ سورة القصص،

الآية 02.

حمل في معنى ضمير المتكلم فاعلين اسند إليهم فعل التلاوة في فكر محمد الطاهر

بن عاشور حيث رأى أن المتكلم المضممر وهو الأصلي أسند إلى الله تعالى لأنه هو الأمر بالتلاوة، أما المتكلم الظاهر وهو المتلقي من الله تعالى والناقل لكلام الله تعالى لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام هو جبريل عليه السلام⁽¹⁾.

وأن المتكلم في موقع المتلقي الثاني بعد جبريل هو النبي صلى الله عليه وسلم وأن في ضمير الجمع الموجود في الفعل نزلوا تعود على (الله وجبريل عليه السلام) وأن في عليك تخصيص خطاب التلاوة على (الرسول صلى الله عليه وسلم) فهو الذي يتلقى ذلك المتلو وربط سبب التلاوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقوم المؤمنين أي توضيح الغاية من سبب التلاوة عليه وهي تحقيق انتفاع المؤمنين بها، فالنبي هو المتلقي والمبلغ والمحتاج والمقنع في الخطاب المنقول ونجد من هذه القصص مثل ما جاء في سورة موسى وفرعون وكيف اختير الرسول صلى الله عليه وسلم ليكون حريصاً لتلاوة النبا على المؤمنين؟ وكيف أصبح المؤمنين المعتبرين للموعظة والمنتفعين من تلاوة النبا عليهم متطلبين للعلم والحكمة؟ وكيف تأثر مثل هذه القصص المقروءة عليهم وعلى يقينهم؟⁽²⁾.

في قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ

الْوَارِثِينَ﴾ سورة القصص، الآية 04.

ويفسر محمد الطاهر بن عاشور معنى المتكلم في تعيين المتلقي بقوله: >> وهو بيان

لنبا موسى وفرعون فإن إرادة الله الخير بالذين استضعفهم فرعون من تمام نبا موسى وفرعون، وهو

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، مج20، (د، ر ط)، 1984م، ص64.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص64.

موقع وعبرة عظيمة من عبر هذه القصة»⁽¹⁾.

وقد استعمل الله تعالى مبدأ الاستلزام وهو إرادة الله تعالى تعلو كل شيء وأن هذا البيان لاستلزام العبرة والأخذ بها فصاحب الاستضعاف قوة والسلطة تسلط والبيان النبأ وهذا كله أغراض ربانية أردّها عزّ وجل لجعل هذه الأمة المستضعفة أعظم أمة⁽²⁾.

فكان المتكلم الحامل لنبأ الخير هو موسى عليه السلام في موقع المتراسل مع الله تعالى هو الأمر لموسى عليه السلام، وكان المتكلم الحامل للضعف والهوان والشر هو فرعون في موقع المتكلم المتسلط والظالم المستبد، فجاء الله تعالى بالإرادة الزمنية المنفتحة على المستقبل لأنه عزّ وجل يرى أن فرعون يطغى على المستضعفين والله يريد في ذلك الوقت إبطال عمله والرفع من قيمة هذه الأمة، فجاء بكلمة ((نريد)) في موضع الحال المعبر عنه في ضمير ((يستضعف)) باعتبار أن إرادة الله مقارنة لفعل فرعون بالقوم فعمل المعنى على حمل الإرادة للذات المتكلمة العادلة في معنى المناسبة الزمنية بين بعث الخير وإبطال الشر فكان النبأ لكل من موسى وفرعون هو الفيصل المحقق لهذه الإرادة⁽³⁾.

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا

تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ سورة القصص، الآية 06.

فيفسر محمد الطاهر بن عاشور هذه الآية فيقول أن (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه)) جاءت في موقع الخبر معطوفة على خبر مشروط بعدم الخوف والاستسلام لأمر الله

⁽¹⁾ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، مج20، (د، ر ط)، 1984م، ص70.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص70.

⁽³⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص70.

تعالى ومقرًا ومؤكدا لها أنه راجع لها وأنه سيكون من أفضل الناس، فجمع في آية واحدة خبرين وأمرين ونهيان وبشارتان وهذا من الإعجاز القرآني في نظم الخطاب، حيث تجمع هذه المعالم في موقع الأفعال الكلامية في التداولية الحجاجية فيستلزم الخبر التقريري التأكيدي والأمر بالتوجيه والنهي بالتعبير والبشارة بالإعلاميات.

وحملت ((أم موسى)) موقع المتكلم المتضرع والمجيب لأمر الله تعالى والواثقة بالله تعالى والمطمئنة بأن الله تعالى يسند ابنها ودليل ذلك "جملة ((إنا رآوه إليك)) التي جاءت في موقع العلة للنهيين لأن ضمان ردّه إليها يقتضي أنه لا يهلك وأنها لا تشتاق إليه بطول المغيب. وأما قوله ((وجاعلوه من المرسلين فإدخال للمسرة عليها⁽¹⁾).

ب- موقع الاستلزام التخاطبي:

ويتضح موقع الاستلزام في خطاب السورة القرآنية هو التفصيل الذي صاحب قصة موسى المجل في سورة الشعراء، فجاءت سورة القصص لتفصل كيف كانت تربية موسى في آل فرعون وكيف أن الله تعالى خلق من شرّ فرعون عجز أمام خير موسى الذي وضعه الله تعالى للعدل والأخذ بيد المستضعفين وتخليصهم من فرعون وجنوده⁽²⁾.

وكذلك "صاحبت تفصيل لما أجمل في سورة النمل في قوله ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ سورة النمل، الآية 07، فجاءت هذه السورة للتفصيل كيف سار موسى وأهله وأين آنس النار ووصف المكان الذي نودي فيه بالوحي، والقصد من هذا كله هو زيادة المواعظ والعبر...

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، مج20، (د، ر ط)، 1984م، ص74-75.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص62.

ليعلم المشركون سنة الله في بعثه الرسل ومعاملته الأمم المكذبة لرسالتها⁽¹⁾.

ويعين غرايس الاستلزام التخاطبي بأنه قسيم الاستلزام الوضعي في انتمائه لمفهوم القولة، وغير أنه يختلف عنه من حيث الإجراء فالأول يعتمد السياق ويمكن رده إليه أما الثاني فهو ضعيف السياق ويجب اختباره قبل تطبيقه الإجرائي.

ويُعرف الاستلزام التخاطبي بكونه معتمدا على السياق، ومتولدا في حيز تحاوري ويفهم عبر سيرورة استدلالية، وهذا الاستدلال هو صورة استنباط معنى من دليل لساني أو غير لساني يتضمن الانتقال عبر مستويات ثلاثة بواسطة المخاطب⁽²⁾.

فتعليق الاستلزام التخاطبي بمحور السياق التحاوري والاستدلال الاستنباطي يعني تعليق القول المطلق بقول آخر غير منطوق قصد التثوير والزيادة في التأثير والمحاجة. ونجد ذلك في سورة القصص في موضع التفصيل التخاطبي المستلزم عن سياق الحكمة والضعف والقوة في المواضع التخاطبية التالية:

قال تعالى: ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ

ناصحون﴾ سورة القصص، الآية 11.

وهو استلزام اضطراري وتضعيف لفرعون وقومه وتقوية وإنصاف لأم موسى فصاحب هذا الاستلزام التخاطبي سياق الصدق وإيفاء الوعد من اله سبحانه وتعالى لأم موسى وكذلك امتد السياق من أم موسى إلى ابنها فاختار الله تعالى أن تكون أول المراضع هي أمه الحقيقة حتى تقوى

⁽¹⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 62.

⁽²⁾ - ينظر ثروت موسى: في التداوليات الاستدلالية قراءة تأصيلية في المفاهيم والسيرورات التأويلية، دار كنوز المعرفة، الأردن-عمان، ط1، 1439هـ-2018م، ص 245-247.

العلاقة بين الأم وابنها وهذه حكمة عظيمة من الله تعالى ويفسر محمد الطاهر بن عاشور هذا فيقول: " وضعت الواو في بداية الآية في موضع الحال والمتعلق بالضمير العائد على (أخته)، وأن فعل التحريم بغية المنع للغير وتمكين الأم بصفة مخصوصة وهو تحريم تكويني حيث مدّ الله في نفس الطفل الرضيع القدرة على الامتناع من قبول المراضع ورفضها كراهة ليضطر آل فرعون إلى البحث عن مرضع يتقبل ثديها، وذلك لتعلق فرعون وزوجته بموسى، فكانت الأم وصبرها جائزة لها ولطفلها وأن الله تعالى جمعهما بعد أن فرقهما⁽¹⁾.

قال تعالى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ سورة القصص،

الآية 12.

وحملت الآية في موضعها السياقي الأول معنى الجزاء من جنس العمل فجاء صبر الأم عودة الابن لها أمام الملأ دون علمهم وتمتعها بابنها واطمئنان قلبها وسياق التحدي في لتعلم ان وعد الله حق وخصها بمجموعة راشدة ومؤمنة واستدراكه بـ(لكن) في معنى الاستلزام الوضعي والمرجع إلى حكم المنطوق ليدخل في سياق الشدة والتقوية من المتكلم الله تعالى والمجسدة لصورة المشركين في سياق ضعفهم عن الحكمة والعلم، ويفسر محمد الطاهر بن عاشور هذه الآية بقوله "إن الاستدراك الناشئ عن نصب الدليل لها على أن وعد الله حق، فعلمت أن ذلك ابنها لوحدتها مقابل؛ أن أكثر القوم لا يعلمون ذلك لأنهم بين مشركين وبين مؤمنين تقادم العهد على إيمانهم وخلت

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، مج20، (د، ر ط)،

الباب الثاني: الفصل الثاني: من تداولية التحرير والتنوير إلى تداولية التثوير والتقويل في بلاغة محمد الطاهر بن

عاشور - رؤية تداولية-.

أقوامهم من علماء يلقنونهم معاني الدين فأصبح قريباً من الكفر⁽¹⁾. فسياق الإظهار في الضعف والقوة يعود إلى قوة العبرة وجدلية الواقع فنجد أن المفاد من الآية هو استظهار قدرة الله تعالى وإرادته على الجميع، وإنصاف الله تعالى لعبده الضعيف والمنكسر وردّ حقه وطمأنته.

ونجد في نفس الآية سياق تخاطبي آخر وهو التعظيم للقدرة الإلهية فما أظهره الله تعالى من علمه وما أراحه أن يستظهر هو كائن لا محالة⁽²⁾.

والسياق في موضعه التخاطبي الثالث حمل معنى التمهيد ف>> "تمهيد القصة بعلوم فرعون وفساد أعماله مشير إلى أن ذلك هو سبب الانتقام منه والأخذ بناصر المستضعفين ليحذر الجبارة سوء عاقبة ظلمهم وليرجو الصابرون على الظلم أن تكون العاقبة لهم"<<⁽³⁾.

ثانياً: مبدأ التعاون وطرائق توليد الاستلزام التخاطبي.

اهتدى غرايس إلى وضع جملة من الشروط التخاطبية التي عدّها في محور الاستلزام التحويري ومبادئه بهدف تخصيص وجهة الحوار من العام إلى الخاص المشروط ومن القول الذي حدث إلى ما يجب أن يحدث في القول أي ما يقال وما يستلزم أن يقال، هذه الشروط تعمل على تحديد خطوات للمتلقى المنتج في فهم طرائق اشتغال الاستلزام التخاطبي وصور تطبيقه إجرائياً⁽⁴⁾ وانتقل غرايس إلى الإقرار أن المحاورات هي منتج تشارك تعاوني بين أطرافها المتخاطبة، حيث

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، مج20، (د، ر ط)، 1984م، ص85.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص85.

⁽³⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص85.

⁽⁴⁾ - ينظر ثروت موسى: في التداوليات الاستدلالية قراءة تأصيلية في المفاهيم والسيرورات التأويلية، دار كنوز المعرفة، الأردن-عمان، ط1، 1439هـ-2018م، ص247.

الباب الثاني: الفصل الثاني: من تداولية التحرير والتنوير إلى تداولية التثوير والتقويل في بلاغة محمد الطاهر بن

عاشور - رؤية تداولية-.

يتعرف المشاركون على الأهداف المشتركة ويقر المشاركون بما يوافقه من هذه المحاورات التشاركية، سواء كانت هذه الأهداف متفق عليها من الأول أو متولدة على تنامي الخطاب وأحداثه، وذهب إلى جمع جميع هذه الظروف التشاركية تحت مبدأ تقريبي إجمالي يتوقع أن ينبني عليه التحوار ويتولد عنه الاستلزام⁽¹⁾.

وصور غرايس هذا المبدأ التقريبي في المبدأ التعاوني (principle coopérative)، وحدد له أربع قواعد تخاطبية متحركة في وجهة القصد وتولد المعنى وتعمل على الزيادة في التقويل والتأثير بدرجة التثوير والحجاج⁽²⁾. وهذه القواعد نطبقها على سورة القصص في خطاب موسى عليه السلام بين الأطراف المتخاطبة والمكونة لمبدأ التعاون بالكيفية التالية:.

-قاعدة الكم: ويشترط فيها شرطين في توليد المعنى:

*ليكن إسهامك في التحوار محتويا على القدر المطلوب من المعلومات، وفق الأغراض الحالية للتحوار.

*لا تجعل إسهامك بالمعلومات يتجاوز ما هو مطلوب⁽³⁾.

قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرُهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ إِسْتِيَاءً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ سورة القصص، الآية 54.

عَدَّ الله تعالى للمؤمنين سبع أغراض مطابقة لعدد خصال أهل الكمال نحددتها في الجدول التالي:

⁽¹⁾ -ينظر ثروت موسى: في التداوليات الاستدلالية قراءة تأصيلية في المفاهيم والسيرورات التأويلية، دار كنوز المعرفة، الأردن-عمان، ط1، 1439هـ-2018م، ص248.

⁽²⁾ -ينظر ثروت موسى: في التداوليات الاستدلالية قراءة تأصيلية في المفاهيم والسيرورات التأويلية، دار كنوز المعرفة، الأردن-عمان، ط1، 1439هـ-2018م، ص248.

⁽³⁾ - ثروت موسى: في التداوليات الاستدلالية قراءة تأصيلية في المفاهيم والسيرورات التأويلية، دار كنوز المعرفة، الأردن-عمان، ط1، 1439هـ-2018م، ص248.

الباب الثاني: الفصل الثاني: من تداولية التحرير والتنوير إلى تداولية التثوير والتقويل في بلاغة محمد الطاهر بن

عاشور - رؤية تداولية-.

جدول رقم (25): يبين خصال أهل الكمال وأغراضها البلاغية

الخصال	الغرض
الآخروية	المضاعفة: فعبر عن مضاعفة الأجر ضعفين بالمرتين تشبيها بتكرير الإيتاء وإنما هو إيتاء واحد.
الصبر	الابتلاء: والصبر من أعظم الخصال وأجمعها للمبررات ويشمل الصبر على الزيادة في الإيمان والتثبت والصبر على أذى أهل ملتهم أو صبرهم على أذى قريش فلكل عمله ولكل جزاءه.
الخير	الطاعة: فأعظم الخصال أن تكون الطاعة ثابتة في عمل الخير وحسن المعاشرة والتعامل مع الناس، واتباعا لقوله تعالى >> ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم << فيكون بذلك فائدة دفع مضرة المسيء عن النفس، وإسداء الخير إلى نفس أخرى.
الإنفاق	البر: الأقربون أولى بالمعروف، فلعلهم كانوا ينفقون على فقراء المسلمون في مكة.
التعقل	الإعراض عن اللغو: وهو الكلام العبث الذي لا فائدة منه، فلا ينبغي للعاقل أن يشغل عقله بأشياء تافهة أو يشغل سمعة ولُبه بما لا نفع فيه فلا بد من التنزه عن هذا الأمر.
القصر والقصد	الفصل: فالكلام الفصل في لنا أعمالنا ولكم أعمالكم هذا أحسن جواب يجاب به السفهاء وهو أقرب لإصلاحهم وأسلم من تزايد سفههم.
التفريق	التحديد والثبات: فالثبات على الدين الحق يتطلب الابتعاد أهل الجاهالة وذلك مفارقة بين أهل العلم ومكارم الأخلاق وبين الجهل المتشبع في كنية أبي جهل.

المرجع: ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس،

مج20، (د، ط)، 1984م، ص144-145-146.

ف نجد الحجة مطابقة لمقدار المعلومات وأغراضها الحالية أثناء التحوار فالله سبحانه وتعالى

حدد لكل شيء مقدار وأن الكلام المخصص والموجه والمقصود لفئة من الفئات حدده بشكل

مناسب وبكم معقول على حسب العقول ومداركها.

- قاعدة الكيف: يشترط فيه ثلاث شروط:

لا تقل ما تعتقد أنه غير صادق

ليكن إسهامك في الموضوع صادق

لا تقل ما تفتقر إلى الحجة الكافية على صدقه⁽¹⁾

فجاء في قوله تعالى ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأْيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهَامُنُ

عَلَيَّ الْطِّينَ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَطْلُعُ إِلَيَّ إِلَهَ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ سورة

القصص، الآية 38.

فكلام فرعون هنا يفتقر الحجة والصدق فاخترق قوانين التعاون التحواري من أجل فرض سلطة

كاذبة على عقول الملأ بهتاناً ورهطاً، فيفسر محمد الطاهر مقام التحوار في هذه الآية فيقول: "أن

فرعون كلامه المحكي هنا واقع في مقام غير مقام المحاور مع موسى فهو كلام أقبل به على

خطاب أهل مجلسه إثر المحاورة مع موسى... فأراد فرعون مع ملئه أن يثبتهم على عقيدة إلهيته

فقال(ما علمت لكم من إله غيري) إبطالا لقول موسى المحكي في سورة الشعراء وقال ربكم ورب

⁽¹⁾ - ثروت موسى: في التداوليات الاستدلالية قراءة تأصيلية في المفاهيم والسيرورات التأويلية، دار كنوز المعرفة،

الأردن-عمان، ط1، 1439هـ-2018م، ص248.

آبائكم الأولين... فأدخل النفي مضنة منه على قدرة لتثبيت الألوهية لنفسه وإبطال دعوة موسى، لأن فرعون عندهم هو مظهر الآلهة المزعومة عندهم، لأنه في اعتقادهم ابن الآلهة وخلاصة سرهم⁽¹⁾.

وفي قول موسى عليه السلام بالحجة الصادقة (إن الإله الحق هو رب السماوات فقد حسب فرعون أن مملكة الرب السماء تصورا مختلا فنفي وجود أي إله غيره وذهب إلى بناء صرح يبلغ به عنان السماء حتى يرى الإله الذي زعمه موسى وفي ذلك؛ محاولة منه إضعاف حجة موسى وإبطالها وتكذيبه أمام الملأ... وفي هذا الضغث من الجدل السفسطائي مبلغ من الدلالة على سوء انتظام فكر فرعون وملئ ودليل على تحيله وضعف آراء قومه⁽²⁾.

ف نجد أن موسى عليه السلام كانت مساهمته صادقة وحجته قوية أما فرعون فكان في موقع الضعف والعجز وغير صادق حتى أنه كان يميل للحيلة والتكذيب وهذا دليل على عدم امتلاك حجة على ما يقول فحاول اختراق مبدأ الكيف وخلق قوة لنفسه للبقاء على الألوهية المزعومة التي رسخها في عقول ملئه قبل أن يأتي موسى عليه السلام ويستتير العقول الغافلة، ففضل عدم لتعاون مع موسى وتحديه وهو بذلك يتحدى الله تعالى لأن موسى مأمور من الله تعالى وما أوتي من العلم والحكمة فهو بأمر الله تعالى وفضله عليه.

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، مج20، (د، ر ط)، 1984م، ص121-122.

⁽²⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، مج20، (د، ر ط)، 1984م، ص122.

- قاعدة المناسبة: قل ما هو مناسب ذو صلة بموضوع التحوار⁽¹⁾:

وقوله تعالى ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْأً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ

يُكَذِّبُونِ﴾ سورة القصص، الآية 34.

توفر في القول إفصاح ومناسبة فيقول محمد الطاهر بن عاشور " أن هذا سؤال صريح يدل على تعلق موسى بأخيه وإكمال نية التبليغ بالدعم اللساني المراد والذي يقوي من حجته، فسأل التأييد لقوة علمه وأمانته وإخلاصه لله ولأخيه، فشَرَطَ الخبر أن يكون على استقامة النطق ومفهومه فاستلزام القول هو تحقيق الطلب في إرسال أخيه معه...حتى تقوى حجته في مجادلته لفرعون وأن تصديقه إياه سيكون سببا في تصديق فرعون وملئه لموسى بإبانه...فجاء الطلب في الفصاحة بشكل سؤال للسماح له باصطحابه وكان جواب الطلب هو تصديقه لأخيه فكان موسى هو الأصل وكان السؤال فرع وكان الجواب تفرع على تفرع وكان المعنى مناسبا لمعنى المفرع عنه(هارون) وهو أنه أفصح لسانا، وليس للفصاحة أثر في التصديق إلا بهذا المعنى... وأن التصديق لا ينحصر حقيقة على هارون بل إسناد التصديق لهارون مجاز عقلي لأنه يعد وسيلة أخذ موسى بها لزيادة الحجة⁽²⁾؛ والمصدقون حقيقة هو موسى عليه السلام بكونه من أهل العلم فيحصل عنده التصديق لأنه مبجل من عند الله تعالى وأن ما جاء به صادق فيه⁽³⁾.

-قاعدة الأسلوب: وفيه ثلاث شروط:

⁽¹⁾ - ثروت موسى: في التداوليات الاستدلالية قراءة تأصيلية في المفاهيم والسيرورات التأويلية، دار كنوز المعرفة، الأردن-عمان، ط1، 1439هـ-2018م، ص248.

⁽²⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، مج20، (د، ر ط)، 1984م، ص116.

⁽³⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، مج20، (د، ر ط)، 1984م، ص116.

تجنب غموض العبارة

تجنب اللبس

أوجز: (تجنب الإطناب بلا ضرورة)⁽¹⁾.

قوله تعالى ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِمَا نَعْبُدُ رَبَّنَا عَلَى أَنْ تَأْجُرَ بِنَا إِنْ كُنَّا بِرَأْسِ الْكُفَّينَ﴾ سورة القصص، الآية 26-
وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْكَ سُلْطَانًا بِإِذْنِ اللَّهِ إِنَّ شَاءَ اللَّهِ مِنَ الصَّالِحِينَ

27.

إن طلب الفتاة من أبيها استجارة موسى عليه السلام لرؤية الصدق والوضوح والعفة فيه وحياء الفتاة من أبيها طلب الإعجاب بكلمة استأجره أي ائتمنه ففيه من الصدق ما يناسب ومن العفة ما تتطلب ومن الوضوح ما يستلزم، فكان الأب مجابا لمراد ابنته ورؤيتها الصادقة في شخص موسى عليه السلام، فحاور الأب موسى عليه السلام بكل وضوح وصراحة واشترط أن يزوجه أحدهما حتى يثبت له درجة ائتمانه على رزقه ليهب له ائتمانه على ابنته. >> فتقدير الكلام: استأجره فهو قوي أمين وإن خير من استأجر مستأجر القوي الأمين فكانت الجملة مشتملة على خصوصية تقديم الأهم وعلى إيجاز الحذف وعلى المذهب الكلامي، وبذلك استوفت غاية مقتضى الحال فكانت بالغة حد الإعجاز >>⁽²⁾

⁽¹⁾ - ثروت موسى: في التداوليات الاستدلالية قراءة تأصيلية في المفاهيم والسيرورات التأويلية، دار كنوز المعرفة، الأردن-عمان، ط1، 1439هـ-2018م، ص248.

⁽²⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، مج20، (د، ر ط)، 1984م، ص106.

المطلب الثاني: آليات تثوير المعنى وتقويل الاستعمال

أولاً: الآليات اللغوية

1- ألفاظ التعليل:

﴿نَتْلُوْا عَلَیْكَ مِنْ نَّبَاٍ مُّوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ یُّؤْمِنُوْنَ﴾ سورة القصص، الآية 02.

البعد الإخباري: سرد الله تعالى قصة موسى على الرسول صلى الله عليه وسلم.

البعد الحجاجي: مشاركة الرسول صلى الله عليه وسلم قصة موسى ونقلها لقومه الذين منهم يؤمنون بالله تعالى وكأنه يشاهد القصة وحاضر في ذلك الوقت (حسن التعليل تضمن تصوير الله تعالى مشهد القصة لنبيه من أجل إقناعه بأن الله حق وأن رسوله لا ينطق عن الهوى) فيقول محمد الطاهر بن عاشور: "أن التلاوة وما شملته من قراءة لكلام مكتوب أو محفوظ تحمل غرض التبليغ والزيادة في الإثبات وأن إسناد التلاوة لله تعالى إسناد مجازي غرضه الاستجابة لأمر الله من طرف جبريل لاعتباره المأمور الأول ثم يسترسل في التجاوب مع بقية الأنبياء الموصى بهم الله تعالى... وأن اللام حملت معنى؛ التعليل لإدراك الغاية والتوصل إلى القصد⁽¹⁾ فكانت الغاية من تلاوة النبأ على النبي صلى الله عليه وسلم هو الانتفاع للقوم المؤمن برسالة الرسول صلى الله عليه وسلم وإذا كان من بينهم سألوا أو تشوفوا في تفصيل ما جاء في قصة موسى وفرعون فتخصيصهم بالتعليل واضح وانتفاع النبي صلى الله عليه وسلم بانتفاعهم تصبح حجة في قلب المؤمن أقوى وعلى عقل الكافر أبلغ وأعجز، وعلى المؤمنين الانتفاع بالعبرة والمواعظ لكونهم متطلعين للعلم

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، مج 20، (د، ر ط)،

والحكمة... وحصول النبي صلى الله عليه وسلم على ازدياد العلم يعود إلى كونه المتلقي والمبلغ والمؤثر على حجج الكافرين ومبطل لها ومثبت لحجج الله تعالى ومنتصر لها فما ازداد الرسول من علم إلا وقد اعتلله في باب الإثبات للدين الحق والبقاء على عهد التبليغ والاحتكام إلى التثوير والتقويل بغية الإقناع وجلب قصص كانت في زمن أنبياء من قبله مع أقوامهم وروايتها مطابقة ومزامنة ومشابه للقصص المشركين في زمانه ومن ذلك قوله تعالى ((وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين)) فحجة الله تعالى في تثبيت فؤاد الرسول وعلمه هو إعلامه وإخطاره بمجموع القصص والظروف التي لاقاها الأنبياء من قبله حتى لا ينصدم أو يعجز عن التبليغ بل حتى يحترز ويقوى في تبليغه وذلك لقوة حجيته⁽¹⁾.

﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ سورة القصص، الآية 07.

البعد الإخباري: وصول موسى لقصر فرعون

البعد الحجاجي: استحقاق آل فرعون عقاب الله بحجة موسى عليه السلام ويفسر محمد الطاهر بن عاشور الاستعمال من باب حجاجي تقويلي فيقول: >>الالتقاط هو افتعال من اللقط، وهو تناول الشيء الملقى في الأرض ونحوها بقصد أو ذهول، فاسند الالتقاط إلى آل فرعون لأن استخراج تابوت موسى من النهر كان من إحدى النساء الحافات بآبنة فرعون حين كانت مع أترابها وداياتها على ساحل النيل<<⁽²⁾ فوضح محمد الطاهر بن عاشور معنى الالتقاط في شكله الحرفي

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، مج20، (د، ر ط)، 1984م، ص64-65.

⁽²⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، مج20، (د، ر ط)، 1984م، ص75-76.

الباب الثاني: الفصل الثاني: من تداولية التحرير والتنوير إلى تداولية التثوير والتقويل في بلاغة محمد الطاهر بن

عاشور - رؤية تداولية-.

مرتبطاً بسياقه الحدثي العام ثم ذهب إلى سبب استعمال الآية للام التعليل في تعلقها بنتيجة الفعل والغرض منها فيقول >> واللام في ((ليكون لهم عدوا)) لام التعليل وهي المعروفة عند النحاة بلام كي وهي لام جارة مثل كي، وهي هنا متعلقة بـ(النقطة)، وحق لام كي أن تكون جارة لمصدر منسبك من(أن) المقدّرة بعد اللام ومن الفعل المنصوب بها<<⁽¹⁾ ودلالة النصب الانفتاح على الحدث ونتيجة الالتقاط الغير متوقعة لدى فرعون بعد تبنيه موسى وانقلاب الدهر عليه بعد التقاط موسى، ودلالة المصدر افتعال يشير إلى الحدث المترتب عليه أحداث جديدة على الحدث الأول والذي يعد سببا في تواجد بقية الأحداث>> وذلك المصدر هو العلة الباعثة على صدور ذلك الفعل من فاعله، وقد استعملت الآية استعمالا واردا على طريقة الاستعارة دون الحقيقة لظهور أنهم لم يكن داعيهم إلى التقاطه أن يكون لهم عدّوا وحزنا ولكنهم التقطوه رافة به وحبا له لما ألقى في نفوسهم من شفقة عليه<<⁽²⁾. ومراد الله تعالى إعطاء فرعون فرصة الإيمان والعودة عن الخطأ لكن تجبره وجهله جعله يتمادى في الخطأ حتى أعدّ له بعد ذلك جزاءه المستحق.

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَرْغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ

الْمُؤْمِنِينَ﴾ سورة القصص، الآية 09.

البعد الإخباري: إلهام الله لأُم موسى الصبر

البعد الحجاجي: بيان مكانة أم موسى عند الله تعالى.

وعبر محمد الطاهر بن عاشور عن معنى الخبر الحجاجي في تفسير هذه الآية بقوله

⁽¹⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 75.

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص 75-76.

الباب الثاني: الفصل الثاني: من تداولية التحرير والتنوير إلى تداولية التثوير والتقويل في بلاغة محمد الطاهر بن

عاشور - رؤية تداولية-.

الاستعمال في أصبح استعمال بلاغيا في بعدين حاجيين يحملان معنى الخبر بنية الوصف حيث يرى أن (أصبح) تفسير استعمالها بمعنى (صار) الذي يحمل معنى التحول والتغير حيث تضمن اقتضاء تحول حالة أم موسى من حالة الكسب إلى حالة الفقد، وأن الفراغ الحاصل هو بسبب الحزن والخوف على ابنها موسى عليه السلام⁽¹⁾.

كما فسّر استعمال الفؤاد بمعنى العقل واللب وهذا حقيقة أما المجاز فاستعمل في معنى فراغ العقل من الأمر بحيث أنه مجاز عن عدم احتواء العقل على ذلك الأمر احتواء مجازيا بسبب طغيان عاطفة الأمومة عن تمكن تنفيذ الأمر، فصاحب ذلك عدم جولان معنى ذلك الأمر في العقل، فترك التفكير فيه. وتعلق الخبر بالفؤاد يحمل معنيين مختلفين المعنى الأول بعد عقلي، تؤذن بثبات أم موسى ورباطة جأشها حيث وضعت ابنها في اليم عقلانا منها في منحه للبحر في رعاية الله أفضل من حمايته بنفسها عليهم رغم محاولاتها إلا أنها تمكنت من الاحتكام بالعقل في لحظة الخوف ودليل ذلك دعائها له وطلبت من الله أن يحميه ويجمعه بها، والمعنى الثاني بعد عاطفي: تؤذن بتطرق الضعف والشك إلى نفسها فغلبت عليها عاطفة الأمومة في لحظة⁽²⁾. من اللحظات العسرة فوقفت في حيرة بين عقلها الغائب عن التفكير وقلبها المتعلق بالابن⁽³⁾. ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ ۖ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَلَنَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ﴾ سورة القصص، الآية 12.

البعد الإخباري: إقرار عين أم موسى برجوع ولدها لها.

البعد الحجاجي: عسى بحدوث شيء يجعل الله منه حكمة.

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، مج20، (د، ر ط)، 1984م، ص80.

⁽²⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص80.

⁽³⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص20.

والخبر الحجاجي في هذه الآية يحمل بعدين بلاغيين بعد التعميم تمثل في " العبرة التي تضمنتها الآية من هذه القصة الموجهة للمؤمنين ومفادها التذكير لهم والمشاركين مفادها أخذ الموعدة منها"⁽¹⁾، وبعد التخصيص تمثل في الرأفة بفؤاد أم موسى ومسح الحزن من قلبها، وإتمام هذا لتقتها بالله تعالى وقوة إيمانها وصبرها.

نستنتج هذه الأبعاد من خلال السياق الاستعمالي وتفسيره لمحمد الطاهر بن عاشور حيث قال أن وجود(كي) في نص الآية جاء معطوفا للإثبات في معنى الإقرار وليس في معنى النفي الوارد في(لا تحزن)حيث أكد حرف كي بلام التعليل الموجود في العبارة التي بعده في قوله تعالى(ولتعلم أن وعد الله حق)⁽²⁾ العائد خصيصا عن أم موسى، ومنه سيقى هذه الآية في سياق العموم حيث وجه الخطاب الحجاجي بصفة عامة إلى الناس جميعا لبيان حكمة الله تعالى من أمر الفقد والاختبار وأن أمر الفراق بين الأم وابنها لحكمة لا يعلمها إلا الله⁽³⁾.

﴿قَالَ مُوسَى إِنَّ أَلَمًا يَأْتِرُونُ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾سورة القصص، الآية19.

البعد الإخباري: تشاور على قتل موسى

البعد الحجاجي: تنبه موسى لقول الرجل.

شرع محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره لهذه الآية بقوله إن أصل القول والخطاب كان وصفا لحالة من جهة وانتقالا بالأمر إلى حالة ثانية من جهة أخرى ومعنى هذا أن في وصف الحالة كان تنبيها من الرجل إلى موسى عن فئة الناس الذين يريدون قتله، وأن الانتقال في الحالة

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، مج20، (د، ر ط)، 1984م، ص85

⁽²⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ص85.

⁽³⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص85.

الباب الثاني: الفصل الثاني: من تداولية التحرير والتنوير إلى تداولية التثوير والتقويل في بلاغة محمد الطاهر بن

عاشور - رؤية تداولية-.

الثانية كان حلا سريعا لتفادي هذا المأ وما يحمله من مكيدة له، واشتملت هتين الحالتين على عنصر التعليل وما يثبت هذا هو (قول الرجل إني لك من الناصحين) فهو في مقام تعليل عن سبب الإخبار والأمر في آن واحد كما أن جملة (قال يا موسى) بدل اشتمال من جملة (جاء رجل)⁽¹⁾.
﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ ۖ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ سورة

القصص، الآية 73.

البعد الإخباري: رحمة الله على العباد ونعمته عليهم في الليل والنهار.

البعد الحجاجي: معرفه العبد لرحمة ربه وتقديرها.

فالخبر الحجاجي عند محمد الطاهر بن عاشور في حدود هذه الآية أنه شمل التصريح بنعم الله تعالى في تعاقب الليل والنهار على الناس وهذا التصريح يحمل نوع الخبر وهو خبر صادق وحقيقي بحيث أن الله تعالى رحمته حقيقة كلية على الناس، والمقصود منها هو اظهار بعض من رحمة الله التي وهبها للناس والتي وسعت كل شيء بغية تذكيرهم بها⁽²⁾.

وفي معنى (لتبتغوا من فضله) احتوت على اللف والنشر المعكوس فيشير قول (لتسكنوا فيه) تعلقا بالليل، وقول (لتبتغوا من فضله) تعلقا بالنهار، وكما يحتوي هذا القول على معنيين مختلفين: المعنى الأول الكناية وحمل فيه معنى الحرص على الطلب والعمل لتحصيل الرزق والمعنى الثاني العطف والتعليل في آن واحد اعتبارا للاستعمال وتفسيره أن يتذكروا بذلك مظاهر الرحمة الربانية

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، مج20، (د، ر ط)، 1984م، ص96.

⁽²⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، مج20، (د، ر ط)، 1984م، ص171.

وجلائل النعم فيشكروه بإفراده بالعبادة، وهذا تعريض لأنهم كفروا ولم يشكروا⁽¹⁾.

2- التركيب الشرطي:

﴿فَإِذَا خِفتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾ سورة القصص، الآية 06.

البعد الإخباري: اطمئننا الله لام موسى

البعد الحجاجي: التوكل وعلى الله والاحتفاء به.

﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾ سورة القصص، الآية 09.

البعد الإخباري: ثقة انعدام الحزن لأم موسى على ابنها جعلها على مقربة من الله تعالى

البعد الحجاجي: تأديب النفس على الصبر تقربا الى الله تعالى ومن ترك شيئا لله عوضه

خييرا منه

﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾ سورة القصص، الآية 17.

البعد الإخباري: استغاثة رجل من بني إسرائيل بموسى عليه السلام

البعد الحجاجي: استعانة الضعيف في لحظه هزل بالقوي

﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنَكِّحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هُنَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمْنِي حَبَّح﴾ سورة القصص،

الآية 27.

البعد الإخباري: إقامة الزواج بحجة حسن التأجير والوفاء

البعد الحجاجي: شهامة موسى عليه السلام جعلته في مركز راقٍ

⁽¹⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 172.

الباب الثاني: الفصل الثاني: من تداولية التحرير والتنوير إلى تداولية التثوير والتقويل في بلاغة محمد الطاهر بن

عاشور - رؤية تداولية -.

﴿فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ سورة القصص، الآية 27.

البعد الإخباري: حرية الاختيار

البعد الحجاجي: عدم الزام الشيخ لموسى ما لا يطيق

﴿قُلْ فَاتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ سورة القصص، الآية 49.

البعد الإخباري: تحدي الله للمشركين عن طريق الرسول صلى الله عليه وسلم في إحقاق

الحق وإبطال الباطل

البعد الحجاجي: دليل كذب الكفار أسرارهم على الباطل لانهم لا يملكون حجه في إثبات

ما يقولون على شركهم بغير الله بدليل قوله تعالى ان كنتم صادقين بمعنى تعجيزهم وكذلك دليل على كفرهم وكذبهم.

﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ سورة القصص، الآية 50.

البعد الإخباري: عدم الاستجابة لما يقوله الرسول صلى الله عليه وسلم دليل على جهلهم

البعد الحجاجي: تنبيه الله للرسول صلى الله عليه وسلم بإمكانية تكذيبه وليس من السهل التعامل

مع قومه وتقبل ما تكلفه الله بإيصاله وحرصه على رحابه الصدر ووسع البال لماذا يواجهه منهم

﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ ءِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ ء مُّسْلِمِينَ﴾ سورة القصص،

الآية 53.

البعد الإخباري: الإخلاص لله تعالى

البعد الحجاجي: الاقتناع برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وبلوغ الإيمان

الباب الثاني: الفصل الثاني: من تداولية التحرير والتنوير إلى تداولية التثوير والتقويل في بلاغة محمد الطاهر بن

عاشور - رؤية تداولية -.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾

سورة القصص، الآية 55.

البعد الإخباري: الإعراض عن الجاهلين

البعد الحجاجي الجاهلون طريق للهلاك فلا تتبعوه

﴿وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا﴾ سورة القصص، الآية 55.

البعد الإخباري: إخبار الرسول صلى الله عليه وسلم بوصول رسالته لان قام بالتحاجج على

ما أتى به بالبطل بحجه الأذى سيلحق به لو اقتدوا به

البعد الحجاجي: حجج وأعدار كاذبة لتفادي الخضوع والمبايعة

﴿وَمَا أَوْتِيتُمْ مِّن شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزَيَّنْتُهَا﴾ سورة القصص، الآية 60.

البعد الإخباري: مهما بلغ رزق المرء في الدنيا لا يقدر بذره مقابل ما عند الله من خير

البعد الحجاجي: عدم الإغترار بما رزقك الله في الدنيا لأنه سينقلب الى نقمه بدلا نعمة

وتلك آيات الله في عباده.

﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ سورة القصص، الآية 64.

البعد الإخباري: عدم الاستيعاب والاستجابة دلالة على خوفهم وعلى خسرانهم المبين

البعد الحجاجي: من اهتدى بالله سيرى النعيم ومن ضل عن سبيله سيلقى غيلا وعذابا

جهنم وبئس المصير.

﴿لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخُسِفَ بِنَا﴾ سورة القصص، الآية 82.

الباب الثاني: الفصل الثاني: من تداولية التحرير والتنوير إلى تداولية التثوير والتقويل في بلاغة محمد الطاهر بن

عاشور - رؤية تداولية -.

البعد الإخباري: رحمه الله بالعباد اقتهم من العذاب

البعد الحجاجي: إرضاء الله تعالى طريق للنجاة والفلاح والفوز في الحياه الدنيا والآخرة

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ سورة القصص، الآية 84.

البعد الإخباري: إخبار الله بجزاء المحسنين حقهم

البعد الحجاجي: مقابلة الأعمال الحسنه بإضعاف منها

﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ سورة القصص، الآية 84.

البعد الإخباري: من يعمل يحاسب عليها

البعد الحجاجي: رحمه الله تعالى حتى على عباده ذوي العمل الصالح الذي لا يرضيه

ولا يرضي عباده.

وفسر محمد الطاهر بن عاشور الشرط في نظم هذه الآيات وأسباب استعماله صورة

المخاطب وأسلوب تحاور الله تعالى مع أم موسى بالإلهام وتحاور الله مع موسى عليه السلام

بالوحي وتحاور موسى مع فرعون وملئه وكيف أن الله تعالى من سابع سماه قد أعلى من شأن

النبيء وأخرجه من حجرة إلى الضيق إلى الرفعة والعز، وكيف أذل فرعون وجزاه بما فعل واشترط

الله تعالى في الجزاء أنه سيكون من جنس العمل فإن كان خيرا فيضاعف وإن كان شرا فيجزي

بقياسه وهذا رحمة من الله تعالى في عباده ويقول محمد الطاهر بن عاشور في تفسير استعمال لولا

في التركيب الشرطي يقول وجملة ﴿إِنْ كُذِّتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ

الْمُؤْمِنِينَ﴾ سورة القصص، الآية 10، تحمل تفسيرين استعملت في سياق الحالية وذلك لكونه تعد

من التفسير الأول استئنفا بيانيا لما اقتضاه فعل (أصبح) من أنها كانت على حالة غير حالة فراغ،

واستعملت في سياق ثاني مخالف وهو سياق التعلق بالسابق فجملة ((إن كادت لتبدي به)) جاءت كبيان لجملة ((وأصبح فؤاد أم موسى فارغا، أي كادت لتبدي أمر موسى من قلة ثبات فؤادها>>... وأن الربط على القلب مفاده توثيقه عن أن يضعف كما يشد العضو الوهن، أي ربطنا على قلبها بخلق الصبر فيه، وجواب (لولا) هو جملة ((إن كادت لتبدي به))⁽¹⁾ والمراد بالمؤمنون المصدقون بوعد الله، أي لولا أن ذكرناها ما وعدناها فاطمأن فؤادها، فالإيمان هنا مستعمل في معناه اللغوي دون الشرعي لأنها كانت من المؤمنين من قبل، أو أريد من كاملات المؤمنين، واللام للتعليل، أي للتحرز رتبة المؤمنين بأمر الله الذين لا يتطرقهم الشك فيما يأتيهم من الواردات الإلهية⁽²⁾ ويمكن حصر أغراض المركب الشرطي الموظف في سورة القصص في حدود ستة مواضع سياقية نسردها بالشكل التالي:

أغراض الشرط	صورة المخاطب	السياق الفعلي

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، مج20، (د، ر ط)، 1984م، ص81-82.

⁽²⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، مج20، (د، ر ط)، 1984م، ص82.

1. الإطمئنان	مؤمنة خائفة	الاستسلام والجرأة على الإقدام لأمر الله استجابة واحتفاء.
2. الصبر	مؤمنة واثقة	تأديبي تعويد النفس على الصبر
3. العجز	التصديق	الضعف لبني إسرائيل والقوة لموسى
4. التخيير	التصديق والإئتمان	الثقة وحسن التعامل
5. التحدي	الإصرار	إبطال عمل المشركين
6. التوقع	رافض	التنبيه والحرص

ثانيا: الآليات البلاغية

1- الآليات البيانية:

أ- الكناية

تعددت مواضع استعمال الكناية في سورة القصص لما لها من أهمية في التصوير والوصف وتسلسل الأحداث فتستعمل الكناية بأنواعها الثلاثة من أجل التعبير عن المعاني بشكل غير مباشر وذلك من أجل تحفيز العقل على التأمل والبحث والتفكير وإما للتأثير على المتلقي فتضفي الكناية حس جمالي ومعنوي في الخطاب مما يجعله منسجما ومتناسقا في نغمه وتركيبه فيعطي للنص جاذبية تخاطبية، أو أن يكون من أجل توجيه انتباه المتلقي إلى معنى أو مجموعة معاني لا يحملها المستوى التصريحي فتكون الكناية هي الأنسب في الإخبار والوصف والتصوير وأقرب لظروف سرد القصة، مما ينعكس عمق اللغة البيانية في ذهن المتلقي وزيادة فرصة تعزيز الفهم الروحي والأخلاقي للنص لديه.

-كناية عن الصفة:

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرَغًا﴾ سورة القصص، الآية 09.

عناصر الكناية	معانيها
المعنى القريب للفظ	فراغ الفؤاد وهو حدوث تحول من الامتلاء أي خلوه من الخوف والحزن والفقد إلى حالة الذعر التي أصبح فيها فؤادها فارغا من الراحة والطمأنينة
المعنى البعيد للفظ	الفراغ المجازي معناه فراغ العقل من أمر أنه مجاز عن عدم احتواء العقل على ذلك الأمر احتواءً مجازياً، أي عدم جولان ذلك الأمر في العقل أي ترك التفكير فيه، ويحمل المعنى البعيد لهذه الآية معانٍ عديدة منها: المعنى الأول البعيد: تؤذن بثبات أم موسى ورباطة جأشها، وذلك دلالة على قوة إيمانها وثقتها بالله تعالى وهذا في احتكامها للأمر بعقلها. المعنى الثاني البعيد: تؤذن بتطرق الضعف والشك إلى نفسها، وهذا في خلو التفكير بالعقل والتفكير بالعاطفة بحكم الأمومة فنجد في نفسها الذعر والخوف على وليدها. المعنى الثالث البعيد: حالة الانتقال من العقل إلى العاطفة والرجوع من العاطفة إلى العقل وهي حالة تردد وخوف وحزن لما تعرضت له من اختيار صعب والأصعب الذي أمامها، فاختارت أن يفرغ قلبها من الحزن والخوف وتكون واثقة بحسن عاقبته تبعا لما ألهمها من أن لا تخاف ولا تحزن فيرجع إلى الثناء عليه ودليله هو ربط الله تعالى على قلبها وتثبيت إيمانها وإلهامها الصبر في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ سورة القصص، الآية 09،، فذلك الربط من توابع

ما ألهمها الله من أن لا تخاف ولا تحزن. وحالة العودة وهو كما فسره ابن عطية والقرطبي وغيرهما بأن الفراغ هو ذهاب العقل، أي أنها لما سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها خوفاً وجزعاً، فأصبح فؤادها فارغاً من تذكر الوعد الذي وعدها الله إذ خامرها خاطر شيطاني فقالت في نفسها: إني خفت عليه من القتل فألقيته بيدي في يد العدو الذي أمر بقتله، فلوهلة فرغ قلبها من الصبر وتمكن الخوف عليه، فكادت أن تبدي أمر ابنها من شدة الاضطراب والخوف لكن الله تعالى تداركها.	
علاقة جزء من كل، حيث الاتزان يكون بالعقل والاضطراب والتقلب يكون سببه القلب الذي يخل بالثبات، فعلاقة الجزء المطلقة هي الفؤاد ويقصد به اللب والعقل أي أصل اليقين والثبات أي الكل الثابت.	العلاقة التخاطبية
وهو تصوير حالة الإنسان الثابت على الدين وكيف تفجعه الأقدار وتجعل جزئه مضطرباً ومشتتاً رغم إيمانه.	الغرض من الكناية

﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ﴾ سورة القصص، الآية 08.

معانيها	عناصر الكناية
يدل الكلام في ظاهره على أن الذين انتشلوه جعلوه بين أيدي فرعون وامرأته فرقت له امرأة فرعون وصرفت فرعون عن قتله بعد أن همَّ به.	المعنى القريب للفظ
كناية عن السعادة والاطمئنان، الذي أودعه الله تعالى في قلب زوجة فرعون حتى	المعنى البعيد للفظ

تكون وسيلة في الوصول إلى فرعون ومحاسبته، وتعدد معاني الكناية للموصوف موسى عليه السلام في هذه الآية فأخذت مقاصد عديدة منها: المعنى الأول: كناية عن التبني فلم تر عداوة موسى لآل فرعون ولا حزن من، لأنها انقرضت قبل بعثه موسى. المعنى الثاني: أنه مفتاح السعادة والاستئناس في الحياة ودليلها جاءت بالتاء المفتوحة وهو للاستغراق الزمني اللامحدود. المعنى الثالث: وهو كناية عن السرور وهي ناشئة عن صدها وهو سُخنة العين التي أثر البكاء اللازم للأسف والحزن، فلمّا كني عن الحزن بسخنة العين في قولهم في الدعاء بالسوء: أسخن الله عينه	
علاقة الجزء بالكل: حيث نجد الموصوف هو موسى عليه السلام بأنه قرّة عين لهما فالجزء هو للعين التي تشير إلى حالة من الراحة والطمأنينة والفرح الذي يغمر الإنسان ويتبدل حاله عند الارتزاق بمولود، والكل في قولها (لي ولك)، فإن التعبير يتسع ليشمل الشعور العام بالفرح والسعادة الذي يشمل الكل، ولهذا جاءت الكلمة في سياق التعبير عن جزء من التجربة الإنسانية (الحالة النفسية) ولكن تشير إلى المعنى الأوسع وهو القرح والنجاة التي تشمل كل من المرأة وموسى. فلهذا نعتبر أن العبارة تمثل جزءاً (الشعور بالراحة) بينما تشير في نفس الوقت إلى الحالة العامة (النجاة والتأييد الإلهي)	العلاقة التخاطبية
الإشارة إلى الأمل والنجاة وإعطاء فرعون فرصة الإيمان والاعتبار والاهتداء، وإعطاء	الغرض من الكناية

زوجة فرعون فرصة الأمومة والحنان وإعطاء موسى فرصة المنقذ والمطيع والمهتدي والمحسن.	

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ سورة القصص، الآية 03.

عناصر الكناية	معانيها
المعنى القريب للفظ	كناية على التسلط والتجبر والتكبر في الأرض
المعنى البعيد للفظ	كناية عن الظلم للنفس وللغير وتصوير عظمة فرعون في الدنيا بقوله علا في الأرض لتكون العبرة بهلاكه بعد ذلك العلو أكبر العبر، والعلو يقصد به الكبر المذموم من العلو المعنوي... وهو استشعار النفس عالياً على مكان غيره لا يساويه أحد، وهو في معنى التفوق بغير حق، وهذا الاستشعار يجعل الإنسان لا يعتبر من تصرفاته ولا يراعي صلاح ولا يجتنب مفسد أو ضرر، فيستمر في التكبر والتجبر حسب شهواته وإرضاء أهواه، كما أن فرعون وصل بجبروته إلى أن يعتبر نفسه إلهاً وأنه ابن الشمس.
العلاقة التخاطبية	علاقة استصغار وعدمية حيث ألزم الله تعالى فرعون العلو حدّه الأرض فقط وهو الفضاء الذي يمكن أن يجد فيه الإنسان حريته لكن نسي أن الله في السماء وله السلطة العليا في الدنيا والآخرة، فمهما علا فرعون واستضعف الناس وذبح وقتل وفسد في الأرض إلا أن الله عليه بالمرصاد، فشرع الله بتقديم له مجموعة من الأدلة بغية الاهتداء والاقتراء لكن استكبر وعصى وقال أنا ربكما الأعلى فأخذ الله نكال

الباب الثاني: الفصل الثاني: من تداولية التحرير والتنوير إلى تداولية التثوير والتقويل في بلاغة محمد الطاهر بن

عاشور - رؤية تداولية-.

الآخرة والأولى.	
الاعتبار من قوة العبد في الأرض بأن قوة الله تعالى هي أولى وأعظم من أي شيء وأن العبد مهما عمّر في الأرض وسطى وتبلد إلا أن الله تعالى عادل ولا يرضى على عباده الظلم. وأن الجبروت والكبر لله وحده ولا يمكن لأحد أن يشاركه في صفاته.	الغرض من الكناية

ب- الاستعارة:

﴿نُتَخِطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا﴾ سورة القصص، الآية 57.

استعاره حواريه تواصلية بين مستعار والمستعار له عمل المشركين حيث ان الخط فسيمه من سمات الخفاء وعمل مشركين تنطبق عليهم هذه السمة في النفاق وكثرة الأعذار بمعنى اذا لقوا موسى قالوا نحن معك لكن يعجز عن اتباعك خوفا من أذى المشركين لنا وإخراجنا من ارضنا وسرقته خداعا لأنفسهم بدليل انهم اذا اجتمعوا باهلهم المشركين وهذا نفاق المشركين

﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ﴾ سورة القصص، الآية 66.

استعار حجابيه في المستعار منه هو الأنباء أي الظهور والاستعارة له العمى أي الغياب والخفاء ففي الصورة صفات المستفادة من المستعار منه غياب الأعذار وتشابه الأعمال في الكذب والضلال والأعراض والنفاق وهذه الصفات نريد الباسها للمستعار له العماء هذا من الناحية الإخبارية.

هذه الصورة معلقة بسياقها إقناع الله للمشركين باستحالة النجاة مما فعلوا فعلى أفندتهم أدى بهم الى ضلال طريقهم.

الباب الثاني: الفصل الثاني: من تداولية التحرير والتنوير إلى تداولية التثوير والتقويل في بلاغة محمد الطاهر بن

عاشور - رؤية تداولية-.

ج- المجاز المرسل:

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾ سورة القصص، الآية 58.

يقصد بها أهلها وذلك بإطلاق الكل قصدا للجزء واستعماله لكلمه قريه تحمل صفات من قبيل أهلها وأديانهم وأحوالهم ومساكنهم وقبائلهم وهذه الكلمة قرية أدت حاجيا إقناع وتأثير بشكل بليغ في المستمع.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى﴾ سورة القصص، الآية 59.

يقصد بها أهل القرى وكذلك اطلاق لكل قصدا للجزء واستعماله للقراءة تحمل صفات من قبيل الطغاة المتجبرين والظالمين والمجرمين والجاهلين والكاذبين والمكذابين والمعرضين الذين استحقوا الهلاك من الله تعالى وعملت حاجيا بالإقناع بان الله لا يظلم أحدا وإنما الناس هم ظالمون انفسهم.

د- التمثيل:

﴿فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ سورة القصص، الآية 75.

تشبيهه بليغ كان البرهان شيء مادي ملموس يمد عمل حاجيا على المحاجة بالتحدي لبيان الحق من الباطل وبيان قول الله المنزه عن قول المقترون.

﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ سورة القصص، الآية 77.

تشبيهه تمثيلي حيث شبه الله تعالى ما خصه للمؤمن من هدى ورحمه وفضل بان يقابله

المؤمن الطاعة والحمد والشكر والتقدير

عملت حاجيا: إقناع الله تعالى للعباد باللين لجلب المؤمن للعمل الصالح

الباب الثاني: الفصل الثاني: من تداولية التحرير والتنوير إلى تداولية التثوير والتقويل في بلاغة محمد الطاهر بن

عاشور - رؤية تداولية -.

﴿قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ سورة القصص، الآية 48.

تشبيه تمثيلي في مقابله المشركين بين نبوه موسى ونبوه الرسول صلى الله عليه وسلم

وعملت حاجيا على عدم اقتناع والإصرار على الشرك والباطل

﴿قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ سورة القصص، الآية 18.

تشبيه تمثيل وذلك بتمثيل حاله الأمس للرجل القبط بحاله اليوم للرجل الإسرائيلي في

توقعهما سيصيبه من موسى وعملت حاجيا بإظهار الخوف والضعف

﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لِيَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ سورة

القصص، الآية 79.

تشبيه تمثيل وذلك بدعوه الغاوين بالحياة الدنيا بان يرزقهم الله مثلما رزق قارون من مال وجاه

وسلطان وعمل حاجيا إقناع الله تعالى للناس بحبهم للمال وتبديلهم الحياه الدنيا عن الحياه الآخرة

طبع في البشر عموما ان من رحم ربي.

2- الآليات التحسينية:

أ- الطباق:

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا

مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ سورة القصص، الآية 79.

طباق إيجاب بين الحسنة والسيئة، مفاده أن الله تعالى يجزي كل شخص على قدر عمله

ويضاعف لمن عمل خيرا دلالة على حسن استلطاف الله تعالى للعبد وتكريمه وتشجيعه على عمل

الخير وعلى التوبة والرجوع إلى طريق الحق والصواب.

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ

مُبين﴾ سورة القصص، الآية 85.

طابق إيجاب في الهدى والظلال، إن التمييز الحاصل بين المهتدي والضال هو تمييز في الأعمال والنتائج ولهذا الله تعالى قدّم المهتدي على الضال وعدّل في الضال وردّه إلى علم الله تعالى لأن الضال قد يلبس ثوب الهداية أمام الناس لكن أمام الله تعالى لا يستطيع التمثل بالهداية وقلبه لا يحملها. لأنه عزّ وجلّ عالم بكل شيء، >فكيف يكون علم الله تعالى بالمهتدي والضال مكّنّى به عن اتضاح الأمر بلا ريب، لأن علم الله تعالى لا يعتريه تلبيس، وتكون هذه الكناية تعريضا بالمشركين أنهم الضالون.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ سورة القصص، الآية 56.

طابق بالسلب لا تهدي ويهدي، فبين النفي والإثبات يحمل غرض التذكير بأن الهداية بيد الله تعالى، وأنه سبحانه وتعالى يخلق من يشاء قابلا للاهتداء في مدى معين وبعد دعوات محدودة حتى ينشرح صدره للإيمان فإذا تدبر في الكون وعزّف أسرارهِ ومراد الله تعالى منه وحدّده، جعل في قلبه الاهتداء ومن لم يتدبر ويشغل عقله في خلق الله تعالى ضعفت سريرته وتمكن منه الشيطان والتبس طريق الضلالة وقسى قلبه عن الإيمان، وأن في قوله وهو أعلم بالمهتدين أي أن الله تعالى يشير هنا بأنه على علم بكل أحد من هؤلاء المهتدين في أحوالهم ومقادير استعدادهم على حسب ما تهيأت إليه فطرهم من صحيح النظر وقبول الخير واتقاء العقابة والانفعال لما يلقي إليها من الدعوة ودلائلها، ولكل ذلك حال ومدى ولكليهما أسباب تكوينية في الشخص وأسلافه وأسباب

نمائه، أو ضعفه من الكيان والوسط والعصر والتعل.

﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ سورة القصص، الآية 73.

طباق إيجاب في الليل والنهار، وهو تصريح بتعاقب الليل والنهار على الناس، وأن من التبعية أخذت صورة شمولية الرحمة الربانية على العباد وهي صورة حقيقية تطابق الواقع، والمقصود منه هو إظهار فضل الله تعالى على العباد ورحمته التي وسعت كل شيء وأن البعض فقط من هذه الرحمة المخصصة في الليل سواء من ناحية الراحة والسكنة وفي النهار من ناحية السعي والرزق والتحصي يعتبر فضل عظيم اصطلاحه الله تعالى على العباد وغرضه لعلهم يتذكروا بهما نعماً أخرى فالتبعية أخذ صورة الكل في موضع التذكير.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِضِيَاءٍ﴾ سورة

القصص، الآية 71.

طباق إيجاب الليل والضيء، وعمل الغرض في هذا الطباق في >>الانتقال من الاستدلال على انفراد الله تعالى بالإنسانية بصفات ذاته إلى الاستدلال على ذلك ببديع مصنوعاته، وفي ضمن هذا الاستدلال لإدماج الامتتان على الناس، وللتعريض بكفر المشركين جلائل نعمه<<⁽¹⁾ وهذا الاستدلال فرض الله تعالى به على العباد سلطته وحقيقته وجوده.>> فمن أبدع الاستدلال أن اختير للاستدلال على وحدانية الله هذا الصنع العجيب المتكرر كل يوم مرتين، والذي يستوي في إدراكه كل مميز، وهو الذي أجلى مظاهر التغير في هذا العالم<<⁽²⁾، فالله سبحانه وتعالى صور فأحسن

⁽¹⁾ - محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ج20، تونس، (د، ر ط)، 1984م، ص168.

⁽²⁾ - المرجع نفسه، ص168.

الباب الثاني: الفصل الثاني: من تداولية التحرير والتنوير إلى تداولية التثوير والتقويل في بلاغة محمد الطاهر بن

عاشور - رؤية تداولية-.

التصوير وأبدع فأحسن الإبداع وأن هذا التطابق بين الضلال والضياء بقدر الاختلاف في الصورة إلا أنهما مشتركان في الحرف وذلك دليله أن قدرة خالق الضدين وجاعل أحدهما ينسخ الآخر كل يوم أظهر منها لو لم يخلق إلا أقوامهما وأنفعهما⁽¹⁾ وعليه فليس كل ضد معاكس سلبي ففي الضد المعنوي إيجاب محقق وهو أن هذا الاستدلال أدى معنى التيقن والتذكير من صورة التعاقب وأدى معنى التحصيل والمنفعة من صورة التفضيل فالإنسان يرى حقيقة تعاقب الضلال والضياء ويفضل الإنسان الضياء لما فيه من منافع رزق ويجعل تفضيل الظلمة في المرتبة الثانية لما فيها من راحة بعد التعب في التحصيل وطلب للرزق فبين الطلب والنتيجة دلالة حقيقة الإدراك فمتى كان العبد؛ مدركا لقيمة النعم لاستفاد من التذكير ولو تناسى قيمة النعمة ذكره الله تعالى بتعاقب الضدين حيث أن >> بهذا التذكير لهذا الاستدلال ولاشتمال على ضدين متعاقبين، حتى لو كانت عقولهم قاصرة عن إدراك دلالة أحد الضدين لكان في الضد الآخر تنبيه لهم، ولو قَصُرُوا عن حكمه كلّ واحد منهما

كان في تعاقبهما ما يكفي للاستدلال⁽²⁾.

ب-المقابلة:

﴿وَأَنْبَغُهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ سورة القصص، الآية 42.

⁽¹⁾ - المرجع السابق، ص 168-169.

⁽²⁾ - المرجع نفسه، ص 169.

الباب الثاني: الفصل الثاني: من تداولية التحرير والتنوير إلى تداولية التثوير والتقويل في بلاغة محمد الطاهر بن

عاشور - رؤية تداولية-.

كانت بين شيء وضده في الدنيا ويوم القيامة وكانت بين شيء ومرادفه في حاله الكفر في

الدنيا واللجنة في الآخرة، ولهذه الآية سلم حجاجي تقابلي نوضحه بالدرجيات التالية:

الضمومين	ن	الضر	ن
الحساب	ح3	اللجنة	ح3
انتهاء الفرص	ح2	التقليد	ح2
القيامة	ح1	الدنيا	ح1

فيأتي هذا السلم في المرتبة السفلى مجموع الحجج ثم يصعد تدريجيا إلى الحصول على

النتيجة وتبينها فكانت نتيجة المفسد في الدنيا واللجنة وفي الآخرة يضعه الله تعالى في صف

الضمومين والمقبوحين، فيخسر دنياه وآخرته بسبب سوء أعماله ونياته حيث تنتهي فرص الحياة يوم

القيامة ويأخذ كل شخص جزاءه فإن كان خيرا فخييرا وإن كان شرا فشرا.

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَمَتُّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ سورة القصص،

الآية 60.

بمعنى الزوال للدنيا وما فيها مقابل صورة الدوام والبقاء لله ونعمه وهذه المقابلة القرآنية لها

دور حجاجي حيث تعمل على التأثير في نفسية السامع فيجهد الى التأويل بغية توضيح الصورة

الباب الثاني: الفصل الثاني: من تداولية التحرير والتنوير إلى تداولية التثوير والتقويل في بلاغة محمد الطاهر بن

عاشور - رؤية تداولية -.

وفهم معناها. ويتشكل السلم الحجاجي التقابلي في هذه الآية في الصورة التالية:

ن	إقراض الله قرضا حسنا
رابط حجاجي	الفاء الربط السببي لتوضيح العلاقة الحقيقية بين القدرة الإلهية المسببة للرزق الدنيوي للعبد المؤمن
ح2	الرزق الدنيوي منح مؤقتا
ح1	عدم قدرة العبد على الإتيان برزقه دون مسبب
ن	حسن الإمتاع برزق الدنيا وزينتها فيما يرضي الله تعالى
رابط حجاجي	ما تأكيدية بأن الرزق مصدره ومرجعته الله تعالى
ح2	اعبد في اختبار دنيوي دائم
ح1	معرفة العبد لفضل ربه وشكره

ربط الله تعالى معنى الإقراض بضعف العبد من ناحية وحاجة العبد لربه في كل خطوات الحياة وقابلها بصورة القوة والحكمة لله تعالى وحده وضرورة معرفة العبد لفضل ربه وشكره له يزيده من الرزق والإغراق في النعيم، ولهذا جمع الله تعالى بين النتيجة الأولى في حيز الإقراض بالنتيجة الثانية في حيز الشكر، بواسطة أسلوب الإغراء والتذكير بأن هذه الأرزاق فضل من الله في الدنيا ولا يساوي شيء فيما عند الله تعالى في الآخرة. وذلك من أجل دفع العبد أن يستثمر الأرزاق التي أعطاه الله تعالى في الدنيا في الخير والصالح حتى ينعم بالخيرات التي عند الله تعالى في الآخرة والفوز بالنعيم.

﴿ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتْعَةً الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُخْضَرِينَ ﴾ سورة القصص، الآية 61.

عملت حجاجيا على معنى من يزرع يحصد أي عمل المؤمن الصالح سيكافئ عليه وعمل الظالم

الطالح سيعاقب عليه. فوزى الله عمل المؤمنين بنتيجة النعيم الفائق الخالد الذي وعدهم به وأعدّه إليهم ووزى الترف بالمتاع الدنيوي القليل الذي أعطاه للكافرين وأن في الآخرة لهم عذاب السعير نتيجة بخلهم وتفاخرهم على المسلمين الضعفاء وإجرامهم. فنجد القيد الحجاجي يتراوح بين الخفض تارة والقلب تارة أخرى فالخفض في درجة الرزق للمسلمين واتصافهم بالفقر في الدنيا فقد أعلى الله تعالى من رتبهم في الآخرة وجعلهم من المنعمين في جنة الخلد، والقلب في حال الكافرين من حالة الترف والثراء والنعيم الدنيوي إلى العذاب في نار الخلد، وذلك نتيجة ظلمهم وإجرامهم فينتقل حالهم من درجة الترف إلى درجة إلى درجة الخسارة. فنجد أن الخفض الذي خصه الله تعالى بالمسلمين له حكمة وهو التركيز على العمل في الدنيا إلى الحصول على النعيم في الآخرة فأراد الله تعالى بالمسلمين خيرا، في حين أن الكافرين والمشركين منحهم الله تعالى كل شيء في الدنيا كحجة عليهم يوم القيامة بأنه لم ينقص عليهم شيئا ولكن لم يعرفوا كيف يستغلون ذلك فكان العقاب هو مآلهم⁽¹⁾.

ويمكن تمثيل السلم الحجاجي للمسلمين والكافرين بالحجة والنتيجة بالشكل التالي:

ن	جزاء الله تعالى للمؤمنين
ح2	لقاء المؤمن ما وعده الله تعالى به من نعيم ورزق في جنة الخلد
رابط حجاجي	الفاء الربط السببي بين الوعد الملفوظ والنتيجة

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، (د، ر ط)، 1984م، ص154-155.

الباب الثاني: الفصل الثاني: من تداولية التحرير والتنوير إلى تداولية التثوير والتقويل في بلاغة محمد الطاهر بن

عاشور - رؤية تداولية -.

المحققة.	ن	جزاء الله تعالى للمشركون
ح1	ح2	إحضار المشركون يوم القيامة فيلقون حسابهم فمصيرهم جهنم خالدين فيها وبئس المصير.
عملت المقابلة في الجمع بين الشيء وضده أو المسمى وما يعاكسه في اللفظ والمعنى مع احترام قيد الموضع أثناء الاستعمال فالتقابل الموضوعي للكلام صورة خطابية ضرورية تبين مقام الكلمة داخل السياق التعبيري وأهمية المتلقي بالنسبة	رابط ح	ثم تفيد التراخي الرتبي لبيان رتبة مضمونها في الخسارة أعظم من مضمونها التي قبلها، أي لم تقتصر خسارتهم على حرمانهم من نعيم الآخرة بل تجاوزت إلى التعويض بالعذاب الأليم.
	ح1	إمتاع الله تعالى للمشركون في الحياة الدنيا ⁽¹⁾

للمتكلم ودرجة التأثير بالزيادة أو النقصان فنجد وعد الله تعالى مرتبط بنتيجة الجزاء فمن عملا خيرا من مؤمن أو مؤمنة سيكون جزاءه جنة الخلد، ومن عمل سوءا فيكون جزاءه إمتاع في الحياة الدنيا وفي الآخرة جهنم خالد فيها وبئس المصير، وهذا التوازي هو رحمة الله تعالى بعباده فلا يظلم الله تعالى أحدا وأن صفة الإمتاع في الدنيا وقصرها عليها فقط تعود إلى جعل الإمتاع حجة عليهم بأن الله تعالى قد منحهم من فضله ولكن هم لم يؤمنوا بنعم الله تعالى فغرثهم الدنيا الغرور.

ج- تقسيم الكلي الى أجزاء:

﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ ۖ وَهَٰذَا مِنْ

عَدُوِّهِ فَاسْتَنُفِثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ ۖ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ۖ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ

عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ سورة القصص، الآية 14.

الجملة الأولى المجملة هي الكل والنتيجة أعقبت بجملة تفصيلية داعمة فكانت كل جملة

الباب الثاني: الفصل الثاني: من تداولية التحرير والتنوير إلى تداولية التثوير والتقويل في بلاغة محمد الطاهر بن

عاشور - رؤية تداولية -.

حجة جزئية للجملة الكلية وهي النتيجة ونفصل ذلك في الجدول التالي:

جدول رقم (26): يمثل صور تقسيم الكل إلى أجزاء في البلاغة العربية

التقسيم الحقيقي	التقسيم الاعتباري
تباين الأقسام في المفهوم مع مبدأ الصدق:	تباين الأقسام في المفهوم دون مبدأ الصدق.
المفهوم المكاني: ((المدينة)) منفيّس قاعدة مصر الشمالية	الفضاء المكاني: خاص مغلق، ثابت
المفهوم الزماني: ((حين الغفلة)) وهو الوقت الذي يغفل فيه أهل المدينة (القيولة).	الفضاء الزماني: خاص (بحادثة الموت) وعام (بحادثة الإغاثة والنصرة)، مضارع، متحرك ⁽²⁾

⁽²⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، مج20، (د، ر ط)، 1984م، ص88.

تباين الأقسام في العقل دون الواقع الخارجي: صفة موسى: نبي بالنسبة إلى ما تحته من الأفراد (الرجل الذي من شيعته والذي من عدوه) الفطرة: الأصل في النفس الإنسانية هو الخير وأنه الفطرة وأن الانحراف عنها يحتاج إلى سبب غير فطري وهو تخلل نزغ الشيطان في النفس.	تباين الأقسام في العقل مع الواقع الخارجي: التنوع المتباين: الذي من شيعته يقصد به أنه من بني إسرائيل، وأما الذي من عدوه رجل من القبط قوم فرعون. والعدو وصف يستوي فيه الواحد والجمع كما تقدم في قوله تعالى ﴿فَأَنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيَ إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ سورة الشعراء/77. التنوع المتأزر: وقوف موسى مع الرجل الذي من شيعته ووكز الرجل الآخر من القبطي نصرته لمن في شيعته وانتصارا للحق لأن الرجل القبطي قد أمر الرجل الآخر من بني إسرائيل بحمل الحطب فلما رفض أرغمه فتضاربا ضربا شديدا وهو المعبر عنه بالتقاتل. فلما جاء موسى وقف في صف الرجل من بني إسرائيل لاستغاثته له فوكز الذي من عدوه فمات. التنوع المتجانس: عطف جزء القصة على جزء آخر منها، فعطفت جملة (ودخلت) على جملة (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه) وهو ناتج عن علم موسى بأنه من بني إسرائيل جراء التواصل الذي كان مع أمه في قصر فرعون حين كانت تقص عليه نبأه كله. التنوع المتقابل: حب موسى لبني إسرائيل لأنه قومه وإضمار كرهه للقبط لأنهم كانوا سببا في رمية في اليم، جعلته يكون منقادا نحو غضبه فوكز القبطي وكزة شديدة فقضى عليه فقال ((هذا من عمل

الشیطان إنه عدو مضل مبين)) فأشار موسى إلى أن أثر الضربة كانت بسبب الشيطان الذي أوقد غضبه حتى بالغ في وكزه...وتعليله لأنه عدو مضل مبين لكون شدة غضبه من عمل الشيطان إذ لولا الخاطر الشيطاني لاقتصر على رجز القبطي أو كفه عن الذي من شيعته، فلما كان الشيطان عدواً للإنسان وكانت له مسالك إلى النفوس استدلل موسى بفعله المؤدي إلى قتل نفس أنه فعل ناشئ عن وسوسة الشيطان ولولاها لكان عمله جارياً على الأحوال المأذونة⁽¹⁾.

ملخص الفصل:

نستج من هذا كله أن محمد الطاهر بن عاشور قد حدد وضبط آليات المتلقي المقصدي للخطاب اللغوي القرآني في ثلاث أبواب بلاغية وهي: التفسير بغية التبيين وقد كان حده تحرير المعنى والتأويل بغية التفسير وكان حده تنوير المعنى والتقويل بغية التأويل وكان حده حاجية اللفظ لفهم المعنى.

وركز على ثلاث مواصفات تواصلية وهي حد التلقي وضبطه في مستوى الاستعمال والتحليل النحوي، وحد الإلقاء وضبطه في مستوى التمكن والقوة الإنجازية والتحليل البلاغي وحد الابتكار ووصله بحد الإعجاز وضبطه في مستوى القراءة الإنتاجية وثنائية التوسع والتضييق

⁽¹⁾ - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، مج20، (د، ر ط)، 1984م، ص88-89.

والتقويل والتأويل.

ويمكن أن نعرف مفهوم المتلقي المقصدي في تقدير محمد الطاهر بن عاشور وهو كل متلقي للخطاب قادر على التحرك بين الصياغة اللفظة والمعنوية والتراكيب النحوية وضبط موازاتها التخاطبية ومقدرا للوظائف السياقية، مستعلما عن الموجود وباحثا عن المفقود ومستلهما من السابق وضابطا وممنهجا للآتي، ومنتجا مضيفا كان أو معدلا وقارنا ممتعا كان أو مبدعا متذوقا للأسلوب وفاهم للرصف ومحددا للقصد ذلك هو المتلقي الحاذق الواغل الناهل من كل شيء وفي كل شيء.

وعليه نجد أن محمد الطاهر بن عاشور قد ترجم إبداع المتلقي نتيجة من نتائج القراءة التفاعلية الواعية ولهذا نجده لجأ إلى باب التقويل كملح في زيادة التوسع في باب التأويل الذي يطلب إضافات وشروحات وتفسيرات حجاجية أكثر تخاطب العقل وتجادل الذهن، فنراه رأى أن باب التأويل واسع جدا وأن في تضيقه له بفرض بعض المقيدات اللغوية يجعل المتلقي مقيدا في حدود إيجابية وأخرى سلبية ولتجاوز هذا القيد السلبي يرى أن جانب الإضافة والإنتاج يبقى محتاجا لمتلقي متمكن فاهم للآليات الإجرائية الاستعمالية ولهذا لابد أن يتوفر المجال الإبداعي للمتلقي حتى يبقى على وتيرة التلقي الصائب، فوازي هذا النوع من الانفتاح التأويلي بالتقويل ولكي يكون هذا الأخير مضبوطا في إدماجه في تفسير وتأويل النص القرآني ربطه بملح الابتكار القرآني حيث يقول في هذا: >هذا وللقرآن مبتكرات تميز بها نظمه عن بقية كلام العرب<>⁽¹⁾.

وهذا يعني أن القرآن قد جاء بأساليب كلام العرب وأساليب مبتكرة لم تعرف عندهم من قبل في باب الخطاب والجدل، ومثل ذلك خاصة فواتح السور. ويقول محمد بن عاشور بأنه تتبع أساليب

⁽¹⁾ - محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج1، (د، ر ط)، 1984م، ص120

كلام القرآن الكريم فلم يجده مما أنتلفه العرب من قبل ومثال ذلك في قوله تعالى: ()

سُورَةُ الطَّلَاقِ

﴿ قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا 10 رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ ﴾ سورة الطلاق الآية 10-11،

فأبدا رسول من ذكرنا فيشير إلى أن هذا الذكر هو الرسول وأن مجيء الرسول هو ذكر لهم، وقد جاء هذا الأسلوب الخبري بغاية التأكيد وأن هذا الإبدال إبدال مقصود لمجادلة العقل وتأكيد الحجة وأن وصفه لقوله يتلو عليكم آيات الله يفيد بأن الآيات ذكر⁽²⁾

ولهذا يرى محمد الطاهر بن عاشور بأن <من حق المفسر أن يتعرف على عادات القرآن من نظمه وكلمه>⁽³⁾

وقد أشار إلى مجموعة من المفسرين المتلقين للخطاب اللغوي القرآني بالتركيز على الأسلوب القرآني وأغراضه ومقاصده الخطابية التواصلية فيرى أن ابن عباس يفسر بأن لفظة الكأس في القرآن كلها شملت على معنى واحد مقصوده الخمر وأن لفظة يا أيها الناس في القرآن قد قصدت بها أهل مكة المشركون، وأن في صحيح البخاري جاءت لفظة المطر في القرآن يقصد بها العذاب وتسميه العرب الغيث وأجمع الجاحظ على مجموع من المعاني جاء بها القرآن لا تفترق كالصلاة والزكاة والجوع والخوف والجنة والنار والرغبة والرغبة والمهاجرين والأنصار والجن والإنس فقال محمد الطاهر بن عاشور إضافة على ذلك النفع والضرر والسماء والأرض، وهذه كلها تعتبر متلازمات بلاغية تجمع بين مبتكرات القرآن الكريم وعاداته في ذلك وبين أساليب الكلام لدى العرب في خطابهم اليومي التواصلية والاستعمالي وتعتبر جميعها حجج كونية تحتاج عقل المتلقي

⁽²⁾ - المرجع السابق، ص 123.

⁽³⁾ - المرجع نفسه، ص 124

الباب الثاني: الفصل الثاني: من تداولية التحرير والتنوير إلى تداولية التثوير والتقويل في بلاغة محمد الطاهر بن

عاشور - رؤية تداولية-.

ومدركاته في تفسير غايات الله سبحانه وتعالى في الكون⁽¹⁾.

ف نجد محمد الطاهر بن عاشور قد قَوَّلَ مجموع من المواضع القرآنية بقصد التقيد تارة والتوسع تارة أخرى على حسب القصد المستعمل والغرض المعروض والحجة المستلزمة والدليل المطابق لها في حد القول.

⁽¹⁾ - ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 124.

خاتمة
جريدة

خاتمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فبعد هذه الرحلة الذهنية الممتعة في تفسير التحرير والتتوير والوقوف على عتبات التلقي والمتلقي وكفائاته، أقدم ما مكنني فيه الله من استقراء لمضامين المدونة وما وفقني الله فيه أن اقطفه من ثمرات معرفية ولغوية ارتأيت لي بأنها مناسبة ومحل أخذ وإضافة في هذه الدراسة، فأقدم هذه الاستنتاجات التي هي عبارة على نتائج عامة تتبعها نتائج خاصة وبعض التوصيات المقترحة لأخذها في عين الاعتبار.

أولاً: النتائج

1-النتائج العامة:

- لكل درس لغوي أبعاد بلاغية وفلسفية وتداولية وذلك يعود لأهمية الدرس اللغوي كتفاعل في حياتنا اليومية من جهة وكتواصل ثقافي من جهة أخرى.

- إن الانفتاح اللغوي الذي يصحب كل مظاهر الاندماج والتوسع في باب اللغة يعتبر ظرف نصي موسع مصاحب لظرف تلقي خاص.

- يعتبر القرآن الكريم الخطاب اللغوي الشامل لمجموع الأطراف السياقية والأنواع التواصلية بل يعتبر مشروع حي لمناسبة تطبيق نظرية التلقي في بعدها التواصلية وفي صورتها اللغوية الوظيفية بأنماطها الذهنية والحرفية.

- يعطي الخطاب القرآني القيمة البلاغية للحرف واللفظة والنص والخطاب وهذا نجده من اهتمامات الدرس الغربي في اللسانيات المعاصرة غير أن الخطاب القرآني حدد هذا الاهتمام ولم يأتوا بجديد

بل من تأمل وتدبر في القرآن سيجد العلامة التي تدعى بالسيمائية اليوم قد تناول مطالبها وأدرج خصائصها.

-يعتبر الخطاب القرآني اللغوي خطاب تلقي لما فيه من ثراء تواصلية ومواقف وأسئلة وظروف دعمت التخاطب وأعلنت من شأن المتلقي.

-إن سر القرآن الكريم في لغوية التواصل هو إعداد المتلقي وتهيئة ذهنه للاستفادة مما تلقى وللاستعلام أكثر عن طريق البحث والتأمل والتدبر فالتوجيه الإلهي للخطاب اللغوي القرآني كان له غاية في تصحيح فكر ومعتقد المتلقي من جهة وتنمية القدرة الذهنية على التوسع والاستيعاب من جهة ثانية وعلى الحث على الاستزادة العلمية بما يتطلبه عصر المتلقي فذلك كان القرآن الكريم صالحا لكل زمان ومكان.

2-النتائج الخاصة:

-لمحمد الطاهر بن عاشور شخصية علمية مدمجة تصور حقيقة الكفايات الواجب توفرها في المتكلم والمتلقي في آن واحد.

-يأخذ محمد الطاهر بن عاشور قالب معرفي موسع ينتقل فيه من باب التفسير الحرفي إلى باب التأويل الضمني ثم اذا اراد إضافة أو تعديل فهو يخرج منهما إلى باب التقويل المفسر.

-الجميل في فكر محمد الطاهر بن عاشور أنه أخضع منهج التفسير إلى غايات الخطاب وظروف التلقي وحافظ على التوازن الذهني للغة وعلى الحيز التواصلية بينه وبين متلقيه.

-استطاع محمد الطاهر بن عاشور الجمع بين هذه الحدود الثلاثة وذلك يعود لطبيعة الخطاب القرآني وللبلاغة اللغة العربية الحمالة للوجوه والمتعددة للمعاني والقابلية لظواهر التغير الحاصلة في عملية التواصل.

-أعطى محمد الطاهر بن عاشور صورة أهمية معرفة العلوم الواسعة والضيقة لأنه اعتبرها كآليات لتقريب المعنى وتحديدده في ذهن المتلقي.

-اهتمام محمد الطاهر بن عاشور بالمتلقي يعكس فهمه الجيد للنص القرآني الموجه للمتلقي.

-استحداث محمد الطاهر بن عاشور لأساليب تفسيرية خطابية في ظاهرها لم تخرج عن البناء العام للقاعدة العربية الأصلية وفي محتواها نددت إلى أهمية عنصر التجديد والتوسع مواكبة لمتطلبات العلم في عصر المتلقي.

-استطاع محمد الطاهر بن عاشور أن يكون متلقيا مفسرا ومؤولا ومقولا في آن واحد وذلك لحسن توظيفه للآليات الإجرائية الخاصة بمحور التحرير والتنوير وأنه استطاع أن يطبقها انطلاقا من نفسه قبل أن يجعل منها شروط خاصة في المتلقي فهو بطبيعة الحال نجده متلقي للخطاب القرآني في ذات الوقت مفسرا يحل محل المتكلم الأول ومؤولا يحل محل المتكلم الثاني وهو الضمني ومقولا يحل محل المتكلم الثالث وهو المكثّر والمحاجج في ذات الوقت ينقل الخطاب من حيز المتكلم عنده إلى حيز المتلقي ويأخذ دور المتلقي في مواقف استدلاله بالقراءات وترجيحه للمعاني القريبة من السياق والتقدير القولي لمضمون الخطاب فكان هنا في حيز المتلقي.

ثانيا: التوصيات

-إن التقيد بقراءة التراث وتحويل معالمه الأساسية إلى أدوات إجرائية ليس تخلفا أو تعصبا وإنما هو ذاته حيز التقدم والتطور.

-لا يوجد علم نشأ من فراغ فكل علم له استمدادات ومرجعيات تعيده إليه وينطلق منه ولهذا وجه محمد الطاهر بن عاشور إلى المتلقي مقدمة خاصة في أغراض المفسر استمداداته وهذه الاستمدادات

أت ليست العلمية فقط ولا اللغوية فقط بل هي الجامعة لكل العلوم الأخرى من فلسفة وبلاغة ودلالة ونحو وفقه وأصول.... الخ

يضع محمد الطاهر بن عاشور توجيهها صريحا يصاحبه توجيهه ضمني للمتلقي، بحيث يجبر المتلقي بشكل صريح بضرورة التقيد بشروط التفسير والتحليل ويلزمه بصورة ضمنية إلى ضرورة الرجوع والتمسك بالتراث وذلك من خلال تطبيقه هو في تفسيره للصور القرآنية بحيث وضع العلوم العربية والشرعية بمقاصدها ومواضع استعمالها المختلفة في صورة الرصد الصحيح للمعنى. ودليل هذا هو تصنيف كتابه تفسير التحرير والتنوير في باب اللغة والبلاغة وذلك يعود لأهمية هذين العلمين على مدار الزمن ونرى أن النظريات الغربية الكبرى اليوم تهتم بهذين البابين وتتوسع فيهما من النظرية الوصفية إلى النظرية التكاملية اليوم والمعرفية وكل هذا قد سطره وحدده العلماء العرب المتقدمين وأصله محمد الطاهر بن عاشور فلما لا نكون نحن أيضا الأرض الخصبة في إنشاء نظرية عربية حديثة تأصيلية، مثل الغرب فنجد البلاغة الغربية تأصيل واستحداث لبلاغة أرسطو، ونجد اللغة امتداد لمواضيع فلسفية من عصر فيجينيشتاين وتوسعت إلى أن أخذت ملمح السيميائية وغيرها، فعلى متلقي التراث أن يأصل فيه لا أن يتجاهل فكر أمته.

وفي الأخير نصل إلى أهمية القراءة التفاعلية ودورها الكبير في تأصيل التراث العربي والإسلامي المعاصر، وقد حدد ذلك محمد الطاهر بن عاشور في مقدماته العشر وأجاب عن مجموع التوقعات الحاصلة في ذهن متلقيه حتى لا يظل يدور في حيز الاستفهام وإنما يركز على الهدف من التحرير والتنوير.

وعليه لعنا سنكون من بين المستفيدين من هذه التوصيات المقترحة وأخذها بعين الاعتبار فانطلق في تطبيق هذه الآليات الإجرائية في المتلقي التفاعلي الذي أشار إليه محمد الطاهر بن

عاشور وخصصه في حديثه فأقول سنكمل التطبيق في كتيب خاص لعله يكون الثمرة المستتبطة من بعد تحديد واستقراء مقصد محمد الطاهر بن عاشور وهو إنشاء متلقي فعال يستقرئ التراث ويعيد للدرس اللغوي العربي عامة مجده والقرآني خاصة وظيفته العلمية والذهنية وعليه سيكون عنوان فعاليتنا الممتدة عن نتائج وتوصيات هذا البحث هو: آليات التقريب التداولي في الخطاب القرآني وجلب الاستعمال بين الاشتغال المحدث والفكر التأصيلي عند محمد الطاهر بن عاشور وأرسطو- مقارنة لغوية معرفية.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: المصادر

الكتب:

1. أبو البركات عبد الرحمن كمال الدين بن محمد الأنباري (577هـ): الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة في أصول النحو، تح: سعيد الأفغاني، دار الفكر، ط2، 1391هـ-1971م.
2. أبو القاسم، الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تح: مازن المبارك، بيروت، دار النفائس، ط3، 1399هـ-1979م.
3. أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (474هـ):
-دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، جدة، ج1، ط3، 1992م.
-المدخل في دلائل الإعجاز من إملائه، تح: محمود محمد شاكر، ط3، مطبعة المدني - جدة، 1992م.
4. أبو بكر محمد بن علي السكاكي (626هـ): مفتاح العلوم، مراجعة: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2، 1987م-1407هـ.
5. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخفاجي، القاهرة، ج1، ط7، 1418هـ-1998م.
6. أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، دار التراث، القاهرة، تح: السيد أحمد صقر، ط2، 1393هـ-1973م.
7. أحمد مطلوب، أساليب بلاغية (الفصاحة - البلاغة - المعاني)، الكويت، وكالة المطبوعات، ط1،

1980م.

8. إسماعيل الحسني: نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور، المعهد العالمي للفكر

الإسلامي، ط1، 1416هـ - 1995م.

9. إسماعيل بن عمرو المقرئ عن عبدالله بن الحسن بن حسنون المقرئ بإسناده إلى ابن عباس:

كتاب اللغات في القرآن، تح: صلاح الدين المنجد، مطبعة الرسالة، ط1، القاهرة، 1365هـ -

1946م.

10. إميل بديع يعقوب: موسوعة علوم اللغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ج6، (د)،

(ط)، 1971م.

11. برهان الدين إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية وزين الدين خالد بن عبدالله

لأزهري: إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك (تمرين في صناعة الإعراب)، تح: محمود نصار،

دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ج1، (د)، (ط)، 1971م.

12. جميل صليبيّا: كتاب دروس الفلسفة، علم النفس، مطبعة ابن زيدون، دمشق، ط1، 1359هـ -

1940م.

13. حسن حنفي: التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم، بيروت، المؤسسة الجامعية للنشر

والتوزيع، ط4، 1412هـ - 1992م.

14. حسن سعيد الكرمي، قول على قول، دار لبنان للطباعة والنشر، ج1، بيروت- لبنان، ط7،

1406هـ - 1986م.

15. خالد عبد الرحمن العك: أصول التفسير وقواعده، دار النفائس، بيروت - ط2، 1406هـ -

1986م.

16. عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (911هـ): الاقتراح في أصول النحو وجدله،

تح: محمود فجال، دار القلم، دمشق، ط1، 1409هـ-1989م.

17. عبد العال سالم مكرم، الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2،

1413هـ-1993م.

18. محمد الطاهر بن عاشور:

- موجز البلاغة، المطبعة التونسية، نهج سوق البلاط- تونس، ط1، 1351هـ-1932م.

- تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، مج1، (د، ط)، 1984م.

- تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، مج12، (د، ط)، 1984م.

- تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، مج18، (د، ط)، 1984م.

- تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، مج20، (د، ط)، 1984م.

- تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج21، (د، ط)، 1984م.

- تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، (د، ط)، 1984م، ج19.

- تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج5، (د، ط)، 1984م.

- تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، مج2، (د، ط)، 1984م.

- تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج24، (د، ط)، 1984م.

- تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج27، (د، ط)، 1984م..

- تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج8، (د، ط)، 1984م.

- تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج30، (د، ط)، 1984م.

- تفسير التحرير والتنوير، المقدمة، الدار التونسية للنشر، تونس، ج14، (د، ط)، 1984م.

- تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج29.
- مقاصد الشريعة الإسلامية، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ج1، 1425هـ-2004م.
- أليس الصبح بقریب التعليم العربي الإسلامي دراسة تاريخية وآراء إصلاحية، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1427هـ-2006م.
- أصول الإنشاء والخطابة ويلييه الخطابة عند العرب، تح: ياسر بن حامد المطيري، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1433هـ.

المعاجم:

1. ابن قتيبة، أبي محمد عبدالله بن مسلم، المعارف، تح: ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1981م.
2. ابن منظور:
 - لسان العرب، دار صادر، بيروت، مج3، ط1، 1300هـ.
 - لسان العرب، دار صادر، بيروت، مج11، ط1، 1300هـ.
 - لسان العرب، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ج4، د، (ط)، (د)، (ت).
3. أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مر: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط2، 1419هـ-1998م.
4. أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي (351هـ)، مراتب النحويين، محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة نهضة مصر، الفجالة- القاهرة، (د)، (ط)، (د)، (ت).

5. أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مر: محمد محمد تامر وآخرون، دار الحديث، القاهرة، (د، ط)، 1430هـ، 2009م.
6. أبي بكر كمال الدين عبد الرحمن محمد ابن الأنباري (577هـ)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن - الزرقاء، ط3، 1405هـ-1985م.
7. أبي عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني (384هـ)، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، تح: محمد حسين شمس الدين، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ-1995م.
8. أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، مج1، ط1، 1429هـ-2008م.
9. إسماعيل بن عماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، (د، ط)، (د، ت).
10. إنعام فوال عكاوي: المعجم المفصل في علوم البلاغة والبديع والبيان والمعاني، مراجعة: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، (د، ط)، 2014م.
11. جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي (624هـ)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار الفكر العربي، ج2، ط1، 1406هـ-1986م.
12. روهي البعلبكي: المورد (Al-mawrid)، قاموس عربي - إنكليزي، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط7، 1995م.
13. القاضي أبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي (368هـ)، أخبار النحويين البصريين، تح: طه محمد الزيتي - محمد عبد المنعم خفاجي، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده في مصر، (د، ط)، (د، ت).

14. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (817هـ):

-البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، تح: محمد المصري، دار سعد الدين للطباعة والنشر، دمشق - عين الكرش، ط1، 1421هـ-2000م.

-القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، دمشق، ط6، 1998م.

15. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية، ط4، 1425هـ-2004م.

16. محمد السيد الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، (د، ط)، 2004م.

المصادر الأجنبية:

An Essay In The Philosophy Of:john R.Searle: speech acts-
.Language,Cambridge, university press,1969,first edition

ثالثاً المراجع:

المراجع العربية:

-الزواوي بغورة: العلامة والرمز في الفلسفة المعاصرة(التأسيس والتجديد)، عالم الفكر، العدد3، المجلد55،يناير-مارس2007م.

1.أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي: نتائج الفكر في النحو، تح: عادل أحمد عبد الرحمن وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، ط1، 1412هـ-1992م.

2.أبو عبدالله غانم بن قدوري بن حمد بن صالح: محاضرات في علوم القرآن، دار عمار، عمان، ط1، 1423هـ-2003م.

- مزايط مولود هيد الله: قضايا في التداوليات المعرفية(التواصل-المعرفية-الاستدلال-الروابط-
التهكم-الاستعارة-الترجمة)، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن-عمان، ط1 1443هـ-
2022م.
- 3.إبراهيم بن محمد بن زكريا الزهري، من بني سعد بن أبي وقاص، أبو القاسم ابن
الإفليلي(ت441هـ): شرح شعر المتنبي، تح: مصطفى عليان، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان،
ج2، ط1، 1412هـ-1992م. أبوبكر العزاوي: اللغة والحجاج، الأحمدية، الدار البيضاء، ط1،
2006م.
- 4.أحمد المتوكل:
- المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والإمتداد، مكتبة دار الأمان، الرباط، ط1،
1427هـ-2006م.
- الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة ف الوظيفة والبنية والنمط، منشورات الاختلاف،
الجزائر، ط1، 1431هـ-2010م.
- اللسانيات الوظيفية(مدخل نظري)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت-لبنان، ط2،
سبتمبر2010م.
- 5.أحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف(1426هـ): المدارس النحوية، دار
المعارف،(د،ط)،(د،ت).
- 6.بهاء الدين محمد مزيد: تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، شمس للنشر
والتوزيع، القاهرة، ط1، 2010م.
- 7.بودوخة مسعود: الأسلوبية والبلاغة العربية(مقاربة جمالية)، مركز الكتاب الأكاديمي، الأردن،(د،
ط)، 2016م.

8. جميل حمداوي: التداوليات وتحليل الخطاب، الألوكة، ط1، 2015م.
9. ثروت مرسي: في التداوليات الاستدلالية قراءة تأصيلية في المفاهيم والسيرورات التأويلية، دار كنوز المعرفة، عمان-الأردن.
10. حسن حنفي: من النص إلى الواقع (تكوين النص)، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ط1، 2004م.
11. خالد بن عثمان السبب: قواعد التفسير جمعاً ودراسة، ج1، دار ابن عثمان، 2006م.
12. خالد حسين أبو عمشة: الاصطلاح النحوي البصري، الألوكة، (د، ط)، 1436هـ-2015م.
13. خالد حوير شمس: اللسانيات البينية، عمان-الأردن، مركز الكتاب الأكاديمي، 2022م.
14. خديجة، الحديثي، المدارس النحوية، الأردن، دار الأمل، ط3، 1422هـ-2001م.
15. خليفة بوجادي: اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر - العاصمة، ط1، 2009م..
16. سامر عرار: الاختلاف والتعارف في ضوء علم النفس المعاصر، دار الفكر، مصر، (د، ط)، 2012م.
17. سائدة عمر العيص: الوجهة الاجتماعية عند ابن جني في الخصائص، دار الفلاح، الكويت، (د، ط)، 2007م.
18. سعد الدين إبراهيم: في مسألة الوحدة وخسوف القومية العربية، دار ابن رشد، مصر، (د، ط)، 2018م.
19. سمير الخليل: تقويل النص تفكيك لشفرات النصوص الشعرية والسردية والنقدية، دار المنهل، ط1، 1437هـ-2016م.

20. شكري المبخوت: الاستدلال البلاغي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت-لبنان، ط2، 2010م.
21. صابر سعيد بقور: داعش برؤية الجزيرة عبر الفاسبوك الخطاب وأنماط الوعي الجماهيري، دار الخليج، الأردن، (د، ط)، 2017م.
22. ضياء الدين نصر بن الأثير الجزري: الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، تح: مصطفى جواد وجميل سعيد، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ط1، 1375هـ-1956م.
23. طارق ثابت: النسق الشعري وبنياته: منطلقات التأسيس المعرفي والتوظيف المنهجي، الأردن، مركز الكتاب الأكاديمي، 2018م.
24. طه عبد الرحمن:
-التواصل والحجاج، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، (د، ط)، 1993-1994م.
-اللسان والميزان (التكوثر العقلي)، المركز الثقافي العربي، الرباط-المغرب، ط1، 1998م.
-في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000م.
25. دخيل بن عبد الله الدخيل الله: المهارات الاجتماعية (المفهوم-الوحدات-المحددات)، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1435هـ-2014م.
26. عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، دار يعرب، تح: عبد الله محمد الدرويش، دمشق، ط1، 1425هـ-2004م.
27. عبد الرحمن الحاج صالح: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال، سلسلة علوم اللسان عند العرب، حلقة عبد الرحمن الحاج صالح اللسانية-جامعة الجلفة-طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغبة-الجزائر، 2012م.

28. عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، إعداد: أحمد الزعبي، شركة الأرقم بن أبي الأرقم للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، (د، ط)، 2016م.
29. عبد الرحمن بن معاضة الشهري: الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم أهميته، وأثره، ومناهج المفسرين في الاستشهاد به، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط1، 1431هـ.
30. عبد السلام عيساوي: أشكال القول من الإنشاء إلى التأويل، الدار التونسية للكتاب، منوبة-تونس، ط1، 2019م.
31. عبد العزيز بن عبدالله الحميدي: تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة، المملكة العربية السعودية، مركز البحث العلمي، للتراث الإسلامي، ط53، (د، ت).
32. عبد العزيز حمودة: المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية، عالم المعرفة، مطابع الوطن-الكويت، 2001م.
33. عبد القاهر بن عبد الرحمن بن الجرجاني النحوي:
 - أسرار البلاغة، تع: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، (د، ط)، (د، ت).
 - دلائل الإعجاز، تع: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د، ط)، 2000م.
34. عبد الكريم بو غزالة: المعالم في علوم القرآن، منشورات مزوار، الوادي-الجزائر، ط1، 2015م.
35. عبد الكريم جندي: مفهوم الواقع في العلوم الإنسانية، دار نماء للبحوث والدراسات، بيروت-لبنان، ط، 2021م.
36. عبد الله خضر حمد: موسوعة علوم اللغة العربية (علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع) (علم العروض والقافية)، دار القلم للطباعة والنشر، ط1، 2003 م.

37. عبد المتعال الصعيدي: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، ميدان الأوبرا-القاهرة، ج1، ط1، 1420هـ-1999م.
38. عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، الكتاب الجديد، لبنان، ط2004، 1م.
39. عبدالله ابن عباس: غريب القرآن في شعر العرب، تح: محمد عبد الرحيم وأحمد نصر الله، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت-لبنان، ط1، 1413هـ-1993م.
40. عبدالله بن عباس: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الكتب، بيروت-لبنان، ط1، 1412هـ-1992م.
41. عبير بنت عبد الله المنعم: قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير، دار التدمرية، ج1، ط1، 1436هـ.
42. عطية نايف عبدالله الغول: النظرية البلاغية عن الإمام الزمخشري (467هـ-538هـ) في الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، (د)، (ط)، (د،ت).
43. علي الحارس، رينيه ديكارت، موسوعة ستانفورد للفلسفة، مجلة حكمة، (د)، (ط)، 2021م.
44. علي آيت أوشان: السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 1421هـ-2000م.
45. علي بهاء الدين بوخود: المدخل الصرفي تطبيق وتدريب في الصرف العربي، المؤسسة الجامعية للدراسات، ط1، 1408م-1988م.
46. علي منصوري:

- الاقتصاد اللغوي في العربية القديمة الفصحى اليومية رؤية تطبيقية وفق النظرية اللسانية الحديثة، دار ألفا للوثائق، ط1، 2020م.
- تحليل الخطاب الصوفي في الإشارات الإلهية لأبي حيان التوحيدي دراسة في البنية الشكلية لأدب المناجاة الصوفي عند التوحيدي، دار ألفا للوثائق، ط1، 2020م.
- 47.فاضل صالح السامرائي: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، العاتك للطباعة والنشر، القاهرة، ط2، 1427هـ-2006م.
- 48.فؤاد زكرياء: أفاق الفلسفة، مؤسسة هنداي، (د، ط)، 2017م.
- 49.محمد الطاهر الميساوي: جمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ج1، ط1، 1436هـ-2015م.
- 50.محمد الطيب الفاسي: مفتاح الوصول إلى علم الأصول في شرح خلاصة الأصول، تح: إدريس الفاسي الفهري، دار البحوث الإسلامية وإحياء التراث، دبي - الإمارات المتحدة، ط1، 1425هـ-2004م.
- 51.محمد الغزالي:
- نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1416هـ-1995م.
- نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، ط4، 1420هـ-2000م.
- 52.محمد بازي: التأويلية العربية نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات، منشورات ضفاف، بيروت، ط1، 1436هـ-2015م.
- 53.محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تح: محمود محمد شاكر، جده، دار المدني،

ط1، (د، ت).

54. محمد بن صالح العثيمين (رحمه الله):

-أصول في التفسير، المكتبة الإسلامية، ط1، 1422-2001م.

-شرح البلاغة من كتاب قواعد اللغة العربية، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، المملكة العربية السعودية، ط1، 1434هـ.

55. محمد بن عبد الرزاق بن محمد وكرد علي: أمراء البيان-تحليل أساليب عشرة من أكابر كتاب الحضارة الإسلامية، تح: محمد العززي، دار الكتب العلمية، لبنان، (د، ط)، 2020م.

56. محمد سيف الإسلام بوفلاحة: العلامة عبد الرحمن الحاج صالح وجهوده في خدمة اللسانيات وعلوم اللغة العربية، دار الجنان للنشر والتوزيع، ط1، عمان - العبدلي، 2023م.

57. محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت-لبنان، ط1، 1994م.

58. محمد محبوب وآخرون: أي فلسفة للقرن الحادي والعشرون (أورغانون القرن الجديد)، تر: أنطوان سيف، مرا: الحسين الزاوي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2011م.

59. محمد محمد يونس علي: مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت-لبنان، ط1، 2004م.

60. محمد ياسين عليوي شكري: علم اللغة النصي، أبحاث تطبيقية، مركز الكتاب الأكاديمي، الأردن، (د، ط)، 2020م.

61. محمود سعيد الطريحي: كتاب تلميذ مدرسة سيبيويه الأستاذ المتمرس الدكتور محمد كاظم البكاء، (د، ط)، أكاديمية الكوفة، موسوعة الموسم، مج: 164، 2022م.

62. محمود عكاشة: الدلالة اللفظية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د، ط)، 2004م.

63. محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة، دار قباء، القاهرة، (د، ط)، (د، ت).

64. محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي، دار المعرفة الجامعة، جامعة الإسكندرية، (د، ط)، 2002م.
65. مراد حسن فطوم: التلقي في النقد العربي في القرن 4هـ، منشور الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، (د، ط)، 2013م.
66. مزايط مولود هيد الله: قضايا في التداوليات المعرفية (التواصل-المعرفية-الاستدلال-الروابط-التهكم-الاستعارة-الترجمة)، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن-عمان، ط 1 1443هـ-2022م.
67. مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، ط 1، 2005م.
68. مصطفى الصاوي الجويني: البلاغة العربية تأصيل وتجديد، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د، ط)، 1985م.
69. مصطفى صابر النمر: الدراما الأجنبية وانحرافات المراهقين السلوكية، دار العربي للنشر والتوزيع، مصر، (د، ط)، 2016م.
70. ناظم عودة خضر: الأصول المعرفية لنظرية التلقي، دار الشروق، عمان-الأردن، ط 1، 1997م.
71. نجيب كيلاني: آفاق الأدب الإسلامي، مؤسسة الرسالة، لبنان، (د، ط)، 1985م.
72. نشار مصطفى حسن: الأورجانون العربي للمستقبل، الدار المصرية اللبنانية، مصر، (د، ط)، 2014م.
73. نعمان عبد الحميد بوقرة: معالم بحثية في اللسانيات التطبيقية وتطبيقات اللسانيات الموسعة، (د، ط)، الأردن، مركز الكتاب الأكاديمي، 2022م.

74. وحيد الدين طاهر عبد العزيز، مكونات النظرية اللغوية بين الدراسة والتطبيق، (د، ط)، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي-جامعة جنوب الوادي، 2013م.

75. ياسر آغا: نظرية النحو الوظيفي عند أحمد المتوكل فصول نظرية ورؤى منهجية، مصر، مركز الكتاب الأكاديمي، 2020م.

76. يوسف القرضاوي:

-دراسة في فقه مقاصد الشريعة-بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية-، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2006م.

-كتاب دروس في التفسير: تفسير جزء عم، الدوحة، 2013م.

المراجع الأجنبية:

1.Essays in the RANK B.EBE RSOLE: Meaning and saying

Philosophy of language, Xlibris corporation, Bertrons, second

edition, 2002.

المراجع المترجمة:

1. أن روبول وجاك باشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوسي ومحمد

الشياباني، مر: لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت-لبنان، ط1، يوليو 2003.

2. جورج براون وجورج يول: تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، جامعة الملك

سعود، المملكة العربية السعودية، (د، ط)، 1418هـ-1997م.

3. جورج يول (George yule): التداولية، تر: قصي العتاي، الدار العربية للعلوم، بيروت-لبنان،

ط1، 1431هـ-2010م.

4. جون سيرل:

- الأعمال اللغوية بحث في فلسفة اللغة، تر: أميرة غنيم، مراجعة: محمد الشيباني، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط1، 2015م.
- العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، تر: صلاح إسماعيل، المركز القومي للترجمة، ط1، 2011م.
- 5.جونان كلر: فردينان دي سوسير(أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات)، تر: عز الدين إسماعيل، مصر، المكتبة الأكاديمية، 2000م.
- 6.فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، مركز الأهاء القومي، تر: سعيد علوش،(د، ط)،(د،ت).
- 7.فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار، سورية- اللاذقية، ط1، 2007م.
- 8.ماري آن بافو وجورج إلياسرفاتي: النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، تر: محمد الراضي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2012م.
- 9.ماري نوال وغاري بريور: المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، تر: عبد القادر فهم الشيباني، سيدي بلعباس-الجزائر، ط1، 2007م.

رابعاً: الأطروحات والمجلات

الأطروحات:

- بلقاسمي الزبيدي: كتاب الاجتهاد في مناط الحكم الشرعي دراسة تأصيلية تطبيقية-رسالة دكتوراه- إش: غازي بن مرشد العتيبي، مركز تكوين للدراسات والأبحاث، ط1، 1435هـ- 2014م.

-رانية جهاد إسماعيل الشويكي: الطاهر ابن عاشور وجهوده البلاغية في ضوء تفسيره التحرير والتنوير، تح: محمد شعبان العيد علوان، الجامعة الإسلامية، رسالة ماجستير، غزة، ج1، 1430هـ-2009م.

-غدير أحمد بني حمدان: أثر عبد القاهر الجرجاني في الدراسات البلاغية الحديثة، إشراف: إسماعيل أحمد عميرة، رسالة مقدمة لنيل رسالة درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2006م.

المجلات:

-ابتسام حمدان: علاقة الكلام بالمتكلم في درس البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، مجلة اللغة العربية، دمشق، ع84، مج4، 2009م.

-توفيق جمعات: التوجيه المعجمي للقراءات القرآنية دراسة تطبيقية لنماذج من القراءات المتواترة، جامعة عمار تليجي الأغواط-الجزائر- مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، ع8، جوان 2018م.

-بن يمينه محمد: الاستقراء المقاصدي عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور وأثره في القانون المقارن، مجلة الدراسات القانونية، مخبر السيادة والعولمة، جامعة المدية، مج4، ع1، جانفي 2018م.

-عبد الوهاب خلف الله أمينة: ثنائية السبك والحبك في الأدب العربي، سبها، مجلة جامعة سبها (العلوم الإنسانية)، مج2، ع1، 2009م.

-خالد حوير: التداولية المدمجة إجابة في المفهوم والتلقي العربي، مجلة كلية الشيخ الطوسي الجامعة، جامعة ذي قار-كلية الآداب- العراق، مج1، ع9، 2020م، ص400.

-الزواوي بغورة: العلامة والرمز في الفلسفة المعاصرة (التأسيس والتجديد)، عالم الفكر، العدد3، المجلد55، يناير-مارس 2007م.

- زيتونة مسعود، التقابل في سورة((يوسف))-عليه السلام- مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة الوادي، م12، ع2، 2020/09/15.
- سحالية عبد الحكيم: التداولية، مجلة المخبر-أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، قسم الأدب العربي، جامعة بسكرة، ع5، مارس2009م.
- علي عبد رومي: ظاهرة المعاقبة في اللغة العربية دراسة لغوية، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، ع(3-4)، مج(7)، جامعة القادسية -كلية التربية-.
- 10.غانم عبد الحسن رداد ومجيد نوط الشمري:الاستدلال عند السكاكي بسلب الضرورة(الإمكان)، مجلة الآداب، جامعة بغداد، ع125، 2018م/1439هـ.
- 11.فاطمة بن عيسى والعربي بومسحة: السياق في التراث العربي" الممارسات ومعالن النظرية"، المركز الجامعي أحمد بن يحيى الونشريسي، تيسمسيلت، مجلة الممارسات اللغوية، المجلد11، العدد03، أكتوبر2020.
- 12.كمال بخوش: النص وفعل التوجيه مقارنة لمسألة التوجيه الحجاجي في آيات من سورة الأعراف نموذجا، مجلة المدونة، م7، ع2، 2020م.
- 13.لطيف نجاح شهيد القصاب: اللغة القانونية وأخطاء الدلالة والتداول والتركيب في البحث القانوني، جامعة وارث الأنبياء، كلية الحقوق، مجلة دواة، العراق، مج5، ع21، 1440هـ-2019م.
- 14.محمد العيد: نظرية الحدث اللغوي، مجلة الدراسات اللغوية، المملكة العربية السعودية-الرياض، مج2، ع4، شوال-ذو الحجة/يناير-مارس، 1421هـ-2001م.
- 15.يوسف منصر: التراث اللغوي العربي من الإسقاط إلى الإقسط، مجلة تاريخ العلوم، جامعة زيان عاشور، الجلفة، ع3، 2016م.

خامساً: محاضرات وملتقيات

1. بومنقاش الرحمني: محاضرات في مقياس التداولية، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف2، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، 2016-2017م.
2. عائشة حنان: من نحو القواعد إلى نحو المعاني في نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، مكناس، المؤتمر الدولي للغة العربية وتعليمها، ع1، 2021م.
3. العربي طريلي: محاضرات في نظرية النظم، (المحاضرة الرابعة: نظرية النظم عند الإمام عبد القاهر الجرجاني)، الوادي، جامعة حمه لخضر، 2020م-2021م.
4. فريد خلفاوي: محاضرات في اللسانيات العربية، جامعة الشهيد حمه لخضر، كلية الآداب واللغات، الوادي، 2019م-2020م.
5. لبنى عبد العزيز محمد بيومي: القيم الجمالية والفلسفية للون في الفن الإسلامي ودورها في إثراء المشغولة المعدنية المؤتمر العلمي الدولي الثاني لمركز البحوث والاستشارات الاجتماعية، لندن-دبي، 2013م

سادساً: المواقع الإلكترونية

1. معنى المتلقي، موقع المعاني، 2024/10/31م، رابط:
<https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/المتلقي>
2. يوسف القرضاوي: دروس في التفسير، تفسير جزء عمّ، موقع سماحة الشيخ يوسف القرضاوي، 1434هـ-2013م، رابط:
<https://www.al-qaradawi.net/node/5054>
3. خليل خلف سويحل: نظم الكلام البياني عند عبد القاهر الجرجاني، شبكة الألوكة، 2023/09/28م، رابط:
https://www.alukahet/literature_language/0/93314

4. وجيز بوت، الفرق بين الدلالة والدلالة الموضوعية، موقع الكتروني، 2024/10/31م،

رابط: <https://www.ejaba.com/question>

5. مادة (المع)، معجم المعاني، 2024/08/20م، رابط:

<https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar>

6. مجدي عمار: ما لمقصود بنظرية الأفعال الكلامية، مدونة إلكترونية، 28 أبريل 2018م،

رابط:

<https://magdyomara.blogspot.com/2018/04/speech-acts.html>

7. محمد حسن عبد الغفار، تيسير أصول الفقه للمبتدئين (كتاب إلكتروني)، دروس صوتية، موقع

الشبكة الإسلامية، رقم الدرس 21، 2024/02/10م، ص 04، رابط:

www.islamweb.net

8. ويكيبيديا (2023/08/18م)، الجاحظ، (2023/09/23م)، رابط:

<https://ar.wikipedia.org/wiki>

9. ويكيبيديا: إعجاز القرآن، الاثنين 09 سبتمبر 2024م، موقع الكتروني، رابط:

<https://ar.wikipedia.org/wiki>

10. ويكيبيديا، 2022/06/25م، لسانيات ديكارتية، (2023/09/23م)، لسانيات ديكارتية، رابط:

<https://ar.wikipedia.org/wiki>

الملحق

الملحق

ترجمة لمحمد الطاهر بن عاشور ومدونته تفسير التحرير والتنوير.

أولاً: التعريف بالشيخ محمد الطاهر بن عاشور.

هو محمد الطاهر بن الشيخ محمد بن الطاهر بن الشيخ محمد بن الشيخ محمد الشاذلي بن العالم الصالح عبد القادر بن العالم الزاهد الولي الصالح الشيخ محمد (بفتح الميم) ابن عاشور، وهو من أشرف الأندلس، قدم الأخير إلى تونس سنة (1060 هـ = 1650 م) واستقر بها عند عودته من الحج، وله من العمر آنذاك ثلاثون سنة، وُلد بمدينة سلا من المغرب الأقصى بعد خروج والده من الأندلس فراراً من القهر والتنصير، والمتوفى سنة (1110 هـ - 1689)، كان عالماً عاملاً صالحاً ناسكاً مقبلاً على شأنه لا يقيم وزناً لهذه الدنيا الفانية، وكان لا يعيش إلا من كِدِّ يده، رافضاً كل ما يُقدَّم إليه من جزيل العطايا من طرف الملوك واهل البلاط والناس كافة.

قضى حياته كلها محترماً مبعلاً معظماً، وتزوج بتونس، وسكن بحي حوانت عاشور، وولد له أولاد، نذكر منهم: أحمد، وإدريس، وعبد القادر.

نشا الشيخ محمد الطاهر في رحاب العلم والجاه، فسلك أول ما سلك فهم القرآن الكريم، في سن السادسة، فقرأه وحفظه على المقرئ الشيخ محمد الخياري بمسجد سيدي أبي حديد المجاور لبيتهم بنهج الباشا بمدينة تونس. ثم حفظ مجموعة من المتون العلمية؟ كمتن الأجرومية في النحو وابن عاشر في الفقه المالكي، وغيرها⁽¹⁾.

توفي رحمه الله عن أربع وتسعين سنة في ضاحية المرسي قرب تونس العاصمة، يوم الأحد 13 رجب (394هـ) الموافق 12 آب - أغسطس (1973م)، ووري الثرى رحمه الله بمقبرة الزلاج من مدينة تونس. وبموته ودعت تونس ابرز شخصية علمية عرفت في القرن الرابع عشر الهجري.

⁽¹⁾ - إيراد خالد الطباع: محمد الطاهر بن عاشور علامة الفكر وأصوله والتفسير وعلومه، دار القلم، دمشق، ط1، 2005م، ص22-25.

⁽¹⁾ - المرجع نفسه، ص22-24.

رحمه الله رحمةً واسعةً، واسكنه فراديس جنّاته⁽¹⁾.

ثانياً: شيوخه⁽²⁾.

الشيخ أحمد بن بدر الكافي

الشيخ أحمد جمال الدين

الشيخ سالم بو حاجب

الشيخ محمد صالح الشريف

الشيخ عبد القادر التميمي

الشيخ عمر ابن الشيخ

الشيخ عمر ابن عاشور

الشيخ محمد الخياري

الشيخ محمد صالح الشاهد

الشيخ محمد طاهر جعفر

الشيخ محمد العربي الدرعي

الشيخ محمد العزيز بن محمد الحبيب بوعتور

ثانياً: أهم أعماله.

إن المؤلفات والتحقيقات التي تميّز بها ابنُ عاشور تُفصح عن نُضوجٍ علميٍّ ومعرفيٍّ، وعن

⁽¹⁾ - المرجع السابق، ص 25.

⁽²⁾ - المرجع نفسه، ص 30-39.

فكرٍ نَيِّيرٍ اتَّصف بمعالجة علمية رصينة، وأسلوبٍ بلاغي رفيع، مثل⁽¹⁾:

- آراء اجتهادية	- تحقيق وتصحيح وتعليق على كتاب الاقتضاب لابن السَّيِّد البطلوسي.
- أصول الإنشاء والخطابة.	- تحقيق وتعليق على كتاب خلف الأحمر المعروف بمقدمة في النحو.
- أصول التقدم في الإسلام	- تحقيقات و أنظار في الكتاب والسنة.
- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام.	- تعليقات وتحقيقات على حديث أنم زرع.
- أليس الصبح يقرب.	- تراجم بعض الأعلام.
- الأمالي على دلائل الإعجاز للجرجاني.	- التعليق على المطول بحاشية السبائكوتي.
- الأمالي على مختصر خليل.	- تفسير التحرير والتنوير وغيرها.
- تحقيق لشرح القرشي على ديوان المتنبي.	

ثالثاً: التعريف بمدونة التحرير والتنوير.

سبق أن بيَّنا أنَّ هذا التفسير هو أول تفسير كامل للقرآن الكريم يُصنَّف في إفريقية (تونس) على مرِّ التاريخ. وقد سماه مؤلفه (تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد، من تفسير الكتاب الجديد)، واختصره باسم (التحرير والتنوير من التفسير) ووجه اهتمامه في تفسيره هذا بيان وجوه الإعجاز، ونكت البلاغة العربية، وأساليب الاستعمال، واهتمَّ أيضاً ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض، أما البحث عن تناسب مواقع السور بعضها إثر بعض فلا يراه حقاً على المفسِّر، وأما مصادره، وما فتحه الله عليه في التفسير، فقد بينها في فاتحة تفسيره بقوله: "والنقاسيرُ وإن كانت كثيرة فإنَّك لا تجد الكثير منها إلاَّ عالة على كلام سابق بحيث لاحظ مؤلفه إلا الجمع على تفاوت بين اختصار وتطويل، وإنَّ أهمَّ النقاسير: (تفسير الكشاف) للزمخشري، و(المحرر الوجيز) لابن عطية، و(مفاتيح الغيب) لفخر الدين الرازي⁽²⁾.

منهجه في التفسير: أوضحه في مقدمته، ولا سيَّما عنايته بفن دقائق البلاغة الذي لم يخضه احد من المفسِّرين بكتاب كما خصَّوا الأفانين الأخرى، من اجل ذلك التزم الا يُغفل التنبيه على ما يلوح له من هذا الفن العظيم في آية من آي القرآن، كلَّما ألهمه الله ذلك بحسب مبلغ الفهم وطاقة التدبر،

⁽¹⁾ - المرجع السابق، ص 92-94.

⁽²⁾ - المرجع نفسه، ص 95.

مع بيان وجوه الإعجاز، وتناسب الآيات، ولم يُغادر سورة إلا بشئ ما أحيط بها من أغراضها لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن - كما يقول ابن عاشور - مقصوراً على بيان مفرداته ومعاني جملة كأنها فقر متفرقة تصرفه عن روعة انسجامه، وتحجب عنه روائع جماله. كما اهتم بتبيين معاني المفردات في اللغة العربية بضبطٍ وتحقيقٍ، مما خلت عن ضبط كثيرٍ منه قواميسُ اللغة، وبذل الجهد في الكشف عن نكت من معاني القرآن وإعجازه خلت عنها التفاسير، ومن أساليب الاستعمال الفصيح ما تصبو إليه همم النحارير، بحيث ساوى هذا التفسير - كما يقول - على اختصاره مطولات القماطير، ففيه أحسنُ ما في التفاسير، وفيه أحسنُ مما في التفاسير. ومدة تأليفه التفسير حوالي أربعين سنة، بدأ به في سنة (1341 هـ = 239 م)، وهي سنة تعيينه مفتياً، وعمره خمس وأربعون سنة، وانتهى منه عصر يوم الجمعة، الثاني من شهر رجب عام ثمانين وثلاثمائة وألف؟ فكانت مدة تأليفه تسعاً وثلاثين سنة وستة أشهر، وقد بدأ بنشره على حلقات في (المجلة الزيتونية) كما بيّناه. وقد وضع بين يدي التفسير عشر مقدمات: المقدمة الأولى: في التفسير والتأويل وكون التفسير علماً والثانية: في استمداد علم التفسير، والثالثة: في صحة التفسير بغير المأثور ومعنى التفسير بالرأي ونحوه، والرابعة: فيما يحق أن يكون غرض المفسر، والخامسة: في أسباب النزول، والسادسة: في القراءات، والسابعة: في قصص القرآن، والثامنة: في اسم القرآن وآياته وسوره وترتيبها وأسمائها، والتاسعة: في أن المعاني التي تتحملها جمل القرآن تعتبر مرادة بها، والعاشر: في إعجاز القرآن ويحفلُ تفسيره بضروب من التفسير والتأويل والفهم لمقاصد القرآن العظيم، مما يعرّ وجوده في غيره، ويتقرّد به عن غيره⁽¹⁾.

⁽¹⁾ - المرجع السابق، ص 96-97.

ملخص البحث باللغة الأجنبية

Abstract:

This research examines the rhetorical role of language in the Qur'an and how it has contributed to its development and adaptation as a means of argumentation and the expression of profound meanings in an innovative manner. The study's problem lies in distinguishing between interpretation and exegesis and understanding how different recipients influence the comprehension of Qur'anic discourse. The research also aims to analyze the communication mechanisms in the Qur'an, the extent to which intent is conveyed and controlled, particularly considering the diversity of environments and cultures. This topic was chosen due to its significance in understanding the dimensions of linguistic miraculousness in the Qur'an.

This study is of great importance as it sheds light on Qur'anic discourse from a pragmatic and rhetorical perspective, which helps in understanding the argumentative and interpretative methods employed by the Qur'an to convey meanings. The study belongs to the field of linguistic and rhetorical research with an analytical and critical approach, focusing on Qur'anic discourse and its impact on the recipient. The research adopted a pragmatic approach to discourse analysis by examining the relationship between the speaker and the audience and assessing the extent to which communicative intent is achieved. Additionally, an analytical methodology was employed to deconstruct the linguistic and pragmatic structures within the Qur'anic text.

The research also relied on a set of analytical tools that enabled it to achieve its objectives, including the study of Arabic rhetoric theories, the theory of linguistic structure, and the miraculous nature of the Qur'an, as well as pragmatic discourse analysis mechanisms. Furthermore, the study analyzed *Tafsir Al-Tahrir wa Al-Tanwir* by Muhammad Al-Tahir Ibn Ashur to extract the rhetorical and argumentative strategies he employed in interpreting the Qur'an, which facilitated an understanding of how discourse is constructed and how meanings are communicated to the audience through pragmatic methods.

The research concluded that Qur'anic discourse forms a fundamental linguistic and rhetorical pillar that has contributed to the preservation and continuity of the Arabic language. It also demonstrated that interpretation and exegesis are influenced by the different contexts of recipients. Additionally, it emphasized that identifying the intended recipient—whether a mere reader or a producer of discourse—is a crucial prerequisite before delivering speech or addressing an audience. The study further highlighted the necessity of equipping the intended recipient with the appropriate mechanisms to comprehend discourse and decode its meanings to enable engagement with it and access the textual structures it was designed for, ensuring a correct interpretation. Moreover, an intended recipient cannot analyze any discourse unless they possess certain analytical conditions, the most important of which include proficiency in using procedural mechanisms in linguistic communicative discourse, familiarity with the core functions of communication, and a certain level of cognitive and intellectual alignment with the speaker's intent and precision.

The study revealed that pragmatics, as applied in the interpretation of selected verses from *Tafsir Al-Tahrir wa Al-Tanwir*, falls within the realm of rhetoric and miraculousness and is based on the approach of objectives and argumentative purposes in interpreting the Qur'anic text. The findings confirmed that the recipient's ability to grasp meanings and understand the speaker's intent depends on their mastery of linguistic tools and their level of cultural and intellectual awareness. It also highlighted that the speaker must assess this level before addressing the intended recipient to ensure

a purposeful alignment between them, allowing communication and interaction to occur successfully and effectively.

These findings can be practically applied in discourse analysis studies, the development of curricula for teaching Qur'anic sciences and the Arabic language, and in enhancing students' awareness of levels of interpretation and exegesis, enabling them to gain a deeper understanding of the mechanisms of meaning production within Qur'anic texts.

Keywords:

Discourse, Interpretation, Exegesis, Intention, Pragmatics, Meaning and Purpose.